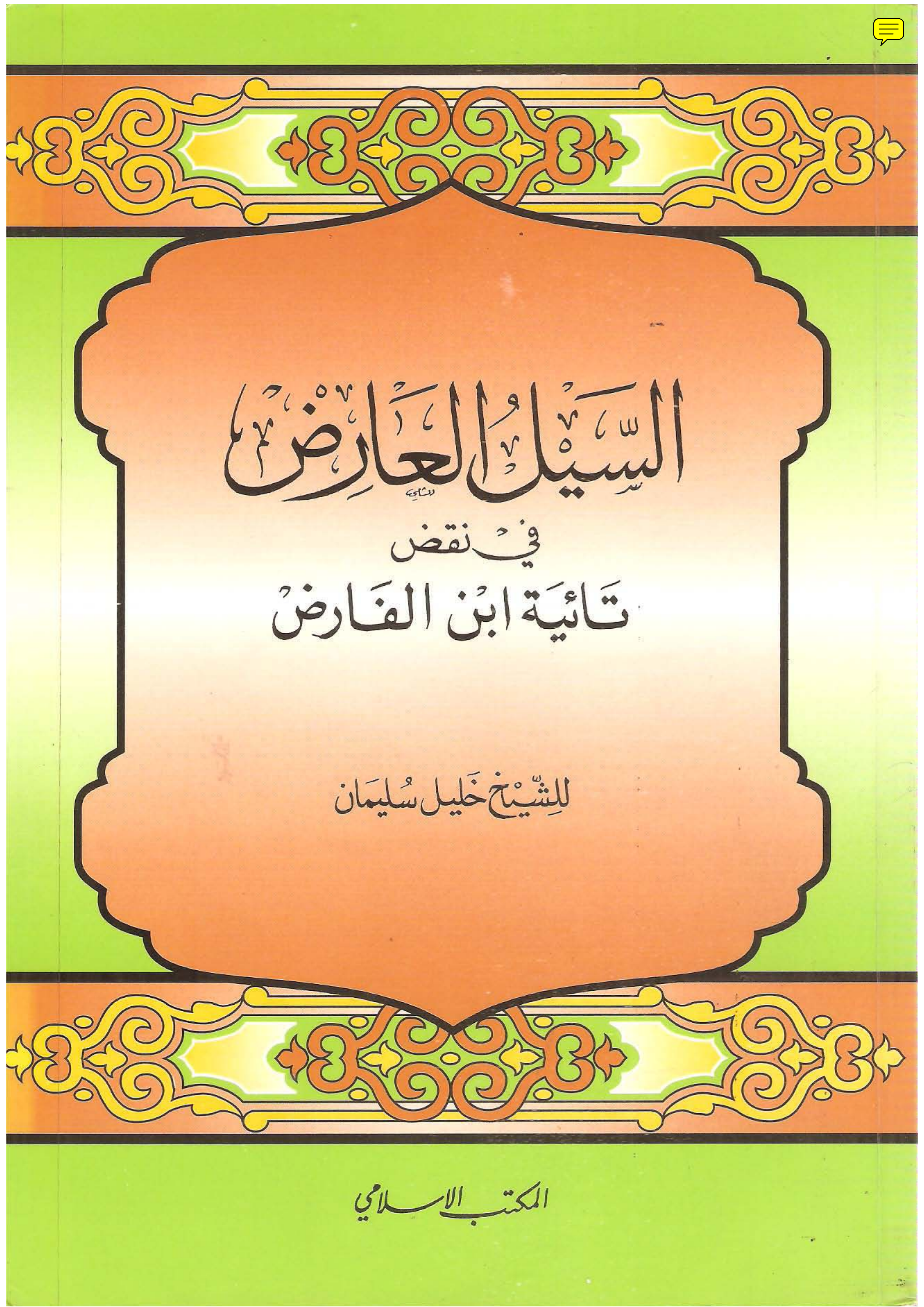
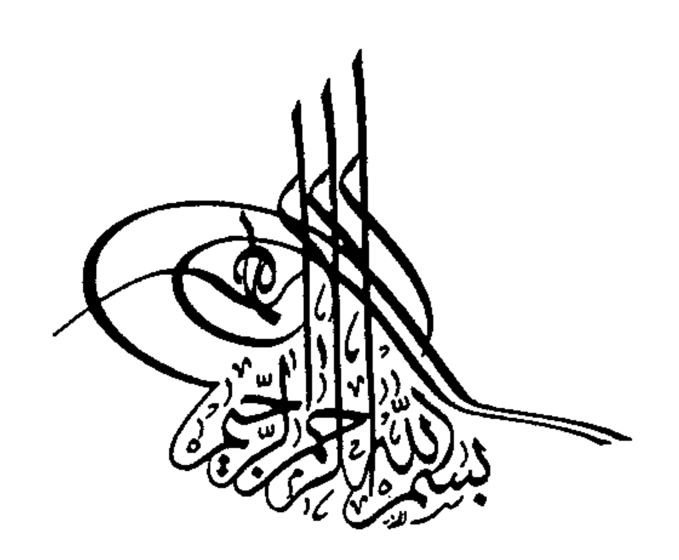

السيل العارض
في نقض
تائية ابن الفارض
للشيخ خليل سليمان
المكتب الإسلامي

السَّيْلُ العَارِضْ

في نقض

تائية ابن الفارض


بسم الله الرحمن الرحيم

السَّيْلُ العَارِض

في نقض

تَائِيَةِ ابْنِ الفَارِض

للشَّيْخ خَلِيل سُلَيمان

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

ترجمة ابن الفارض ـ وموضوع النّقد

جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان في ترجمة ابن الفارض: «هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة ٥٧٦ في القاهرة وتوفي بها سنة ٦٣٢ ودفن بسفح المقطم».

قلت: وبين هذين التاريخين من مولد ابن الفارض ووفاته كان العالم الإسلامي يمر بمراحل تغيير وانتقال. ففيه كسرت شوكة الصليبيين، وفيه تحررت مصر والشام من حكم الفاطميين.. ورجعت إلى حكم السنة والكتاب المبين. فقد كان ذلك العصر عصر البطل الأيوبي المجاهد صلاح الدين. ومع أن ابن الفارض قد ولد ونشأ وترعرع في عصر ذلك السلطان المجاهد الذي توفي سنة ٥٨٩، ومع أنه عاصر من بعد ذلك كثيراً من الوقائع، وشب ورجل في عصر مشحون بأخبار الحروب مع كل ذلك لا نجد في شعره شيئاً يدعو فيه إلى جهاد الكافرين أو مدح المجاهدين. ولا تعطينا هذه الترجمة أيَّ صورة عنه تشير إلى أنه كان من أهل العلم بالكتاب والسنة مع أنها أوثق ترجمة له، فقد كان ابن خلكان معاصراً لابن الفارض وأعلم المترجمين بأحواله.

مما نعلم من هذه الترجمة إلا أن ابن الفارض كان يسيح على قدم التجرد وأنه جاور بمكة زماناً.. وأن له ديوان شعر لطيف، أسلوبه فيه رائق وظريف وهو ينحو فيه منحى طريقة الفقراء.

قلت: ومن يتدبر ديوانه وما جاء في تراجم المترجمين له يجد في شعره كثيراً من الغزل الإباحي فيه ذكري وأنثوي، كما يجد شيئاً من قصص

عشقه لكلا الجنسين. منها ما ذكره ابن خلكان من أن ٱبن الفارض أحب غلاماً جميل ٱلصورة وقد ذكر ٱبن خلكان موالياً من الشعر يغازل فيه ابن الفارض ذلك الغلام.. ولا حاجة لنا لذكر شيء من ذلك هنا، فمن شاء فليرجع إليه في «الوفيات».

وأما شعر الرجل فإن في بعض منه تكلفاً وصنعة، وفي بعض منه آخر أبيات هي من أرق ما قال الشعراء. ولست هنا في شيء من نقد شعر ابن الفارض ولا في شيء من الحكم لشعره أو عليه، فإن الرجل شاعر فحل شئت أم أبيت. وإنه في ميدانه الذي جال فيه لأعظم شعراء عصره وما يليه إلى هذا العصر الذي نحن فيه. ألا وإن الذي يعنيني من شعره هاهنا هو تائيته الكبرى المسماة «نظم السلوك» والتي ٱختصرت فحوى ما فيها ببيتين ٱثنين قلت فيهما:

ومن يَقْتَرِئ نَظْمَ ٱلسلوكِ تدبُّراً   يَجِدْها مزيجاً فيه من كُلِّ مِلَّةِ
سوى ٱلملة ٱلأهدى فليست بِنَظْمِها   كذاكَ ٱلهدى يأبى نِظَامَ ٱلمَضِلَّةِ

فعلى هذه التائية الضالة ٱلمضلة أرد بهذا النظم الذي أسميته

«ألسيل العارض في نقض تائية ابن الفارض»

ألا وليس ردي عليه من جنس نقائض جرير والفرزدق، ولا هو من جنس ما يتعارض به الشعراء في أبواب الشعر.

ولكن ردي على ابن الفارض يتضمن رداً عليه وعلى نفسي، وذلك لما كنت عليه من أول أمري إلى ما بُعَيد الثلاثين من عمري. إذ كنت على مذهب يحكي في الفناء مذهبه وطريقة تشبه في السلوك طريقته، فمن هاهنا رأيتني أولى بالرد عليه لمعرفتي بأقواله وأحواله. فما من حال من السلوك ذكره في تائيته إلا وقد عشت مثله أو قريباً منه حتى منّ علي الوهاب بالرجعة والمتاب والخروج من ذلك السرداب. فلله الحمد أبد الآباد. الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

بسبحانك ٱللهُمَّ سَبْحُ سفينتي　　وتسبيحُكَ ٱللهمَّ قصدُ قصيدتي

وَأَحْمَدُكَ ٱللهُمَّ ربي مُوَحِّداً　　فأنتَ ٱلإلهُ ٱلحقُّ رَبُّ ٱلْبَرِيَّةِ

وأشهدُ للمبعوثِ منكَ محمدٍ　　رسولِكَ ذي ٱلتقوى شَهَادَةَ مُثْبِتِ

فَيَا رَبَّنا صَلِّ عليهِ وَآلِهِ　　بِحَقِّ ٱسمِكَ ٱلأعلى مَقَامَ ٱلوسيلة

وَصَلِّ على صحبِ ٱلنبي جميعِهِمْ　　وَخَصِّصْ ضجيعيه ٱللَّذَيْنِ بِحُجْرَةِ

وَإِنِي لأَسْتَهْدِيكَ رَبِّيَ فَٱهدني　　وَثَبِّتْ على نهجِ ٱلصراطِ مسيرتي

وَهَبْ لي إلهي منكَ حولاً وَقُوَّةً　　فإني ضعيفٌ دونَ حَوْلٍ وَقُوَّةِ

أَلاَ في سبيلِ ٱللهِ رِفقي وَشِدَّتي　　وَلِلَّهِ قِرطاسي وَنَظْمي وَنِيَّتي

قَصَدْتُ بِعَوْنِ ٱللَّهِ نَقْضَ قصيدَةٍ　　أَضَلَّتْ شُيُوخَ ٱلمسلمينَ وَشَلَّتِ

يُسَمُّونَهَا نَظْمَ ٱلسُّلُوكِ وَإِنَّها　　سُلُوكٌ على وَهْمٍ وغيرِ بَصيرَةِ

بِمَا كنتُ سُنِّيّاً فَلَسْتُ بِآخِذٍ　　بغيرِ دليلٍ مِنْ كتابٍ وَسُنَّةِ

فَمَا أَفْهَمُ ٱلسُّنِّيَ إلاَّ مُتَابِعاً　　سبيلَ رسولِ ٱللهِ في كُلِّ خُطْوَةِ

كَفَرْتُ بأديانِ ٱلأنامِ سوى ٱلذي　　أَتَانا بِهِ ٱلمبعوثُ في أرضِ مَكَّةِ

فَإِنْ يَرْتَضِ ٱبنَ ٱلفارضِ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ　　فَمَا ٱرتضي إلا طَريقَ ٱلنبوَّةِ

وَحَتَّى تَرَى ٱلفُرْقَانَ بيني وَبَيْنَهُ　　جَمَعْتُ لَكَ ٱلقولينِ أَيْسَرَ جَمْعَةِ

فما كانَ محصوراً فذلكَ شِعْرُهُ　　وأطلقتُ شِعْري مُطْلِقاً مِنْ أَعِنَّتي

(سَقَتْني حُمَيّا ٱلحبِّ راحةُ مقلتي　　وكأسي مُحَيّا مَنْ عَنِ ٱلحسنِ جَلَّتِ)

سُقيتَ بِوَسْوَاسٍ مِنَ ٱلوَهْمِ مُسْحِتٍ　　وَعَنْ جَلَّتِ ٱللَّتْ قُلْتَها ٱلذَّاتُ جَلَّتِ

فَمَا بَعْدَ حُسْنٍ غيرُ قُبحٍ وذاتُ مَنْ ... عَنَيْتَ تَعَالَتْ عن صفاتِ قَبيحَةِ

وقالَ رسولُ ٱللَّهِ إِنَّ إِلهَنَا ... جميلٌ رواها عنهُ أروى ٱلائمةِ

(فأوهمتُ صحبي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ ... بهِ سُرَّ سِرِّي بِٱنْتِشائي بِنَظْرَةِ)

أَيَصْحَبُ إلاّ عاقِلٌ ذو رَوِيَّةٍ ... وَيُوهِمُ إلاّ ماكِرٌ ذو خديعةِ

فإنْ قيلَ مجذوبٌ تَفَلَّتَ عقلُهُ ... وليس وليُّ ٱللَّهِ بِٱلْمُتَفَلِّتِ

فليسَ بذي جَذْبٍ أخو صُحْبَةِ ٱلورى ... وأولى بأهلِ ٱلجَذْبِ أكنافُ خَلْوَةِ

وما ثَمَّ مِنْ جَذْبٍ بدينِ محمدٍ ... ولا أولياءُ ٱللهِ أصحابُ جَذْبَةِ

وَلَوْ كَانَ حقاً ما تقولُ لنا لها ... أخو ٱلطُّورِ إذْ نَادَى ٱلإلهَ بِذِلَّةِ

(وَبِٱلْحَدَقِ ٱستغنيتُ عَنْ قَدَحي وَمِنْ ... شَمَائِلِها لا مِنْ شَموليَ نَشْوَتي)

وَصَفْتَ صِفَاتِ ٱللهِ بِٱسمِ شَمَائِلٍ ... وَذَاكَ لَعَمْرُ ٱلحَقِّ وَصْفُ ٱلخليقةِ

فلا يُوصفُ ٱلرحمنُ إلاّ بما أَتَى ... بَيَانٌ بِهِ مِنْ مُحْكَماتِ ٱلشريعةِ

فَسُبْحَانَ مَنْ جَلَّتْ صِفَاتُ جَلاَلِهِ ... وَمِنْ خَلْقِهِ لا ذاتِهِ كُلُّ نَشْوَةِ

(ففي حانِ سُكري حانَ شُكْري لِفِتْيَةٍ ... بِهِمْ تَمَّ لي كَتْمُ ٱلهوى مع شهرتي)

أتيتَ إلى قولٍ أَتَى دونَ نِسْبَةٍ ... ولا خيرَ في قولٍ أَتَى دونَ نِسْبَةِ

وَجِئْتَ بتجنيسٍ تَكَلَّفْتَ جَيْئَهُ ... تَنَاقَضْتَ فيه بينَ كَتْمٍ وَشُهْرَةِ

وَجَلَّ جَمَالُ ٱللهِ عَنْ بَعْثِ نَشْوَةٍ ... وَليسَ مُحِبُّ ٱللهِ في حَالِ سكرةِ

(ولما ٱنقضى صحوي تَقَاضَيْتُ وَصْلَهَا ... ولم يَغْشَني في بَسْطِهَا قبضُ خَشْيَةِ)

وذلكَ أَنْ ما زلتَ تَجْهَلُ قَدْرَهَا ... وتحكي عليها واهماً كُلَّ خَطْرَةِ

(وَأَبْثَثْتُهَا ما بي وَلَمْ يَكُ حاضري ... رقيبٌ لها حاظٍ بخلوةِ جلوتي)

تُشَبِّهُ ذاتَ ٱلربِّ جَهْلاً بخلقهِ ... وَإِلاّ فَمَا دعوى رقيبٍ وخلوةِ

وَهَا أَنْتَ قد نَاقَضْتَ نَفْسَكَ بَعْدَهَا ... مُبَاشَرَةً مِنْ بَعْدِ إثباتِ جَلْوَةِ

(وقلتُ وحالي بِٱلصَّبابَةِ شاهِدٌ ... ووجدي بها ماحِيَّ وٱلفَقْدُ مُثْبِتي)

(هبي قَبْلَ يُفني ٱلحبُّ مني بَقِيَّةً ... أَرَاكِ بها نظرةَ ٱلمتلفتِ)

(وَمُنِّي على سَمْعي بِلَنْ إِنْ مَنَعْتِ أَنْ ... أَرَاكِ فَمِنْ قبلي لِغَيْرِيَ لَذَّتِ)

فَمِنْ قبلُ مِنْ بَيْتَيْنِ أَثْبَتُّ جَلْوَةً ... وها أنتَ ترجو ٱلآنَ فوزاً بِنَظْرَةِ
وأخطأتَ إذْ أَثْبَتَّ لِلْوَجْدِ مَحْوَةً ... وَلِلْفَقْدِ إِثْبَاتاً بقولٍ وَفِكْرَةِ
وما كانَ حُبُّ ٱللَّهِ يُدْعَى صَبَابَةً ... لَدَى رُسُلِ ٱلرحمنِ أهلِ ٱلحقيقةِ
ولكنَّ حُبَّ ٱللهِ ذِكْرٌ وطاعةٌ ... وَسَيْرٌ على منهاجِ نور ٱلشريعةِ
وليسَ ٱلتَّصَابِي بينَ عَبْدٍ وَرَبِّهِ ... وإنَّ ٱلتصابي بينَ مَرْءٍ ومَرْأَةِ
وأولى بموسى عند «لَنْ» حالُ خَشْيَةٍ ... فكيفَ بِلَنْ نَوَّلتَهُ حَالَ لَذَّةِ
فإنْ قُلْتَ إنَّ ٱلقولَ يُحْدِثُ لَذَّةً ... على كلِّ حالٍ في ٱلنفوسِ ٱلسميعةِ
حَجَجْنَاكَ مِنْ ذِكْرِ ٱلإلهِ بقولهِ ... تعالى ﴿ٱخسؤوا فيها﴾ بِأَبْيَنِ حُجَّةِ
(فَعِنْدِي لِسُكْرِي فاقةٌ لإفاقَةٍ ... لها كبدي لولا ٱلهوى لَمْ تُفَتَّتِ)
أتيت بنظمٍ ليس عذباً سِيَاقُهُ ... أَحَلَّ الهوى حَشْواً مَحَلَّ المحبةِ
وعندي لسكري فاقةٌ لإفاقةٍ ... نَقَضْتَ بها دعواكَ ٱلفَقْدُ مُثْبِتي
وما كَبِدُ الإنسانِ إلاّ ببطنهِ ... فَعَلَّكَ تهوى لحمَ ثورٍ وَعَنْزَةٍ
(ولو أَنَّ ما بي بالجبالِ وكان طُو ... رُ سينابها قبل ٱلتَّجلِّي لَدُكَّتِ)
وما حالُ موسى مَنْ تَجَلَّى فَدَكَّهُ ... ولكنَّهُ ٱلرحمنُ رَبُّ ٱلبَرِيَّةِ
وموسى ٱلذي ما أنتَ إلاّ كَذَرَّةٍ ... قِيَاساً إليهِ خَرَّ ساعَةَ دُكَّتِ
(هوىً عَبْرَةٌ نَمَّتْ بهِ وَجَوىً نَمَتْ ... بهِ حُرَقٌ أدواؤها بِيَ أَوْدَتِ)



«بدعة السياحة على التجرد»

رُوَيْدَكَ ما هذا ٱلهوى غيرُ شهوةٍ يُصَوِّرُ حرمانَ ٱمريءٍ وَصْلَ نَشْوَةِ
فقد عِشْتَ عشراً مِنْ سنينٍ وَنِصْفَها تسيحُ مِنَ ٱلصحراءِ في كُلِّ قَفْرَةِ
وكنتَ ٱمرءاً قَبْلَ ٱلسياحةِ نَاكِحاً فَلَمّا هجرتَ الأَهْلَ بُؤْتَ بِخَيْبَةِ
وما كنت في تلك ٱلسياحةِ تابعاً سبيلَ ٱلهدى بلْ كنتَ صاحبَ بدعةِ
وَأَحْيَيْتَ رهبانِيَّةً قادَ أَهْلَها إلى ٱلضَّلِّ إبليس ٱلخبيثُ بخدعةِ
لَقَدْ رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱلورى بِمُحَمَّدٍ بِإِنزالِ شَرْعٍ فيهِ إثباتُ فِطْرَةِ
أَبانَ لنا أَنَّ ٱلزواجَ سَكِينَةٌ وَقَالَ لنا إِنَّ ٱلنكاحَ لَسُنَّتي
(فَطُوفانُ نوحٍ عند نَوْحي كأدمعي وإيقادُ نيرانِ ٱلخليلِ كَلَوْعتي)
(ولولا زفيري أغرقتنيَ أَدْمُعي ولولا دُموعي أحرقتنيَ زَفْرَتي)
(وَحُزْنيَ ما يعقوبُ بَثَّ أَقَلَّهُ وَكُلُّ بِلاَ أيوبَ بَعْضُ بَلِيَّتي)
(وآخِرِ ما لاقى ٱلأُلى عَشِقُوا إلى الرَّدَى بَعْضُ ما لاقيتُ أوَّلَ مِحْنَتي)
(فلو سَمِعَتْ أُذْنُ ٱلدَّليلِ تَأَوُّهي لآلامِ أَسْقَامٍ بِجِسْمي أَضَرَّتِ)
(لأَذْكَرَهُ كَرْبي أذى عيشِ أَزْمَةٍ بِمُنْقَطِعي رَكْبٍ إذا ٱلعيسُ زُمَّتِ)
أما كُنْتَ قَدْ أَعْلَنْتَ مِنْ قبلِ ذا وَمِنْ شَمَائِلِها لا منْ شَمُوليَ نَشْوَتي
فكيفَ أتاكَ ٱلحُزْنُ مِنْ بعدُ زاعماً (وكُلُّ بِلا أيوبَ بعضُ بليتي)
وما أنتَ مِنْ طوفانِ نُوحٍ بِقَطرةٍ ولا أنتَ منْ نارِ ٱلخليلِ بِجَمْرَةِ
وقد هِنْتَ شأناً أَنْ غَرِقْتَ بِأَدْمُعٍ على جَمْعٍ قِلٍّ أَوْ طَفِأْتَ بِزَفْرَةِ -
وأخطأتَ في لولا ٱلمنوع لِعِزِّها كلولا رسولُ ٱلله للعُرْبِ ضَلَّتِ

ولولا ٱمتناعُ ٱلشيءِ أَنْ كان غيرُهُ فما لك قد ألزمتَ لولا بِضَرَّةِ
كلولا زفيري أغرقتني أدمعي ولولا دموعي أحرقتني زفرتي
فَأَنَّى وما أَنَّى لديكَ طريقةٌ جعلتَ بلولا مُنتَفًى عينَ مُثْبَتِ
فلولا نَفَتْ زَفْراً بِدَمْعٍ زَعَمْتَهُ ولولا نَفَتْ دمعاً بِزَعْمٍ بِزَفْرَةِ
وهذا إذاً يعني ٱنتفاءَ أَسَاسِهِ كَزَعْمِكَ من طُوفانِ نوحٍ وَلَوْعَةِ
فَإِنْ قُلْتَ بل لولا نَفَتْ عَيْنَ فِعْلِهِ حَجَجْنَاكَ أَنْ لا وَصْفَ إِلاّ بِفِعْلَةِ
وكيفَ جعلتَ ٱلعاشقينَ إلى ٱلرَّدى أَقَلَّ بَلاءً مِنْ فَتًى غيرِ مَيِّتِ
وَهَلْ زِدْتَ إلا أَنْ ذكرتَ تَأَوُّهاً وَآلامَ أسقامٍ بِجِسْمٍ أَضَرَّتِ
وما أنتَ مِنْ يعقوبَ في فَقْدِ يُوسُفٍ ولا أنتَ منْ أيوبَ في فَقْدِ صِحَّةِ
(وقد بَرَّحَ ٱلتَّبريحُ بي وَأَبَادَني وأبدى ٱلضَّنَى مني خَفِيَّ حقيقتي)
أَمَا فَعَلَ ٱلتبريحُ فيكَ إبادَةً فكيفَ إِذَا تَضْنَى بِذاتٍ أُبِيدَتِ
(فَنَادَمْتُ في سُكري ٱلنُّحولَ مُرَاقبي بِجُمْلَةِ أسراري وَتَفْصيلِ سيرتي)
نُحولُكَ أحرى أَنْ يكونَ مُنَادِماً فَحُكْمُ ٱلنَّدَامى ظاهِرُ ٱلتَّبَعِيَّةِ
فلو قُلْتَ ما زَالَ ٱلنُّحُولُ مُنَادِمي بِتَذْكارِ أسراري وترجيعِ سيرتي
وأصدقُ مِنْ هذينِ لو كنتَ قائِلاً بأقداحِ أوهامي وتخليطِ سَكْرتي
(ظهرتُ لَهُ وَصْفاً وذاتي بحيثُ لا يراها لِبلوى مِنْ جَوَى ٱلحبِّ أَبْلَتِ)
أتجعلُ بَوْناً بينَ ذاتٍ وَوَصْفِها وإنْ صِفَةٌ قامَتْ بذاتٍ تَجَلَّتِ
(فَأَبْدَتْ وَلَمْ يَنْطِقْ لساني لِسَمْعِهِ هواجسُ نفسي سِرَّ ما عنهُ أَخْفَتِ)
أَمَا قُلْتَ يا وَهْمَانُ مِنْ قَبْلُ آنِفاً بِجُمْلَةِ أسراري وتفصيلِ سيرتي
وَعُدْتَ إلى نَفْيٍ سريعٍ بُعَيْدَهُ وها أنتَ بَعْدَ ٱلنَّفْيِ في حالِ مُثْبِتِ
وَجِئْتَ بِلَفْظٍ ليسَ هذا مَحَلَّهُ ولو قُلْتَ أَوْحَتْ أَوْ أَذَاعَتْ لأَوْفَتِ
وَكَرَّرْتَ في ٱلمعنى وقد قُلْتَ سابقاً وأبدى ٱلضَّنَى مني خَفِيَّ حقيقتي
(وَظَلَّتْ لِفِكْرِي أُذْنُهُ خَلَداً بِهَا يدورُ بها عنْ رؤيةِ ٱلعينِ أَغْنَتِ)
وَمَا أُذُنٌ أضحتْ سِجِلاًّ لِفِكْرَةٍ وقد بَانَتِ ٱلذَّاتَانِ في كُلِّ وِجْهَةِ

وإنْ كانَ يُغْني عَنْ رؤى ٱلعينِ فِكرةٌ ... فَمَا لَكَ تبقى مُستميتاً لِرؤيةِ

(وأخبرتُ مَنْ في ٱلحيِّ عَنّيَ ظاهراً ... بباطنِ أمري وَهْوَ مِنْ أَهْلِ خُبْرتي)

(كَأنَّ ٱلكرامَ ٱلكاتبينَ تَنَزَّلوا ... على قلبهِ وحياً بما في صحيفتي)

(وما كانَ يدري ما أُجِنُّ وما ٱلذي ... حَشَايَ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلمصُون أَجَنَّتِ)

(وَكَشْفُ حِجَابِ ٱلجسمِ أَبْرَزَ سِرَّ ما ... به كانَ مستوراً لهُ منْ سريرتي)

(فكنتُ بِسِرِّي عنهُ في خُفْيَةٍ وَقَدْ ... خَفَتْهُ لِوَهْنٍ مِنْ نُحُوليَ أَنَّتي)

(فأظهرني سُقْمٌ بهِ كنتُ خافياً ... لَهُ وٱلهوى يأتي بِكُلِّ غريبَةِ)

(وَأَفْرَطَ بي ضُرٌّ تَلاَشَتْ لِمَسِّهِ ... أَحاديثُ نَفْسٍ بٱلمدامعِ نَمَّتِ)

لَسَرْعَانَ ما نَاقَضْتَ نَفْسَكَ هَاهُنَا ... وَكَرَّرْتَ أقوالَ ٱلظُّنُونِ ٱلبعيدَةِ

فكيفَ ٱلذي لَمْ يَدْرِ سِرَّ حقيقَةٍ ... يُرى مُخْبراً في ٱلحيِّ من أهل خُبْرتي

وكيفَ يُسَمَّى وَهْوَ من أهل خبرتي ... وفي «وَهُوَ» ٱلتأكيدُ في ٱلعربيةِ

وَأَمَّا ٱلكرامُ ٱلكاتِبونَ فَكَتْبُهُمْ ... إذا قَالَةُ ٱلعَبْدِ ٱلمكَلَّفِ أَمْلَتِ

وَأَمّا ٱدِّعاءُ ٱلحَجْبِ إذْ قُلْتَ قَبْلُ لا ... يراها لِبَلْوَى مِنْ جَوَى ٱلحبِّ أَبْلَتِ

فَإِنْ كانَ سِرُّ ٱلذاتِ ما في صحيفَةٍ ... فَأَيْنَ ٱلذي يَخْفَى عَلَى ٱلمَلَكِيَّةِ

وفي ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ سِرَّنا ... وَيَعْلَمُ أَخْفَى منهُ في كُلِّ مُهْجَةِ

وَكَشْفُ حجابِ ٱلجسمِ ليسَ بِمُظْهِرٍ ... لِمُنْكَشِفٍ قُدَّامَهُ غَيْرَ عَوْرَةِ

وَأَنْتَ ٱمرؤٌ تَسْتَعْمِلُ ٱلقولَ جاهلاً ... بِمَوْضِعِهِ ٱلأَوْلَى بهِ كُلَّ لَفْظَةِ

وَتَبْدَأُ بٱلعُقْبَى وَبِٱلبَدْءِ تنتهي ... وَتَنْقُضُ ما أَكَّدْتَ في كُلِّ مَرَّةِ

(فَلَوْ هَمَّ مكروهُ ٱلرَّدَى بي لَمَا دَرَى ... مكاني وَمِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيتي)

(وَمَا بَيْنَ شَوْقٍ وٱشتياقٍ فَنِيتُ في ... تَوَلٍّ بِحَظْرٍ أَوْ تَجَلٍّ بِحَضْرَةِ)

(فلو لِفَنَائي مِنْ فِنَائِكِ رُدَّ لي ... فُؤادِيَ لَمْ يركَنْ إلى دار غُرْبَةِ)

(وعنوانُ شأني ما أَبُثُّكِ بَعْضَهُ ... وما تَحْتَهُ إظهارُهُ فوق قدرتي)

أَخَا ٱلوَهْمِ لو حَقَّقْتَ فيما تَقُولُهُ ... لأَلْقَيْتَ هذا ٱلشِّعْرَ في قَعْرِ لُجَّةِ

أَتَنْفي وَقَدْ أَثْبَتَّ مِنْ بَعْدِ مَا دَرَى ... إليكَ مُضَافاً مِنْ مَكَانٍ بِنِسْبَةِ

فما دُمْتَ تحيا في مكانٍ وَمَنْزِلِ فَكُلُّ مكانٍ مَنزِلٌ لِلْمَنِيَّةِ
وكيفَ يكونُ ٱلقلبُ في دار غُرْبَةٍ إذا كانَ يَحْيَا في فِنَاءِ ٱلحبيبةِ
وما بَثُّها مِنْ بَعْضِ شَأنٍ وَكُلُّهُ لَدَيْها جَليٌّ أَمْ تَرَاها بِغَفْلَةِ
وَقَوْلُكَ مِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيَتي خِلافُ ٱلذي يَجْلوهُ حالُ ٱلمحبَّةِ
كَذَأْبِكَ إِذْ نَاقَضْتَ في لو يُرَدُّ لي فؤاديَ لم يرغبْ إلى دار غُرْبةِ
(وَأُمْسِكُ عَجْزاً عَنْ أُمورٍ كثيرةٍ بِنُطْقِيَ لَنْ تُحصَى ولو قُلْتُ قَلَّتِ)
لَئِنْ كُنْتَ تعنيها بِهَذا فَإِنَّها تُحيطُ بِمَجْمُوعِ ٱلأُمُورِ ٱلكثيرةِ
وإنْ كُنْتَ تعني أَنَّ حَالَكَ فَوْقَ ما مَقَالُكَ مُبْدٍ ذا ٱلدَّعاوى ٱلعريضةِ
فَأُقسمُ لَوْ وَاصَلْتَها أَوْ عَرَفْتَها لَعُدتَ بِأَسْرَارِ ٱلبَيَانِ ٱلبليغَةِ
(شِفَائِيَ أَشْفَى بَلْ قَضَى ٱلوجدُ أَنْ قَضَى وَبَرْدُ غليلي وَاجِدٌ حَرَّ غُلَّتي)
(وَبَاليَ أَبْلَى مِنْ ثِيابِ تَجَلُّدي بهِ ٱلذاتُ في ٱلإعدامِ نيطَتْ بِلَذَّةِ)

«التجنيس»

أَرَى حُبَّكَ ٱلتَّجْنيسَ لُبَّكَ سالباً   فتأتي بهِ خَبْطاً بغيرِ رَوِيَّةِ

شِفَاؤُكَ ما أَشْفَى وقاضيك ما قضى   ولا يلتقي بَرْدٌ وَحَرٌّ بِغُلَّةِ

وَلَوْ كُنتَ ذا بالٍ كَدَعْوَاكَ لَمْ تُنَطْ   بِهِ ٱلذاتُ في ٱلإعدامِ إلاّ بِحَسْرَةِ

وَمَا هُوَ إلاّ أَنْ أَتَيْتَ بِشَطْحَةٍ   قَلَبْتَ بِها مَدْلُولَ لَفْظٍ وَجُمْلَةِ

وَقَيَّدَتْ أَشْفَى بِٱلهلاكِ وَإنَّها   لَمُطْلَقَةٌ تَأتِي بِبُؤْسٍ وَنِعْمَةِ

ففي لُغَةِ ٱلعُرْبَانِ أَشْفَى على ٱلرَّدى   وَأَشْفَى على قَصْرٍ مُنيفٍ وَرَوْضَةِ

(فلو كَشَفَ ٱلعُوَّادُ بي وَتَحَقَّقُوا   مِنَ ٱللَّوْحِ مَا مِنِّي ٱلصَّبَابَةُ أَبْقَتِ)

(لَمَا شَهِدَتْ مِنِّي بَصَائِرُهُمْ سوى   تَخَلُّلِ روحٍ بينَ أثوابِ مَيِّتِ)

فلو كَشَفَ ٱلعُوَّادُ ما بي كَذَا فَقُلْ   فَسَهْوُكَ عَنْ «ما» هَاهُنا سَهْوُ جَهْلَةِ

وَفِيمَ ٱنْكِشَافُ ٱللَّوْحِ يا لَوْحَ وَهْمِهِ   لِيُعْرَفَ ما مِنْكَ ٱلصَّبَابَةُ أَبْقَتِ

فإنْ كنتَ في دعوى ٱلمحبةِ صادقاً   ففي شَرْعِنا بُرْهانُ دعوى ٱلمحبَّةِ

ففي شرعنا أَنَّ ٱلمَحَبَّةَ طَاعَةٌ   وَسَيْرٌ عَلى مِنْهَاجِ خيرِ ٱلبَرِيَّةِ

فَإنْ كنتَ حِبَّ ٱللَّهِ فَٱتْبَعْ حَبِيبَهُ   كذلكَ شَرْطُ ٱلحُبِّ في ٱلتَّبَعِيَّةِ

فَأَحْبَابُهُ مَنْ جاهدوا في سبيلهِ   وَمَنْ فيهِ لا يَخْشَونَ لائمَ لَوْمَةِ

(وَمُذْ عَفَا رَسْمي وَهِمْتُ وَهَمْتُ في   وُجُودي فَلَمْ تَظْفَرْ بكونيَ فكرتي)

كذلكَ أعداءُ ٱلإلهِ فإنَّهُمْ   نَسُوهُ فَأَنْسَاهُمْ نُفُوسَ ٱلهُوِيَّةِ

(وَبَعْدُ فحالي فيكِ قامَتْ بِنَفْسِها   وَبَيِّنَتي في سَبْقِ روحي بَنِيَّتي)

أَلاَ أَيُّها ٱلحَيْرَانُ في مَهْمَهِ ٱلهوى   تَبَصَّرْ تَجِدْ نورَ ٱلهُدَى في ٱلنُّبُوَّةِ

لقد كانَ خيرُ ٱلخَلْقِ أَمْتَنَ بِنْيَةً ... وَأَسْبَقَ بِٱلخيراتِ في كُلِّ غَلْوَةِ
وَلَوْ كانَ سَبْقُ ٱلروحِ في ضَعْفِ جِسْمِهَا ... لَمَا حَلَّقَ ٱلبازِيُّ فوقَ ٱلبعوضَةِ
تَعَلَّمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ أرسلَ رُسْلَهُ ... بِدينٍ على عَدْلٍ يقُومُ وَقُوَّةِ
(وَلَمْ أَحْكِ في حُبِّيكِ حالي تَبَرُّماً ... بها لاضطرابٍ بلْ لتنفيسِ كُرْبَتي)
أَتَحْسَبُها كَرْباً تُنيلُ مُحِبَّها ... لقد جَلَّ عَمَّا قُلْتَ بعضُ ٱلخليقةِ
فَكَيْفَ وَمَنْ تَحْكي عليها لَها ٱلعُلا ... وَمِنْ فَضْلِها تجري بِحَارُ ٱلعَطِيَّةِ
(وَيَحْسُنُ إِظْهَارُ ٱلتَّجَلُّدِ لِلْعِدى ... وَيَقْبُحُ غيرُ ٱلعَجْزِ عندَ ٱلأحِبَّةِ)
أَرَى هَا هُنَا بيتاً حكيماً لَوْ أَنَّهُ ... يُرادُ على مَعْنى جميلِ بُثَيْنَةِ
وَإِلاَّ فَعَجْزُ ٱلخَلْقِ قُدَّامَ رَبِّهِمْ ... لِزَامٌ لَهُمْ لا أَنَّهُ حَالُ كِلْفَةِ
(وَيَمْنَعُني شَكْوَايَ حُسْنُ تَصَبُّري ... ولو أَشْكُ للأعداءِ ما بي لَأَشْكَتِ)
- أَإِنَّكَ حقاً تَدَّعي ٱلصَّبْرَ بعدما ... ظَلِلْتَ مِنَ ٱلشكوى تَمُوءُ كَهِرَّةِ
(وَعُقْبَى ٱصطباري في هواكِ حميدةٌ ... عليكِ ولكنْ عَنْكِ غيرُ حميدةِ)
(وَمَا حَلَّ بي مِنْ مِحْنَةٍ فَهْوَ مِنْحَةٌ ... وَقَدْ سَلِمَتْ مِنْ حَلِّ عَقْدِ عزيمتي)
لَعَمْري لَقَدْ أكذبتَ نَفْسَكَ بَعدها ... مُبَاشَرَةً في بُؤْرِ بيتٍ مُبَتْبَتِ
فَقُلْتَ وَلَيْتَ ٱلروحَ منكَ تَرَوَّحَتْ ... قُبَيْلَ ٱلذي جَهْلاً نَظَمْتَ بِضَلَّةِ
(وَكُلُّ أَذىً في ٱلحبِّ منكِ إذا بَدَا ... جَعَلْتُ لهُ شكري مكانَ شَكِيَّتي)
جَعَلْتَ ٱلأذى وَصْفاً لِعِزَّةِ ذَاتِهِ ... وَأَلْزَمْتَها فِعْلَ ٱلأذَى في ٱلمحبةِ
وَأَكْرَمْتَ ذاتاً بينَ جَنْبَيْكَ وَسْوَسَتْ ... فَنَزَّهْتَها عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَزَلَّةِ
(نَعَمْ وَتَبَارِيحُ ٱلصَّبَابَةِ إنْ عَدَتْ ... عَلَيَّ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ في ٱلحُبِّ عُدَّتِ)
(ومنكِ شقائي بل بلائيَ مِنَّةٌ ... وفيكِ لباسُ ٱلبؤسِ أَسْبَغُ نِعْمَةِ)
(أرانيَ ما أوليتُهُ خيرَ فِتْنَةٍ ... قديمُ ولائي فيكِ مِنْ شرِّ فِتْنَةِ)
رجعتَ إلى تكريرِ ما قُلْتَ سابقاً ... وَأَلْبَسْتَها ٱلفاظَ بُؤْسٍ وَشِقْوَة
(فَلاَحٍ وَوَاشٍ ذاكَ يُهْدي لِعِزَّةٍ ... ضلالاً وَذَا بِي ظَلَّ يَهْذي لِغِرَّةِ)
(أُخالِفُ ذا في لَوْمِهِ عَنْ تُقىً كَمَا ... أُحالِفُ ذا في لُؤْمِهِ عَنْ تَقِيَّةِ)

أَمَا مِنْ قريبٍ قُلْتَ فيما ٱدَّعَيْتَهُ ... وَهَمْتُ فَلَمْ تَظْفَرْ بِكَوْنِيَ فكرتي
فَمَا شَأْنُ مَنْ عَنْ كونهِ كانَ فانياً ... بِـوَاشٍ بِـلُـؤْمٍ أو بِـلاحٍ بِـلَـوْمَـةِ
وما شأنُ واشٍ عِنْدَ ذاتٍ عليمةٍ ... تُحيطُ بأسرارِ ٱلأُمورِ ٱلخَفِيَّةِ
(وما رَدَّ وجهي عن سبيلكِ هَوْلُ ما ... لقيتُ ولا ضَرَّاءُ في ذاكَ مَسَّتِ)
حَلَفْتُ بِها مَا أَنْ سَلَكْتَ سبيلَها ... وَهَلْ يَسْلُكُ ٱلمِعْوَجُّ نَهْجَ ٱلقويمةِ
وإنَّ سبيلَ ٱللَّهِ لو كنتَ عارفاً ... جِهَادُ قِتالٍ أو جِهادُ مَقُولَةِ
(ولا حِلْمَ لي في حَمْلِ ما فيكِ نالني ... يؤدي لحمدي أو لمدحِ مودَّتي)
(قَضَى حُسْنُكِ ٱلدّاعي إليكِ ٱحتمالَ ما ... قَصَصْتُ وأقصى بعدَما بعدَ قصتي)
قَضَى أمْرُهُ ألاّ يُكَلِّفَ عَبْدَهُ ... مِنَ الأمرِ إلاّ قَدْرَ وُسْعٍ وَقُدْرَة
(وما هو إلاّ أنْ ظَهَرْتِ لِناظِري ... بَأَكْمَلِ أوصافٍ على ٱلحُسْنِ أَرْبَتِ)
(فَحَلَّيْتِ لي ٱلبلوى فَخَلَّيْتِ بَيْنَها ... وبيني فَكَانَتْ منكِ أجملَ حِلْيَةِ)
رَجَعْتَ إلى ٱلأوهامِ يا عِلْقَ ثَدْيِهَا ... كَدَأْبِكَ مِنْ دَعْوَى ظُهُورٍ وَنَظْرَةِ
دَعَاويكَ يقضي بَعْضُها نَقْضَ بَعْضِها ... كأنْبَاءِ مِذْياعِ البلادِ الكَذُوبَةِ —
فحيناً تَمَنَّى «لَنْ» لِتَسْمَعَ صَوْتَها ... وحيناً تَمَنَّى نَظْرَةَ ٱلمُتَلَفِّتِ
وحيناً تَرَاها في ظهورٍ لِناظِرٍ ... وَحِيناً تَرَى وَصْفاً لِذَاتٍ تَخَفَّتِ
فَلَمَّا ٱدَّعَيْتَ ٱلفَوْزَ منها بِنَظْرَةٍ ... نَسَبْتَ إليها وَهْبَ أَدْنَى العَطِيَّةِ
أليسَ سِوَى البلوى لَدَيْهَا وَقَدْ بَدَتْ ... بَأَكْمَلِ أوصافٍ على الحُسْنِ أَرْبَتِ
(وَمَنْ يَتَحَرَّشْ بالجَمَالِ إلى الرَّدى ... رأى نَفْسَهُ مِنْ أَنفسِ العَيْشِ رُدَّتِ)
أَحُبُّكَهَا زَعْماً تراهُ تَحَرُّشاً ... أما سَبَقَتْ أحبابَها بِٱلمحبةِ
وكيفَ تَرَى يَرْدَى مُحِبُّ جَمَالِها ... وَمَنْ ماتَ فيها عاشَ أجملَ عَيْشَةِ
وكيفَ ترى نَفْسٌ نَفَائِسَ عَيْشِهَا ... بغيرِ ٱتصالٍ بالصفاتِ الجميلةِ
(وَنَفْسٌ تَرى في الحبِّ أَنْ لا ترى عَناً ... مَتَى ما تَصَدَّتْ لِلْصَابَةِ صُدَّتِ)
جَهِلْتَ بِها لَيْسَ المُعنى مُحِبُّها ... كما لا يُعَنَّى ذو خلودٍ بِجَنَّةِ
(وما ظَفِرَتْ بالحُبِّ رُوحُ مُراحَةٌ ... ولا بالوَلا نَفْسٌ صَفَا العيشِ وَدَّتِ)

«مقام الحب»

بلى ظَفِرَتْ بالحُبِّ رُوحٌ تُحِبُّهُ ... وَإنْ نَعِمَتْ في مُلْكِ قَصْرٍ وَدَوْلَةِ

فقد نَالَ داوودُ المبارَكُ وٱبنُهُ ... مَعَ الملكِ والنُّعْمَى عَظيمَ المودَّةِ

كَأَنَّكَ يا وَهْمَانُ تَحْسَبُ أَهْلَهُ ... ذوي الفقرِ وٱلضَّرَّاءِ دونَ المَسَرَّةِ

فَأَيْنَ إذاً آياتُ وَاسِعِ حكمةٍ ... وأيْنَ إذاً خيراتُ وَاسِعِ رَحْمَةِ

بِحَسْبِكَ مِنْ حالِ ٱلنَّبِيِّينَ عِبْرَةٌ ... بِمَا بَعَثَ الرحمنُ في كُلِّ أُمَّةِ

فَإِنَّ لَهُ في كُلِّ قومٍ أحِبَّةً ... وقد يَجْتَبي منْ كُلِّ جِنْسٍ وَفِرْقَةِ

فَفِي آلِ فرعونَ العَدُوِّ لِرَبِّنا ... وَلِيٌّ على الكِتْمَانِ نادى بِدَعْوَةِ

وَإنَّ لَنَا في زوجِ فرعونَ عِبْرَةً ... بِرَبِّ ٱبْنِ لي بيتاً لَدَيْكَ بِجَنَّةِ

وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ نَوَّرَ ٱللَّهُ قَلْبَهُ ... وَكَمْ مِنْ فقيرٍ ظَلَّ في ظِلِّ ظُلْمَةِ

وَشَأْنُ أبي ذَرٍّ على عِزِّ شَأْنِهِ ... أَعَزُّ عُلاً منهُ مَقَامٌ لِطَلْحَةِ

تَلَقَّى بِكَفٍّ منهُ ضَرْبَةَ صارمٍ ... أَرَادَتْ رسولَ اللَّهِ غَدْراً فَكُفَّتِ

فهذا إلى المولى يَسيرُ بِفَقْرِهِ ... وهذا إلى المولى يَسيرُ بِثَرْوَةِ

فَوِرْدُ أخي العُسْرى بِصَبْرٍ وَعِفَّةٍ ... وَوِرْدُ أخي اليُسْرى بِشُكْرٍ وَنَجْدَةِ

(وأينَ الصَّفَا هَيْهَاتَ مِنْ عَيْشِ عَاشِقٍ ... وَجَنَّةُ عَدْنٍ بالمكارهِ حُفَّتِ)

«العشق»

إنِ العِشْقُ إلاّ بينَ نَفْسٍ وَمِثْلِها وَتَعْظُمُ عَنْ عِشْقٍ صِفَاتُ الأُلُوهةِ
وما العِشْقُ إلاّ حالةٌ ثُمَّ تَنْقَضي وَيُكْرِمُ مولانا بِحُبٍّ وَخُلَّةِ

المنى

(ولي نَفْسُ حُرٍّ لو بَذَلْتِ لَهَا على   تَسَلِّيكِ ما فَوْقَ المنى ما تَسَلَّتِ)

أَلَيْسَ المُنَى كُلُّ المُنَى في رِضَائِهِ   فَقَوْلُكَ ما فوقَ المنى قَوْلُ سُخْفَةِ

وما البَذْلُ إلاّ مِنْ فِعَالِ عَبيدِهِ   وَعَنْ فِعْلِ بَذْلٍ ذاتُ رَبِّكَ جَلَّتِ

وحاشا عُلاهُ أَنْ يقولَ مُحِبُّهُ   «ولي نفسُ حُرٍّ» وَهْوَ منهُ بِحَضْرةِ

أَلاَ كُلُّ شيءٍ غَيْرُهُ هُوَ مِلْكُهُ   وَعَبْدٌ لَهُ مُسْتَغْرِقٌ في ٱلعُبُودَةِ

فَإِنْ تَقْتَرِئْ «إِنْ كُلُّ ما في» مُتَابِعاً   إلى قَولِهِ «عَبْداً» تَجِدْ صِدْقَ قَوْلَتي

(وَلَوْ أُبْعِدَتْ بِٱلصَّدِّ وَٱلهَجْرِ وٱلقِلى   وَقَطْعِ ٱلرَّجا عن خلتي ما تخلتِ)

أمنها يجيءُ الصدُّ وٱلهجرُ وٱلقلى   وقطعُ ٱلرَّجا حاشا علاها وَجَلَّتِ

تَبَارَكَ مَنْ إِنْ نَدْنُ منهُ تَقَرُّباً   بِشِبْرٍ دَنَا مِنَّا ذِراعاً بِرَحْمَةِ

وَمَنْ لاَ يَمَلُّ ٱلعبدَ ما ظَلَّ ذَاكِراً   إلى أَنْ يَمَلَّ ٱلعبدُ مِنْ بَعْدِ ذُكْرَةِ

هو ٱللهُ يهدينا إلى ٱلخيرِ مِنَّةً   وَيُلْهِمُنا شُكْراً وَيَجْزِي بِجَنَّةِ

كَدَاوودَ لَمَّا ٱلأمرُ جاءَ أَنِ ٱعملوا   بِشُكْرٍ فَنَادى في خُشُوعٍ وَحَيْرَةِ

إِلهيَ أَنَّى مِثْلِيَ ٱلشُّكْرَ يَدَّعي   وَأَنْتَ ٱلذي أَلْهَمْتني شُكْرَ نِعْمَتي

فَقَالَ لَهُ ٱلمولى لَئِنْ حُزْتَ فَهْمَ ذا   فَفَهْمُكَ هذا عينُ شُكْرِ عَطِيَّتي

«دعوى أنا»

(وَعَنْ مذهبي في ٱلحبِّ ما ليَ مَذْهَبٌ ... وإنْ مِلْتُ يوماً عنهُ فَارَقْتُ مِلَّتي)

وَهَلْ لَكَ إلاّ حُبُّ وَهمِكَ مَذْهَبٌ ... وَمَذْهَبُ أهلِ ٱلحقِّ حُبُّ ٱلحقيقةِ

وما هذه ٱلدّعوى وَشِعْرُكَ كُلُّهُ ... يَقُولُ أَنَا إِنّي بِكُلِّ قَصِيدَةِ

أَمَا تَسْتَحي مِنْ ذِكْرِ نَفْسِكَ مُكْثِراً ... بِيَاءِ ضميرٍ أو بِيَاآتِ نِسْبَةِ

وَهَلْ في ٱلورى حَقّاً مُحِبٌّ مُوَلَّهٌ ... يُعيدُ أنا إنّي أَمَامَ ٱلأَحِبَّةِ

فما بِٱلأَنَا سَارَ ٱلمُجِدُّ إلى ٱلمنى ... ولا بِٱلأَنَا نادى ٱلمحبُّ بِحَضْرَةِ

(ولو خَطَرَتْ لي في سواكِ إرادة ... على خاطري يوماً حكمتُ بِرَدَّتي)

لَقَوْلُكَ هذا في «سواكِ» إشارةٌ ... بأنَّ سوَاها عَنْكَ في غَيْرِ غَيْبَةِ

(لَكِ ٱلحُكْمُ في أمري فماشئتِ فٱحكُمي ... فلم تَكُ إلاّ فيكِ لا عنكِ رغبتي)

لقد حَكَمَتْ أَنَّ ٱلسَّبيلَ لِحُبِّها ... مُتَابَعَةُ ٱلمبعوثِ منها بِمَكَّةِ

(وَمُحْكَم عهدِ لم يُخامِرْهُ بيننا ... تَخَيُّلُ نَسْخٍ وَهْوَ خيرُ أَلِيَّةِ)

(وَأخذكِ ميثاقَ ٱلولا حيثُ لَمْ أَبِنْ ... بِمَظْهَرِ لَبْسِ ٱلنَّفْلِ في فيءِ طِينتي)

٤٠

«دعوى مواثيق الولا»

لقد قال مولانا «ألستُ بِرَبِّكُمْ» فَقَامَتْ «بَلَى» مِنَا علينا بِحُجَّةِ
فكيفَ ضميرُ ٱلجَمْعِ جاءَ بِبَيْنَنَا وليست كَذَاتِ ٱلربِّ ذاتُ ٱلخليقةِ
وأما مَواثيقُ ٱلوَلا فَدَعِيَّةٌ أَتَيْتَ بها يا وَهْمُ مِنْ بُؤْرِ فِرْيَةِ
(وسابقِ عَهْدٍ لَمْ يحُلْ مُذْ عَهِدْتُهُ وَلاحِق عَقْدٍ جَلَّ عَنْ حِلِّ فترةِ)
(وَمَطْلِعِ أنوارٍ بِطَلْعتِكِ ٱلتي لِبَهْجَتِها كُلُّ ٱلْبُدورِ ٱسْتَسَرَّتِ)
(وَوَصْفِ كمالٍ فيكِ أحسنُ صورةً وَأَقْوَمُها في ٱلخلقِ منهُ ٱستمدَّتِ)
(وَنَعْتِ جلالٍ منكِ يَعْذُبُ دونَهُ عذابي وتحلو عندهُ ليَ قِتْلَتي)
(وَسِرِّ جَمَالٍ عنكِ كُلُّ مَلاَحَةٍ بهِ ظَهَرَتْ في ٱلعالمينَ وَتَمَّتِ)
(وَحُسْنٍ بهِ يُسْبَى ٱلنُّهى دَلَّني على هوًى حَسُنَتْ فيهِ لِعِزِّكِ ذِلَّتي)
(وَمَعْنًى وراءَ ٱلحُسْنِ فيكِ شَهِدْتُهُ بِهِ دَقَّ عَنْ إدراكِ عينِ بصيرتي)
أَرَيْتَكَ عَهْداً لَمْ يَحُلْ مُذْ عَهِدْتَهُ وَلاحِقَ عَقْدٍ جَلَّ عَنْ حِلِّ فَتْرَةِ
أَأَلْزَمَكَ ٱلرحمنُ هذينِ سُنَّةً أَمْ أَنَّكَ هذينِ ٱحْتَزَمْتَ بِبِدْعَةِ
فإنْ كنتَ سُنِّياً فَأَخْلِصْ بِنِيَّةٍ وَإِنْ كنتَ بِدْعِيّاً فَأَمْلِصْ بتوبةِ
وَإِنْ يكُ عهدُ ٱلذَّرِّ منكَ بِذُكْرَةٍ فأولى بذي ٱلذكرى خُشُوعُ عُبُودَةِ
وَنَزِّهْ جَلالَ ٱلذاتِ عَنْ وَصْفِ طَلْعَةٍ وَعَنْ كُلِّ وَصْفٍ لَمْ يَرِدْ في ٱلشريعةِ
وليسَ سِرَارُ ٱلبدرِ إلاّ ٱسْتِتَارَهُ لدى كُلِّ شَهْرٍ قَبْلَ آخِرِ لَيْلَةِ
وَأَحْسَنُ خَلْقِ ٱللهِ وَٱلخَلْقُ كُلُّهُمْ لَهُمْ مِنْهُ إمدادٌ بِفَضْلٍ وَقُدْرَةِ
وَمَا صُورَةٌ منهُ ٱسْتَمَدَّتْ بِفِعْلِها وَلكنَّها منهُ بِفِعْلٍ أُمِدَّتِ

وَنَعْتُ جَلالِ ٱلذَّاتِ ليسَ لِخَلْقِها   وَلكِنَّ نَعْتَ ٱلذاتِ ما ٱلذاتُ أَوْحَتِ
وَمَا ظَهَرَتْ عنها ٱلملاحةُ في ٱلورى   ولكنَّها منها بفعلِ ٱلمشيئةِ
وما حُسْنُها يا وَهْمُ ما يَسْلُبُ ٱلنُّهى   فَسَلْبُ ٱلنُّهى مِنْ ذاتِ حُسْنٍ بخيلةِ
وليسَ جَمَالُ ٱللهِ ما يَبْعَثُ ٱلهوى   وَلكِنَّهُ يُحيي ٱلوُجُوهَ بِنُضْرَةِ
وَيَحْسُنُ مِنَّا أَنْ نَذِلَّ لِعِزِّهِ   على كُلِّ حالٍ لا فَقَطْ حَالَ جَلْوَةِ
وَمَهْمَا تَقُلْ فَٱللهُ أكبرُ عِزَّةً   ودعواكَ لو صَحَّتْ لِقِيلَ لكَ ٱسْكُتِ
(لأَنْتِ مُنَى قلبي وَغَايةُ بُغْيتي   وأقصى مُرادي وٱختياري وَخِبْرَتي)
وكيفَ مُنى عَبْدٍ تكونُ وَلِلْمُنى   إذا نُوِّلَتْ مَفْعُولُ نَفْسٍ تَمَنَّتِ
فَحَاشَا عُلاها أَنْ تكونَ مُنَى ٱلورى   وَقَدْ أَبْدَعَتْ فوقَ ٱلمنى وَأَعَدَّتِ
كما جاءَ في ٱلقُدْسِيِّ أَعْدَدْتُ نِعْمَةً   لِأَهْلِيَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَفِكْرَةِ
وَأَنَّى يُرَى ٱلرحمنُ غَايةَ بُغْيَةٍ   وَمِنْ فَضْلِه يُؤْتى ٱلورى كُلَّ بُغْيَةِ
فلا يُبْتَغَى إلاّ رِضَاهُ فَذَاتُهُ   أَعَزُّ وَأَعلا مِنْ عُلا كُلِّ هِمَّةِ
وكيفَ مُرادي قُلْتَ عنها وإنَّها   تَعِزُّ وتعلو عَنْ مُرَادِ ٱلخليقةِ
فَإِنَّ مُرادَ ٱلشيءِ مفعولُ ذاتِهِ   وَجَلَّتْ عَنِ ٱلمفعولِ في كُلِّ نِسْبَةِ
ولكنْ مُرادي قُلْ بِذُلِّ مُرادِهَا   فَمَا مِنْ مريدٍ دونها في ٱلمشيئةِ
وكيفَ ٱختياري قُلْتَ عنها وَخِبْرَتي   وإنَّ لَهَا كُلَّ ٱختيارٍ وَخِبْرَةِ
(خَلَعْتُ عِذَاري وٱعتذاريَ لابِسَ   ٱلخَلاعةِ مسروراً بِخَلْعي وَخِلْعَتي)
(وَخَلْعُ عِذَاري فيكِ فرضي وَإِنْ أَبى   ٱقترابيَ قومي وٱلخلاعَةُ سُنَّتي)
(وليسوا بقومي ما ٱسْتَعابوا تَهتُّكي   فَأَبْدَوْا قِلًى وٱسْتَحْسَنُوا فيكِ جَفْوَتي)
(وَأَهْلِي في دينِ ٱلهوى أَهْلُهُ وَقَدْ   رَضُوا ليَ عاري وٱستطابوا فضيحتي)
(فَمَنْ شاءَ فَلْيَغْضَبْ سواكِ ولا أَذَى   إذا رَضِيَتْ عني كرامُ عشيرتي)

«لا فضيحة بحب الله»

خَلَعْتَ عِذَارَ ٱلفَهْمِ بِٱلوهمِ لابِساً ... ملابِسَ إبليسَ ٱلخَليعِ ٱلمُشَتَّتِ

فـمـا هـذه ٱلأحـوالُ إلاّ وسـاوسٌ ... وَزُخْـرُفُ قـولٍ بيـنَ إنـسٍ وَجِـنَّـةِ

أهـذا كـلامُ ٱلـعـارفـيـنَ بَـرَبِّـهِـمْ ... أعـوذُ بـربـي مِـنْ دَعـاوى ٱلأَضِـلَّـةِ

وَإلاّ فـأيـنَ ٱلـعـارُ يـا أَعْـوَرَ ٱلـرؤى ... وَأَيْـنَ بِـحُـبِّ ٱللهِ مـعـنى ٱلـفـضيـحَـةِ

وَمَالَكَ تَكْني عَنْ عُلاها بِنِسْبَةٍ ... تُـضَـافُ إلى أعـدادِ جَـمْـعٍ وَكَـثْـرَةِ

ولـيـس لـهـا نِـدٌّ ولـيـسَ كـمـثـلـهـا ... ولا هـيَ مـن قـومٍ ولا مـن قـبـيـلـةِ

(وإنْ فَتَنَ ٱلنُّسَّاكَ بعضُ مَحَاسِنٍ ... لَدَيْكِ فَكُلٌّ منكِ موضعُ فتنتي)

أليسَ لديها غيرُ بعضِ محاسِنٍ ... فَجِئْتَكَ في بَعْضٍ هنا جِيءُ حَضرَةِ

وإنـكَ إذ تـعـدو لَـدَيْـهـا لِـذَاتـهـا ... لَمُتَّخِذٌ مِنْ مُلْكِهَا عينَ حَضرةِ

وإنَّـكَ قـد أَكَّـدْتَ مـعـنـاهُ مُـلْـزِماً ... بقولِكَ كُلٌّ مِنكِ مَوْضِعُ فتنتي

فـكـنـتَ كَـمَـنَّـانٍ يُـطَـمْـئِـنُ حِـبَّـهُ ... لِـمُـطَّـلَعٍ يُـخْـشَـى عـلـيـهِ بِـغَـيْـبَـةِ

وَأَلْصَقْتَ بِٱلنُّسَّاكِ ما أنتَ أَهْلُهُ ... كَـمَـنْ قَـذَفَـتْ أُخـرى بِـدَاءٍ وَوَلَّـتِ

(وما ٱختَرْتُ حتى ٱخْتَرْتُ حُبِّيكِ مذهباً ... فَوَا حَيْرَتي إنْ لمْ تكنْ فيكِ خيرتي)

وَهَـلْ مَـثَـلٌ تَـخْـتَـارُمـنـهُ وَكَـثْـرَةٌ ... فَـعَـنْ مَـثَـلٍ كُـلُّ ٱخـتـيـارٍ وَكَـثْـرَةِ

وَأَوْهَمْتَ في حُسْنِ ٱخْتِيارِكَ رِيبَةً ... وَحُـقَّ لَـهُ ٱلـتَّـنْـزيـهُ عَـنْ كُـلِّ رِيـبـةِ

كـذلـكَ ظَـنُّ ٱلـجـاهـلـيـنَ بِـذَاتِـهِ ... يتيهونَ وهماً بِٱلظنونِ ٱلجهولةِ

وما كنتَ مختاراً ولا لَكَ خِيرةٌ ... ولـكـنْ لَـهُ كُـلُّ ٱخْـتِـيَـارٍ وَخِـيَـرَةِ

(فقالتْ هوى غيري قَصَدْتَ ودونَهُ ... ٱقتَصَدْتَ عَمِيّاً عَنْ سَواءِ مَحَجَّتي)

(وَغَرَّكَ حتى قُلْتَ ما قُلْتَ لابساً ... بِهِ شَيْنَ مَيْنٍ لَبْسَ نَفْسٍ تَمَنَّتِ)
(وَمِنْ أَنفَسِ ٱلأطوارِ أمسيتَ طامِعاً ... بِنَفْسٍ تَعَدَّتْ طَوْرَهَا فَتَعَدَّتِ)
(وكيف بِحُبِّي وَهُوَ أحسنُ خُلَّةٍ ... تَفُوزُ بِدَعْوَى وهي أقبحُ خَلَّةِ)
(وأَينَ ٱلسُّهى مِنْ أَكْمَهٍ عَنْ مُرادِهِ ... سها عَمَهاً لكنْ أمانيكَ غَرَّتِ)
(فَقُمْتَ مَقاماً حُطَّ قَدْرُكَ دونَهُ ... على قَدَمٍ عَنْ حَظِّها ما تَخَطَّتِ)
(وَرُمْتَ مَراماً دونَهُ كَمْ تَطاوَلَتْ ... بأعناقِها قومٌ إليه فَجُذَّتِ)
(أتيتَ بُيوتاً لَمْ تُنَلْ مِنْ ظهورها ... وأبوابُها عَنْ قَرْعِ مِثْلِكَ سُدَّتِ)
(وبينَ يَدَيْ نجواكَ قَدَّمْتَ زُخْرُفاً ... تَرومُ به عِزّاً مَراميهِ عَزَّتِ)
(وجئتَ بوجهٍ أَبْيَضٍ غيرَ مُسْقِطٍ ... لجاهِكَ في داريكَ خاطِبَ صَفْوَتي)
(ولو كنتَ بي منْ نُقْطَةِ ٱلباءِ خَفْضَةً ... رُفِعْتَ إلى ما لم تَنَلْهُ بِحيلةِ)
(بحيثُ تَرَى أَنْ لا تَرَى ما عَدَدْتَهُ ... وَأَنَّ ٱلذي أَعْدَدْتَهُ غيرُ عُدَّةِ)
(ونهجُ سبيلي وَاضِحٌ لِمَنِ ٱهتدى ... ولكنَّها ٱلأهواءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتِ)
(وَقَدْ آنَ أنْ أُبدي هواكَ وَمَنْ بِهِ ... ضَنَاكَ بما ينفي ٱدِّعاكَ محبتي)
(حليفُ غرامٍ أنتَ لكنْ بِنَفْسِهِ ... وَإِبْقَاكَ وَصْفاً منكَ بعضُ أَدِلَّتي)
(فَلَمْ تَهْوَني ما لَمْ تَكُنْ فِيَّ فَانِياً ... وَلَمْ تَفْنَ ما لا تُجْتَلى فيكَ صورتي)
(فَدَعْ عنكَ دعوى ٱلحبِّ وٱدْعُ لغيرِهِ ... فؤادَكَ وٱدْفَعْ عنكَ غَيَّكَ بٱلتي)
(وَجانِبْ جَنابَ الوَصْلِ هيهاتَ لَمْ يَكُنْ ... وها أنتَ حَيٌّ إنْ تَكُنْ صادقاً مُتِ)
(هو الحُبُّ إنْ لَمْ تقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأْرَباً ... مِنَ ٱلحُبِّ فٱخْتَرْ ذاكَ أَوْ خَلِّ خُلَّتي)

«وساوس ابن الفارض»

كَأَنَّكَ ﷺ تَقْنَعْ بِفَرِيكِ قَوْلَةً ... فَرُحْت عليها تفتري قيلَ قَوْلَهِ

فَهَلاَّ وَقَدْ قَوَّلْتَها ما ٱدَّعَيْتَهُ ... رَجَعْتَ إلى أقوالها في ٱلشريعةِ

فإنْ قُلْتَ أَنْكَرْتُمْ عَلَيَّ خواطري ... وفي شَرْعِكُمْ إثْبَاتُ بالٍ وَخَطْرَةِ

أجبناك إنّا قد نَكِرْنا خواطِراً ... تخالفُ حكماً من كتاب وسُنَّةِ

فما كان مِنْ بالٍ يوافِقُ شَرْعَنا ... فَذاكَ وإلاَّ فٱستعذْ ثُمَّتَ ٱصمُتِ

وَهَا أَنْتَ قَدْ وَسْوسْتَ بَاطِلَ خَطْرَةٍ ... لَدُنْ قُلْتَ عَنْ ذاتِ ٱلإلهِ وَجَلَّتِ

«قَصَدْت هوى غيري» كَأَنَّ لها هوًى ... وَبُطْلانُ ذا بادٍ لِكُلِّ بديهةِ

وَنُكرانُها زَعْماً عليكَ مَطَامِعاً ... يُخَالِفُ ما قالَتْ بِذِكْرٍ وَأَوْحَتِ

ففي ٱلذِّكْرِ قالَ ٱللهُ للخلقِ سابقوا ... لِمَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِجَنَّةِ

وفي ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلسَّبْقَ بٱلخيرِ بِإِذْنِهِ ... كذا ٱستبقوا ٱلخيراتِ في ٱلذكرِ حقَّتِ

كَذَلِكُمُ ٱلفِرْدَوْسَ ٱلأعلى أَلاَ ٱسألوا ... كَمَا عَنْ رسولِ ٱللهِ تُروى وَصَحَّتِ

وَقَدْ أَلْزَمَ ٱللهُ ٱلنبيَّ نَوَافِلاً ... لِيُؤْتَى بِهَا أَعْلَى مَقَامٍ وَرُتْبَةِ

فكيفَ إذاً قالَتْ كَزَعْمِكَ آنِفاً ... «ونفسٍ تَعَدَّتْ طَوْرَها فَتَعدَّتِ»

فإنْ قلتَ لي قَالَتْ كذلكَ عندما ... رأتني كذوباً في ٱدِّعاءِ محبتي

كَكَيْف بِحُبِّي وَهْوَ أَحْسَنُ خُلَّةٍ ... تَفوزُ بدعوى وهيَ أَحْسَنُ خَلَّةِ

فحينئذٍ وٱلحقُّ لا شَكَّ قَوْلُهَا ... سيغدو لِزاماً أَنْ تَبُوءَ بِخِزْيَةِ

وَإِنْ قُلْتَ بَلْ قالَتْ بِبَسْطٍ جَوَابُهُ ... مَقَالَتُهَا حَقٌّ بِقَبْضٍ وَبَسْطَةِ

وَكَيْفَ بِها عنها تقولُ هي ٱلسُّها ... وليسَ ٱلسُّها إلاَّ كُوَيْكِبَ نَجْمَةِ

إشارة إلى قوله تعالى: الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (النور ٣٥)

١

فإنْ قُلْتَ في ٱلقرآنِ تَمْثيلُ نُورِها ... بِمِشْكاةِ مِصْبَاحٍ يُضَاءُ بِوَقْدَة

فَإِنْ قُلْتَ ذا عُذْراً لِجَهْلِكَ زِدْتَهُ ... فَمَا مَثَلٌ عَنْ مِثْلُ تَعْيينِ عُنَّةِ

وكيفَ «مَقَاماً دونَ قَدرِكَ قُمْتَهُ» ... وَلَيْسَ مَقَامٌ عَنْ كِذَابٍ بِقَوْمَةِ

ففي قَوْمِهِ إثباتُ ما رُمْتَ نَفْيَهُ ... وفي نَفْيِهِ تحريفُ لَفْظٍ وَجُمْلَةِ

وكيفَ على تأنيثِ قوم تَطَاوَلَتْ ... بأعناقِها قومُ إليهِ فَجُذَّتِ

وكيفَ بأعناقٍ جَعَلْتَ تَطَاوُلاً ... إلى غَايةٍ تُرجى بروحٍ وَهِمَّةِ

وَقَرْعُك للأبوابِ أعجَبُ بعدما ... جَعَلْتَ لها غَلْقاً بقولِكَ سُدَّتِ

وَقَرْعُكَ للأبوابِ يوحي بِأَنَّ مَنْ ... يَقُومُ وراءَ ٱلبابِ في حالِ غَفْلَةِ

وَبَيْنَ يَدَيْ نجواكَ قَدَّمْتَ زُخْرُفاً ... مَدَحْتَ بهِ ٱلنَّجْوَى بِمَوضِعِ قَدْحَةِ

فَبَيْنَ يَدَيْهَا خُصَّ آخَرُ غَيْرُها ... نفى ذَمُّهُ عنها عمومَ ٱلمذمَّةِ

فَجِئْتَ بِبَيْتٍ لَمْ تُوَفَّقْ بِسَبْكِهِ ... أَبَتْ حُمْلَةٌ فيه ٱعترافاً بِجُمْلَةِ

وكيف بها من نُقْطَة ٱلباءِ خَفْضَةٌ ... تكونُ وَجَلَّتْ عنْ صِفَاتِ خَفيضَةِ

كَأَنَّكَ يا وهمانُ تحسبُ نَعْتَها ... يُقاسُ على إعْرابِ حَرْفٍ وَلَفْظَةِ

ودعوى «ترى ألاّ ترى ما عَدَدْتَهُ» ... يُحيلُ على إثباتِ حالٍ وَرُؤْيَةِ

وكيفَ سبيلَ ٱلحقِّ أَسْمَيْتَ وَاضِحاً ... وَمَا واضِحٌ قُدَّامَ شَمْسٍ مُشِعَّةِ

فَإِنَّ وضوحَ ٱلشيءِ ضَوْءُ بياضِهِ ... وأعظمُ من هذا ضِيَاءُ ٱلحقيقةِ

وَمَا «وُضَّحٌ» إلاّ كواكِبُ خُنَّسٌ ... تُضيءُ إذا لُزَّتْ بِأُخْرَى مُضيئَةِ

وفي آنَ أَنْ أُبدي هواكَ وَمَنْ بِهِ ... ضَنَاكَ بما ينفي ٱدِّعاكَ محبتي

حليفُ غرامٍ أنت لكن بنفسه ... وإبقاكَ وصفاً منك بعضُ أدلتي

فَلَمْ تَهْوَني ما لم تَكُنْ فِيَّ فانياً ... وَلَمْ تَفْنَ ما لا تُجْتَلَى فيك صورتي»

كذبتَ عليها وَاهِماً بِصِفاتِها ... بِجَعْلِ ٱلهوى منها بمعنى ٱلمحبةِ

وليسَ فَناءُ ٱلخَلْقِ في ذاتِ رَبِّهم ... تعالَى عَنْ أَن يغدو محلاً لِخِلْقَةِ

وَنَفْيُكَ حُبَّ النفسِ مُهْجَة ذَاتِها ... مُحَالٌ ومردودٌ بِشَرْعٍ وَفِطْرَةِ

فليسَ حراماً أَنْ نُحِبَّ نُفوسَنا ... ولا أَنْ نُبَغِّيها لِفَضْلٍ وَرِفْعَةِ

وَمَا يَنْبَغِي إلْبَاسُهَا ثوبَ كِبْرَةٍ ... ولا ينبغي إلبَاسُهَا ثَوْبَ صُغرَةِ
أَتُبْغِضُهَا وَٱللهُ أَبْدَعَ خَلْقَهَا ... وَأَوْدَعَ فيها منه أسرارَ نَفْخَةِ
وقال لنا لا تقتلوها فإنني ... رحيمٌ بِكُمْ فضلاً بواسعِ رحمتي
وكيف يجيءُ الأمرُ بٱلدفعِ بٱلتي ... بما بدؤهُ يدعو لغيرِ ٱلمحبةِ
فدع عنك دعوى ٱلحبِّ وٱدْعُ لغيره ... تُخَالِفُ وٱدْفَعْ عنكَ غَيَّكَ بٱلتي
تَنَاقُضُ بيتٍ لو تفكرت قَبْلَهُ ... لَمَا مِنكَ كَفُّ شطرةً مُنْهُ خَطَّتِ
وكيف عليها تفتري بعد هذه ... وها أنتَ حَيٌّ إنْ تَكُنْ صادقاً مُتِ
هو ٱلحُبُّ إنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تقضِ مَأْرباً ... مِنَ ٱلحبِّ فٱخْتَرْ ذاكَ أو خَلِّ خُلَّتي
أَشَّكَكْتَهَا وَهْمَانُ في قولِ نَفْسِها ... فَعَادَتْ إلى إثباتِ حُبٍّ وَخُلَّةِ
فأقسمُ بٱلرحمنِ إنَّكَ واهمٌ ... أَضَلُّ مِنَ ٱلخفَّاشِ في ضَوْءِ صَحْوَةِ
(فقلتُ لها روحي لديكِ وقَبْضُها ... إليكِ وَمَنْ لي أنْ تكونَ بقبضتي)
كَذَبْتَ عليها راوياً وَمُنَاجِياً ... كِذَابَ ذوي ٱلأدوارِ في مَسْرَحِيَّةِ
وَعُدْتَ إلى ٱلدَّعْوَى مُصِرّاً كَغَافِلٍ ... يَظُنُّ رِضا ٱلمولى بِمَدٍّ وَمُهْلَةِ
وكيف «وَمَنْ لي أَنْ تكونَ بقبضتي» ... ولا عُذْرَ عنها في إِبَاءٍ وَرَغْبَةِ
فَمَا أَنْتَ في خُشْعَانِ أهلِ مَخَافَةٍ ... ولا أنتَ في آدابِ أَهْلِ مَحَبَّةِ
فَسُبْحَانَ مَنْ تطوي ٱلسماءَ يمينُهُ ... وَتُصْبِحُ كُلُّ ٱلأرضِ منهُ بِقَبْضَةِ
(وَمَا أنا بٱلشَّاني ٱلوَفَاةَ على ٱلهوى ... وشأني ٱلوفا تأبى سواهُ سَجِيَّتي)
تَمُنُّ بِنَفْسٍ تَدَّعيها وَفِيَّةً ... كَأَنَّكَ منها خالقٌ لِلْسَجِيَّةِ
فَهَبْهَا كما تُثني عليها فَمَنْ إذاً ... بَرَاها وسَواها بهذي ٱلجِبلَّةِ
فَهَلاَّ بحمدِ ٱللهِ أَعْلَنْتَ شاكراً ... فَلَلْشُّكْرُ حَقُّ ٱللهِ في كُلِّ نِعْمَةِ
وَإنّا نُهِينَا أَنْ نُزَكِّي نُفُوسَنَا ... وفي «لا تُزَكُّوا» وٱقْتَرِيءْ خيرُ حُجَّةِ
(وماذا عسى عني يُقالُ سوى قَضَى ... فُلانٌ هوًى مَنْ لي بذا وَهْوَ بُغْيَتي)
أَبُغْيَتُكَ ٱلعظمى ٱمتداحُكَ بٱلهوى ... ولو كان هذا ٱلإمتداحُ بِميتَةِ
حَلَفْتُ بها لو نِلْتَ منها وِلايةً ... لَخَفَّفْتَ مِنْ ذكرِ ٱلهوى وٱلهُوِيَّةِ

إشارة إلى قوله تعالى: ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً (النساء ٢٩)

إشارة إلى قوله تعالى: ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى سورة النجم ٣١

وَإِنَّكَ فيما تَدَّعي مِن وِصَالِها ... كَسُكرانِ حَانَ خَالُها أَرْضَ مَكَّةِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ حديثَ نَبِيِّنا ... عليه صلاةُ ٱللهِ في كُلِّ خَطْرَةِ

وَمَنْ يَتَقَمَّصْ في ٱلدُّنا ثوبَ شُهْرَةٍ ... يُقَمَّصْ مِنَ ٱلأُخرى بثوبِ مَذَلَّةِ

(أَجَلْ أَجَلي أرضى ٱنْقِضَاهُ صَبَابَةً ... ولا وَصْلَ إنْ صَحَّتْ لِحُبِّكِ نِسْبَتي)

وكيف يَصِحُّ ٱلحبُّ منكَ بِنِسْبَةٍ ... ولا وَصْلَ منها وَهْيَ عينُ ٱلكريمةِ

وَهَلْ كُنْتَ إِنْ أَحْبَبْتَها حَقَّ حُبِّهَا ... مُحِبّاً لَها لَوْ لَمْ تَنَلْكَ برحمةِ

(وإنْ لَمْ أَفُزْ حقّاً إليكِ بِنِسْبَةٍ ... لِعِزَّتِها حسبي ٱفتخاراً بِتُهْمَةِ)

وَهَلْ تُهْمَةٌ في ٱلحبِّ لا سِيَّما إذا ... إليها ٱنْتَمَى حَقّاً مُحِبٌّ بِنِسْبَةِ

(ودون ٱتِّهامي إنْ قضيتُ أَسىً فَمَا ... أساتُ بنفسٍ بِٱلشَّهَادَةِ سُرَّتِ)

وكيف أَسًى تقضي وَنَفْسُكَ سُرَّتِ ... كَأَنَّكَ ذو ذَاتَيْنِ كُلٌّ بِمُهْجَةِ

وَأَنَّى تَنَالُ ٱلنَّفسُ فيها شَهَادَةً ... إذا فَاتَهَا منها نَوَالُ ٱلمَودَّةِ

وَحرَّفْتَ تَعْريفَ ٱلشَّهَادةِ مثلما ... تَحَرَّفَ في هذي ٱلعُصُورِ ٱلمُضِلَّةِ

فَكُلُّ قتيلٍ صار يُدْعى شهيدَها ... وإنْ كانَ لِصّاً خَرَّ مِنْ سَقْفِ شُرْفَةِ

وَكُلُّ قتيلٍ صار يُرْجَى لرحمةٍ ... وإن كان وغداً ماتَ من أجلِ أَرْزَةِ

وَكُلُّ قتيلٍ صار في خُلْدِ جَنَّةٍ ... وإنْ كان مقتولاً لِكُفْرٍ بِجَنَّةِ

(ولي منكِ كافٍ إنْ هَدَرْتِ دمي ولم ... أُعَدَّ شهيداً عِلْمُ داعي مَنِيَّتي)

وكيفَ إذا ما عِلْمُ داعيكَ عندها ... تَخَافُ ٱنْتِقَاصاً وَهْيَ غَيْرُ ظلومةِ

أَثَمَّ سواها مَنْ يَعُدُّ عِبَادَها ... أَمْ أَنَّ جَزَاها دون فِعْلٍ وَنِيَّةِ

وكيفَ لها الإهدارَ بِٱلفِعْلِ تُثْبِتَنْ ... بغيرِ دليلٍ مِنْ كتابٍ وَسُنَّةِ

(وَلَمْ تَسْوَ روحي في وصالِكِ بَذْلَهَا ... لَدَيَّ لِبَوْنٍ بَيْنَ صَوْنٍ وَبِذْلَةِ)

وَهَلْ بَقِيَتْ روحُ لِبَاذِلِ رُوحِهِ ... يقيسُ بها ما بَيْنَ صَوْنٍ وَبَذْلَةِ

(وإني إلى ٱلتهديد بٱلموت رَاكِنٌ ... وَمِنْ هَوْلِهِ أركانُ غيري هُدَّتِ)

وَهَبْكَ إلى ٱلتهديد بٱلموت راكن ... أَقَمتَ بتلكَ ٱلحالِ منكَ بِقُوَّةِ

فإن قلت مني حالَ قارونَ فٱلتزمْ ... وإنْ قلت منها ما بذا أنتَ خَصَّتِ

فكيفَ إذاً ضَيَّقْتَ واسعَ فَضْلِها ... بزعمكَ ذا «أركانُ غيري هُدَّتِ»
(ولم تَعْسِفي بالْقَتْلِ نفسيَ بَلْ لَهَا ... به تُسْعِفي إنْ أنتِ أَتْلَفْتِ مُهْجَتي)
(فَإنْ صَحَّ هذا القالُ منكِ رَفَعْتِني ... وَأَعْلَيْتِ مقداري وَأَغْلَيْتِ قِيمتي)

«لا تثبت الأسماء والصفات والأفعال إلا بالكتاب والسنة»

وكيفَ إليها «ٱلقالُ» ذا قَدْ نَسَبْتَهُ بِشَرْطِ ٱحتمالٍ عنهُ لو صَحَّ جَلَّتِ

وَأَلْـزَمْـتَـهـا فِـعْـلَـيْـنِ دونَ أَدِلَّـةٍ بِإِسْعَافِ ما نَفْسٍ وإتلافِ مُهْجَةِ

ولا تَـثْـبُـتُ ٱلأفـعـالُ لله هـكـذا فـلا بُـدَّ فـي إثـبـاتِـهـا مِـنْ أدِلَّـةِ

فَإِنْ قُلْتَ فَٱلإسعافُ فِعْلٌ مُبَارَكٌ وليسَ عليها فيهِ وصفُ نقيصةِ

أَجَبْنَا بِأَنَّ ٱلأمر ليسَ كما تَرَى ولا بُـدَّ مِـنْ بُـرْهَـانِ ذكـرٍ وَسُـنَّـةِ

فَكَمْ مِنْ فعالٍ للخليقةِ بِٱلعُلا يَـجِـلُّ عُـلاً عـنـهـا إِلـهُ ٱلـخـلـيـقـةِ

فَمَا كُلُّ فِعْلٍ فيه مَدْحٌ لِعَبْدَةٍ يكونُ لزاماً فيه مدحُ ٱلمليكةِ

وَمَع كُلِّ هذا لستُ أَنفي وَإِنَّما أَقُولُ فـقـط هـاتـوا بَـيَـان أدِلَّـةِ

فـلا تَـثْـبُـتُ ٱلأسـمـاءُ لله وَٱلـصِّـفَـا تُ وَٱلفِعْلُ إلاَّ مِنْ كتابٍ وَسُنَّةِ

(وَهَا أَنَا مُسْتَدْعٍ قَضَاكِ وَمَا بِهِ رِضَاكِ ولا أختارُ تأخيرَ مُدَّتي)

أَإِنَّكَ تَسْتَدْعي قَضَاهَا وَهَا أنا كَـأَنَّ قَـضَـاهـا مـنـكَ نَـاظِـرُ دَعْـوَةِ

(وَعيدُكِ لي وَعْدٌ وَإِنجازُهُ مُنى وَلِيٌّ بغيرِ ٱلبُعْدِ إنْ يُرْمَ يَثْبُتِ)

(وقد صِرتُ أرجو ما يُخَافُ فأسعدي بهِ رُوحَ مَيتٍ للحياةِ ٱسْتَعَدَّتِ)

كَأَنَّكَ يَّا وَهْمَانُ تَعْشَقُ غُولَةً فهذي وَرَبِّ ٱلبيتِ أوصافُ غُولَةِ

تعالى إِلهُ ٱلعرشِ عَمَّا تَقُولُهُ لقد وَسِعَ ٱلأشياءَ كُلاًّ بِرَحْمَةِ

(وبي مَنْ بها نَافَسْتُ بِالروحِ سالكاً سبيلَ ٱلأُلى قبلي أَتَوْا غيرَ شِرْعَتي)

«تنزه ذات الله عن معاني الفداء»

«وَبي مَنْ بِها» أَعْلَنْتَ فيها ضَلالَةً ... فَتَخْتَ بها عينَ ٱلضَّلالِ فَقَرَّتِ

أَفَدَّيتَ ذاتَ ٱلحقِّ حَقّاً بِفِدْيَةٍ ... وَهَلْ أحداً تَخْشَى عليها لِفِدْيَةِ

وَقُلْتَ ٱلأُلى قَبْلي أَتَوْا غَيْرَ شِرْعَتي ... كَأَنَّكَ رَبٌّ أَوْ نَبِيٌّ شريعةِ

وَنَا فَسْتَهُمْ دعوَى فَكُنْتَ كَكَفَّةٍ ... وَصَيَّرْتَهُمْ دعوَى جميعاً كَكَفَّةِ

فَهَلْ أَنتَ لـلإسلامِ تُعزى بِمِلَّةٍ ... أَمْ أَنَّكَ مَغْزُوٌّ إلى غيرِ مِلَّةِ

(بِكُلِّ قَبيلٍ كَمْ قَتيلٍ بها قَضى ... أَسَى لَمْ يَفُزْ يوماً إليها بنظرةِ)

(وَكَمْ في ٱلورى مثلي أَمَاتَتْ صَبابَةً ... ولو نَظَرَتْ عَطْفاً إليهِ لأَحْيَتِ)

(إذا ما أَحَلَّتْ في هواها دَمي ففي ... ذُرَى ٱلعِزِّ وٱلعَلْياءِ قَدْري أَحَلَّتِ)

(لَعَمْري لَئِنْ أَتْلَفْتُ عُمْري بِحُبِّها ... رَبِحْتُ وَإِنْ أَبْلَتْ حَشايَ أَبَلَّتِ)

أَأَكْثَرْتَ قَتْلاها وَقَلَّلْتَ فَضْلَها ... وأَلزمتها فِعْلَ ٱلأَسَى في ٱلمحبَّةِ

وكيف «ومثلي قد أماتتْ صبابَةً» ... ومِنْ قَبْلُ منها قد خُصِصْت بنظرةِ

وكيفَ ترى أمثالَ نَفْسِكَ بعدما ... تقولُ ٱدِّعاءً في ٱبتداءِ ٱلقصيدةِ

وَآخِرُ ما لاقى ٱلأُلى عشقوا إلى ... ٱلردى بعضُ ما لاقيتُ أَوَّلَ مِحْنَتي

وكيف «أَحَلَّتْ في هواها دمي» وَهَلْ ... عليها حراماً كانَ ثُمَّ أَحَلَّتِ

وكيف «لَئِنْ أتلفتُ عمري بحبها» ... أفي حُبِّها إتلافُ عُمْرِ ٱلأَحِبَّةِ

(ذَلَلْتُ لهم في ٱلحيِّ حتى وَجَدْتُني ... وَأَدْنى مثالٍ عندهُمْ فوق هِمَّتي)

(وَأَهْمَلَني وهناً خضوعي لهم فَلَمْ ... يروني هَوَاناً بي مَحَلاًّ لِخِدْمَتي)

لَسَرْعَان ما عنها شُغِلْتَ بِغَيْرِها ... وَعُدْتَ على أعقابِ نَفْسٍ أَذِلَّتِ

فبينا ٱلألى نَافَسْتَ زعماً بِهِمَّةٍ ... تَـذِلُّ لِأَدْنى ٱلحيِّ ذُلَّ ٱلسَّبِيَّةِ

وإلاّ فما معنى «خضوعي لَهُمْ فَلَمْ ... يروني هواناً بي مَحَلاًّ لخدمتي»

فإنْ قُلْتَ هذا في ٱبتداءِ طريقتي ... «فَأخملني» تَأْبَى عليكَ بِشِدَّةٍ

ويأبى سياقٌ منكَ جَاءَ مُتابعاً ... تقولُ به تَوّاً بحرفٍ وَلَفْظَةٍ

(وَمِنْ دَرَجاتِ ٱلعِزِّ أَمْسَيْتُ مُخْلِداً ... إلى درجاتِ ٱلذُّلِّ مِنْ بعد نَخْوَتي)

(فلا بابَ لي يُغْشَى ولا جاهَ يُرْتَجَى ... ولا جَارَ لي يُحْمَى لِفَقْدِ حَمِيَّتي)

(كَأَنْ لَمْ أَكُنْ فيهمْ خطيراً ولم أَزَلْ ... لَدَيْهِمْ حقيراً في رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ)

فَمَا لَكَ تَأْسَى أَنْ جَفَوْكَ كَأَنَّما ... عَنَيْتَهُمُ إذْ قُلْتَ «غايةُ بُغْيَتِي»

وكيفَ تُبَالي بٱلخليقةِ بَعْدما ... فَنِيتَ بِزَعْمٍ في إلهِ ٱلخليقَةِ

أَمْ أَنَّكَ يا وَهْمَانُ وٱلحقُّ بَيِّنٌ ... كَشَفْتَ بِذَا عَنْ حُبِّ خَوْدٍ مَنِيعةٍ

فَلَوْ لَمْ تَكُنْ تَعْشَقْ فَتَاةً مَنِيعةً ... فَكَيْفَ إذاً تَابَعْتَ قَوْلاً بِغَفْلَةٍ

(فَلَوْ قيلَ مَنْ تَهْوَى وَصَرَّحتُ بِٱسْمِهَا ... لَقِيلَ كَنَى أَوْ مَسَّهُ طَيْفُ جِنَّةٍ)

«لا يُكنى بالله عن عباده»

فلو كنت تعني ذاتَ رَبّكَ لَمْ تَقُلْ ... لَقِيلَ كنى ما هَا هُنا حالُ كُنْيَةِ

فَلَيْسَ ٱلكُنَى في مَلْكَةٍ عَنْ إمَائِهَا ... ففي ٱلحُبّ يُكْنَى بٱلإمَا عَنْ مَلِيكَةِ

ولو كُنْتَ تعنيها وَصَرَّحتَ بٱسْمِهَا ... لَمَا قيلَ فيها مَسَّهُ طيفُ جِنَّةِ

فَذَالِكَ يأباهُ ٱلزمانُ وَأُمَّةٌ ... تَظَلُّ بِحُبّ ٱلله أَعْظَمَ أُمَّةِ

«نشأة ابن الفارض وسبب ضلاله»

وَمَا إنْ تُرَى إلاّ أُخِذْتَ بِصُورَةٍ ... تَألَّهتَ فيها بعدها كُلَّ صُورة

فَخَلْطُكَ مِنْ جَهلٍ بِرَبِّكَ ظَاهِرٍ ... وَجَهْلُكَ مِنْ حُبٍّ لِكُلِّ مَلِيحَةِ

فَمَا زَالَ هذا ٱلحالُ فيكَ مُوَسْوِساً ... إلى أنْ ظَنَنتَ ٱلحَقَّ عَيْنَ ٱلخليقةِ

فإني أرى وٱللهُ أعلمُ بٱلورى ... مُصَابَكَ بٱلحرمانِ أَصْلَ ٱلمصيبةِ

فَمُذْ كنتَ طفلاً قد نَشَأتَ بِبيئَةٍ ... على مَشْهَدٍ منكَ ٱلنساءُ وَرُؤْيَةِ

لَدُنْ والدٍ كانَ ٱلنساءُ يَجِئْنَهُ ... لِيَفْرِضَ حقاً مِنْ نَصِيبٍ بِوِرْثَةِ

وَمِنْ أجلِ هذا كان يُكْنَى بِفَارِضٍ ... وَظَلْتَ لَهُ تُعْزَى ٱنتساباً بِكُنْيَةِ

فَكُنْتَ ترى سِحْرَ ٱلنساءِ مُنَوَّعاً ... على قَدْرِ ما يُبْدِينَ مِنْ سِرِّ زينَةِ

فَلَمّا مِنَ ٱلإدراكِ بُلِّغْتَ غَايَةً ... لِزَامٌ بِها إغلاقُ عينِ ٱلطفولةِ

فَكُنْتَ كما يبدو لَهُنَّ مُصَغَّراً ... لِخُنثٍ بِشَكْلٍ أو لِضَعْفٍ بِبِنْيَةِ

فَلَمّا أَتى فيكَ ٱلشَّبابُ أَتِيَّهُ ... فُطِمْتَ بِهِ عَنْهُنَّ أَسْوَأَ فَطْمَةِ

وذلكَ عَصْرٌ ليسَ فيه لِبالِغٍ ... سبيلٌ إلى ٱلأُنثى بغير ٱلشريعةِ

وهذا يُرينا أنَّ زَوْجَكَ لَمْ تَكُنْ ... على ما تَمَنَّى مِنْ صِفَاتٍ وصورةِ

فَظَلْتَ وَإنْ زُوِّجْتَ مِنْهُنَّ مَرْأَةً ... تَحِنُّ على ٱلذكرى إلى أَلْفِ مَرْأَةِ

وَمَنْ شَبَّ في دُنْيا ٱلنساءِ خَبَلْنَهُ ... وَيُبْلَى إذا عَنهُنَّ صُدَّ بِلَوْثَةِ

فَيُوسُفُ قَدْ نَادَى إلٰهِيَ إنْ أُدَعْ ... لَهُنَّ تُصَبْ نفسي بِصَبْوٍ وَجَهْلَةِ

فَلَمّا جَلا عنكَ ٱلتَّصَوُّفُ مَا جَلاَ ... وَجَدْتَ بِهِ تَنْفِيسَ هَمٍّ وَكُرْبَةِ

فَمِنْ هَا هُنا تبدو حَمَاقَةُ جاهِلٍ ... سَهَا عَنْ صغيرٍ بينَ أحْضَانِ نِسْوَةِ

فلا بُدَّ مِنْ حَجْبِ ٱلْفَتَاةِ عَنِ ٱلفتى وَإِنْ ظَهَرا في شَكْلِ طفلٍ وَطِفْلَةِ

فَإِمَّا تَجِدْ قوماً يَرَوْنَ ضَرُورَةً بَقَاءَ ذكورٍ مَعْ إنَاثٍ بِنَشْأَةِ

فَبَيِّنْ لَهُمْ حُكْمَ ٱلهدى فَإِنِ ٱنْتَهَوْا وَإِلاّ فَدَعْ أهلَ ٱلقرونِ ٱلطويلةِ

(ولو عَزَّ فيهاَ ٱلذُّلُّ مَا لَذَّلي ٱلهوى وَلَمْ تَكُ لولا ٱلحبُّ في ٱلذلِّ عِزَّتي)

(فحالي بها حَالٍ بِعَقْلِ مُدَلَّهٍ وَصِحَّةِ مجهودٍ وَعِزِّ مَذَلَّةِ)

وهذانِ بَيْتَانِ ٱلمعاناةُ فيهما تُشيرُ إلى محبوبَةٍ بَشَرِيَّةِ

فآثارُ حُبّ ٱلله في كُلِّ مُهْجَةٍ زِيَادُ ٱلنُّهى فيها وَفَتْحُ ٱلبَصِيرَةِ

وَلَيْسَ جُنُونُ ٱلنَّفْسِ مِنْ حُبِّ رَبِّها ولكنْ جُنونُ ٱلنفسِ حُبُّ ٱلخليقَةِ

(أَسَرَّتْ تَمَنِّي حُبِّها ٱلنفسُ حيثُ لا رقيبَ حِجاً سِرّاً لِسِرِّي وَخَصَّتِ)

(فَأَشْفَقْتُ مِنْ سِرِّ ٱلحديثِ بِسَائِري فَتُعْرِبُ عَنْ سِرِّي عِبَارةُ عَبْرَتي)

(يُغَالِطُ بعضي عنهُ بعضي صِيَانَةً وَمَيْني في إِخْفَائِهِ صِدْقُ لَهْجَتي)

«دعوى الانفصام
عند من يدعون بعلماء النفس»

قَسَمْتَ هنا قِسْمَيْنِ سِرَّكَ جاهلاً ... بِوَحْدَةِ ذاتِ ٱلسرِّ في كُلِّ مُهْجَةِ

فإنْ قُلْتَ قَد صَحَّ ٱلحديثُ بِكَتْمِ ما ... تَقُومُ بِهِ إحدى ٱليَدَيْنِ بِخُفْيَةِ

ففي كَتْمِ يُمْنى دونَ يُسْرى لِفِعْلِها ... تَبَايُنُ ذَاتَيْنِ ٱثْنَتَيْنِ بِغَفْلَةِ

وإنْ قُلْتَ في ٱلقرآنِ يعلمُ سِرَّنا ... ويعلمُ أَخْفَى منهُ رَبُّ ٱلبَرِيَّةِ

فَمَعْلُومُ أَخْفَى عائِدٌ لإلـهِنَا ... وَإنْ يَكُ فينا وَهْوَ فَوْقَ ٱلسَّرِيرَةِ

فما ٱلسرُّ إلاّ باطنٌ في نُفُوسِنا ... نُحيطُ بهِ علماً بمعنًى وصورةِ

ولكنَّ جهلاً فيكَ يُرضي بعصرنا ... جَهَالَةَ أصحابِ ٱلدَّعَاوَى ٱلحديثةِ

كَدَأْبِكَ مِنْ قومِ أَطِبَّاءَ أَنْفُسٍ ... يُرَوْنَ وَهُمْ أهلُ ٱلنفوسِ المريضةِ

وَكَمْ مِنْ طبيبٍ مِنهُمُ جاءَ حائراً ... فَدَاوَيْتُهُ بٱلمحكماتِ ٱلمبينةِ

فَلَمَّا تَوَلَّى عَاوَدَ ٱلشَّكُّ نَفْسَهُ ... وقال أرى للشيخِ تأثيرَ قُوَّةِ

ولا وَإلهِ ٱلعرشِ ما كنتُ ذا قُوًى ... ولكنَّهُ بُرهانُ نورِ ٱلشريعةِ

ودعوى ٱنفصام ٱلنفس إفْكٌ وَإنَّما ... هي ٱلنفسُ في أحوالِ وَهْمٍ مُشَتَّتِ

وَهَبْها أَسَرَّتْ مَا تَمَنَّتْ أو أَطْلَعَتْ ... فكيفَ ٱلحِجَا عنها مَنَعْتَ بِرِقْبَةِ

فَإنْ يَكُ حَقّاً حالُها فَهْوَ ٱلحِجَا ... وَإنْ يَكُ وهماً فيمَ تعبيرُ عَبْرَةِ

فلا تَحْسَبَنَّ ٱلنَّفْسَ تَبْلُغُ حالةً ... تغيبُ بها عَنْ كُلِّ وَعْيٍ وَفِكْرَةِ

فإنَّ على ٱلإنسانِ منهُ بصيرةً ... ولو أَنَّهُ ٱلقى بِعُذْرٍ وَحُجَّةِ

فَمِنْ هَا هُنَا لو كان رَبُّكَ مَهْلِكاً ... جميعَ ٱلوَرَى لَمْ يَظْلِمَنْ قَدْرَ ذَرَّةِ

وَمَا ٱلمَيْنُ إلاّ ٱلكِذْبُ وٱلصدقُ ضِدُّهُ / فما شأنُ دعوى بَيْنَ ضِدَّينِ حَلَّتِ
(ولَمّا أَبَتْ إظْهَارَهُ لِجَوانحي / بَدِيهَةُ فكري صُنْتُهُ عَنْ رُؤْيَتي)
(وَبَالَغْتُ في كِتْمَانِها فَنسيتُهُ / وَأَنْسَيْتُ كَتْمي ما إليه أَسَرَّتِ)
(فإنْ أَجْنِ مِنْ غَرْسِ ٱلمنى ثَمَر ٱلعَنَا / فَلِلَّهِ نَفْسٌ في مُنَاها تَعَنَّتِ)
وَهَلْ هذهِ ٱلأوهامُ أحوالُ عارفٍ / لأَوْلى بهذا ٱلجَهْلِ لُعْبُ ٱلغُمَيْضَةِ
وأعجبُ مِنْ هذا ٱدِّعاؤك بَعْدَهُ / فَلِلَّهِ نَفْسٌ في مُنَاها تعنَّتِ
كَأَنَّكَ حَرَّرْتَ ٱلبلادَ مِنَ ٱلعِدى / أو ٱلنفسَ مِنْ وسواسٍ وَهْمٍ مُشَتَّتِ
فَإنْ تَجْنِ مِنْ غَرْسِ ٱلمنى ثَمَرَ ٱلعَنَا / فَمِنْ غرسكَ ٱلأوهام في لَيلِ غفوةِ
(وأحلى أماني ٱلحُبِّ للنفسِ ما قَضَتْ / عَنَاها بِهِ مَنْ أَذْكَرَتْها وَأَنْسَتِ)
وهذا إذا كان ٱلحبيبُ لَهُ مَدًى / أَوِ إنْ كان مُحْتاجاً لِحَال ٱلأَحِبَّةِ
فَأَمّا ٱلذي لا ينتهي وَهْوَ قَادِرٌ / كريمٌ فَمَا في فِعْلِهِ مِنْ تَعَنُّتِ
(أَقَامَتْ لها مني عَليَّ مُرَاقِباً / خواطِرَ قلبي بٱلهوى إنْ أَلَمَّتِ)
تَعالى عُلاها أَنْ تُقِيمَ مُراقِباً / لَهَا مِنْ سِوَاها وَهْيَ عينُ ٱلرَّقِيبَةِ
فَلَوْ قُلْتَ يا هذا أَقَامَتْ مُراقباً / بدونِ لها مني أَصَبْتَ بِقَوْلَةِ
وكيفَ لها مني أقامت مُراقباً / خواطر قلبي بٱلهوى إنْ أَلَمَّتِ
وَهَلْ أَحَدٌ يُحْيي ٱلخَوَاطِرَ غَيْرُها / وَهَلْ خَلَقَتْ شيئاً بِسَهْوٍ وَغَفْلَةِ
وَكُلُّ قُلوبِ ٱلخَلْقِ بَيْنَ ٱصْبعَيْنِ مِنْ / أَصَابِعِهَا في كُلِّ خَفْقٍ وَخَطْرَةِ
وَتُوهِمُ «إنْ» شَرْطاً هُنَا «إنْ أَلَمَّتِ» / بِعِلْمِ ٱحتمالٍ عنهُ عَزَّتْ وَجَلَّتِ
(فإنْ طَرَقَتْ سراً من ٱلوهمِ خاطري / بِلا خاطرٍ أَطْرَقْتُ إجلالَ هَيْبَةِ)
جَعَلْتَ لها مِنْ عَالَمِ ٱلوَهْمِ فِعْلَةً / تَعَالَتْ عُلاً عنها بِحَقٍّ وَعَزَّتِ
(وَيَطْرُقُ طرفي إنْ هَمَمْتُ بِنَظْرَةِ / وَإنْ بُسِطَتْ كفي إلى ٱلبَسْطِ كَفَّتِ)
(ففي كُلِّ عُضوٍ فِيَّ إقدامُ رَغْبَةِ / وَمِنْ رهبةِ ٱلإعظام إحجامُ رَهْبَةِ)
إلى مَنْ عليكَ ٱلسُّخْطُ طَرْفُكَ يُطْرِقَنْ / وَتُبْسَطُ كَفٌّ منكَ كُفَّتْ وَغُلَّتِ
فَسُبْحَانَ رَبِّ ٱلخَلْقِ عَمَّا تقولُهُ / وَسُبْحَانَهُ عَنْ وَصْفِ وَهْمِ ٱلخليقةِ

(لِفِيَّ وَسَمْعي فِيَّ آثارُ زَحْمَةٍ عليها بَدَتْ عندي كآثارِ رحمةِ)

(لِسانيَ إنْ أبدى إذا ما تلا اسْمَهَا لهُ وَصْفُهُ سَمْعي وَما صُمَّ يَصْمُتِ)

وَأُذْنِيَ إنْ أهدى لِسانِيَ ذِكْرَها لِقَلْبي وَلَمْ يَسْتَعْبِدِ الصَّمْتَ صُمَّتِ)

«القلب ومراتب الحواس»

أَقَمْتَ بما قَدَّمْتَ فَاكَ مُرَتِّباً ... عليك دَليلاً منكَ قَامَ بِجَهْلَةِ

فَلَوْ كُنتَ ذا سَمْعٍ منَ ٱلحقِّ لَمْ يَكُنْ ... لِفيكَ سوى ٱلإتبَاعِ مِنْ غَيْرِ زَحْمَةِ

كَمَا أَمَرَ ٱلرحمنُ في ٱلوَحْيِ عَبْدَهُ ... بِكَفُّ لسانٍ عند إنزالِ سُورَةِ

وَإِنَّكَ إِذْ قَدَّمْتَ سَمْعَكَ بَعْدَهُ ... جَعَلْتَ لَهُ جَهْلاً خَصَائِصَ مُقْلَةِ

وَأُذْنُكَ إِنْ أهدى لِسَانُكَ ذِكْرَهَا ... لِقَلْبِكَ كانَ ٱلقلبُ ثَالِثَ رُتْبَةِ

وَلِلْقَلْبُ أولى أنْ يكونَ مُقَدَّماً ... بِما خُصَّ مِنْ سُلطانِ حُكْمِ وَإِمْرَةِ

وفي ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱللهَ أَنْزَلَ وَحْيَهُ ... على ٱلقَلْبِ مِنْ ذاتِ ٱلنبيِّ ٱلشريفةِ

(أَغارُ عليها أَنْ أهيمَ بِحُبِّها ... وأعرفُ مِقْدَاري فَأُنكِرُ غَيْرَتي)

(فَتُخْتَلَسُ ٱلروحُ ٱرتياحاً لَهَا وَما ... أُبَرِّيءُ نفسي مِنْ تَوَهُّمِ مُنْيَةِ)

أغارُ لها قُلْ لا عليها فإنَّ في ... عليها هُنا ٱستِعْلاءَ عَبْدٍ بِغَيْرَةِ

وكيفَ تَرَاءَى أَنْ يَهِيمَ مُحِبُّهَا ... وما ٱلهَيْمُ إلاّ لِلأَضَلِّ ٱلمُشَتَّتِ

وكيفَ هنا أعلنتَ قولاً بِجُرْأَةٍ ... «وأعرفُ مقداري فَأُنكرُ غَيْرَتي»

وَهَلْ أنت إِنْ أَبْصَرْتَ نَفْسَكَ صَادِقاً ... سوى نُقْطَةٍ مِنْ ألفِ مليارِ نُقْطَةِ

وهذا إذا ما قِسْتَ نَفْسَكَ بِٱلبَرَى ... فكيفَ إذا ما قِسْتَها بِٱلبَرِيَّةِ

فكيفَ إذا ما قِسْتَ ذلكَ كُلَّهُ ... بِعَرْشٍ وَكُرْسِيّ ونارٍ وَجَنَّةِ

فكيفَ إذا أَذكَرْتَ أَنَّ إِلَهَنا ... إذا شَاءَ أَفْنَاها جميعاً بِلَمْحَةِ

فَسُبْحَانَهُ عَنْ وَصْفِ مِقْوَلِ جاهلٍ ... وسبحانَهُ عَنْ ظَنِّ نَفْسٍ جَهُولَةِ

وليسَ ٱختلاسُ الروحِ لو صَحَّ فِعْلُها ... وَمَا الخَلْسُ إلاّ مِنْ فعالٍ خَسِيسَةِ

فإنْ قُلْتَ لَمْ أُثبِتْ لها ٱلفِعْلَ هَا هُنَا ... وما بَيَّنَتْ مَنْ قامَ بٱلخَلْسِ جُمْلَتي

فَهَلْ تُؤخَذُ الأرواحُ إلاّ بِأَمْرِها ... وَهَلْ أَمْرُها إلاّ فعالُ الحقيقةِ

فدعوى اختلاسِ الروحِ دعوى ضلالَةٍ ... وَقولٌ بلا معنىً ووسواسُ جِنَّةِ

(يراها على بُعْدٍ عَنْ ٱلعينِ مِسْمَعي ... بِطَيْفِ مَلامِ زائرٍ حينَ يَقْظَتي)

(فيغبط طرفي مِسْمعي عند ذكرها ... وتحسد ما أفنته مني بقيتي)

لأَنتَ بتَغْييرِ ٱلحَوَاسِّ مُتَيَّمٌ ... وما ذاكَ إلاّ مِنْ فَسَادِ ٱلطبيعةِ

وقد جعل المولى لِكُلٍّ وظيفَةً ... وأنتَ ترى تَغْييرَ كُلِّ وظيفةِ

فلو كنت يا فَرْفُوضُ تحيا بِعَصرِنا ... لَعَنْ شَكْلِ مَرْءٍ عُدْتَ في شَكْلِ مَرْأَةِ

ففي عصرنا هذا تَغَيَّرتِ ٱلرؤى ... وَأُلْبِسَتِ ٱلأسماءُ غير الحقيقةِ

أَفَرْفُوضُ أَخْبِرنا بِأَيِّ مسامِعٍ ... يُرى طَيْفُ لَوْمٍ زائِراً حينَ يَقْظَةِ

وفي يَغْبِطَنْ طَرْفي لِسَمْعي بِذِكْرِها ... جَعَلْتَ بها للسمعِ مِقْوَلَ قَوْلَةِ

ومالَكَ يا وهمانُ تَجْعَلُ دائماً ... لِذاتِ إِلهِ الخلقِ ما عنهُ جَلَّتِ

أليسَ لها يا جاهلاً بِصِفَاتِها ... سوى طَيْفِ لومٍ كَيْ يَجيءَ بِزَوْرَةِ

وَرُؤْيَتُها بٱلطَّيْفِ يُوحي بِأَنَّها ... تَجَسَّدُ في شَكْلٍ وَتَأْتي بِهَيْئَةِ

فَسُبْحَانَ ذَاتِ ٱللهِ عَمَّا تَقُولُهُ ... وسبحانَهُ عَنْ كُلِّ وَصْفِ نَقِيصَةِ

(أَمَمْتُ أمامي في الحقيقة فالورى ... ورائي وكانت حيثُ وَجَّهْتُ وِجْهَتي)

(يراها أمامي في صلاتيَ ناظري ... وَيَشْهَدُني قلبي أمامَ أَئِمَّتي)

(ولا غَرْوَ أَنْ صَلَّى الإمامُ إِليَّ أَنْ ... ثَوَتْ في فؤاديَ وَهْيَ قِبْلَةُ قِبْلتي)

(وَكُلُّ الجهاتِ السِّتُّ نحوي تَوَجَّهَتْ ... بِمَا تَمَّ مِنْ نُسْكٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةِ)

(لها صلواتي بالمقامِ أُقيمُهَا ... وأشهدُ فيها أنها ليَ صَلَّتِ)

(كِلانا مُصَلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى ... حَقِيقَتِهِ بٱلجَمْعِ في كُلِّ سَجْدَةِ)

(وما كانَ لي صَلَّى سواي وَلَمْ تكُنْ ... صلاتي لغيري في أَدَا كُلِّ رَكْعَةِ)

(إلى كَمْ أُوَاخي ٱلسِّتْرَهَا قَدْ هَتَكْتُهُ ... وَحَلُّ أُواخي ٱلحُجْبِ في عَقْدِ بَيْعَتي)

وكيفَ إماماً في الحقيقة لِلورى ... تكونُ وقد أعلنتَ مِنْ غيرِ وُرْيَةِ

«وَأَخْمَلني وَهْناً خضوعي لَهُمْ فَلَمْ يروني هواناً بي مَحَلاً لِخِدْمَتي»
فإنْ قُلْتَ هذا كان ثُمَّ تَبَصَّرُوا وبي آمنوا من بَعْدِ جَهْلٍ وَضَلَّةِ
فحينئذٍ حتى تكونَ إمامَهُمْ عليك لهم أن تَسْتَبينَ بِقُدْوَةِ
وَلَسْتَ تُرى فيهِمْ بِمَوْضِعِ قُدْوَةٍ إذا لَمْ تَكُنْ مِنهُمْ بِعِلْمٍ وَرُؤْيَةِ
فَإِنَّكَ قَدْ أَثْبَتَّ وَهْمَكَ قائلاً وَهَمْتُ فلم تَظْفَرْ بِكَوْنِيَ فِكْرَتي
فَمَنْ فِكْرُهُ لَمْ يَدْرِ مَوْضِعَ كَوْنِهِ فكيفَ إذاً يغدو إِمامَ الحقيقةِ
وكيفَ يراها في صلاتِكَ ناظِرٌ وَتُنْهي صلاةً منكَ في حالِ رُؤْيَةِ
وحيثُ يراها في صلاتِكَ ناظرٌ فَمَالَكَ تبقى مُسْتَميتاً لِنَظْرَةِ
وكيفَ اَقْتَرَفْتَ اَلقولَ منْ بَعْدُ زاعماً ثَوَتْ في فؤادي وَهْيَ قِبْلَةُ قِبْلَتي
وكيف تُسَمِّي ذاتَ رَبِّكَ قِبْلَةً وما قِبْلَةٌ إِلاّ مَحَلُّ عُبُودَةِ
وحيثُ اَلثَّوَى يعني دَوَامَ إِقَامَةٍ فَلِمْ جُبْتَ عنها باحثاً كُلَّ قَفْرَةِ
وَأَيَّ صلاةٍ بالمقامِ أَقَمْتَها وَتَشْهَدُ فيها أَنَّها لَكَ صَلَّتِ
وحاشا عُلاها أنْ تصلي لِعَبْدِها ولكنْ عليهِ قد تصلي بِرَحْمَةِ
فإنْ قُلْتَ لي صَلَّتْ صلاةَ عِبادَةٍ فَأَيْنَ إذاً يا عَبْدُ عِزُّ اَلأُلوهةِ
وإنْ قُلْتَ لي قامَتْ بِما قُمْتُهُ لها فَلِمْ دونها تُسْقى بكأسِ اَلمنِيَّةِ
وإنْ قلتَ بَلْ أعني فَناءً وَمَحْوَةً فَمَا هكذا معنى فَناءٍ وَمَحْوَة
فَإِنَّ فَناءَ اَلعبدِ تَرْكُ مُرادِهِ وهذا فَناءٌ ذو اَمتزاجٍ وَوَحْدَةِ
وَمَالَكَ قَدْ غَلَّبْتَ فيما اَفْتَرَيْتَهُ صِفَاتِ اَلعِبِدَّى مِنْ ركوعٍ وَسَجْدَةِ
ولو كانَ حقاً مِنْ فَناءٍ بِذَاتِها لَقَامَتْ بِمَنْ تَفْنَى صفاتُ اَلرُّبُوبَةِ
ولكنْ تعالى اَللهُ عَمّا تقولُهُ فَإِنَّكَ زِنْديقٌ خبيثُ الطَّوِيَّةِ
وَقَدْ هَتَكَ الرحمنُ لا أنتَ سِتْرَةً كُشِفْتَ بها كَفَّارَ قولٍ وَنِيَّةِ
(مُنِحْتُ وَلاَها يومَ لا يومَ قبلَ أَنْ بَدَتْ عندَ أخذِ العَهْدِ في أَوَّلِيَّتي)
(فَنِلْتُ وَلاَها لا بِسَمْعٍ وَنَاظِرٍ ولا باَكتسابٍ واَجتلابِ جِبِلَّةِ)
(وَهِمْتُ بها في عَالَمِ اَلأمرِ حيثُ لا ظُهُورٌ وكانَتْ نَشْوَتي قَبْلَ نَشْأَتي)

(فأفنى الهوى ما لم يَكُنْ ثَمَّ باقياً ... هُنا مِنْ صفاتِ بَيْنَنَا فاْضمَحلَّتِ)

(فَأَلْفيْتُ ما أَلْقَيْتُ عَنِّيَ صادراً ... إِلـيَّ ومـنـي وارداً بِـمَـزيـدَتـي)

(وشاهدتُ نفسي بٱلصفاتِ ٱلتي بها ... تَحَجّبْتُ عني في شُهودي وَحَجْبَتي)

(وَإِنّي ٱلتي أحببتُها لا مَحالةً ... وكانت لها نفسي عَليَّ مُحِيلتي)

(فَهَامَتْ بها منْ حيثُ لَمْ يَدْرِ وَهْيَ في ... شهودي بنفسِ ٱلأمرِ غير جهولةِ)

ولاَيَتُها وَهْبٌ وليستْ بِمِنْحَةٍ ... فَمَا ٱلمَنْحُ إلاّ مُسْتَعارُ ٱلعَطِيَّةِ

وَلَيسَ بُدُوّاً ما مُسَمّى ظُهُورها ... تَعَالى عُلاَهَا عَنْ بُدُوّ وَبَدْأَةِ

وَدَعْوَى وَلاَءٍ قَبْلَ لا يومَ فِرْيَةٌ ... فما مِنْ وَلاَ إلاّ بيومٍ وَمُدَّةِ

وقد خَلَقَ ٱللهُ السماواتِ والثَّرَى ... بما عُدَّ مِنْ أيامِ خَلْقٍ بِسِتَّةِ

هُوَ ٱللهُ قَبْلَ اليومَ كانَ وَلَمْ يَزَلْ ... وفي زَمَنِ الأيامِ بَدْءُ الخليقَةِ

فإنْ قيلَ إنَّ ٱلدَّهر نَعْتٌ لربنا ... فَلَلدهرُ هذا غيرُ يوم وَليلةِ

فَإِمَّا يُضَفْ للدهرِ يومٌ وليلةٌ ... فَمِنْ جِنْسِ تَشْرِيفِ ٱلمضافِ بِنِسْبَةِ

كما قيلَ في معنى إضَافَةِ نَاقَةٍ ... إلى ٱللهِ وٱلبيتِ ٱلحرام بِمَكَّةِ

وَدَعْواكَ عَنْ مَنْحِ ٱلوَلاَءِ وَنَوْلِهِ ... كِذَابٌ كدعوى نَشْوَةٍ قبلَ نَشْأَةِ

جَعَلْتَ بها أمرَ الإلهِ بِعَالَمٍ ... وما عالَمٌ إلاّ بمعنى الخليقةِ

هو ٱللهُ خَلاَّقُ ٱلعوالم كُلِّها ... وفي كُلِّها تحقيقُ وَصْفِ ٱلعُبُودَةِ

وَلَلْفَرْقُ بينَ ٱلأمرِ وٱلخلقِ بَيِّنٌ ... فما ٱلأمرُ إلاّ مِنْ صفاتِ ٱلأُلوهةِ

فكيفَ إذاً أَثْبَتَّ للأمرِ عَالَماً ... تهيمُ ٱدِّعَاءً فيه من قبلِ نَشْأَةِ

وَأَخْبَثُ مِنْ هذا ٱدِّعاؤكَ بَعْدَهُ ... بأوقحِ ألفاظِ ٱفْتِراءٍ غَبِيَّةِ

«فأفنى الهوى ما لَمْ يَكُنْ ثَمَّ باقياً ... هُنَا مِنْ صفاتِ بيننا فاْضمَحلَّت»

لأَنْتَ إذاً نِدٌّ لها في صِفَاتِها ... وفي «بَيْنَنَا» ٱلإثباتُ لِلْثَنويَّة

وحيثُ الهوى أفنى صفاتِ فوارقٍ ... إذاً للهوى ٱلتأثيرُ فيها بِفِعْلَةِ

وحيثُ الهوى قد كانَ منكَ ظهورُهُ ... فَأَنْتَ إذاً أولى بِحَوْلٍ وَقُوَّةِ

وإنْ يكُ هذا مثلَ دعواكَ هكذا ... ففيكَ على دعواكَ وصفُ ٱلربوبة

كما ذاكَ قد حاولتَ تَوّاً بقولةٍ   غدوتَ بها فرعونَ أهلِ ٱلطريقةِ

«فألفيتُ ما أَلْقَيْتُ عَنِّيَ صادراً   إِلَيَّ ومني وارداً بمزيدتي»

وهذا إذاً يعني قيامَ حَوَادِثٍ   تقومُ بذاتِ الربِّ غيرِ حكيمةِ

(فَأَلْفَيْتُ) ما (أَلْقَيْتُ) وَصْفَانِ للتي   إذا ضَيَّعَتْ أَلْفَتْ وَإِنْ تُبْلِ أَلْقَتِ

وحاشا عُلا ذاتِ ٱلإلهِ فَإِنَّها   مُنَزَّهَةٌ عَنْ مُحْدَثَاتِ ٱلنَّقيصَةِ

وَلَيْسَتْ بكونٍ للخليقةِ ذاتُهُ   ولكنْ بِفِعْلٍ منهُ كونُ الخليقةِ

وسبحانَهُ عَنْ أنْ يكونَ مُسَبَّحاً   بتسبيحِ خَلْقٍ دونَ عِزِّ ٱلألُوهَةِ

لَهُ سُبُحَاتُ ٱلعِزِّ مِنْ ذاتِ نَفْسِهِ   وما ٱلخَلْقُ إلاّ ذو بطونٍ أَكُولَةِ

فَإِمّا تَجِدْ في خَلْقِهِ غيرَ آكلٍ   ففي الحُبِّ وٱلخُشْعَانِ أعظمُ لَذَّةِ

هو ٱلأَعْظَمُ ٱلأعلى ٱلأَعَزُّ ٱلأَجَلُّ لا   إلهَ سواهُ ٱللهُ رَبُّ ٱلبَرِيَّةِ

وَإِنَّكَ إِذْ شَاهَدْتَ نَفْسَكَ بِٱلتي   تَحَجَّبُ زعماً في شُهُودٍ وَحَجْبَةِ

وَهِمْتَ فَإِنَّ الحقَّ للحقِّ شاهِدٌ   فَعَيْنُ شُهودُ ٱلحقِّ عَيْنُ الحَقيقَةِ

وفي «شَهِدَ ٱللهُ» ٱلتي هيَ آيةٌ   مِنَ ٱللهِ في ٱلقُرآنِ أعظمُ حُجَّةِ

ولو كنتَ حقّاً ذا فَنَاءٍ بِذَاتِهِ   كَدَعْوَاكَ لَمْ تَشْهَدْ وُجوداً لِحَجْبَةِ

فَلَيْسَ حِجَابُ ٱلحقِّ مِنْ دونِ ذاتِهِ   ولكنْ حِجَابُ ٱلحقِّ دونَ ٱلخليقةِ

وَكُلُّ حِجَابٍ بينَ نفسٍ وَذَاتِها   يُحيلُ على أحوالِ جَهْلٍ وَغَفْلَةِ

فَإِنْ يَجْهَلِ المخلوقُ شيئاً بِذَاتِهِ   فَعَنْ كُلِّ جهلٍ ذاتُ رَبِّكَ جَلَّتِ

وَمَا أَنْتَ إِيّاها كما قُلْتَ بَاطِلاً   «وإني ٱلتي أحببتُها» شَرُّ قَوْلَةِ

فَإِنْ كُنْتَ إِيّاها فَأَيْنَ عِبَادُها   فلا بُدَّ مِنْ موجودِ فِعْلٍ بِقُدْرَةِ

أَلَيْسَتْ تُرَى أهلاً لإِيجادِ غَيْرِها   بَلَى فَتَدَبَّرْ ذِكْرَ آيِ وسورةِ

وفي زكريا إذْ لَهُ قالَ رَبُّهُ   «وَلَمْ تَكُ شيئاً» خيرُ بُرْهَانِ حُجَّةِ

هُوَ ٱللهُ رَبُّ الخَلْقِ لا ٱلخَلْقُ مِثْلَهُ   ولا هُوَ مِثْلُ ٱلخَلْقِ فٱلفَرْقَ أَثْبِتِ

(وَقَدْ آنَ لي تفصيلُ ما قلتُ مُجْملاً   وإجمالُ ما فَصَّلْتُ بَسْطاً لبَسْطَتي)

(أَفَادَ ٱتخاذي حُبَّها لاتِّخاذِنا   نَوَادرَ عَنْ عادِ ٱلمحبينَ شَذَّتِ)

(يشي لي بِيَ الواشي إليها ولائمي … عليها بها يُبْدي لديها نصيحتي)
(فأوسِعُها شُكْراً وما أَسْلَفَتْ قِلىً … وَتَمْنَحُني بِرّاً لِصِدْقِ المحبَّةِ)
(تَقَرَّبْتُ بالنفسِ احتساباً لها وَلَمْ … أَكُنْ راجياً عنها ثَوَاباً فَأَدْنَتِ)
لأَوْلى هنا بٱلقولِ لو كنتَ صادقاً … وقد آنَ لي تخليطُ أجزاءِ كِذْبتي
فقد عُذتَ للأوهامِ بَلْ لَمْ تَزَلْ بِها … فَمَا ٱلعَوْدُ إلاّ عَنْ فِراقٍ وَهجْرَةِ
وما زِلتَ في تكريرِ ما قلتَ سابقاً … تعودُ إليه كَرَّةً بعد كَرَّةِ
وَإلاّ فما معنى ٱتّخاذِكَ حُبَّهَا … أَمِنْكَ إذاً كانَ ٱبتداءُ ٱلمحبةِ
وفي «لي يشي الواشي إليها» ٱنتقَضْتَها … بِإِثْبَاتِ جَهْلٍ وٱرْتِضَاءِ نَمِيمَةِ
«وَأُوسِعُها شُكْراً» بِزَعْمِكَ قولةٌ … أَتَيْتَ بها مِنْ جُبِّ جَهْلٍ وَكُفْرَةِ
أَتُوسِعُها شُكْراً وَهَلْ حُزْتَ وُسْعَها … لِتُوسِعَها يا ٱبنَ الظُّنونِ ٱلغَبِيَّةِ
وَهَلْ أَنتَ إنْ حقاً شَكَرْتَ سوى ٱمرئٍ … أُمِدَّ بِفِعْلِ ٱلشُّكْرِ منها بِنِعْمَةِ
هُوَ ٱللهُ لَمْ يُحْصِ ٱلثَّنَاءَ عِبَادُهُ … عليهِ وَلَنْ يُحْصُوا إلى ٱلأَبَدِيَّةِ
وَحَاشَا عُلا ذاتِ المهيمنِ أَنْ تُرَى … ثواباً لِفِعْلٍ وَهْيَ عينُ ٱلمُثِيبَةِ
(وَقَدَّمْتُ مالي في مَآلِيَ عَاجِلاً … وَمَا إنْ عَسَاها أَنْ تكونَ مُنيلتي)
كأنك فَعَّالٌ بِنَفْسِكَ قُدْرَةً … تَمُنُّ بها كِبْراً بِعِزٍّ وَنَخْوَةِ
وَهَلْ لَكَ شيءٌ في مَآلٍ وَعَاجِلٍ … تُقَدِّمُ لولا سَبْقُها بِٱلعَطِيَّةِ
وَقَدَّمْتَ وَهْماً ما لو ٱنَّكَ نِلْتَهُ … لَمَا وَقَعَ ٱلتقديمُ منكَ بِخَطْرَةِ
ولو كنت حقاً صادقا في سبيلها … لَجَاهَدْتَ فيها بِٱلسيوفِ ٱلصَّقِيلَةِ
فَقَدْ كنتَ تَحْيَا في زَمَانٍ تَكَالَبَتْ … على دينها ٱلكُفَّارُ مِنْ كُلِّ مِلَّةِ
فما أَبْصَرَتْ عيناكَ ميدانَ ساحةٍ … ولا لامَسَتْ كَفَّاكَ مَقْبِضَ شَفْرَةِ
فلو بِكَ كُلُّ المسلمينَ تَشَبَّهُوا … لَمَا ظَلَّ للإسلامِ شِبْرٌ بِقَفْرَةِ
فلولا إذاً قَدَّمْتَ رُوحَكَ سَالِكاً … سبيلَ ٱلألى كٱبنِ ٱلجَمُوحِ وَحَمْزَةِ
(وَخَلَّفْتُ خلفي رؤيتي ذاك مُخْلِصاً … ولستُ بِراضٍ أَنْ تكونَ مَطِيَّتي)
وما رؤيةٌ خَلَّفْتَ خَلْفَكَ لَمْ تَزَلْ … تَمُنُّ بها في كُلِّ لَفْظٍ وَجُمْلَةِ

(وَيَمَّمَنا بالفقرِ لكنْ بِوَصْفِهِ غَنِيتُ فَأَلْقَيْتُ ٱفتقاري وثروتي)

(فأثنيتِ لي إلقاءَ فقريَ وٱلغنى فضيلةَ قصدي فأطّرَحْتُ فضيلتي)

وما ذاكَ إلاّ أنَّ عَقْلَكَ لَمْ يُحِطْ بما في ٱلغنى وٱلفقرِ من سِرِّ حِكْمَةِ

(فَلاحَ فلاحي في ٱطِّراحي فَأَصْبَحَتْ ثَوَابيَ لا شيئاً سواها مُثيبتي)

وكيفَ تُرى تغدو ثواباً لِخِلْقَةِ وَتَقْصُرُ عَنْ إدْرَاكِها كُلُّ خِلْقَةِ

(وَظَلْتُ لَها لابي إليها أَدُلُّ مَنْ بِهِ ضَلَّ عَنْ سُبْلِ ٱلهدى وَهْيَ دَلَّتِ)

وكيف بها يهدي إليها جُوَيْهِلُ بما مِنْ لَدُنْها أُنْزِلَتْ في الشريعةِ

(فَخَلِّ لها خِلِّي مُرَادَكَ مُعْطِياً قِيَادَكَ مِنْ نَفْسٍ بِها مُطْمَئِنَّةِ)

وَهَلْ لَكَ خِلٌّ بَعْدَ قولك سابقاً وَلَمْ تَكُ إلاّ فيكِ لا عَنْكِ رغبتي

(وأَمْسِ خَلِيّاً مِنْ حُظُوظِكَ وٱسْمُ عَنْ حَضِيضِكَ وٱثْبُتْ بعد ذلِكَ تَنْبُتِ)

(وَسَدِّدْ وَقَارِبْ وٱعتَصِمْ وٱسْتَقِمْ لَها مُجِيباً إليها عَنْ إنابَةِ مُخْبِتِ)

(وَعُدْ مِنْ قريبٍ وٱستَجِبْ وٱجْتَنِبْ غداً أُشَمِّرُ عَنْ ساقِ ٱجتهادٍ بِنَهْضَةِ)

(وقُمْ في رِضاها وٱسْعَ غيرَ مُحَاوِلٍ نَشَاطاً ولا تُخْلِدْ لِعَجْزٍ مُفَوِّتِ)

(وَسِرْ زَمِناً وٱنْهَضْ كسيراً فَحَظُّكَ ٱلبَطالَةُ ما أَخَّرْتَ عَزْماً لِصِحَّةِ)

(وَأَقْدِمْ وَقَدِّمْ ما قَعَدْتَ لَهُ مَعَ ٱلْ خَوَالِفِ وَٱخْرُجْ عَنْ قيودِ ٱلتلفُّتِ)

(وَجُذَّ بِسَيْفِ ٱلعَزْمِ سَوْفَ فَإنْ تَجُدْ تَجِدْ نَفَساً فٱلنفسُ إنْ جُدْت جَدَّتِ)

(وأقبِلْ إليها وٱنْحُهَا مُفْلِساً فَقَدْ وَصِيتَ لِنُصْحي إنْ قَبِلْتَ نصيحتي)

(فَلَمْ يَدْنُ منها موسِرٌ بٱجتهادِهِ وعنها بها لَمْ يَنْأَ مُؤْثِرُ عُسْرَةِ)

(بذاكَ جرى شرطُ ٱلهوى بينَ أَهْله وَطَائِفَةٌ بٱلعهدِ أَوْفَتْ فَوَفَّتِ)

إذا ما رأيتَ اللهَ آتاكَ نِعْمَةً تَعَلَّمْ فما آتاكَ إلا لِحِكْمَةِ

كما قال في ٱلفُرْقَانِ وٱلحقُّ قولُهُ «لِيَبْلُوَكُمْ فيما» فَأَكْمِلْ بسورةِ

يُريدُكَ فيها أنْ تَقُومَ بأمرِهِ على ما قضى فيها بِحُكْمِ الشريعةِ

فَإنْ تَتْرُكِ ٱلنُّعْمى مَخَافَةَ فِتْنَةٍ فَتَرْكُكَها عينُ ٱلوُقوعِ بِفِتْنَةِ

فلا تَتَخَلّى عَنْ حُظُوظِكَ بَلْ بها تَقَرَّبْ إلى المولى بِفِعْلٍ وَنيَّةِ

وذلـك إنْ كـانَـتْ حـلالاً مـوافـقـاً ... لِـمَـا شَـرَعَ الـمولـى بِـذِكْـرٍ وَسُـنَّـةِ
فليستْ بِنُعْمَى بل شَقَاءُ وَلَعْنَةٌ ... مُـوَالاةُ كُـفَّـارٍ بِـحُـكْـمٍ وَدَوْلَـةِ
وكيفَ لِمَنْ خَلَّيْتَهُ عَنْ حُظوظهِ ... تَـقـولُ لَـهُ فـأنـهـضْ بِكُلِّ عـزيـمـةِ
أَمِنْ بعدِ ما خَلَّيْتَهُ عَنْ حُظُوظِهِ ... تـقـولُ لـهُ آثْبُتْ بعد ذلكَ تَـنْـبُـتِ
وكيفَ إلى نَبْتٍ دَعَوْتَ مُخَلِّياً ... وأنتَ ترى ٱلتَّجْريدَ أُسَّ الطريقةِ
وَمَالَكَ في «سَدِّدْ» وَ«قَارِبْ» وَ«قُمْ» وَ«سِرْ» ... ترى للهوى شَرْطاً بدعوى النَّصِيحَةِ
يـكـادُ ٱلـهـوى يـنـسـى أَبَـاهُ وَأُمَّـهُ ... لِمَا لَمْ تَزَلْ تَغزوهُ في كُلِّ غِزْوَةِ
(متى عَصَفَتْ ريحُ ٱلوَلا قَصَفَتْ أَخَا ... غَناءٍ ولو بـٱلـفـقـر هَـبَّـتْ لَـرَبَّـتِ)
(وأغـنـى يـمـيـنٍ بـٱلـيَـسَـارِ جَـزَاؤُهـا ... مُدَى ٱلقَطْعِ مالِلْوَصْلِ في ٱلحبِّ مُدَّتِ)
أراكَ بِجَهْلٍ فيكَ بـٱللهِ لَمْ تَزَلْ ... ولايـتُـهُ تُـبـدي بـأبْـشَـعِ صـورةِ
ففي ٱلذكرِ «لا خوفٌ» على أوليائِهِ ... «ولا يحزنونَ» ٱقرأْ بِمُحْكَمِ سورةِ
وفي ٱلمالِ قُرْبى وٱلغَنِيُّ إنِ ٱتَّقَى ... يضاعِفْ لَهُ المولى بِأجْرٍ وَأُجْرَةِ
كَمِثْلِ أبي بكرٍ وعثمانَ وٱلفتى ٱبـ ... ـنِ عَوْفٍ وَفَيَّاضِ ٱلمكارِمِ طَلْحَةِ
فإنْ قُلْتَ لَمْ أَقْصِدْ غنى ٱلمالِ هَا هُنا ... ولكنْ غِنَى نفسٍ قَصَدْتُ بِخَصْلَةِ
فإنْ قُلْتَ ذا عُذْراً لِجَهلِكَ زِدْتَهُ ... وَخَالَفْتَ معنى قولِ خيرِ ٱلبريةِ
خِيَارُكُمْ في الجَاهِلِيَّةِ إنْ هُدُوا ... خِـيَـارُكُـمْ فـي الـمِـلَّـةِ الـنَّـبَـوِيَّـةِ
فَمَنْ كانَ في كُفْرٍ وفيهِ سَجِيَّةٌ ... مِنَ ٱلخير إنْ يُسْلِمْ تُبَلْوَرْ وَتَنْبُتِ
كما بَلْوَرَ ٱلإسلامُ ما كانَ كَامِناً ... بِنَفْسِ فتى الخَطّابِ مِنْ عَبْقَرِيَّةِ
~~كما بَلْوَرَ ٱلإسلامُ ما كانَ كَامِناً ... بِنَفْسِ فتى ٱلخَطّابِ مِنْ عَبْقَرِيَّةِ~~
فَـمِـنْ هَـا هُـنـا كـانَـتْ وِلايـةُ رَبِّـنَـا ... زيـادَةَ خـيـراتٍ ودائـمَ نِـعْـمَـةِ
فَإلاّ تَجِدْ ما قُلْتُهُ لَكَ فَٱعْلَمَنْ ... بِـأَنَّـكَ تـنـحـو فـي طـريـقٍ بـعـيـدةِ
(وأَخْلِصْ لها وٱخْلُصْ بها عَنْ رُعُونَةِ ... ٱفتقارِكَ مِنْ أعمالِ بِرٍّ تَزَكَّتِ)
(وَعَادِ دواعي ٱلقيلِ وٱلقالِ وٱنْجُ مِنْ ... عوادي دَعاوٍ صِدْقُها قَصْدُ سُمْعَةِ)
لَشَتَّانَ ما بينَ النصيحةِ بالهدى ... وَبَيْنَ التي لَفَّقْتَها كَنَصِيحَةِ

فلا بُدَّ مِنْ أعمالِ بِرٍّ لِسَالِكٍ ... وليس ٱفتقارٌ ما بِمعنى ٱلرعونةِ
ولا بُدَّ أنْ يبقى إليهِ ٱفتقارُنا ... وإنْ نحنُ خُلِّدْنا بِدارةِ جَنَّةِ
ففي فَقْرِنا معنى دَوَامِ رُقِيِّنَا ... وفي فَضْلِهِ مَغْنى دَوَامِ ٱلعطِيَّةِ
وإنك في ٱلتَّجْنيسِ ما زلتَ خابِطاً ... فَمَا ثَمَّ مِنْ صِدْقٍ لِقَاصِدِ سُمْعَةِ
(فَأَلْسُنُ مَنْ يُدعى بِأَلْسَنِ عارفٍ ... وقد عَبَّرَتْ كُلَّ ٱلعِباراتِ كَلَّتِ)
أَرَيْتَكَ لَمّا قالَ أَلْسَنُ عارفٍ ... وأعظمُ ذي لُبٍّ وخَيرُ ٱلخليقةِ
عليكَ فلا نُحصي ثَنَاءَ إلهنا ... فَأنتَ كما أَثنَيتَ منك بِمِدْحَةِ
«فأنتَ كما أَثْنَيْتَ» تِلْكَ عِبَارَةٌ ... تَنَزَّهُ عَنْ دَعوى «ٱلعِبَاراتُ كَلَّتِ»
وفي سُورةِ الإخلاصِ مَدْحٌ لِرَبِّنا ... كَمَا هُوَ حَقّاً دونَ نُقْصَانِ مِدْحَةِ
(وما عنهُ لم تُفصِحْ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ ... وَأَنتَ غَريبٌ عنهُ إنْ قُلْتَ فَاصْمُتِ)
(وفي ٱلصَّمْتِ سَمْتٌ عندهُ جاهُ مُسْكَةٍ ... غدا عَبْدَهُ مَنْ ظَنَّهُ خيرَ مُسْكِتِ)
وإنْ يَكُ هذا فَٱلوَسَاوِسُ آيَةٌ ... وَمِنْهاجُ عرفانٍ وشمسُ حقيقةِ
وهذا خِلافُ الوَحْيِ إذ جَاءَ فاسْتَعِذْ ... مِنَ النَّزْغِ بالرحمنِ في كُلِّ عُوذَةِ
وَإِمَّا تَفَكَّرْتُمْ فلا تَتَفَكَّروا ... بِذاتِ إلهِ ٱلخلقِ بَلْ بِٱلخليقَةِ
وكيف على معناكَ «إن قُلْتَ فاصمُتِ» ... وليس بذي وَجْهٍ مِنَ ٱلعربيةِ
وفي ٱلصَّمْتِ قَحْطٌ فَٱلهُدى نَهَرٌ إذا ... جرى في فؤادٍ فَاضَ مِقْوَلُ حكمةِ
ولا يستوي عند ٱلمهيمنِ نَاطِقٌ ... وأبكم فَٱلإنسانُ فوقَ ٱلبهيمةِ
(فَكُنْ بَصَراً وٱنْظُرْ وَسَمْعاً وَعِهِ وَكُنْ ... لِسَاناً وقُلْ فَٱلجَمْعُ أهدى طريقةِ)
(ولا تَتَّبِعْ مَنْ سَوَّلَتْ نَفْسُهُ لَهُ ... فَصَارَتْ لَهُ أَمَّارَةً وٱستَمَرَّتِ

«معنى الجمع»

لَأَنْتَ بِمَعْنى ٱلْجَمْعِ أَجْهَلُ مِنْ فَتىً ... ضريرٍ يُبَغِّي رَسْمَ رَوْضٍ بِريشةِ
وأحمقُ مِنْ مُسْتَشْرِقٍ ظَنَّ نَفْسَهُ ... عليماً وَلَمْ يَفْهَمْ سُطَيْراً بِصَفْحَةِ
إذا شبَّ إنسانٌ على بُغْضِ أُمَّةٍ ... فَلَنْ يَقْتريْ تاريخَها عَنْ بَصيرَةِ
وَأَذْكَرْتَ مَنْ سَوَّلَتْ نَفْسُهُ لَهُ ... لِتُوهِمَ في أحوالِ جَمْعٍ وَوَحْدَةِ
فَإِنْ تَنْفِ قَوْلَ ٱلسَّامِرِيِّ بِلَفْظَةٍ ... بِأخرى مِنَ الألفاظِ إياهُ تُثْبِتِ
ولا جَمْعَ في عَبْدِيَّةٍ بِأُلُوهةٍ ... ولا جَمْعَ في أُلُهِيَّةٍ بِعُبُودَةِ
وما ٱلجَمْعُ إلا جَمْعُ قَلْبٍ وَرَبْطُهُ ... على شاهِدِ ٱلتوحيدِ في كُلِّ وِجْهَةِ
ففي ٱلفَرْقِ تَشْتِيتُ الفُؤادِ إذا رأى ... سوى ٱللهِ فَعّالاً بِرَغْبٍ وَرَهْبةِ
(وَدَعْ ما عَدَاها وأَعْدُ نَفْسَكَ فَهيَ مِنْ ... عِدَاها وَعُذْ منها بِأَحْصَنِ جُنَّةِ)

٥٠

«فطرة النفس»

بِجَهْلٍ تَرَاءَيْتَ ٱلنفوسَ عَدُوَّةً   لِبَارِئِها لا بِٱحْتِكامِ لِشِرْعَةِ
ولو كنتَ ذا عَدْلٍ بِحُكْمٍ وَرُؤْيَةٍ   لأَبْصَرْتَ حبَّ اللهِ في كُلِّ فِطْرَةِ
فَإِمّا يَقَعْ في ٱلنفسِ حالُ غَوَايَةٍ   فَمِنْ نَزْغَةِ الشيطانِ لا مِنْ طَبيعةِ
فَمِنْ هَا هُنا لَمْ يَأْمُرِ ٱللهُ عَبْدَهُ   بِإِهلاكِها أَوْ جَعْلِها كَٱلعَدُوَّةِ
وقالَ لنا بَلْ طهروها بطاعَةٍ   فإني لها أعْدَدْتُ دارة جنتي
وأنتَ امرؤٌ وهمانُ فيما تقولُهُ   تُقَلِّدُ فيهِ كُلَّ فِكْرٍ مُشَتَّتِ
فحيناً ترى في ٱلنَّفْسِ نَعْتَ إِلهِهَا   وحيناً ترى في النَّفْسِ نَعْتَ ٱلنَّقيصَةِ
وَإِنَّكَ في هَاتَيْنِ بِٱلنفسِ مُخْطِئٌ   فلا هي كَٱلمولى ولا كَٱلبَهِيمَةِ
وَقَدْ خُلِقَتْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ بريئةً   إلى أنْ أتاها بِاكتسابٍ وَفِعْلَةِ
وقد أَكْذَبَ ٱللهُ النَّصارى بِجَعْلِهِمْ   نُفوسَ الورى مَوْلودَةً بِٱلخَطِيئَةِ
«خَلَقْتُ عبادي كُلَّهُمْ حُنَفَاء» لي   كما قَالَ في ٱلقُدْسِيِّ رَبُّ ٱلبريةِ
(فَنَفْسِيَ كانَتْ قَبْلُ لَوَّامَةً متى   أُطِعْهَا عَصَتْ أَوْ أَعْصِ كانَتْ مُطِيعتي)

في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أخرجه مسلم ٥٢١٨

«النفس اللوامة»

أَسَـأْتَ إلى لَـوّامَـةٍ ما فَـهِـمْـتَـهـا وَلَـمْ تَأْتِ عَنْ أحوالـها بـالحقيقةِ
فَـمَـا سُـمِّـيَـتْ لَـوّامَـةً عـنْ مَـذَمّـةٍ ففي اللّـوْمِ حالٌ مِنْ رُجُوعٍ وَتَـوْبَةِ
فَـإلاّ تَـكُـنْ كـالـمُـطْـمَـئِـنَّـةِ رُتْـبَـةً فَـمَـا هِـيَ كـالأَمّـارَةِ الـمُـسْـتَـزَلّـةِ
(فأوردتُها ماالموتُ أيسَرُ بَغْضِهِ وأتعبتُها كيما تكونَ مُريحتي)

«سياحة النبي وأمته
الجهاد في سبيل الله»

لَإيرادُها ما ٱلموتُ أيسرُ بَغْضِه ... بِزَغْمِكَ تَجْهَالٌ بموتٍ وَمِلَّةِ

فَمَا الموتُ إلاّ مُنْتَهى ٱلقَهْر في ٱلدُّنا ... وعند ٱكْتِمالِ القَهْرِ ذَوْقُ ٱلمنيَّةِ

وما أنتَ إلا واردٌ نَهْجَ بِدْعةٍ ... خلافاً لِنَهْجِ السُّنَّةِ النَّبَويَّةِ

على دَرْبِ رهبانِيَّةٍ سِرْتَ لا عَلَى ... سبيل مِنَ الرحمنِ بَيْضاءَ سَمْحَةِ

وَمَنْ يَعْبُدِ ٱلمولى بغيرِ مُرَادِهِ ... يَزِغْ عنْ هُدَى المولى وَيَرْجِعْ بِخَيْبَةِ

وما سَاحَ أصحابُ ٱلنبيِّ بِخِرْقَةٍ ... ولكنهُمْ ساحوا بِسَيْفٍ وَلأْمَةِ

فإنَّ نفوسَ ٱلناسِ لا تَقْبَلُ ٱلهُدى ... إذا ما عَتَتْ إلاّ بِصَوْلٍ وَقُوَّةِ

وفي سيرة ٱلبمعوثِ بٱلخير كُلِّهِ ... لَدُنْ كانَ وٱلأصحابُ يوماً بِغَزْوَةِ

فَأَبْصَرَ بعضُ ٱلصَّحْبِ غاراً تَفَجَّرَتْ ... به عينُ مَاءٍ أَخْرَجَتْ نَبْتَ بَقْلَةِ

فَجَاءَ رسولَ ٱللهِ مُسْتأذِناً بِأَنْ ... يَظَلَّ بذاكَ ٱلغار في عَيْشِ خَلْوَةِ

فقال رسولُ ٱلله قد جِئتُكُمْ بها ... حَنِيفِيَّةً بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ ظُلْمَةِ

أَمَا وٱلذي نفسي لَدَيْهِ لَسَاعةٌ ... مِنَ الغَزْوِ خيرٌ مِنْ عِبَادَةِ حِقْبَةِ

(فَعَادَتْ ومهما حُمِّلَتْهُ تَحَمَّلَتْـ ... ـهُ مني وإنْ خَفَّفْتُ عنها تَأَذَّتِ)

«السنة والبدعة»

لَئِنْ كانَ هذا منكَ حَقاً فَإنَّهُ ... خِلافٌ لِمَا في بَيِّنَاتِ ٱلحقيقةِ

ففي شِرْعَةِ ٱلرحمنِ تَخفيفُ فَرْضِهِ ... عَنِ ٱلخَلْقِ في نُقْصَانِ حَوْلٍ وَقُدْرَةِ

فما لَكَ تنسى «خَفَّفَ ٱللهُ عنكُمُ» ... وقد نَزَلَتْ في ٱلمحكماتِ ٱلمبينَةِ

فلا تَحْسَبَنَّ ٱلدينَ دينَ محمدٍ ... يقومُ على تأديبِ نَفْسٍ بِقَسْوَةِ

وقال لنا في ٱلدينِ بِالرِّفْقِ أَوْغِلوا ... وسيروا بِيُسْرٍ لا تسيروا بِعُسْرَةِ

فَمَنْ شَادَّ هذا ٱلدينَ كانَ مُغَلَّباً ... فَلَلدِّينُ أعلا مِنْ مَنالٍ بِشِدَّةِ

(وَكَلَّفْتُها لا بَلْ كَفَلْتُ قِيَامَهَا ... بِتَكْليفِها حتى كَلِفْتُ بِكُلْفَتي)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ ما كَلَّفَ ٱلوَرى ... سِوى وُسْعِهِمْ مِنْ مُسْتَطاعٍ وَقُدْرَةِ

أَأَنْتَ أَمِ ٱلخَلاّقُ أعلمُ بِٱلذي ... هو الأَصْلَحُ ٱلأجدى لحالِ ٱلخليقةِ

فإنْ كُنْتَ عَبْدَ ٱللهِ فَٱعبُدْهُ بِٱلهُدى ... وليس ٱلهُدى إلاّ بِذِكْرٍ وَسُنَّةِ

فلا يُعْبَدُ الرحمنُ إلاّ بِشَرْعِهِ ... وما عَبَدَ الرحمنَ عبدٌ بِبِدْعَةِ

وقولُكَ ذا «حتى كَلِفْتُ بِكُلْفَتي» ... نَهى ٱلمصطفى عنهُ ٱلأَنامَ بِشِدَّةِ

وَقَالَ لَهُمْ لا صَامَ مَنْ صَامَ دَهْرَهُ ... وما زالَ يَنْهَى عَنْ وِصَالٍ بِصَوْمَةِ

وَذالِكُمُ وٱللهُ أَعْلَمُ أَنَّ في ... تَعَوُّدِ حالِ نَقْصَ عَزْمٍ وَهِمَّةِ

فلا بُدَّ مِنْ إحداثِ جُهْدٍ مُحَرِّكٍ ... لِئَلاّ تَظَلَّ النفسُ في حَالِ مَيِّتِ

وما تُنْبَعَثُ ٱلأعمالُ إلاّ بِنِيَّةِ ... وفي ٱلفِعْلِ بِٱلعاداتِ إبطالُ نِيَّةِ

فَمِنْ ها هُنَا ما جَاءَ أمرٌ بِشَرْعِنا ... ولا جَاءَ نَهْيٌ فيهِ إلاّ لِحِكْمَةِ

وَمَنْ يَتَدَبَّرْ في ٱلشرائعِ كُلِّها ... يَجِدْ شِرْعَةَ الإسلامِ أَعْدَلَ شِرْعَةِ

(وَأَذْهَبْتُ في تَهْذِيبِها كُلَّ لَذَّةٍ ... بِإبعادِها عَنْ عادِها فَٱطمأَنَّتِ)

«النفس المطمئنة»

كما كُنتَ ذا جَهْلٍ بنفسٍ مُلِيمَةٍ ... فها أنتَ ذو ٱلجهلاءِ بٱلمطمئنةِ

فما سُمِّيَتْ بالمطمئنةِ مُهْجَةٌ ... إذا سُلِخَتْ عَنْ عَادِها أو تَخَلَّتِ

ولكنَّها بٱلمطمئنةِ سُمِّيَتْ ... لِمَا قامَ فيها من يقينِ ٱلعقيدةِ

وما هُذِّبَتْ نَفْسٌ بحرمانِ لَذَّةٍ ... ولا هُذِّبَتْ نَفْسٌ بإسرافِ لَذَّةِ

فَمَنْ رامَ تهذيبَ ٱلنفوسِ بِجَوْعَةٍ ... كَمَنْ رامَ تَهْذِيبَ ٱلنفوسِ بتُخْمَةِ

ألاَ إنَّ إصلاحَ النفوسِ بِمَنْعِها ... وإِعْطَائِها ٱللَّذاتِ وَفْقَ ٱلشريعةِ

ففي ٱلحِلِّ «قُلْ مَنْ حَرَّمَ» ٱلآيةُ ٱلتي ... أَبَاحَتْ لنا أَطْيَابَ رِزْقٍ وَزِينَةِ

وفي ٱلعَدْلِ بينَ ٱلأَخْذِ وٱلتَّرْكِ قولُهُ ... «ولا تُسْرِفوا» فٱعقِلْ بِلُبٍّ وَأَنْصِتِ

فذلكَ نَهْجُ الحقِّ إنْ كنتَ سالِكاً ... وما بَعْدَ نَهْجِ ٱلحقِّ غيرُ ٱلمَضِلَّةِ

وَهَذَّبْتُ نفسي ليسَ لفظاً مُلائِماً ... إذا قيسَ في مِقْياسِ شَرْعٍ وَفِطْرَةِ

(وَلَمْ يبقَ هَوْلٌ دونها ما رَكِبتُهُ ... وأشهدُ نفسي فيهِ غيرَ زَكِيَّةِ)

(وكُلُّ مقامٍ عَنْ سلوكٍ قَطَعْتُهُ ... عُبُودِيَّةً حَقَّقْتُها بِعُبُودَةِ)

«كمال العبودية الجهاد»

بلى بَقِيَتْ أهوالُ سيفٍ وَسَاحةٍ ... يَبِينُ بها ذو ٱلظَّنِّ منْ ذي ٱلحقيقةِ

فليسَ ٱلمقامُ ٱلحقُّ إلا بِساحةٍ ... لمؤمِنَةٍ فيها ٱمْتِهانُ كَفُورةِ

كما قالَ في ٱلقُدْسِيِّ رَبُّ محمدٍ ... هو اللهُ ربي وهو رَبُّ ٱلبريةِ

ألا إِنَّ عبدي كُلَّ عبدي هو ٱلذي ... يُرَى ذاكري عند ٱحتدامِ ٱلوَقِيعَةِ —

(وكنتُ بها صَبّاً فلما تركتُ ما ... أريدُ أرادتني لها وَأَحَبَّتِ)

(فصرتُ حبيباً بَلْ مُحِبّاً لنفسه ... وليس كَقَوْلٍ مَرَّ نفسي حبيبتي)

وهذا إلى ٱلتَّخليطِ أَدنى فإنْ تَكُنْ ... محباً لها فٱلتَّرْكُ تركُ ٱلمحبَّةِ

«فَصَبّاً بها إنْ كُنتَ» يعني مرادها ... تريدُ إذاً ماذا أردتَ بِتَرْكَةِ

فصرتُ حبيباً بل مُحِبّاً لنفسه ... كَكُنْتُ بها صبّاً بِسَابِقِ شَطْرَةِ

فإنْ قُلْتَ أعني أَنَّني مُذْ أخذتُها ... بِتَرْكِ أرادتني لها وَأَحبَّتِ

إذاً فَهْيَ ذاتُ ٱلتَّرْكِ لا أنتَ هَاهُنَا ... وهذا هو ٱلأولى بِلَفْظٍ وَجُمْلَةِ

كما كُنتَ قَدْ أَثْبَتَّ مِنْ قبلِ أَسْطُرٍ ... «بابعادها عَنْ عادها فٱطمأنَّتِ»

وهذا إذا ما كانَ معناهُ هكذا ... ففيهِ ٱلذي تنفيه «نفسي حبيبتي»

ويُجْزِيءُ عنْ بَيْتَيْكَ هذينِ شَطرةٌ ... لو أنك حقّاً كُنتَ صاحبَ فِكْرَةِ

(خرجتُ بها عني إليها فَلَمْ أَعُدْ ... إِلَيَّ ومثلي لا يقولُ بِرَجْعَةِ)

(وأفردتُ نفسي عَنْ خروجي تَكَرُّماً ... فَلَمْ أَرْضَها منْ بعدِ ذاكَ لِصُحْبَتي)

(وغيبتُ عن إفرادِ نفسي بحيثُ لا ... يُزَاحِمُني إبداءُ وَصْفٍ بحضرتي)

خرجتَ بها لا عنكَ لكنْ عنِ الهدى ... وَأَشْبَهْتَ جهلاً مَنْ يقولُ برجعةِ

هُمُ أظهروا الإسلامَ مكراً بأهلهِ وقالوا بِرَجْعٍ قَبْلَ حَشْرٍ وَقِمْصةِ

فما آرتجعوا إلاّ خيالَ إمامَةٍ وما قُمِّصُوا إلاّ ملابِسَ سَوْءَةِ

وما أنتَ إلاّ عينُ نفسكَ لا سوى فَأَفردْتُ أو غَيَّبْتُ وسواسُ سُخْفَةِ

(وها أنا أُنهي في آتّحادِيَ مَبْدَئي وأنهي آنتهائي في تَوَاضُعِ رِفْعَتي)

رَجَعْتَ إلى دعوى آتّحادٍ وَوَحْدَةٍ ويأبى آلهُدَى دعوى آتحادٍ وَوَحْدَةِ

(جَلَتْ في تَجَلِّيها الوجودَ لناظري ففي كُلِّ مَرْئيّ أراها بِرُؤْيَةِ)

«رؤية الرب في الجنة»

تَرَاءَيْتَهَا في صُنْعِهَا وَهْوَ غيرُها ... فَفِي كُلِّ مَرْئِيٍّ لها آيُ صُنْعَةِ

فليس لِعَيْنٍ أنْ ترى ٱللهَ في ٱلدّنا ... كما صَحَّ عَنْ خيرِ ٱلأَنَام بِسُنَّةِ

ولكنْ أَتَتْ بُشرى بِذِكْرٍ وَسُنَّةٍ ... بِفَوْزِ ذَوِي ٱلفِرْدَوْسِ حقاً برؤيةِ

كما في «وُجُوهٍ يَوْمَئِذٍ» إنْ تَلَوْتَها ... كما أنزل ٱلمولى بمحكم سورةِ

وفي ٱلسُّنَّةِ ٱلغَرّاءِ ضَلَّ عَدُوّها ... لَسَوْفَ يراهُ ٱلمؤمنونَ بِجَنَّةِ

«ملة إبراهيم»

فلا تَحسَبِ ٱلأكوانَ مِرآةَ ذاتِهِ ... ولكنها منهُ بِخَلْقٍ وَقُدْرَةِ

وَمِنْ قَبْلُ إبراهيمُ قَدْ بَيَّنَ ٱلهُدَى ... بِإِعراضِهِ عَنْ حُبِّ شَمْسٍ وَنَجْمَةِ

وقال لقومٍ شَطْرَ كَوْنٍ تَوَجَّهُوا ... تَبَرَّأْتُ مِنْ تأليهِ كَوْنٍ وَشِرْكَةِ

فَإِمَّا تَوَجَّهْتُمْ لكونٍ فإنني ... إلى فَاطِرِ الأكوانِ وَجَّهْتُ وِجْهَتي

فتلكَ ٱلتي ٱلرحمنُ يَقْبَلُ مِلَّةً ... ولا يقبَلُ ٱلرحمنُ أخرى كَمِلَّةِ

(وَأُشهِدتُ عيني إذْ بَدَتْ فَوَجَدْتُني ... هُنَالِكَ إِيَّاها بِجَلْوَةِ خَلْوَتي)

(وَطَاحَ وجودي في شهودي وَبِنْتُ عَنْ ... وُجودِ شهودي ما حياً غَيْرَ مُثْبِتِ)

(وَعَانَقْتُ مَا شَاهَدْتُ في مَحْوِ شاهدي ... بِمَشْهَدِهِ لِلْصَّحْوِ مِنْ بعدِ سَكْرتي)

(ففي ٱلصَّحْوِ بعدَ المَحْوِ لَمْ أَكُ غَيْرَها ... وذاتي بِذاتي إِذْ تَحَلَّتْ تَجَلَّتِ)

(فَوَصْفِيَ إِذْ لَمْ تُدْعَ بِٱثْنَيْنِ وَصْفُها ... وَهَيْئَتُها إِذْ واحدٌ نَحْنُ هَيْئَتي)

(فَإِنْ دُعِيَتْ كُنْتُ ٱلمجيبَ وإنْ أَكُنْ ... مُنَادىً أَجَابَتْ مَنْ دعاني وَلَبَّتِ)

«الحق والخلق»

لَتَغْيِيبُ نَفْسٍ عَنْ شُهُودِ لِذَاتِها ... فَذَا وَصْفُ ضَعفٍ ليسَ ذا وَصْفَ قُوَّةِ

فلو كُنْتَ إِيَّاها كَدَعْواكَ لَمْ يَكُنْ ... وُجودٌ لِغَيْبٍ عنكَ أَوْ جَلْوُ خَلْوَةِ

فَإِنَّ وُجُودَ ٱلحَقِّ شاهِدُ ذَاتِهِ ... وليس شهودُ ٱلحقِّ غير الحقيقةِ

فَإِنَّ «وكانَ ٱللهُ» معناهُ لَمْ يَزَلْ ... عَزيزاً حكيماً ذا جلالٍ وَحِكْمَةِ

وَإِنَّ هنا فَرْقاً تَدَبَّرْه بينَ مَنْ ... لَهُ الخَلْقُ مِنْ أَمْرٍ وبينَ الخليقَةِ

ففي (لَمْ تَكُنْ) وصفُ الخليقةِ كُلِّها ... وفي لم تَزَلْ وصفٌ لذاتِ ٱلألوهةِ

فلو كُنْتَ إِيَّاها لَظَلْتَ وَلَمْ يَطِحْ ... وُجود شُهُودٍ منكَ في بَيْنِ مَحْوَةِ

ولو كنتَ إِيّاها لَعَنْ كُلِّ مَحْوَةٍ ... تَنَزَّهْتَ فَٱلمَمْحُوُّ صِنْوٌ لِمَيْتِ

فذو ٱلعرشِ لا يُمحى وَيَمْحُو فَذَاتُهُ ... عَن المحو وَٱلتَّغيير عَزَّتْ وَجلَّتِ

ولو كنتَ إِيَّاها لَقُمْتَ وَلَمْ تَبِنْ ... فما ٱلبَيْنُ إلاّ مِنْ صِفَات ٱلبَرِيَّةِ

ولو كنتَ إِيّاها لَمَا غِبْتَ لَحْظَةً ... عَنْ أَنَّكَ إياها بِوَهْمٍ وَحَجْبَةِ

وحاشا عُلاها مِنْ عناقٍ لِعَبْدِها ... فذلكَ جَهْلٌ دونَهُ كُلُّ جَهْلَةِ

فما كانَ مِنْ معنى عِناقٍ فَإِنَّهُ ... لِجِسْمٍ وَطَيْفٍ وَهيَ عَنْ ذَيْنِ عَزَّتِ

فلا هيَ ما أَبْصَرْتَ جِسْماً بِصَحْوَةٍ ... ولا هيَ ما أَبْصَرْتَ طيفاً بِمَحْوَةِ

وما كُنْتَ إِيَّاها وَعِزَّةِ ذَاتِها ... بَلْ إِنَّكَ عَبْدٌ وٱبنُ عَبْدٍ وَعبْدَةِ

وذاتُكَ إذْ تُجلى بِذاتِكَ لَمْ تَكُنْ ... سِوى ذاتِ مخلوقٍ يُحَدُّ بِطِينَةِ

وَوَصْفُكَ إِنْ لَمْ تُدْعَ بِٱثْنَيْنِ مُشْبِهٌ ... لِمِثْلِكَ مِنْ خَلْقٍ أَكُولٍ وَمَيِّتِ

فإنْ قُلْتَ إِنِّي وَاحدٌ وَهْوَ واحِدٌ ... فَأَنْتَ مُضافٌ وَهْوَ ذو ٱلأَحَدِيَّةِ

كما قيلَ هذا واحدُ ٱلخَلْقِ للورى ... وَلِلْواحِدِ ٱلقَهَّارِ إفرادُ عِزَّةِ

«وَنَحنُ» إذا ٱلخلاّقُ قالَ لعِزَّةٍ ... وَإنْ قالَها خَلْقٌ فَعَنْ حالِ كَثْرَةِ

وَإمَّا يُضِفْ مَلْكٌ إليه عبيدَهُ ... «بِنحنُ» فَلَيْسَتْ للعبيدِ بِقَوْلَةِ

وعنكَ ٱلمنادي لا تُجيبُ وَ«لَبّتِ» ... لعبدٍ يُلَبِّي لا لِرَبِّ ٱلعُبُودَةِ

فَلَيْسَ ٱلمُلَبِّي ٱللهُ بَلْ ذاكَ عَبْدُهُ ... وَعَنْ فِعْلِ «لَبَّى» ذاتُ رَبِّكَ جَلَّتِ

وَإنْ دُعِيَتْ لَسْتَ ٱلمجيبَ وَإنَّها ... خلافَ ٱلذي تَفْريهِ في ٱلذِّكر أَوْحَتِ

فما غيرُ مولانا يُجيبُ دُعاءَنا ... وَيَكْشِفُ عَنّا السّوءَ في كُلِّ كُرْبَةِ

وإنْ تُدْعَ مِنْ دونِ ٱلإله فأنتَ عَنْ ... دُعَاءِ ٱلذي يدعوكَ في بَحْرِ ضَلَّةِ

وفي «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلاّ» ولا تَقِفْ ... وتَابِعْ إلى «إيّاهُ» أَعْظَمُ حُجَّةِ

(وإنْ نَطَقَتْ كنتُ ٱلمناجي كذاكَ إنْ ... قَصَصْتُ حديثاً إنَّما هِيَ قَصَّتِ)

(فقد رُفِعَتْ تاءُ ٱلمخاطَبِ بَيْنَنا ... وفي رَفْعِها عَنْ فُرْقَةِ ٱلفَرْقِ رِفعَتي)

(فَإنْ لَمْ يَجوِّزْ رُؤْيَةَ ٱثنينِ واحداً ... حِجَاكَ وَلَمْ يُثْبِتْ لِبُعْدِ تَثَبُّتِ)

(سأجلو إشاراتٍ عليكَ خَفِيَّةً ... بها كعباراتٍ لديكَ جَلِيَّةِ)

(وَأُعْرِبُ عنها مُغْرِباً حيثُ لات حِـ ... ينَ لَبْسٍ بِتِبْيانَيْ سَمَاعٍ ورؤيةِ)

وَأُثْبِتُ بٱلبُرهانِ قَوْليَ ضارباً ... مِثَالَ مُحِقٍّ وٱلحقيقَةُ عُمْدَتي)

(بِمَتْبُوعةٍ يُنْبيكَ في ٱلصَّرْعِ غَيْرُها ... على فَمِها في مَسِّها حَيْثُ جُنَّتِ)

(وَمِنْ لُغَةٍ تبدو بغير لِسَانِها ... عَلَيْهِ براهينُ الأَدِلَّةِ صَحَّتِ)

(وفي ٱلعِلْمِ حقّاً أَنَّ مُبدي غريبَ ما ... سَمِعْتَ سواها وَهْيَ في ٱلحِسِّ أَبْدَتِ)

(فلو وَاحِداً أَمْسَيْتَ أصبحتَ وَاجِداً ... مُنازَلَةً ما قُلْتُهُ عَنْ حقيقةِ)

(ولكنْ على ٱلشِّرْكِ ٱلخَفِيِّ عَكَفْتَ لو ... عَرَفْتَ بِنَفْسٍ عَنْ هُدى ٱلحقِّ ضَلَّتِ)

(وفي حُبِّهِ مَنْ عَزَّ توحيدُ حُبِّهِ ... فبالشِّرْكِ يَصْلى منهُ نارَ قطيعتي)

(وماشانَ هذا ٱلشَّأْنَ منكَ سوى ٱلسّوى ... ودعواهُ حقّاً عنكَ إن تُمْحَ تَثْبُتِ)

لَفِي نَطَقَتْ فعلٌ فأينَ دليلُهُ ... فما تَثْبُتُ ٱلأفعالُ دونَ أَدِلَّةِ

ولو كانَ ذا حقّاً لَكُنْتَ نَبِيَّها ... ففي مِثْلِ ذي ٱلدَّعوى مَقام نُبُوَّةِ

وَلَوْ كَانَ ذا حقاً لَقُلْتَ كَقَوْلِها فَمَالَكَ تَعْيَا دونَ آيٍ وَسُورَةِ

وفي رُفِعَتْ تَاءُ ٱلْمُخَاطَبِ بَيْنَنا وَقَاحَةُ دعوى نَفْيُها في ٱلْقَصيدَةِ

فما زَالتِ ٱلتَّاءاتُ تجري تَخَاطُباً فَرَاجِعْ تَجِدْ تَاءَ ٱلْخِطَابِ بكثرةِ

وهذا دليلُ ٱلْفَرْقِ بُرْهَانُ حُجَّةٍ يَرَاهُ ٱلورى مِنْهُمْ بِطَبْعٍ وَفِطْرَةِ

وَلَمْ يَنْهَنِي عَنْ رُؤْيَةِ ٱثنين واحداً حِجَايَ فَقَطْ بَلْ ذاكَ حقُّ ٱلحقيقةِ

ففي ٱلذِّكْرِ وَٱقْرَأْها كما ٱللهُ قَالَها «وَكُلُّهُمْ آتيه فَرْداً» بِرَجْعَةِ

وَكُلٌّ لَهُ عِنْدَ ٱلإلهِ مَقَامُهُ كما جَاءَ في ٱلقرآنِ أيضاً بِسُورةِ

وَمَا مِنْ إشاراتٍ جَلَوْتَ خَفِيَّةٍ لِدَعْوَاكَ عَنْ حَالَيْ سَمَاعٍ وَرُؤْيَةِ

وإنَّ ٱلذي البُرْهَانَ تدعوهُ داحِضٌ وَأَدْنى إلى أوهامِ طفلٍ وَطِفْلَةِ

«صرع الجن للإنس»

ضَرَبْتَ مِثَالاً بِٱلَّتي ٱلجِنُّ مَسَّها وَنَاقِضُهُ منهُ لَدُنْ قُلْتَ جُنَّتِ

وإنَّ مِسَاسَ ٱلجِنِّ للإنْسِ مُشْبِهٌ قِرانَ جِماعٍ بينَ زوجٍ وَزَوْجَةِ

فَإمّا بِأُخرى مِنْ لُغَاتٍ تَقَوَّلَتْ فَمَا ذاكَ منها فَهْيَ مثلُ ٱلمَحطَّةِ

ولو صَارَ إيّاها لَظَلَّ وَلَمْ تُفِقْ وَلَمْ يَرْتَحِلْ عنها إلى غير رَجْعَةِ

ولو أنتَ في ٱلمرآةِ فَكَّرْتَ سَاعَةً لأَعْرَضْتَ عَنْ دعوى ٱتحادٍ وَوَحْدَةِ

ولو كنتَ في أَزْمَاننَا ٱليومَ عَائِشاً لَأَبصَرْتَ تِلْفَازاً لِسَمْعٍ وَرُؤْيَةِ

فلا صُورَةُ ٱلمبثوثِ عينٌ لِشَاشَةٍ ولا شَاشَةُ المبثوث عينٌ لِصُورَةِ

«ولو وَاحِداً أمسيتَ أصبحتَ واجداً» مَقَالةُ وَهْمٍ لَمْ تُقَلْ عَنْ بَصِيرةِ

جَعَلْتَ بها عَيْنَ ٱلتَّوَحُّدِ فِعْلَةً يصيرُ بها ٱلمخلوقُ عَنْ حَالِ رَغْبَةِ

فإنْ يكُ رَبُّ الخلقِ وٱلخلقُ واحداً فَفِيمَ إذاً صَيْرُورَةٌ مِنْ خَليقَةِ

فَهَلاّ هُنا صُغْتَ ٱلضَّلالَ بِجُمْلَةٍ تَقُومُ على معنى اكتشافٍ وَخِبْرَةِ

«ولو واحداً أَمْسَيْتَ أَعْجَبُ مُنْيَةٍ تُريدُ بها إثباتَ باطلِ وَحْدَةِ

وحيثُ هنا لَمْ يَفْتَعِلْ فَٱتَّهَمْتَهُ بِشِرْكٍ خَفِيّ وَهْيَ أَعْجَبُ تُهْمَةِ

فَأَنْتَ بِمَعْنى ٱلشِّرْكِ أولى فَلَيْسَ مَنْ يَرَى ٱلخلقَ رَبّاً مثلَ نَافٍ ومُثْبِتِ

«الحب في الله»

«وفي حُبِّهِ مَنْ عَزَّ توْحيدُ حُبِّه» تَكَلَّفتَ ما لَمْ تأتِ فيه بِحُجَّةِ

فليسَ بِشِرْكٍ أَنْ تُحِبَّ رسولَهُ وأحبابَهُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ وَأُمَّةِ

فما دُمْتَ تبغي بالمحبَّةِ وَجْهَهُ فأنتَ على توحيدِهِ في المحبَّةِ

وَدَعْوَاكَ في «ما شَانَ هذا سوى السوى وَدَعْوَاهُ حقاً عنكَ إنْ تُمْحَ تَثْبُتِ»

فقد عُذتَ عَنْ مَحْوٍ لِتُثْبِتَ وَحْدَةً وما مِنْ على دعواكَ مَحْوٍ وَوَحْدَةِ

(كذا كنتُ حيناً قبل أَنْ يُكْشَفَ الغِطا مِنَ اللَّبْسِ لا أَنفَكُّ عَنْ ثَنَوِيَّةِ)

(أروحُ بِفَقْدٍ بالشهودِ مُؤَلِّفي وأغدو بِوَجْدٍ بالوجودِ مُشَتِّتي)

(يُفَرِّقُني لُبِّي الْتِزاماً بِمَحضَري وَيَجْمَعُني سَلْبي اصْطِلاماً بِغَيْبَتي)

(إِخالُ حضيضَ الصَّحْوِ والسُّكْرِ معرجي إليها ومحوي مُنْتَهى قابِ سِدْرَتي)

(فَلَمّا جَلَوْتَ الغَيْنَ عني اجْتَلَيْتُني مُفيقاً وَمِنِّي العينُ بالعينِ قَرَّتِ)

(وَمِنْ فاقتي شُكْراً غَنِيتُ إِفَاقَةً لَدَى فَرْقِيَ الثاني فَجمْعي كوحدتي)

(فَجَاهِدْ تُشَاهِدْ فيكَ منكَ وراءَ ما وَصَفْتُ سُكُوناً عَنْ وجودِ سكينَةِ)

(فَمِنْ بَعْدِ ما جَاهَدْتُ شَاهَدْتُ مَشْهَدي وَهَادِيَّ لي إِيَّايَ بَلْ بِيَ قُدْوَتي)

(وَبي موقفي لا بَلْ إِلَيَّ تَوَجُّهي كَذاكَ صلاتي لي وَمِنِّيَ كَعْبَتي)

(فَلاَ تَكُ مَفْتُوناً بِحُسْنِكَ مُعْجَباً بِنَفْسِكَ مَوْقُوفاً على لَبْسِ غِرَّةِ)

(وَفَارِقْ ضَلالَ الفَرْقِ فالجَمْعُ مُنْتِجٌ هُدَى فِرْقَةٍ بالاتِّحَادِ تَحَدَّتِ)

«جملة أوهام»

أَرَيْتَكَ حيناً قبل أنْ يُكْشَفَ ٱلغِطَا ... مِنَ ٱللَّبْسِ لا تَنْفَكُّ عَنْ ثَنَوِيَّةِ

فمن أينَ جاءَ ٱللَّبْسُ إنْ كانَ لا سِوى ... فَذَا ٱللَّبْسُ إنْ أَمْعَنْتَ مِنْ ثَنَوِيَّةِ

وَكَشْفَ ٱلغِطَا أَثْبَتُّ قَبْلَ مَنِيَّةٍ ... وليسَ يُرَى إلا بِجَيْئِ ٱلمنيةِ

كما جاءَ في قافٍ لِمَنْ كانَ تالياً ... فإنْ تَتْلُ قافاً تَرْتَجِعْكَ بِحُجَّةِ

فإنَّ ٱلغِطَا ما بينَ دُنْياً وَبَرْزَخٍ ... إذا ٱلروحُ غَابَتْ في ٱحْتِضَارٍ بِسَكْرَةِ

فَما كانَ مِنْ كَشْفٍ قُبَيْلَ ٱحْتِضَارِها ... فَفي دَارَةِ ٱلدنيا بِدَائِرِ مُقْلَةِ

وما كانَ مِنْ كَشْفٍ بُعَيْدَ ٱحْتِضَارِها ... فَبِٱلبَصَرِ ٱلمَجْلُوِّ بَعْدَ ٱلبَصِيرةِ

وَدَعْواكَ في فَقْدٍ وَوَجْدٍ تَنَاقُضٌ ... فَنَفْيُ ٱلسِّوَى يعني سَوَاءَ ٱلحقيقَةِ

ولو كُنْتَ ذا لُبٍّ كَدَعْوَاكَ لَمْ تَقُلْ ... «يُفَرِّقُني» فَٱللُّبُّ أولى بِجَمْعَةِ

وَدَعْوَاكَ في جَمْعِ ٱصْطِلامٍ تَوَهُّمٌ ... فَمِمّا ٱصْطِلامِ ٱلنَّفْسِ فَرْقُ ٱلتَّشَتُّتِ

فَمَالَكَ يا وَهْمَانُ تَدْأَبُ جَاهِداً ... لِقَلْبِ كلامٍ عَنْ مَعَانٍ مُبِينَةِ

فَأَنْتَ ٱمرؤٌ بِٱلنَّقْضِ وٱلقَلْبِ مُولَعٌ ... كَأَنَّكَ مقلوباً وُلِدْتَ بِخِرْبَةِ

ودعوى إليها مُنْتَهى قابِ سِدْرتي ... نَسَبْتَ إليكَ ٱلمنتهى كُلَّ نِسْبَةِ

أَلَمْ تَخْشَ مِنْ رَبِّ ٱلسَّماواتِ بَطْشَهُ ... أَمِ ٱغْتَشْتَ كَٱلأنعامِ مِنْ غيرِ خَشْيَةِ

ودعوى جَلَوْتُ ٱلغَيْنَ عني تَنَاقُضٌ ... فَفي ٱلغَيْنِ أيضاً بَعْضُ ما ثَنَوِيَّةِ

وهذا على ما أنتَ تفريهِ لازِمٌ ... فلا بُدَّ مِنْ نَفْيِ ٱلسِّوَى وٱلنقيصةِ

فإنْ لَمْ تَكُنْ نفيَ ٱلنقائِص شاهِداً ... بِصَحْوٍ فَذَا حَتْمٌ عليكَ بِمَحْوَةِ

وما فَرْقُكَ ٱلثاني بِشَيْءٍ وقد أتى ... كما قُلْتَ في دعواكَ مِنْ حال سَكْرَةِ

وَإِنَّكَ قد ألزمت نَفْسكَ وَهْمَها   لدن قُلْتَ عَنْ شَطْحٍ فجمعي كوحدتي
ومَالَكَ مِنْ جَمْعٍ ومالَكَ وَحْدَةٌ   سوى جَمْعِ أعضاءٍ وَوَحْدَةِ طينَةِ

«الجهاد الشرعي»

وجاهِدْ تُشاهِدْ فيكَ منكَ وراءَ ما ... وصفتُ سُكُوناً عن وُجودِ سكينةِ»

قَلَبْتَ بهذا الإفكِ معنى جهادِنا ... فَأَغْفَتْ عيونُ ٱلكافرينَ وَقَرَّتِ

فلا رَحِمَ ٱلرحمنُ مَنْ حَرَّفَ ٱلهُدَى ... وَعَطَّلَ ساحاتِ ٱلجهادِ فَشُلَّتِ

فإنْ قيل إنَّ المصطفى قال مَرَّةً ... يُخاطِبُ أصحاباً بِمَرْجَعِ غَزْوَةِ

مِنَ أدنى جهادٍ قد رجعنا لِأَكْبَرِ ... يريدُ جهادَ ٱلنفسِ عن كل شهوةِ

فما صَحَّ هذا عَنْ لسانِ نَبِيِّنا ... وَلَمْ يُرْوَ هذا مِنْ طريقٍ صَحيحةِ

«فجاهد تُشَاهِدْ فيك منك» مَقَالَةٌ ... تَمُتُّ إلى بوذا بِقُرْبى وَنِسْبَةِ

وإنَّكَ في دعواكَ «شاهدتُ مَشْهدي ... وَهَادِيَّ لي إِيَّايَ بَلْ بِيَ قُدْوَتي»

جَعَلْتَ بِهذا ٱلوهمِ نَفْسَكَ قُدْوَةً ... لِنَفْسِكَ عَنْ جَهْلاءَ لا عَنْ بصيرةِ

فقد أَمَرَ ٱلرحمنُ أَكْرَمَ رُسْلِهِ ... بِأَنْ يقتدي بٱلمرسلينَ بِقُدْوَةِ

كما جاءَ في وَحْيِ ٱلهُدَى «بِهُداهُمُ ٱقْ ... تَدِه» فٱستمعْ هذا بلُبٍّ وَأَنْصِتِ

وفي قدوة «معنى ٱتباعِ طريقةٍ ... وفي أسوةٍ معنى ٱتباعٍ بخطوةِ

وقد جَعَلَ ٱلرحمنُ شَرْعَ محمدٍ ... عليه صلاةُ ٱللهِ أحسنَ شِرْعةِ

وَحَذَّرَ مَنْ يأتي خلافَ محمدٍ ... مُصَاباً أليماً أَوْ مُصَاباً بِفِتْنَةِ

وَلَمْ يَجْعَلِ ٱلرحمنُ غيرَ محمدٍ ... لمنْ كان يرجو ٱللهَ كاملَ أُسْوَةِ

وها أنتَ مُذْ خَالَفْتَ أمرَ محمدٍ ... فَحَقَّ عليكَ ٱلقَوْلُ أعظمَ حِقَّةِ

فمازلتَ مفتوناً كقولِكَ مُعْجَباً ... بِنَفْسِكَ موقوفاً على لَبْسِ غَرَّةِ

فأنتَ بذا أولى وقد قُلْتَ قَبْلَهُ ... «كذاكَ صلاتي لي وَمِنِّي كعبتي»

وإنَّكَ إذْأَلَّهتَ نَفسَكَ لَمْ تَكُنْ ... سوى جاعلٍ فرعونَ موضِعَ قُدْوَةِ

وما زِلْتَ معنى ٱلجَمْعِ تَجْهَلُ إِذْ تَرَى ... «هدى فِرْقَةٍ بٱلاتحادِ تَحدَّتِ»

أَلاَ فَلْتَقُلْ إنْ كانَ ما ثَمَّ مِنْ سوى ... إذاً مَنْ تَحَدَّتْ مَنْ عَنَيْتَ بِفِرْقَةِ

(وَصَرِّحْ بإطلاق ٱلجمالِ ولا تَقُلْ ... بتَقْييدِهِ مَيْلاً لِزُخْرفِ زينَةِ)

(فَكُلُّ مَليحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِها ... مُعارٌ لَهُ بَلْ حُسْنُ كُلِّ مليحةِ)

رَجَعْتَ إلى نَقْضٍ فَإنْ لَمْ يَكُنْ سوى ... فَفِيمَ إذاً تحقيرُ زُخْرُفِ زينَةِ

دَعَوْتَ إلى إطْلاقِ دَعْوىً حَصَرْتَها ... فَمَا زِلْتَ في زَيْغٍ بِدعوىً وَدَعْوَةِ

وكيفَ تَرَى حُسْنَ ٱلمِلاحِ إِعارَةً ... وَدَعْوَاكَ أَنَّ ٱلحقَّ عينُ ٱلخَليقَةِ

تَعَالى عُلاها أنْ تُعَار صِفَاتُها ... وَذَلَّ سِوَاها عَنْ صفاتِ ٱلرُّبُوبَةِ

(بها قَيْسُ لُبْنى هَامَ بَلْ كُلُّ عاشِقٍ ... كمجنونِ ليلى أو كُثَيِّرِ عَزَّةِ)

(فَكُلٌّ صَبَا منهُمْ إلى وَصْفِ لَبْسِها ... بصورةِ حُسْنٍ لاحَ في حُسْنِ صورةِ)

(وما ذاكَ إلاّ أنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرِ ... فَظَنُّوا سواها وَهْيَ فيها تَجَلَّتِ)

«الفرق بين الرب والخلق»

أَرَتْكَ ليلى إذْ بها ضَلَّ قَيْسُها … وَكُلُّ فَتَاةٍ مِثْلَ لَيلى أَضَلَّتِ

أَمَا هَرِمَتْ ليلى وَمَاتَتْ وَأُقْبِرَتْ … وَقَدْ بَلِيَتْ منها ٱلعِظَامُ وَرَمَّتِ

فكيفَ صفاتُ ٱللهِ تبدو بصورةٍ … تَؤُولُ إلى أحوالِ نَقْصٍ وَمَوْتَةِ

فلو كان في ليلى ٱلألُوهةُ لَمْ تَمُتْ … وَلَمْ تنتَقِصْ مِنْ بَعْدِ حُسْنٍ وَقُوَّةِ

ولو ذَاتُ بَارينا بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ … لَكَانَتْ إذاً تِلْكَ ٱلمظاهِرُ ظَلَّتِ

أَلَمْ تَرَ إبراهيمَ أعرضَ أنْ رأى … أُفُولاً وَنَادى بِٱنتفاءِ ٱلمحبةِ

وفي ٱلفَرْقِ بينَ ٱلرَّبِّ وٱلخَلْقِ أَنَّهُمْ … يموتُونَ وٱلرحمنُ لَيْسَ بِمَيِّتِ

فإنْ تَتْلُ «إلاّ وَجْهَهُ» مُتَدَبِّراً … مِنَ ٱوَّلِها تَفْقَهْ حقيقة قولتي

(بَدَتْ بٱحتجابٍ واختفت بمظاهرٍ … على صِبَغِ ٱلتَّلْوينِ في كُلِّ بَرْزَةِ)

(ففي ٱلنَّشْأَةِ الأولى تَرَاءَتْ لآدَمٍ … بِمَظْهَرِ حَوّا قبلَ حُكْمِ ٱلأُمومةِ)

(فَهَامَ بها كيما يكونَ بها أباً … وَيَظْهَرَ بٱلزوجينِ حُكْمُ ٱلبُنُوَّةِ)

(وكانَ ٱبتدا حُبِّ ٱلمَظَاهِرِ بَعْضِها … لِبَعْضٍ ولا ضِدٌّ يُصَدُّ بِبِغْضَةِ)

لَسَرْعَانَ ما ناقَضْتَ فيما ٱدَّعَيْتَهُ … بُدُوّاً بِحَجْبٍ وَٱخْتِفَاءً بِجَلْوَةِ

وَعُدْتَ إلى قَلْبِ ٱلمعاني كَأَنَّما … تَمَثَّلْتَ خَالِفَ تُشْتَهَرْ بَعْدَ غَمْرَةِ

وما مِنْ بُدُوٍّ أو خَفَاءٍ بِذَاتِها … فذلكَ مِنْ معلومِ وَصْفِ الخليقةِ

فإنَّ بُدُوَّ ٱلشيءِ مِنْ بَعْدِ خُفْيَةٍ … وحاشا عُلاها مِنْ بُدُوٍّ وَخُفْيَةِ

وإنَّ بُدُوَّ ٱلشيءِ بَعْضُ ظُهورِهِ … وَعَنْ كُلِّ تبعيضٍ تَعَالَتْ وَجَلَّتِ

وأما ٱلذي في قولهِ «وَبَدَا لَهُمْ … مِنَ ٱللهِ» فٱلمعنى بِفِعْلٍ وَقُدْرَةِ

وما يَنبَغي ٱلتَّلوينُ في كُلِّ بَرزَةٍ ... لِمَنْ جَلَّ عَنْ أَصْبَاغِ لَوْنٍ وَبَرزَةِ

وفي «بَرَزُوا لـلـه» أَبيَنُ حُجَّةٍ ... على أَنَّهُ مِنْ بعض فِعْل البَرِيَّةِ

وَمَا صِبْغَةُ ٱللهِ ٱلتي ٱللهُ قَالَهَا ... سَوى دينه ٱلإسلامِ أَعْظَم مِلَّةِ

وَإِنَّكَ في هذا لأَكْفَرُ كافِرٍ ... تَرَاءَيْتَ ذَاتَ ٱلربِّ في شَكْلِ مَرْأَةِ

لَدُنْ قُلْتَ عَنْ كُفرٍ تَرَاءَتْ لآدَم ... بِمَظْهَرِ حَوّا قَبْلَ حُكْمِ ٱلأُمُومَةِ

فهامَ بها كيما يكونَ بها أباً ... وَيَظْهَرَ بالزوجينِ حكمُ ٱلبُنُوَّةِ

وإنَّكَ إذ مَثَّلْتَ بِٱلخَلْقِ ذاتَهُ ... جَعَلْتَ لَهُ أَدْنى مِثَال ٱلخليقَةِ

فَأَشْبَهْتَ مَنْ يأبى أُبُوَّةَ مَرْأَةٍ ... وَيَرْضَى لِبَارِينا بِتِلْكَ ٱلأُبُوَّةِ

«مَوادُّ الخلق»

وَقَدْ جَبَلَ ٱلرحمنُ طينَةَ آدَمٍ ... وَلَمْ يَكُ شيئاً قَبْلَ جَبْلٍ بِطِينَةِ

وَسَمَّاهُ مَرْءاً خَالِقاً منهُ مَرْأَةً ... مِنَ ٱلضِّلَعِ ٱلعَوْجَاءِ غير ٱلقويمَةِ

فَآدمُ مِنْ طينٍ وَحَوّا مِنْ آدم ... وَمِنْ ذَيْنِ بُثَّتْ أُمَّةُ ٱلبَشَرِيَّةِ

وَقَدْ كُلُّ مَخلُوقٍ تَبَيَّنَ أَصْلُهُ ... وَمَادَّتُهُ ٱلأولى بِذِكْرٍ وَسُنَّةِ

فَمِنْ تُرْبَةٍ أَرْضٌ وَمِنْ دُخْنَةٍ سَمَا ... وَمِنْ مَاءِ ٱلأحياءُ في كُلِّ نَشْأَةِ

وَكُلُّ مَوادُّ ٱلخَلْقِ كانَتْ بِقُدْرَةٍ ... بِأَمْرٍ وَفِعْلٍ لا بِفَيْضٍ وَجَلْوَةِ

كَمَا صَحَّ في خَلْقِ ٱلتُّرابِ كَمَا أَتَى ... بِأَوَّلِ أَيَّامٍ تُعَدُّ بِسِتَّةِ

وفي قولِهِ «ألله خَالِقُ كُلِّ شيءٍ» ... ٱلحُجَّةُ الكُبْرى لِبَدْءِ ٱلخليقةِ

سورة الزمر ٦٢

وَدَعْوى ٱبتدا حُبُّ المظاهِرِ بَعْضِها ... لِبَعْضٍ ولا ضِدٌّ يُضَدُّ بِبِغْضَةِ

تَداخَلُ في شِقَّيْنِ ضَلٍّ وَكِذْبَةٍ ... ولا بُدَّ مِنْ تَبْيينِ ضَلٍّ وَكِذْبَةِ

ضَلالَتُها أَنَّ ٱلمظاهِرَ خَلْقُهُ ... وأنتَ ترى فيها صِفَاتِ ٱلرُّبُوبَةِ

وَكِذْبَتُها في بُغْضِ إبليسَ آدَماً ... وَأَنْتَ تَرَى أَنْ لا وُجُودَ لِبِغْضَةِ

وَأَلْزَمْتَها معنى ٱلتَّدَاخُلِ إذْ تَرَى ... وُجُودَ ٱلوَرَى عَيْنَ ٱتِّحَادٍ وَوَحْدَةِ

فَعِنْدَكَ إبليسٌ وَآدَمُ ذَاتُها ... فهذا كهذا إذْ بكل تَجَلَّتِ

وأنت ترى ما بينَ هذين مِنْ وَغًى ... قِيَامَ صِراعٍ في صفاتِ ٱلأُلُوهَةِ

وإنَّكَ إذْ هذا تقولُ لَجَاهِلٌ ... بِعِزَّةِ الأسماءِ العِظَامِ ٱلكريمةِ

هُوَ ٱللهُ مولانا ٱلسَّلامُ ٱسْمُ ذاتِهِ ... وفي ٱسْمِ السَّلامِ ٱلسِّلْمُ من كل عَيْبَةِ

(وَمَا بَرِحَتْ تبدو وتَخْفى لِعِلَةٍ ... على حَسَبِ الأوقاتِ في كُلِّ حِقْبَةِ)

(وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ في كُلِّ مَظْهَرِ مِنَ ٱللَّبْسِ في أشكالِ حُسْنٍ بديعةِ)

(ففي مرة لُبْنى وَأُخرى بُثَيْنةٍ وَآونَــةً تُــدْعــى بِــعَــزَّةَ عَــزَّتِ)

رَجَعْتَ إلى رُؤيَا بُدُوّ وَخُفْيَةٍ وَزِدْتَ ضلالاً إذ تَقُولُ لِعِلَّةِ

فَأُقْسِمُ لَلْقَوْمُ ٱلذينَ تَفَلْسَفُوا وَهُمْ بِصِفَاتِ ٱللهِ أغبى ٱلبَرِيَّةِ

فَمَعْ كُفْرِهِمْ هُمْ منكَ أهدَى بِرَبِّهِمْ وَمَعْ جَهْلِهِمْ هُمْ منك أَدْنى لِصِحَّةِ

فَهُمْ أَثْبَتُوا عنهُ ٱلوجودَ لِعِلَّةٍ وَأَنتَ تَرَاهُ عَنْ وجودٍ بِعِلَّةِ

وكيفَ تَرَاهُ وٱلمواقيتُ خَلْقُهُ على حَسَبِ ٱلأوقاتِ في كُلِّ حِقْبَةِ

«وَتَظْهَرُ للعشاقِ في كُلِّ مَظْهَرِ» نَقَضْتَ بها بُنْيَانَ وَهْم بِوَحْدَةِ

وَوَصْفُكَ ذَاتَ ٱللهِ بٱللَّبْسِ جَهْلَةٌ بِعِزَّةِ الأسماءِ ٱلعِظَام ٱلمبينَةِ

ففي «ٱلنورِ» و«ٱلحقِّ ٱلمبينِ» تَنَزَّهَتْ عَنِ ٱللَّبْسِ ذاتُ ٱللهِ وَصْفاً وَجَلَّتِ

فإنْ جاءَ في ٱلأنْعَام لَبْسٌ بِفِعْلِها فَعَنْ شَرْطِ مَنْعٍ وَهْوَ عَنْ فِعْلِ قُدْرَةِ

وَمَالَكَ يا وَهْمَانُ تَزْعُمُ دائماً لِذاتِ إلهِ ٱلخلقِ وَصْفَ ٱلأُنُوثَةِ

كَفي مَرَّةً لُبنى وأُخرى بُثَيْنةٍ وَآونَــةً تُــدْعــى بِــعَــزَّةَ عَــزَّتِ

فَسُبْحَانَهُ عَنْ وَصْفِ مَعْنى أُنُوثَةٍ وسبحانَهُ عَنْ وَصْفِ معنى ٱلذُّكُورَةِ

ولا نَــوْعَ إلاّ وٱلإنــاثُ أَخَــسُّــهُ فَسُبْحَانَهُ عَنْ كُلِّ نَوْعٍ وَخِسَّةِ

وهذا ٱعتقادُ المشركينَ فإنَّهُمْ يُحِبُّونَ تَأْلِيهَ ٱلإنَاثِ بِشِرْكَةِ

فَإِنْ تَتْلُ «إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» تجِدْ إذا أَنْتَ تَابَعْتَ ٱلتِّلاوَةَ حُجَّتي

وإنْ تَتْلُ «أَوْثَاناً» كَمَا أُمُّنا تَلَتْ فَٱلأوثَانُ فيها مِنْ مَعاني ٱلأُنُوثَةِ

وإنْ «أُثُناً» مِثْلَ ٱبنِ عَبَّاسَ تَتْلُها فَمِنْ لَفْظَةِ ٱلأُنْثَى تَسَمَّتْ وَشُقَّتِ

وفي كُلِّها مَعْنى مَوَاتٍ وَذِلَّةٍ وَعَنْ كُلِّها تعلو صِفَاتُ ٱلأُلُوهَةِ

(وَلَسْنَ سواها لا ولا كُنَّ غَيْرَها وَمَا إنْ لَها في حُسْنِها مِنْ شَرِيكَةِ) ①

(كَذَاكَ بحكم ٱلإتحادِ بحسنها كما لي بَدَتْ في غيرها وتزيَّتِ)

لَهَذانِ بيتانِ ٱلتَّنَاقُضُ فيهما كَمُحْدَثِ أحوالِ ٱلضَّلالِ بِأُمَّتي

فَبَيْنا ٱدَّعَيْتَ ٱلقَوْلَ ما كُنَّ غَيْرَها تَقُولُ بَدَتْ في غيرها وَتَزَيَّتِ

اشارة الى قوله تعالى في سورة النساء ١١٦ ان يدعون من دونه الا إناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا

وما كانَ بينَ ٱلقَوْلَتَيْنِ مِنَ ٱلمَدَى ... سوى أحرُفٍ تُتْلى بِعُشْرِ دَقِيقَةِ

فَمَنْ ضَلَّ عَنْ قَوْلٍ بِعُشْرِ دَقيقةٍ ... فكيفَ يُرى شَيْخَ ٱلأمورِ الدَّقِيقَةِ

فَأُقسمُ ما مِنْ وَاهِمٍ متناقضٍ ... يوازيكَ إلا راهبٌ ذو كنيسةِ

وأُقْسمُ ما من مُدَّعٍ مُتَكَبِّرٍ ... يجاريكَ إلاّ حاكمٌ ذو عروبةِ

وَهَلْ منْ جَبَانٍ خائنٍ في زماننا ... كَحُكّامِ ما يُدعى بلاد العروبةِ

هُمُ جعلوا الإسلامَ خلفَ ظهورهم ... ودانوا بأديانِ البلادِ الكفورةِ

وَهُمْ حاربوا الإسلامَ في كل وِجْهَةٍ ... وَهُمْ آزروا ٱلكُفَّار في كلِّ وِجْهَةِ

فإن يظهروا الإسلامَ ذكرى وزينةً ... فما أظهروا إلا ضلالةَ بِدْعَةِ

فَشَيْخٌ وحاخامٌ وَقَسٌّ وكاهِنٌ ... تَراءَوْا جميعاً في نفاقِ المودة

فلو كنت في أزماننا يا ٱبن فَارِضٍ ... لَكُنْتَ لدى الحُكامِ شيخَ الطريقةِ

فحكامنا في عصرنا كُلُّ خائنٍ ... يُعَيِّنُهُ ٱلكفارُ من كلِّ مِلَّةِ

فحيناً يُوَلّى بٱنتخابٍ مُخَطَّطٍ ... وحيناً بأفلامِ ٱنقلابٍ وثورةِ

وفي عصرنا الإسلامُ صار تجارةً ... يُسَوَّقُ بٱسمِ ٱلدعوةِ الحركيةِ

وأعداؤهُ أشياخُهُ كُلُّ جاهلٍ ... عليم بغير ٱلسنةِ النبويةِ

شيوخٌ عضاريطٌ لئامٌ أذلةٌ ... لِأُمِّهِمُ ٱلويلاتُ من سيف أمتي

يُناجون حكام الضلالِ بِهَمْسَةٍ ... ويدعون ربَّ ٱلعالمينَ بصَرْخَةِ

ترى كلّ شيخٍ مِثلَ كلبٍ مطَأطِئاً ... لدى حاكمٍ كلب لكلبِ ٱلفرنجةِ

يجيءُ إلى باب الزعيم بذلَّةٍ ... ويأتي إلى بيتِ الإلهِ بِعزَّةِ

لهُ بطنُ تمساحٍ وقلبُ حمَامَةٍ ... وأنيابُ ضرغامٍ وَمِنْخرُ هِرَّةِ

فما بالُ وُرَّاثِ ٱلنبيِّ بِزعْمهِمْ ... يبيعونَ ميراثَ ٱلنبيِّ بِلُقْمَةِ

يَخرُّونَ للأذقانِ عند طغاتِهِمْ ... وَيُفْتُونَهُمْ بٱلكاذباتِ ٱلمضِلَّةِ

امِنْ أَجْلِ أنْ تحيا أُورُبّا وَأَمْرِكٌ ... يُحَارَبُ دينُ ٱللهِ في كُلِّ دولةِ

فَأُقسمُ بٱلمولى لَظُفرُ بِمُسْلمٍ ... يُشَرِّفُ أُورُبّا وأُمَّ أَمْرِكَةِ

فَإِنْ تَذْرفِ ٱلعينانِ دمعاً لأُمَّةٍ ... فلا تذرفي عَيْنَايَ إلا لِبُوسْنَةِ

فلو كُنتُ مرءاً أُحسِنُ ٱلنَّدْبَ لَمْ أَزَلْ ... أُبَكِّي على البُوسْنى نهاري وليلتي

ولكنني لا أحسنُ النَّدْبَ في الوَغى ... وَأُحْسِنُ ضَرْبَ ٱلكافِرِ ٱلمُتَغَطْرِتِ

(بَدَوْتُ لها في كُلِّ صَبٍّ مُتَيَّمِ ... بِأَيِّ بَديعٍ حُسْنُهُ وَبِأَيَّةِ)

(وليسوا بغيري في ٱلهوى لِتَقَدُّمٍ ... عَلَيَّ لِسَبْقٍ في ٱلليالي ٱلقَدِيمَةِ)

(وما ٱلقومُ غيري في هواها وَإِنَّما ... ظَهَرْتُ لَهُمْ لِلَّبْسِ في كُلِّ هيئَةِ)

(ففي مَرَّةٍ قَيساً وأُخرى كُثَيِّراً ... وَآونةً أبدو جميلَ بُثَيْنَةِ)

(تَجليتُ فيهم ظاهراً وٱحْتَجَبْتُ با ... طناً بهِمْ فٱعجَبْ لِكَشْفٍ بِسُتْرَةِ)

(وَهنَّ وَهُمْ لا وَهْنَ وَهُم مَظاهِرٌ ... لنا بِتَجَلِّينا بِحُبٍّ وَنُضْرَةِ)

(فَكُلُّ فتى حُبٍّ أَنا هو وَهْيَ حِـ ... بُّ كُلِّ فَتىً وٱلكُلُّ أَسْمَاءُ لُبْسَةِ)

(أسامٍ بها كنتُ ٱلمُسَمّى حقيقَةً ... وَكُنْتُ لِيَ ٱلبادي بِنَفْسٍ تَخَفَّتِ)

جَعَلْتَ بهذا ٱلجَهْلِ نَفْسَكَ نِدَّها ... وَعَنْ كُلِّ ما نِدٍّ تعالَتْ وَجَلَّتِ

وها أنت بٱلأوهامِ تَسْلُبُ وَصْفَها ... لِتُوجِبَ وَهْماً فيكَ وَصْفَ ٱلأُلوهةِ

وَنَفْسَكَ قد عَظَّمْتَ فوقَ جَلالِها ... بِجَعْلِكَها تبدو لديكَ كمرأةِ

أَلَمْ تَكُ نُطْفاً مِنْ مَنِيٍّ مُخَلَّقٍ ... تَنَزَّلَ مِنْ عَوْرَيْ رُجَيْلٍ وَمَرْأَةِ

فَلَمّا ٱلتي فيها تَلَبَّثْتَ أَشْهُراً ... أَمَا طَتْكَ عَنْها فٱلتُفِفْتَ بِخِرقَةِ

فما زِلْتَ دَهْراً في ٱحتياجٍ وَفاقَةٍ ... إلى أَنْ بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وٱلغايَةَ ٱلتي

فكيف إذاً ليسوا بِغَيْرِكَ في ٱلورى ... وإنْ سَبَقُوا في ٱلسَّالِفَاتِ ٱلقديمَةِ

فَإِنْ كنتَ حقّاً مثلَ دعواكَ إنَّما ... ظَهَرْتَ لَهُمْ لِلَّبْسِ في كُلِّ هَيْئَةِ

ففي مَرَّةٍ قَيْساً وَأُخْرى كُثَيِّراً ... وَآوِنَةً تبدو جميلَ بُثَيْنَةِ

فجئنا لِذِي ٱلدَّعوى بدالِ أَدِلَّةٍ ... فَدَالُ ٱلدَّعاوَى غيرُ دالِ ٱلأَدِلَّةِ

وَمَالَكَ لَمْ تَعْتَشْ بِوَصْفٍ مُخَصَّصٍ ... وَمِتَّ كما ماتَتْ جُموعُ ٱلبرِيةِ

وَإِنْ تَكُ حقاً مَنْ ذكرتَ من ٱلورى ... جميلاً وَقَيْساً وٱلمُعَنَّى بِعَزَّةِ

فَمَالَكَ لَمّا كنتَ هُمْ ظَلْتَ صامِتاً ... سوى عن هوى ليلى وعَزّ وَبَثْنَةِ

فإنْ كُنتَ فيهِمْ قَدْ تَجَلَّيْتَ ظاهراً ... فَأَيْنَ إذاً فيهِمْ مظاهِرُ جَلْوَةِ

فَرَاجِعْ هوى عُشّاقِ ليلى وغَيْرِها ... تَجِدْ غيرَ ما دَعْوَاكَ فيهِمْ تَجَلَّتِ
فما فيهِمُ إلاّ مُحِبٌّ مُتَيَّمٌ ... بِمَحْبُوبَةٍ طِينِيَّةٍ بَشَرِيَّةِ
وَقَدْ ظَلَّ كلٌّ في هوى مَنْ أَحَبَّها ... إلى أنْ تَخَلّى في خَلاءٍ بِحُفْرَةِ
فكيفَ إذاً إيّاكَ كانوا وكنتَ هُمْ ... على وَحْدَةِ ٱلمحبوبِ حَالَ ٱلمَحبَّةِ
«فَهُنَّ وَهُمْ» مِنْ حَيْثُ دَعْوَاكَ رَبُّنا ... تَعَالى عُلاهُ ثُمَّ أَنْتَ ٱبنَ طينَةِ
فإنْ قُلْتَ إني كُنْتُ ذَاتَ ذَوَاتِهِمْ ... وكانوا صِفَاتي في ظُهوري وَخُفْيَتي
كدعوى «أَسَامِ كنتُ فيها حقيقةً ... وكُنْتُ لِيَ ٱلبادي بِنَفْسٍ تَخَفَّتِ»
فَدَعْوى أسامٍ كنتُ فيها حقيقةً ... تلي مُدَّعى وٱلكُلُّ أَسْمَاءُ لُبْسَةِ
فإن قُلْتَ هُمْ لَبْسي وإني حقيقَةٌ ... نَقَضْتَ ٱبتداءَ ٱلبَيْتِ أَوَّلَ شَطْرَةِ
«فَكُلُّ فتى حُبّ أنا هو» فَهُو هُنا ... حقيقٌ أنا إنْ كنتَ ذا عَرَبِيَّةِ
وَقُلْ لي لَدُنْ ما كنتَ قيساً وَزَوَّجْتَ ... لِآخَرَ ليلى مِنْ شَبَابِ ٱلفُتُوَّةِ
فَأَيُّهُما إذْ ذَاكَ كُنْتَ أَتَيْسَها ... أَمِ ٱلزَّوْجَ أَمْ ٱلإثنينِ كُلاًّ بصورةِ
فإنْ كنتَ قيساً فٱلمؤكّدُ تابِعٌ ... «فَكُلٌّ» لدى توكيدِها كُلُّ وُكْدَةِ
وإنْ كنتَ زوجاً لَمْ يَعُدْ قيسُ صَبَّها ... وإنْ كنتَ كُلاًّ فَهْيَ عَنْ ثَنَوِيَّةِ
كذلكَ يأبى أنْ تكونَ كِلَيْهِما ... على أصْلِكَ ٱلمزعومِ نَفْيُ ٱلبُغَيْضَةِ
ولا بُغْضَ بَعْدَ ٱلدين في مُهَجِ ٱلورى ... كَمَا بينَ ما زَوْجٍ وَخِدْنٍ لِمَرْأَةِ
فلو لا جميلاً كُنْتَ أَذْكَرْتَ لَعْنَةً ... قَذَفْتَ بِها مَنْ صار زَوْجَ بُثَيْنَةِ
وقالَ لها لَمّا نُبَيْهاً تَزَوَّجَتْ ... أُعيذُكِ بٱلرحمنِ مِنْ عَيْشِ شِقْوَةِ
وكيفَ إذاً وٱلذَّاتُ أَنْتَ وَهُمْ رُؤىً ... تَدَنَّيْتَ عَنْهُمْ في مَقَامٍ وَرُتْبَةِ
فلا أَنْتَ في ٱلأحوالِ تَبْلُغُ شَأْوَهُمْ ... ولا في مَجَالِ ٱلقولِ وَٱلعَرَبِيَّةِ
وَقَدْ قَلَّ ما في قَوْلِهِمْ مِنْ تَنَاقُضٍ ... وفيكَ ٱنتِقَاضٌ فوقَ ٱنْقَاضِ خِرْبَةِ
(وَمَازِلْتُ إيّاها وإيّايَ لَمْ تَزَلْ ... ولا فَرْقَ بَلْ ذاتي لِذَاتي أَحَبَّتِ)

«الأسماء الحسنى»

«الفرق بين الحق والخلق»

لَـقَـوْلُـكَ يـا أَفَّـاكُ مـا زِلـتُ زَلَّـةٌ ... فَـمَـا كـانَ إلاّ آلـلـهُ ذو آلأَحَـدِيَّـةِ

ولـو كـنـتَ إِيّاهـا وإيـاكَ لَـمْ تَـزَلْ ... لَمَا ظَلْتَ في ذُلّ وَضَعْفٍ وَحَيْرَةِ

ولـو كـنـت إياهـا وإيـاكَ لَـمْ تَـزَلْ ... لأَوْحَـتْ لـنـا هـذا بـآيِ وسـورةِ

وقولُكَ «لا فَرْقَ» الـجَـهَـالَةُ كُلُّها ... فَما ثَمَّ إلاّ الفَرْقُ فَآسْمَعْ وَأَنْصِتِ

فليسَ كَمِثْلِ اللّهِ شيءٌ وما لَهُ ... سَـمِـيٌّ ولا شِـرْكٌ بِـأَيٍّ وَأَيَّـةِ

وإنَّـكَ مـخـلـوقٌ سَـمِـيٌّ مُـمَـاثِـلٌ ... وَمِثْلُكَ مشهـودُ الـوجـودِ بـكـثـرةِ

هـو الـلّـهُ إِيَّـاهُ الـعـوالـمُ تـرتـجـي ... بِـحُـبّ وَتَـحْـنَـانٍ وَرَهْـبٍ وَرَغْـبَـةِ

ولـسـتَ بـمـألـوهٍ ولا لَـكَ آلِـهٌ ... ولا تُرْتَجَى في أَيِّ رَغْبٍ وَرَهْبَةِ

هـو الـربُّ يـغـذو خَـلْـقَـهُ وَيَـرُبُّـهُـمْ ... وَإِنَّـكَ مَـغْـذُوٌّ تُـرَبُّ بِـنِـعْـمَـةِ

يَـعُـمُّ آسـمُـهُ الـرحـمنُ كُـلاً بـرحـمـةٍ ... وَيَخْتَصُّ بالاسمِ الرحيمِ بِرَحْمَةِ

وَلَـسْـتَ بـرحـمـنٍ تَـعُـمُّ عـبـادَهُ ... وَعَنْ رحمةِ التَّخْصيصِ تَعْيَا بِمُهْجَةِ

وَيَـرْحَـمُ إحـسـانـاً وَتَـرْحَـمُ حـاجـةً ... لِتَخْلُصَ مِنْ إِحْسَاسِ عَطْفٍ وقسوةِ

فَـرَحْـمَـتُـهُ فَـضْـلٌ ورحـمـةُ غـيـرِهِ ... تـعـودُ عـلى نَفْسِ الـرحيـم بِنَفْعَةِ

ورحـمـتُـهُ جَـلَّ آسـمُـهُ صـفـةٌ لَـهُ ... وَتَـرْحَـمُ مِـنْ تـأثـيـرِ حـالٍ وَهَـيْـئَـةِ

هو الملكُ الحقُّ الذي الكونُ مُلْكُهُ ... وإنَّـكَ مـمـلـوكٌ لَـهُ غـيـرُ مُـفْـلَـتِ

وربُّـكَ قُـدُّوسٌ تَـقَـدَّسُ ذاتُـهُ ... عَنِ السوءِ والبَلْوَى وَعَنْ كُلِّ عِلَّةِ

وإنَّـكَ ذو نَـقْـصٍ وتـأتـيـكَ آفَـةٌ ... ولـم تَـخْـلُ مِنْ أحوالِ سُوءٍ وَسَوْءَةِ

وإنَّ السَّلامَ اَسمُ لِرَبِّكَ راحِمٌ ... وفي اَسمِ السَّلامِ السِّلْمُ مِنْ كُلِّ عَيْبَةِ

ويدعو إلى دارِ السلامِ بِفَضْلِهِ ... وَشَقَّ لنا منهُ سلامَ التحيَّةِ

وَكَمْ فيكَ مِنْ معنى اَضطرابٍ وَعِلَّةٍ ... يُخالِفُ معنى السِّلْمِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ

هو المؤمنُ الحقُّ المصدِّقُ رُسْلَهُ ... وَيُؤْمِنُهُمْ والمؤمنينَ بِرَحْمَةِ

وإنَّكَ إنْ تؤمنْ فعن آيِ حُجَّةٍ ... ولستَ بِأَمَّانِ القلوبِ بِفَزْعَةِ

وربُّكَ فوقَ العالمينَ مُهَيْمِنٌ ... وإنك عمّا فيكَ في حالِ غَفْلَةِ

وَإنَّ العزيزَ اللّهُ والعِزُّ وَصْفُهُ ... وكم لَكَ يا مسكينُ مِنْ وَصْفِ ذِلَّةِ

وَرَبُّكَ جَبَّارٌ ومعناهُ قَدْ عَلا ... بِهَيْمَنَةٍ عَنْ أَنْ يُنالَ وَعِزَّةِ

فَتَفْسِيرُ جَبَّارٍ بِمِقْوَلٍ يَغْرُبِ ... على عِظَمٍ يأتي وَطُولٍ وَرِفْعَةِ

كما سُمِّيَتْ جَبّارَةً كُلُّ ناقَةٍ ... إذا عَظُمَتْ حجماً وطالَتْ وَنَخْلَةِ

فَرَبُّكَ جَبّارٌ تعالى عُلُوُّهُ ... عَنِ الوهمِ أَنْ يَرْقَى إليهِ بِخَطْرَةِ

وَلَسْتَ بِجَبّارٍ ومالكَ رِفْعَةٌ ... وَمَهْمَا تَعِشْ في الأرضِ تُطْمَرْ بِحُفْرَةِ

كذلك جَبَّارٌ بِمِقْوَلٍ يَغْرُبِ ... يَجِيءُ على إصلاحِ حالٍ وَجَبْرَةِ

وربُّكَ جَبّارُ العِظَامِ بِفِطْرَةٍ ... وَجَبَّارُ أصداعِ القلوبِ الكَسِيرَةِ

وإنَّكَ عَنْ جَبْرِ القلوبِ لَعَاجِزٌ ... وَتَحْتَاجُ في تَجْبِيرِ عَظْمٍ لِخِرْقَةِ

وَبِالحقِّ سَمَى نَفْسَهُ مُتَكَبِّراً ... وأنتَ وضيعٌ ذو صفاتٍ حَقِيرَةِ

فَإنَّ رداءَ الكبرياءِ حقيقةً ... لِرَبِّكَ لا للمدَّعينَ الأَضِلَّةِ

لَهُ الكِبْرياءُ الحقُّ عِزَّةُ ذاتِهِ ... وَمَا لِلْعِبِدّى غيرُ عِزِّ العُبُودَةِ

وَمَنْ يَتَكَبَّرْ دونَهُ مِنْ عبادِهِ ... يَذِلَّ وَيُقْمَعْ بَعْدَ كِبْرٍ بِذِلَّةِ

فإنَّ لَهُ في الكبرياءِ لَمِدْحَةً ... وليس لهم في الكِبْرِ غيرُ المَذَمَّةِ

وَرَبُّكَ خَلّاقٌ وأنتَ خليقةٌ ... وَكَمْ بينَ خَلّاقٍ وبينَ خَليقَةِ

فَمِنْ عَدَمٍ أَحْيَا وَقَدَّرَ مُوجِداً ... بِإِبْدَاعِهِ لا عَنْ مِثَالٍ وَهَيْئَةِ

إذا شَاءَ شَيْئاً قَالَ كُنْ فَيُكَوَّنَنْ ... فَهَلْ أنتَ فَعَّالٌ بِكُنْ أَيَّ فِعْلَةِ

فإنْ كنتَ فَعّالاً بنفسِكَ خالقاً ... فَمِنْ عَدَمٍ أَوْجِدْ لنا ثُلْثَ ذَرَّةِ

فَخَلْقُ المسيحِ الطَّيْرَ مِنْ طِينَةِ الثَّرى وَلَيْسَ مِنَ الّلاشَيْءِ جَاءَ بِطِينَةِ
فَعَنْ عَدَمٍ لَنْ يستطيعَ ٱبنُ مريمٍ ولا المـلأُ الأَعْلَوْنَ خَلْقَ ذُرَيْرَةِ
وَعَنْ عَدَمٍ لَنْ تَسْتَطيعَ ولا الورى إلَى أَبَدِ الآبادِ إيجادَ قِشْرَةِ
وفي بارِيءٍ والبَرْءُ مِمّا قَطَعْتَهُ كما قيلَ في بَرْيِ اليَرَاعِ بِبَرْيَةِ
فَرَبُّكَ خلاّقٌ مِنَ العَدَمِ البَرَى وَبَارِئُنا منهُ بِحَجْمٍ وَجُثَّةِ
وذلك مِنْ تَقْدِيرِ رَبِّكَ وَحْدَهُ كما شَاءَ مِنْ أَحْجَامِ خَلْقٍ بِقُدْرَةِ
وإنَّكَ إنْ تَقْطَعْ عَجِيناً لِخَبْزِهِ تَزِدْ منهُ أَوْ تُنقِصْ لَدُنْ كُلِّ قِطْعَةِ
فإنْ ترقُبِ الأُنثى إذا العَجْنَ قَرَّصَتْ تَجِدْها تَزِدْ أو تَنْتَقِصْ كُلَّ قُرْصَةِ
وَمِنْ كُلِّ ما حَجْمٍ ترى اللّهَ بارئاً عَجَائِبَ مِنْ أنواعِ شَكْلٍ وَهيْئَةِ
فَبَيْنَا ترى كالطَّوْدِ فيلاً مُفَخَّماً تَرَى مثلَ شَكْلِ الفيلِ جِسْمَ بَعُوضَةِ
وبينا تُرى في بَطْنِ نَسْرٍ قُمَامَةٌ تُرَى في بُطونِ النَّحْلِ كالصَّيْدَلِيَّةِ
ومِنْ باطنِ الباقُورِ والنَّحْلِ فائِضٌ شرابانِ من أنهار فردوسِ جَنَّةِ
وأنواعُ طيبٍ مِنْ نباتٍ وَمِنْ ثرى وما مثلُ مِسْكٍ مِنْ غزالٍ بِسُرَّةِ
وفي كُلِّ ما الرحمنُ يَبْرَأُ حِكْمَةٌ وما يبرأُ الرحمنُ مِنْ غَيْرِ حِكْمَةِ
وَرَبُّكَ رَبُّ العرشِ رَبٌّ مُصَوِّرٌ على غيرِ ما أمثالِ سَبْقٍ وصورةِ
وإنَّكَ إنْ تَجْهَدْ برسمٍ لصورةٍ فَعَنْ سَبْقِ أمثال وَحَاجَةِ رِيشةِ
فإنْ تَرْتَسِمْ عَنْ غيرِ نَقْلٍ تَخَيُّلاً فَلَنْ تَرْسِمَنْ إلاّ ٱقتباسَ حقيقةِ
فرأسٌ كرأسٍ جَبْهَةٌ مثلُ جَبْهَةٍ وأنفٌ كأنفٍ مُقْلَةٌ مثلُ مُقْلَةِ
ففي كُلِّ ما شَكْلٍ خُطوطٌ دقيقةٌ تَلاقَى جميعاً في خُطُوطٍ عريضَةِ
وما ثَمَّ إلاّ اللّهُ لا شيءَ غَيْرُهُ يُصَوِّرُ عَنْ إبْداعِ خَلْقٍ وَقُدْرَةِ
وَرَبُّكَ غَفَّارٌ سَتِيرٌ لتائبٍ وَيَغْفِرُ فَضْلاً منهُ عَنْ غير تَوْبَةِ
وإنك إن تَغْفِرْ إساءةَ مُخْطِيءٍ فَعَنْ حالِ خوفٍ أو رَجَاءَ مَثُوبَةِ
وربُّكَ قَهّارٌ على الأمر غَالِبٌ وَإِنَّكَ مَقْهُورٌ بِضَعْفٍ وَمَوْتَةِ
وَرَبُّكَ قَهّارٌ على الخلقِ قادرٌ هو القاهِرُ ٱقْرأها بِذُلٍّ وَأَخْبِتِ

وإنكَ إنْ تَقْهَرْ تَنَلْكَ مَشَقَّةٌ ... ويَقْهَرُنا القهارُ دون مشقَّةِ

وربك وهَّابٌ وَمَعْناهُ أنهُ ... بِلا عِوَضٍ يُعطي وَعَنْ غيرِ رَجْعَةِ

وشاهدُ معناهُ من الذكر عندما ... دعاهُ به مَنْ صار سلطانَ جِنَّةِ

فقال له الوهّابُ «هذا عطاؤنا ... «بغير حسابٍ» فاْقْتِرئها بسورةِ

وأنت لَدُنْ تعطي فمن فضل خيرهِ ... وَعَنْ عِوَضٍ يُرجى لكل عطيةِ

فإنْ تُعْطِ للدنيا ارْتَجَيْتَ لدارها ... وإنْ تُعْطِ للأخرى ارْتجيتَ بِجَنَّةِ

وربك رزاقٌ ينيلُكَ رزقَهُ ... وإنكَ مرزوقٌ تُنالُ بِرَزْقَةِ

وربك فَتّاحٌ ومعناهُ حاكمٌ ... يَميزُ ويقضي في أمور البريةِ

فإنْ تبغِ للتفسيرِ ذا خيرَ حُجَّةٍ ... ففي «رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا» خيرُ حُجَّةِ

وربك فَتّاحٌ ومعناهُ فاتِحٌ ... بفضلٍ عظيمٍ كُلَّ مُحْدَثِ نِعْمَةِ

وبُرهانُها «ما يَفْتَحِ اللّهُ» فاقْتَرِئْ ... كما أُنْزِلَتْ مِنْ غيرِ وَقْفٍ وَسَكْتَةِ

وما أنتَ فَتّاحٌ بإحداثِ نِعْمَةٍ ... ولا أنت فَتّاحٌ بِحُكْمِ قَضِيَّةِ

وإنَّكَ إنْ تَحْكُمْ بأمرِ قَضِيَّةٍ ... فَعَنْ قولِ أشهادٍ وترجيح كَفَّةِ

وربكَ عَلاّمُ الغُيوبِ عليمُها ... ومِنْ بَطْنِ أُمٍّ قَدْ خَرَجْتَ بِجَهْلَةِ

وربك رَبٌّ قابِضٌ وَهْوَ باسِطٌ ... ولستَ بذي حَوْلٍ لِقَبْضٍ وَبَسْطَةِ

وربكَ رَبٌّ خافِضٌ وَهْوَ رافِعٌ ... وما لَكَ مِنْ شأنٍ بخفضٍ وَرَفْعَةِ

مُعِزٌّ مُذِلٌّ والسُّوَى أنتَ والورى ... على ما قضى مِنْ حالِ عِزٍّ وذِلَّةِ

سميعٌ بصيرٌ يَسْمَعُ السِّرَّ يُبْصِرُ الذُّ ... رَيْرَةَ مِنْ ذَرٍّ بِجَوْفِ الذُّرَيْرَةِ

وإنكَ محدودٌ بِسَمْعٍ وَمُخْصَرٌ ... وإنَّكَ عمّا فيكَ في نَقْصِ رُؤْيَةِ

ولستَ بِسَمّاعٍ لنفسكَ في الكرى ... ولا تُبْصِرُ المَخْفِيَّ منكَ بِمُقْلَةِ

هو الحَكَمُ العَدْلُ الذي الخَلْقُ ملكُهُ ... فَيَحْكُمُهُمْ فضلاً بعدلٍ وحكمةِ

وإنَّكَ إنْ تحكُمْ فَتَعْدِلْ فَعَنْ هُدىً ... مِنَ اللّهِ توفيقاً وعنهُ بِشِرْعَةِ

وإنَّكَ إنْ تَعْدِلْ فَراجٍ مَثُوبَةً ... بِمَدْحٍ بدنيا أو بأجرٍ بِجَنَّةِ

وما عَدْلُ جَبّارٍ لَهُ المُلْكُ كُلُّهُ ... كَعَدْلِ ضعيفٍ ما لَهُ مُلْكُ ذَرَّةِ

فذو الملكِ لا يخشى انتقامَ عبادِهِ ... وذو الضَّعْفِ يَخْشى مِنْ إباءٍ وثورةِ

لطيفٌ بالأشياءِ الإلهُ جميعها ... فَسُبْحَانَ مَنْ ألطافُهُ الخَلْقَ عَمَّتِ

وإنك إن تَلْطُفْ بشيءٍ فَرِقَّةٌ ... تُحِسُّ بها مِنْ حالِ أصحابِ رِقَّةِ

فَلُطْفكَ مِنْ تأثيرِ نفسٍ لطيفةٍ ... وَرَبُّكَ خَلاّقُ النفوسِ اللَّطِيفَةِ

لطيفٌ يَرى دِقَّ الغَوامِضِ لُطْفُهُ ... وَمِنْ لُطْفِهِ خَلْقُ الذَّواتِ الضَّعيفَةِ

لطيفٌ بأحكام القضاءِ بِخَلْقِهِ ... بِمَحْوِ بلاءٍ أو بِنَسْخِ شريعةِ

لطيفٌ بِبَسْطِ الرزقِ فانْظُرْ بِعِبْرَةٍ ... إلى سَعَةِ الأسباب في خَلْقِ لُقْمَةِ

لطيفٌ بإنزالِ البلاءِ بعبده ... فيبعثُ في البلوى نسيمَ السَّكينةِ

لطيفٌ بإحساسِ الشُّعورِ بغافلٍ ... فَيَفْتَحُ للإحساسِ عين البَصيرَةِ

لطيفٌ بأحلامِ النساءِ مُيَسِّرٌ ... لَهُنَّ الأماني في حَنَانٍ وَرَأْفَةِ

لطيفٌ بأشجانِ العَوَاقِرِ وَاهِبٌ ... لَهُنَّ الذَّراري بَعْدَ يَأْسٍ وَشَيْبَةِ

لطيفٌ بِتَخْليقِ الجَنِينِ وَحِفْظِهِ ... بِمُسْتَوْدَعِ الأرحامِ طيلةَ تِسْعَةِ

لطيفٌ بِنَفْخِ الروحِ يُوصِلُ مَسَّها ... إلى قلبِ أُمٍّ عند تحريكِ نَفْخَةِ

لطيفٌ بإخراجِ الجنينِ منَ أُمِّهِ ... على حال يُسْرٍ كانَ أو حالِ عُسْرَةِ

ففي ساعةِ الإخراجِ لِلأُمِّ زُلْفَةٌ ... تَحُلُّ بها أعلى مَقَامٍ وَرُتْبَةِ

فَحِينئذٍ يُرْجى اسْتجابُ دُعائِها ... وتغدو بأجرٍ مثل أجرِ الشهيدةِ

فَمَا لم تَنَلْهُ في جهادٍ بساحةٍ ... تَنَلْهُ بِلُطْفٍ في ثَنَايا الحَشِيَّةِ

لطيفٌ بإحداثِ البِشَارَةِ في الورى ... لَدُنْ مولدِ الأطفالِ مِنْ بَعْدِ كِشْرَةِ

فَتُشْرِقُ بالبُشْرى وجوهٌ كثيرَةٌ ... وَتَنْفَعِلُ الأحداثُ عنها بِكَثْرَةِ

يتوبُ أبٌ تحنو حَمَاةٌ وترتجي ... عقيمٌ ويحيا حُبُّ زوجٍ وَزَوْجَةِ

لطيفٌ يُنَسِّي الأُمَّ آلام وَضْعِها ... إذا نَظَرَتْ للطفل أَوَّل نَظْرَةِ

فَرَاقِبْ تَجِدْ ما بين أُمٍّ وَطِفْلِها ... لدى النظرةِ الأولى تَعَانُقَ عَوْدَةِ

فأقسمُ بالرحمنِ لَمْ أَرَ رِقَّةً ... كَتَحْنَانِ أمٍّ عندَ عَطْفٍ بِمُقْلَةِ

سوى رؤيةٍ أبصرتُ فيها نَبِيَّنا ... عليهِ مِنَ الرحمنِ أزكى التَّحِيَّةِ

فأبصرتُ مِنْ تَحْنَانِ عَيْنَيْ محمدٍ بحارَ حَنَانٍ وَصْفُها فوق قُدْرتي
فلو أنَّ تَحْنَانَ الأُمومَةِ كُلَّهُ تَجَسَّدَ بحراً صَارَ مثلَ المَجَرَّةِ
وأرسلَ مِنْ عَيْنَيْهِ لَمْحاً محمدٌ لَذَابَ لَهُ تَحْنَانُ بحرِ الأمومةِ
وإني على ما قلتُهُ لَمُقَصِّرٌ فقيرٌ بأفكاري ضعيفٌ بِجُمْلَتي
كذلكَ دَأْبي في ٱمتداحِ محمدٍ يُقَصِّرُ قولي عَنْ شُعُورِ مَحَبَّتي
وكنتُ إذا حاولتُ مَدْحَ محمدٍ تَفِيضُ بأنهارِ عُلْيٍّ بديهتي
فأنظمها حتى إذا ما تَسَطَّرَتْ فأشهدُ فيها ضعف لفظي وقولتي
وذلك أني في امتداحِ محمدٍ كَمَنْ رامَ إحْصَاءَ النُّجُوم بِعَدَّةِ
إذا عَدَّ منها خَمْسَةً زَاغَ طَرْفُهُ فَيَبْدأُ عدّاً خمسةً بَعْدَ خَمْسَةِ
فَأُقْسِمُ لو أعْطيتُ مليارَ مِقْوَلٍ وأعطيتُ مِلْيَارَيْنِ مِنْ مثلِ مُقْلتي
وَأَصْبَحَ ماءُ المُزْنِ حِبْراً مُنَزَّلاً وذي الأرضُ كُلُّ الأرضِ صارتْ كَصَفْحَةِ
وحاولتُ مَدْحَ المصطفى لَمْ أُوَفِّهِ مِنَ المدْحِ إلاّ عُشْر مِعْشَارِ نُقْطَةِ
فَسُبْحَانَ مَنْ سَوّى النبيَّ بفضلهِ وأنزلَ فَضْلاً فيهِ أعظمَ مِدْحَةِ
وإنْ يَشَأ الرحمنُ يَجْعَلْ عبادَهُ جميعاً على أخلاقِ خيرِ البريةِ
فما كانَ لولا اللّهُ شيئاً محمدٌ وما كانَ لولا اللّهُ كُلُّ الخليقةِ
لطيفٌ بقبضِ الروحِ يُحْدِثُ سَكْرَةً يغيبُ بها المقبوضُ في غيب رُؤيَةِ
وأحسبُ لولا سكرةُ الموت أَنْ أَتَتْ فَغَابَ بها المقبوضُ عَنْ دار زينةِ
لَكَانَ خروجُ الروحِ مِنْ جسم كافرٍ كَمُنْفَجِرِ البُرْكانِ مِنْ قَهْرِ حَسْرَةِ
نَجِيءُ إلى الدنيا بضعفٍ وَغَفْلَةٍ ونمضي إلى الأُخرى بِضَعْفٍ وَغَفْلَةِ
إلهِيَ هَبْ لي منك لُطْفَ مَنِيَّةٍ وَهَبْ لي إلهي اللُّطْفَ بعد المنِيَّةِ
وَهَبْ مثلَ هذا كُلَّ مُهْجَةِ مُسْلِمٍ بِما لَمْ تَزَلْ تُعْطي بِواسعِ رحمةِ
فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ هذا لِمُهْجَتي وأسألُكَ اللَّهُمَّ هذا لإخوتي
فلا تَحْرِمَنِّي مِنْ حَنَانِكَ وٱسْتَجِبْ بِحَقِّ ٱسْمِكَ الحَنَّانِ يا رَبِّ دعوتي
خبيرٌ بِكُنْهِ الشيء قَبْلَ ٱختبارِهِ وأنت خبيرٌ بٱمتحانٍ وَخِبْرَةِ

حـلـيـمٌ بِـمَـنْ لا بِـسُـؤْلٍ وَرَجْـوَةِ   وحلمُ الورى مِنْ بَعْدِ سُؤْلٍ وَرَجْوَةِ

وفي الحِلْمِ معنى العَفْوِ والسَّتْرِ دائماً   وَعَنْ بعضٍ ذا تعيا جميعُ الخليقةِ

عـظـيـمٌ لَـهُ مِنْ ذاتِـهِ الـعِـظَـمُ الـذي   تـزولُ لَـهُ كُـلُّ الـذَّواتِ الـعـظـيـمـةِ

عـظـيـمٌ بـذاتٍ لا قـيـاسـاً لِـغَـيْـرِهِ   وأنـتَ عـظـيـمٌ بـالـقـيـاسِ لِـنَـمْـلَـةِ

غفورٌ كثير السَّتْرِ والخلقُ كُلُّهُمْ   إذا غَـفَـروا مَـلُّـوا إِدَامَـةَ غَـفْـرَةِ

شكورٌ وهذا الإسْمُ خَيْرُ مُهْجَتي   وَخَـيَّـرَ عَـقْـلاً مِنْ نَـبِـيٍّ خـلـيـفَـةِ

شـكـورٌ يُـنيـلُ الـفَـضْـلَ منهُ بِمِنَّةِ   ويـجـزي عـلـيـه الـنَّـائـلـيـنَ بِرَحْـمَـةِ

وأُقـسِـمُ بـالـرحـمـنِ لا أنـتَ فُرِفُضْ   ولا الخلقُ كُلُّ الخلْقِ مِنْ ذا بِذَرَّةِ

فما مِنْ مليكٍ في الحقيقةِ غيرُهُ   وَمَا مِنْ مُنيلٍ غَيْرُهُ في الحقيقةِ

عَـلِـيٌّ كـبـيـرٌ ذاتُـهُ وَصِـفَـاتُـهُ   عَلِيٌّ كبيرٌ عَنْ صفاتِ النَّقيصةِ

عَـلِـيٌّ لَـهُ الـذَّاتُ الـعَـلِـيَّـةُ وَحْدَهُ   كـبـيـرٌ بـذاتِ الـكـبـريـاءِ الـكـبـيـرةِ

حفيظٌ فلا ينسى وَيَحْفَظُ مُلْكَهُ   وَعَنْ حِفْظِ نَفْسٍ منكَ أنتَ بِضَلَّةِ

مُـقِـيـتٌ وَمَـعْـنَـاهُ الـبَـرِيَّـةَ كـافِـلٌ   بإيصالِهِ للخلقِ قوتَ المعيشَةِ

مقـيـتٌ كذا معناه مُقْتَدِرٌ كما   تَـنَـزَّلَ فـي آيـاتِ وَحْـيٍ مُـبـيـنَـةِ

وما أنتَ يا ٱبنَ التُّرْبِ مُقْتَدِرٌ ولا   كفيلٌ بنفسٍ منكَ ساعِةَ جَوْعَةِ

حسيبٌ لَهُ معنى يُحَاسِبُ خَلْقَهُ   ومعنى هو الكافي لكل الخليقةِ

وأنت لَدَى يومِ الحسابِ مُحَاسَبٌ   فـإمّـا لـنـيـرانٍ وإمّـا لِـجَـنَّـةِ

ولستَ بكافٍ منكَ نفساً فقيرةً   وإنـك مُـحْـتَـاجٌ بـمـوتٍ لِـدَفْـنَـةِ

جـلـيـلٌ لَـهُ عِـزُّ الـجَـلالِ تَـفَـرُّداً   كريمٌ لَهُ عِزُّ الصفاتِ الكريمةِ

وإنك عن معنى الجلالِ لَمُبْعَدٌ   وإن الكريم الحقَّ مُولي العطيةِ

رقيبٌ يرى في كُلِّ وَقْتِ عِبادَهُ   عـلـى أيِّ حـالٍ كـانَ كُـلٌّ وَأَيَّـةِ

ولستَ رقيباً لا ولا المَلَكُ الذي   يُـسَـجِّـلُ إلا عـنـد نُـطْـقٍ وقـولَـةِ

وإنَّ الرقيبَ العَبْدَ عَبْدٌ مُراقَبٌ   فَـكُـلٌّ بـعـيـنٍ مِنْ إلـهِ الـبـريـةِ

مُـجـيـبٌ إذا الـدَّاعـي دعـاهُ أجـابَـهُ   ولستَ مُجيباً دونَ رَهْبٍ وَرَغْبَةِ

وَرَبُّكَ رَبٌّ واسعٌ كلَّ خَلْقِهِ ... ومالَكَ إلا وُسْعُ نَفْسٍ حَصُورَةِ

وَقَدْ وَسِعَ الأشياءَ كُلاًّ بِعِلْمِهِ ... كما وَسِعَ الأشياءَ كُلاًّ برحمةِ

إلهٌ حكيمٌ فاعِلٌ كُلَّ حكمةٍ ... وَجَلَّ عَنِ الأفعالِ غيرِ الحكيمَةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ... وَقَدَّرَ فيه كُلَّ شيءٍ بِحِكْمَةِ

فما في فَعَالِ اللّهِ مِنْ عَبَثٍ ولا ... خَطَاءٍ ولا لَهْوٍ ولا فَوْضَوِيَّةِ

وَكَمْ فيكَ يا مسكينُ مِنْ عَبَثٍ وَمِنْ ... خَطَاءٍ وَمِنْ أفعالِ جَهْلٍ دَنِيَّةِ

ودودٌ إلى أحبابِهِ مُتَحبِّبٌ ... وَيَبْدَؤُهُمْ منهُ بفعلِ المودةِ

ودودٌ إلى خَفْقِ القلوبِ يُذِيقُها ... مَحَبَّتَهُ ما بينَ رَهْبٍ وَرَغْبَةِ

فَرُبَّ فؤادٍ حُبُّهُ خَفْقُ رَغْبَةٍ ... وَرُبَّ فؤادٍ حُبُّهُ خَفْقُ رَهْبَةِ

وَرُبَّ فؤادٍ جامعٍ رَهْبَ رَغْبَةٍ ... وَلَلْجَمْعُ أرقى في مقامِ المحبةِ

ودودٌ إلى شوقِ القلوبِ يُنِيلُها ... مِنَ الذكرِ وَصْلاً طُمأنينَ السَّكينَةِ

كأنَّ قلوبَ المؤمنينَ لِذِكْرِهِ ... طيورٌ أَتَتْ أَوْكَارَهَا بَعْدَ رِحْلَةِ

ودودٌ إلى النائينَ عنهُ برحمةٍ ... يَمُدُّ لَهُمْ بالوُدِّ أسبابَ تَوْبَةِ

ولو علموا شوقي إليهِمْ لَقُطِّعَتْ ... قُلوبُهُمْ مِنْ قَهْرِ حُزْنٍ وَحَسْرَةِ

ولستَ بُنَيَّ الطينِ بالوُدِّ بادئاً ... ولا عائداً إلاّ لِوَصْفٍ وَعِلَّةِ

مجيدٌ أصيلُ الخيرِ يُسْبِغُ فَضْلَهُ ... ويؤتي الورى مِنْ غَيْرِ سُؤْلٍ وَدَعْوَةِ

وَلَسْتَ بذي فَضْلٍ على الخَلْقِ مُسْبِغٍ ... ولا أنت نفساً منك تُغْني بِنِعْمَةِ

وَرَبُّكَ رَبٌّ باعثٌ مَنْ يُميتُهُمْ ... وإنك مقهورٌ بموتٍ وَبِعْثَةِ

وربك ربٌّ يبعثُ الرُّسْلَ بالهُدى ... ولم تَبْتَعِثْ إلاّ رسولَ حُوَيْجَةِ

شهيدٌ فما شيءٌ عليهِ بِغَيْبَةٍ ... وعن أَكْثَرِ الأشياءِ أنتَ بِغَيْبَةِ

هو الحقُّ ربُّ الخلقِ والخلقُ باطِلٌ ... وما أنت إلا بعضُ هذي الخليقةِ

ولو كانَ حَلاّجُ الضَّلالَةِ مُؤْمِناً ... لَذُكَّ لدى الدَّعْوى بتلكَ المقُولَةِ

وكيلُ الورى إنْ فَوَّضُوا وكفى بِهِ ... ولستَ وكيلاً دونَهُ لِنُمَيْلَةِ

قَوِيٌّ متينٌ منهُ قُوَّةُ ذاتِهِ ... وأنتَ لَدُنْ تَقْوَى فَمِنْهُ بِقُوَّةِ

وَلِيٌّ يوالي المؤمنينَ بِنُصْرَةٍ ... ولستَ وليَّ المؤمنينَ بِنُصْرَةِ
وليٌّ بتدبير الأمور جميعها ... وتعيا بتدبير الأمور الحقيرةِ
وإنَّ ٱلولاءَ القُرْبَ يعني فإنَّهُ ... لأَدْنى إلينا مِنْ وريدٍ بِمُهْجَةِ
قريبٌ بأوصافٍ كَعِلْمٍ ورؤيةٍ ... وليس على معنى ٱقترابٍ بِحَضْرَةِ
وإنْ شاءَ أَنْ يدنو بذاتٍ لِعَبْدِهِ ... فإنَّ لَهُ ما شاءَ كُلَّ المشيئةِ
حميدٌ لَهُ حقُّ الثَّناءِ لِذاتِهِ ... ولو لَمْ يُخَلِّقْ كُلَّ هذي الخليقةِ
وَإِنَّ هنا فَرْقاً تَدَبَّرْهُ بينَ ما ... يُسَمَّى بِشُكْرٍ أَوْ يُسَمّى بِحَمْدَةِ
ففي الحمدِ معنى مَدْحِ ذاتٍ لِوَصْفِها ... وفي الشُّكْرِ معنى مِنْ جَزاءٍ لنعمةِ
وفي الحمدِ معنى الشُّكْرِ أيضاً فلا تَزِغْ ... وشاهِدْ لمعنى ما أقولُ بِسُورةِ
وما ثَمَّ إلاّ اللّهُ تُمْدَحُ ذاتُهُ ... لِذاتِيَّةٍ سُبْحانَ ذاتِ الأُلوهةِ
وربُّكَ أحصى كُلَّ شيءٍ بِعَدِّهِ ... وما أنتَ مُحْصٍ حَبَّ رَمْلٍ بِقُفَّةِ
هو المبديءُ الخَلاَّقُ يَبْدأُ خَلْقَهُ ... على غيرِ ما أمثالِ شَكْلٍ وَصُورَةِ
معيدٌ يعيدُ الخلقَ مِنْ بعد موتهِ ... تماماً على ما كانَ أَوَّلَ مَرَّةِ
ولستَ بِخَلاّقٍ ولستَ بِمُبْدِيءٍ ... ولا بمعيدٍ منكَ قِشْرَةَ جِلْدَةِ
وإنَّهُ لَلْمُحْيي وَكُلُّ مُصَوِّرٍ ... سواه فَمَا يُحيي جَنَاحَ بَعُوضةِ
وَيُحْيي بالآياتِ القلوبَ مِنَ العَمَى ... ويبعثُ في الألبابِ نور البصيرةِ
ويُحْيي قفارَ الأرضِ مِنْ بعد موتها ... فَتُصْبِحُ بعد الغيثِ أَرْيَاضَ جنةِ
وما مِنْ مميتٍ في الحقيقةِ غيرُهُ ... وما أنتَ إلاّ مَيِّتٌ وٱبنُ مَيِّتِ
هو الحيُّ والأغيارُ موتى ولا حَيَا ... ةَ إلاّ لِمَنْ أحياهُ بالحَيَوِيَّةِ
وهذا ٱسمُهُ الأعلى ٱلذي هو لازمٌ ... لأسمائِهِ الأُخرى بِحَقِّ الحقيقةِ
فَمَنْ لم يَكُنْ حَيّاً تزولُ صفاتُهُ ... فَلَيْسَ لِمَيْتٍ مِنْ مُرادٍ وَقُدْرَةِ
هو الخالقُ القَيُّومُ قامَ بذاتِهِ ... وَقَوَّمَ كُلَّ الخَلْقِ منهُ بِقُوَّةِ
وليسَ بمأخوذٍ بنومٍ وَسَهْوَةٍ ... وإنَّكَ مأخوذٌ بنومٍ وَسَهْوَةِ
وما أنتَ قَيُّومٌ ولا لَكَ قيمةٌ ... إذا لَمْ تَفُزْ منهُ بِفَضْلٍ ورحمةِ

هو الواجدُ آستغنتْ عَنِ الخلقِ ذاتُهُ   لإيجادِهِ ماشاءَهُ بالمشيئةِ

وما كُنْتَ موجوداً ولستَ بواجِدٍ   إلى أنْ بَرَاكَ اللّهُ رَبُّ البريةِ

وربُّكَ رَبٌّ واحِدٌ عَنْ تَفَرُّدٍ   وليسَ على التَّعْدادِ والعَدَدِيَّةِ

ولكنَّهُ سبحانَهُ هو واحِدٌ   على غيرِ مانِدٌ وعدٌّ وكَثْرَةِ

وَجَلّ بِوَحدَانِيّةٍ عَنْ تَبَعُّضٍ   كدعوى النصارى الكافرينَ الأضِلَّةِ

فَهُمْ قَسَّموا ذاتَ الإلهِ بِقِسْمَةٍ   وَجَلَّتْ عَنِ التَّقْسِيمِ والقَنَمِيَّةِ

فهل أنت حقاً واحِدٌ يا آبنَ فارضٍ   على أيِّ مَعْنًى مِنْ معاني الرُّبُوبَةِ

هو الأَحَدُ الحقُّ الذي الأَحَدُ آسمُهُ   أَتى مُوجِباً حقّاً لَهُ دونَ شِرْكَةِ

فقد جاءَ في حقِّ الخليقَةِ سَالِباً   بِشَرْطٍ وَنَفْيٍ أَوْ مُضَافاً لِفِرْقَةِ

كَـ «إنْ أَحَدٌ آتى» وَ«ما أَحَدٌ أتى»   وَ«ذا أَحَدُ الآتِينَ» أَوْ غيرِ جُمْلَةِ

فما لِلورى إفرادُ ما أَحَدِيَّةٍ   وَرَبُّ الورى الرحمنُ ذو الأَحَدِيَّةِ

وما أنتَ إنْ تَخْشَعْ سوى أَحَدِ   التُّقَاةِ أَوْ أَحَدِ الفُجّارِ في حالِ غَفْلَةِ

هُوَ الصَّمَدُ الحَقُّ الحقيقُ كَمَالُهُ   وإنَّ الكمالَ الحَقَّ لِلصَّمَدِيَّةِ

وفي صَمَدٍ معنى آنتِفَاءِ تَبَعُّضٍ   لِذَاتٍ عَنِ التبعيضِ عَزَّتْ وَجَلَّتِ

وليس يُسَمَّى رَبُّنَا جَسَداً وَقَدْ   أَضَلَّ الهُدى مَنْ قَالَ بالجَسَدِيَّةِ

فلا بُدَّ في إثباتِ وَصْفٍ لِرَبِّنَا   وإثباتِ فِعْلٍ مِنْ كتابٍ وَسُنَّةِ

وفي صَمَدٍ معناهُ ليسَ مُجَوَّفاً   فما الجَوْفُ إلاّ عَنْ فَرَاغٍ وَخَلْوَةِ

وَمَنْ كانَ ذا جَوْفٍ سَتُصْبِحُ ذاتُهُ   منازِلَ أحداثٍ وساحَ بَلِيَّةِ

وَمَنْ كانَ ذا جَوْفٍ تَوَالَدَ جَوْفُهُ   وَمَنْ يَتَوالَدْ جَوْفُهُ يَتَفَتَّتِ

فَمِنْ هاهنا ليسَ الإلهُ مُجَوَّفاً   وَجَلَّ عَنِ التَّجْسِيمِ والجَسَدِيَّةِ

ومن هاهُنا جَلَّتْ صفاتُ جلالِهِ   عَنِ آبنٍ وآباءٍ وَقَوْمٍ وَزَوْجَةِ

فلو كانَ مولوداً لَكَانَ كوالِدٍ   ففي الإبنِ والآباءِ عينُ الطبيعةِ

فَمَعْ والدٍ ما ثَمَّ مِنْ أَحَدِيَّةٍ   وَمَعْ وَلَدٍ ما ثَمَّ مِنْ صَمَدِيَّةِ

ففي أَحَدٍ نَفْيٌ لِكُلِّ تَماثُلٍ   وفي صَمَدٍ نَفْيٌ لِكُلِّ نَقِيصَةِ

وإنَّـكَ مـقـدورٌ وربُّـكَ قـادرٌ ... فمنهُ الورى لا منكَ كانَ بِقُدْرَةِ

مليكٌ لَهُ الأملاكُ مقتدرٌ على ... زيادَةِ مقدوراتِهِ كُلَّ لحظةِ

هو اللّهُ مولانا المقدِّمُ والمؤ ... خِّرُ الفاعِلُ الأشياءِ دونَ مَشُورةِ

يُقَدِّمُ ذاكُمْ أو يُؤَخِّرُ ذالكُمْ ... وليس لَهُمْ إلاّ خُضُوعُ العُبُودَةِ

ولا شيءَ قَبْلَ اللّهِ فاللّهُ أوّلُ ... وما كانَ إلاّ اللّهُ في الأزَلِيَّةِ

ولا شيءَ بعدَ اللّهِ فاللّهُ آخِرٌ ... وليسَ لَهُ بَعْدٌ على الأبَدِيَّةِ

فَيَبْقَى ولا يَفْنى وَيُبْقِي بِفَضْلِهِ ... وَقُدْرَتِهِ أصحابَ نارٍ وجنةِ

ولا شيءَ فوقَ اللّهِ فاللّهُ ظاهِرٌ ... على كُلِّ شيءٍ ظاهِرٌ بالرُّبُوبَةِ

ولا شيءَ دون اللّهِ فاللّهُ باطِنٌ ... على غيرِ ما معنى اختِفاءٍ وَخُفْيَةِ

كما قال في القرآنِ والحقُّ قولُهُ ... بِكُلٍّ مُحيطٌ فاقْتَرِىءْ حَسْبَ سُورةِ

فَهَلْ لَكَ يا مسكينُ يا ابنَ فويرض ... مع اللّهِ مِنْ شركٍ بهذي الحقيقةِ

هو المالكُ الوالي يُصَرِّفُ مُلْكَهُ ... هو المتعالي عن صفاتِ النقيصةِ

وإنَّكَ إنْ تعرفْ لنفسكَ قَدْرَهَا ... فَمَا لَكَ مِنْ شيءٍ فُوَيْقَ العُبُودَةِ

وربُّكَ بَرٌّ مُحْسِنٌ لِعِبَادِهِ ... وَبَرٌّ على معنى ابتداءٍ بنعمةِ

وَبَرٌّ على معنى يَبُرُّ بِوَعْدِهِ ... مُجيبٌ لِمَنْ يدعوهُ في كُلِّ دعْوَةِ

وَبَرٌّ بِمَنْ في العُمْرِ أخلصَ مرةً ... فَعَنْ مَرَّةٍ يجزيهِ في كُلِّ مَرَّةِ

وَبَرٌّ بِمَنْ لَمْ يَدْعُهُ عَنْ جَهَالَةٍ ... فيهديهِ للحسنى بِبِرٍّ ورحمةِ

يَمُدُّ إلى الغَرْقَى حِبَالَ نَجاتِهِ ... وَقَدْ قَطَعُوا الآمالَ في غَمْرِ مَوْجَةِ

فبيناهُمُ قَدْ أشْرَفُوا فإذا هُمُ ... بِبَرٍّ مِنَ البَرِّ الرحيمِ وَنَجْوَةِ

وإن يَقْطَعِ المخلوقُ حَبْلَ مَبَرَّةٍ ... فما يَقْطَعُ الرحمنُ حبلَ المبرَّةِ

كأنَّ اسمَهُ هذا يقُولُ لعبدِهِ ... أنا البَرُّ وحدي والسِّوَى قَعْرُ لُجَّةِ

أنا البَرُّ إنْ تعلقْ بِحَبْلِ مَبَرَّتي ... أُخَلِّصْكَ مِنْ حيتانِ غَمٍّ وَظُلْمَةِ

فلا شَطَّ أمْنٍ غيرُ ساحِلِ شِرْعَتي ... ولا عيشَ خُلْدٍ غيرُ دَارَةِ جنتي

وربُّكَ تَوَّابٌ يعيدُ عبادَهُ ... إلى سُبُلِ الخيراتِ بعدَ المَضِلَّةِ

وَلَسْتَ بِتَوَّابٍ ولا أنتَ تائِبٌ … إذا لَمْ يَنَلْكَ اللّهُ منهُ بتوبةِ
ورَبُّكَ إنْ يغضب عل الخلقِ يَنْتَقِمْ … وَتَعْيَا لدى إنْفاذِ نِقْمٍ بِفَأْرَةِ
وإنَّ هنا فرقاً تَدَبَّرْهُ بينَ ما … يُرى كانتقامٍ أو يُرى كَعُقُوبَةِ
فما كانَ تعجيلاً فَلُطْفُ عقوبةٍ … وما كانَ تأخيراً فَمَاحِقُ نِقْمَةِ
وإنَّ كلا هذينِ يُدْعى عُقُوبةً … على واسعِ المعنى فلا تَتَشَتَّتِ
عَفُوٌّ عنِ الأوَّابِ يَمْحُو ذُنُوبَهُ … ولو بَلَغَتْ جَوَّ السماءِ وَغَطَّتِ
ولا تَحْسَبَنَّ اللّهَ يَخْتَصُّ عَفْوُهُ … ذَوِي التَّوْبِ بَلْ يعفو بِفَضْلٍ ورحمةِ
ففي العَفْوِ معنى الفَضْلِ فاللّهُ عَفْوُهُ … بِفَضْلٍ وما في الفَضْلِ تَكْدِيرُ مِنَّةِ
كما قالَ في الإنفاقِ عند سُؤَالِهِمْ … «قُلْ العفْوَ» أيْ فَلْيُنْفِقُوا فَضْلَ نِعْمَةِ
فَكَمْ فاقِدٍ في الحَشْرِ ذِكْرَ كبيرةٍ … يُفَتِّشُ عنها في سُطُورِ الصَّحِيفَةِ
فَمَا إنْ يرى منها حُبَيْبَةَ خَرْدَلٍ … مَحَاها الذي يمحو الذنوبَ بِمَحْوَةِ
فَمِنْ هَاهُنا المَغْفُوُّ عنهُ مُؤَمَّنٌ … فما ينبغي تذكيرُهُ بالخطيئَةِ
كَدَأْبِكَ مِنْ أعداءِ عثمانَ نَدَّدُوا … بِأَكْرَمِ ما شيخٍ وَقُورٍ خليفَةِ
لَدُنْ حاصروا عثمانَ يبغونَ قَتْلَهُ … وَلَمْ يأتِ ما يدعو لِحَصْرٍ وَقِتْلَةِ
فعابوا أموراً يعلمُ اللّهُ أنَّهُمْ … أَحَقُّ بها وَصْفاً وأولى بِعَيْبَةِ
وعابوا على عثمانَ أنْ فَرَّ مَرَّةً … فَأَذْكَرَهُمْ عَفْوَ الإلهِ بِسُورةِ
فما ذِكْرُهُمْ ما كانَ مِنْ أمرِ فَرِّهِ … لِجَهْلٍ بِمَعْنى العَفْوِ في العَرَبِيَّةِ
ولكنَّهُمْ مِنْ فَرِّ عثمان أَذْكَرُوا … لِمَا عَجِزُوا عَنْ أَمْرِ إثْبَاتِ فِرْيَةِ
فَهَلْ أنتَ يا فرفوضُ في العَفْوِ قَادِرٌ … على جَعْلِ ذَنْبٍ أَنْ يُرَى عينَ نِعْمَةِ
فَمَحْوُ الإلهِ السَّيِّآتِ بِجَعْلِها … لنا حَسَناتٍ لا كَمَحْوٍ بِشَطْبَةِ
رؤوفٌ رحيمٌ بالأَنَاسِيِّ رَبُّنا … كما قال في الحقِّ المبينِ بسورةِ
وقد قُدِّمَ الإسمُ الرؤوفُ وَرَأْفَةٌ … بوحي على ٱلإسمِ ٱلرحيم ورحمةِ
وَلَلْفَرْقُ بينَ الرَّأْفِ والرُّحْمِ غامِضٌ … فَأَنْصِتْ تَجِدْ فيه فَوَارِقَ عِبْرَةِ
ففي الرَّأْفِ يأتي الرَّأْفُ مِنْ حال فَاعِلٍ … إذا ٱكْتَمَلَتْ في نفسِهِ حالُ رَأْفَةِ

اشارة الى قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو (البقرة ٢١٧)

وفي الرُّحْمِ يأتي الرُّحْمُ مِنْ حالِ بائسٍ ... إذا صار مِنْ بُؤْسٍ بِأَبْأَسِ هيئَةِ

فَكُلُّ رؤوفٍ راحِمٌ دونَ عَكْسِهِ ... فَرُبَّ رحيمٍ غيرِ فاعِلِ رَأْفَةِ

فَمَعْنى رؤوفٍ إِنْ أَرَدْتَ ٱسْتِبَانَهُ ... يَدُلُّ على رُحْمٍ وَزَائِدِ رَحْمَةِ

فَمِنْ هاهنا كانَ الرؤوفُ مُقَدَّماً ... لِمَا فيه من معنى حَنَانٍ وَرِقَّةِ

وَعَنْ رِقَّةٍ جَلَّتْ صفاتُ إلهنا ... ولكنها لِلْخَلْقِ صَحَّتْ وَحَقَّتِ

فأنتَ لَدُنْ تحنو على ضَعْفِ ظالمٍ ... فذلكَ مِمّا فيكَ مِنْ ضعفِ رأفةِ

وقد جاءَ نَهْيُ اللّهِ إِيَّاكَ أَنْ تُرَى ... على رأفةٍ بالزَّانِيَيْنِ بسورةِ

وَلَمْ يَنْهَكَ الرحمنُ عَنْ فِعْلِ رحمةٍ ... فَجَلْدُهُما عينُ القِيامِ بِرَحْمَةِ

فإنكَ إِنْ ترأفْ تُعَطِّلْ حُدودَهُ ... وإنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ تَضِلَّ بِضَلَّةِ

تَدَبَّرْ «ولا تَأْخُذْكُمُ رأفةٌ» تَجِدْ ... بِأَنَّ لِفِعْلِ الرَّأْفِ سُلْطَانَ أَخْذَةِ

وَمَنْ أخذتْهُ عن هُدى اللّهِ أَخْذَةٌ ... فَقَدْ عَنْ هُدى اللّهِ ٱسْتَدَارَ بِرَجْعَةِ

وإنك إِنْ تَأْخُذْكَ في الحقِّ أَخْذَةٌ ... يُوَسْوِسْ لَكَ الشَّيْطَانُ فيها بِزَيْغَةِ

كَدَأْبِ أُناسٍ مسلمينَ بِعَصْرِنَا ... رَضُوا أَنْ يكونوا تابعينَ لأرزةِ

وما كانَ زيغُ المسلمينَ عَنِ الهُدَى ... لَدَى الزَّيْغِ إِلاَّ مِنْ ضلالٍ بِرَأْفَةِ

هُمُ عَطَّلوا ضَرْبَ الرِّقَابِ وَأَطْلَقُوا ... ذوي العِجْلِ والصُّلْبَانِ مِنْ قَيْدِ جِزْيَةِ

فَأَضْحَوْا وكانوا عِنْدَهُمْ أَهْلَ ذِمَّةٍ ... رؤوساً وصاروا هُمْ لَهُمْ أَهْلَ ذِمَّةِ

فَمِنْ هاهُنا فَٱفْهَمْ مَعَانِيَ رأفةٍ ... ولا تَتَعَدَّى في حُدودِ الشريعةِ

تَعَلَّمْ بِأَنَّ اللّهَ أَرْأَفُ بالورى ... مِنَ الأُمِّ بالطفلِ الوحيدِ بِمَرْضَةِ

وإِذْ أنتَ هذا قد علمتَ فلا تُقِمْ ... لِنَفْسِكَ قَدْراً فَوْقَ قَدْرِ العُبُودَةِ

تَبَصَّرْ بما آتاكَ رَبُّكَ شِرْعةً ... وألزمْ فؤاداً منكَ مَنْهَجَ شِرْعَةِ

فَرَأْفَةُ رَبِّ الخَلْقِ مِنْ وُسْعِ رحمةٍ ... ورأفةُ خَلْقِ الربِّ مِنْ ضَعْفِ رِقَّةِ

وما لَكَ مِنْ وُسْعٍ لِتَرْأَفَ بالورى ... وإنكَ إِنْ تَرْأَفْ كثيراً تَفَتَّتِ

ولا يستوي الرَّأْفَانِ رَأْفُ غَوَايَةٍ ... وَرَأْفُ حنانٍ لازمٍ نَهْجَ حكمةِ

كَرَأْفَةِ أَتْبَاعِ ٱبْنِ مريمَ أَنْ أَتَتْ ... مِنَ اللّهِ فضلاً مَعْ لزومِ الشريعةِ

وإنَّ هُنَا فَتحاً بدا الآنَ بَرْقُهُ ... أَضَاءَ لَهُ قلبي وَشَعَّتْ بصيرتي

فقد جعلَ الرحمنُ في كل أمةٍ ... صفاتٍ بها تَخْتَصُّ عن كل أمةِ

وَمِنْ كُلِّ ما أعطى سوانا أَنَالَنا ... فَزِدْنا سوانا عند كُلِّ عَطِيَّةِ

فإنْ يَكُ أصحابُ ٱبنِ عمرانَ جاهدوا ... فقد عَلَّلُوا فِعْلَ الجهادِ لِعِلَّةِ

لِمَا كان مِنْ إخراجِهِمْ مِنْ ديارِهِمْ ... وأبنائِهِمْ فٱقرأْ بأطولِ سورةِ

ولكنَّ صَحْبَ المصطفى جاهدوا الورى ... لِيَعْلُوَ قَولُ اللّهِ قولَ البريةِ

فَمِنْ هاهُنا دونَ البريةِ كُلِّها ... أَحَلَّ لنا الرحمنُ أَخْذَ الغنيمَةِ

وإنْ يَكُ أتباعُ المسيحِ قلوبُهُمْ ... مِنَ اللّهِ فيها جَعْلُ رَأْفٍ ورحمةِ

فإنَّ قلوبَ التابعينَ محمداً ... مِنَ اللّهِ فيها مُنْزَلاتُ السَّكِينَةِ

وَمُذْ آلُ عيسى آمنوا بِنَبِيِّنا ... ورثنا بِهِمْ مَجْعُولَ رَأْفٍ ورحمةِ

فما كانَ فيهمْ مِنْ صفاتٍ طَهُورةٍ ... تَدَاخَلَ فينا مَعْ صفاتٍ طَهُورَةِ

فَقَدْ وَرَّثَ اللّهُ النبيَّ محمداً ... وَأُمَّتَهُ الأخيارَ كُلَّ فضيلةِ

ودونكَ إنْ شِئْتَ الدَّليلَ أَدِلَّةً ... يَخِرُّ لَها بالحقِّ نافي الأدِلَّةِ

فَمِنْ «وَجَعلْنا» ٱقْرَأْ إلى «ٱتَّبَعُوهُ» كَيْ ... تَدَبَّرَ مِنْ أسرارِ آيٍ بِحِكْمَةِ

ففي «ٱتَّبَعُوهُ» آيةٌ مِنْ إلهنا ... على أَنَّها تَخْتَصُّ بالتَّبَعِيَّةِ

فَمَنْ كانَ حقّاً تابعاً لابْنِ مريم ... فآيَتُهُ أَفْعَالُ رَأْفٍ وَرَحْمَةِ

فإنْ تَقْتَرِيءْ تاريخَ قَوْمِ ٱبنِ مريم ... مِنَ العهدِ عَهْدِ البِعْثَةِ النبويةِ

تَجِدْ قَومهِ وٱلمدَّ عنَ سبيلَهُ ... أَشَدَّ قلوباً مِنْ حجارةِ قَلْعَةِ

فَحَسْبُكَ منهُمْ في جرائمِ حَرْبِهِمْ ... خُرُوجُهُمُ باسمِ الحروبِ الصَّلِيبَةِ

وحسبُكَ مِنْهُمْ في جرائمِ حُكْمِهِمْ ... مَحَاكِمُ تَفْتيشٍ بغيرِ جَريرَةِ

وحسبُك منهُمْ في جرائمِ غَزْوِهِمْ ... إِبَادَتُهُمْ غَدْراً شُعوبَ أَمِرْكَةِ

وحسبُكَ منهُمْ في زمانٍ مُعَاصِرٍ ... صناعةُ آلاتِ الدَّمارِ المبيدَةِ

وَلَمْ يعرفِ التَّاريخُ جُرْماً كَجُرْمِهِمْ ... بِأَندَلُسٍ إذْ نَصَّرُوها بِقَهْرَةِ

وهذا قليلٌ مِنْ كثيرٍ لَوْ أنني ... تَتَبَّعْتُهُ لٱحتجتُ مليونَ صَفْحَةِ

فإنْ قيل فالقُرآنُ يُثْبِتُ أَنَّهُمْ ... يَظَلُّونَ أتباعَ المسيحِ لِآخِرَةِ

كما قالَ للعبدِ المسيح إلهُهُ ... لَدُنْ ما تَوَفَّاهُ بقَبْضٍ وَرِفْعَةِ

فذلكُمْ حَقٌّ كما قالَ رَبُّنا ... وسبحانَهُ عَنْ قولِ غيرِ الحقيقةِ

فَمَنْ ظَلَّ في أَتْبَاعِ عيسى ٱبنِ مريم ... هُمُ اليومَ محسوبونَ في خيْرِ أُمَّةِ

فقد جاءهُمْ عيسى بشيراً بأحمدٍ ... وقال ٱحفظوا في الفِرْقلِيطَ وَصِيَّتي

فَمَنْ ظَلَّ منهُمْ لِلْوَصِيَّةِ حافظاً ... فَقَدْ ظَلَّ في أوصافِ رَأْفٍ وَرَحْمَةِ

وَمَنْ صارَ منهُمْ كافراً بمحمدٍ ... غدا قَلْبُهُ مِنْ بعد لِينٍ كَصَخْرَةِ

فَهُمْ تركوا معنى ٱتّبَاعِ ٱبنِ مريم ... لَدُنْ كفروا المختارَ خيرَ البريةِ

فإنْ قيلَ فالقُرآنُ يُثْبِتُ أَنَّهُمْ ... يَظَلُّون فوق الكافرينَ بِرُتْبَةِ

فإنْ يَكُ فينا مَنْ عَنَيْتَ فَمَا لَنَا ... نُرانا بِهذا ٱلعَصْرِ أَهْوَنَ أمةِ

وما للنصارى واليهودِ وغيرِهِمْ ... يسومونَنا بالقَهْرِ سُوءَ المَذَلَّةِ

فإنْ قُلْتُمُ هذا فإني مُبَيِّنٌ ... بَيَاناً لَكُمْ مِنْ بَيِّنَاتِ الحقيقةِ

فَإنَّ النصارى وٱليهودَ وَغَيْرَهُمْ ... لأدنى وَأَخْزَى مَعْ سِلاحٍ وَسَطْوَةِ

فلا تَحْسَبَنَّ اليومَ أُمَّةَ أحمدٍ ... رجالَ قَوانينٍ على الكُفْرِ رُبَّتِ

ولا تَحْسَبَنَّ اليومَ أُمَّةَ أحمدٍ ... شيوخَ دعاوى الدَّعْوَةِ الحَرَكِيَّةِ

ولكنَّهُمْ في عَصْرنا كُلُّ مؤمنٍ ... يَدُوسُ إباءً رأسَ ضَلٍّ وَبِدْعَةِ

فإنَّهُمُ الأَعْلَوْنَ فوق عَدُوِّهِمْ ... ولو قُذِفوا في كُلِّ قَعْرٍ وَحُفْرَةِ

كَدَأْبِكَ مِنْ قَوْمِ ٱبنِ مريمَ بَعْدَهُ ... وقد قُتِّلوا في الأرضِ أَشْنَعَ قِتْلَةِ

فَكَمْ قَتَلَ الكفارُ بعد ٱبنِ مريم ... مُعَلِّمَ إنجيلٍ وَرَاهِبَ بَيْعَةِ

وَكَمْ صَلَّبُوا منهُمْ جموعاً وَحَرَّقوا ... وفي قصةِ الأُخْدودِ أَبْيَنُ حُجَّةِ

وقد نَشَرُوهُمْ بالمناشيرِ عَلَّهُمْ ... يَرُدُّونَهُمْ عَنْ دينِ عيسى بِرَهْبَةِ

فَلَمْ يُثْنِهِمْ عَنْ دينِ عيسى ٱبنِ مريم ... مَنَاشيرُ أجسادٍ ولاهِبُ حُفْرَةِ

وَلَمْ يَشْعُروا والموتُ أدنى إِلَيْهِمُ ... مِنَ الطَّرْفِ لِلأَجْفَانِ إلاّ بِعِزَّةِ

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رأى مِثْلَ فِتْيَةٍ ... يُصَلُّونَ للرحمنِ عندَ ٱلمنيةِ

يُصَلُّونَ للرحمنِ أَنْ يَرْحَمَ العِدَى — وَيَغْفِرَ للجُهَّالِ فِعْلَ الجريمةِ

فكانوا على وَعْدِ الإلهِ لعبدهِ — على كُلِّ حالٍ فوقَ كُفْرٍ وَكُفْرَةِ

فَمِنْ هَاهُنَا في كُلِّ فَوْقٍ مُرادُهُ — وفي كُلِّ ما فَوْقٍ مُرَادٌ لِنِسْبَةِ

فَمَنْ كان في تَحْنَانِ رَأْفٍ ورحمةٍ — تَفَوَّقَ في تحنانِ رأفٍ ورحمةِ

وَمَنْ كانَ في تِبْيَانِ علمٍ وَحُجَّةٍ — تَفَوَّقَ في تِبْيَانِ عِلْمٍ وَحُجَّةِ

كما نَالَ إبراهيمُ حُجَّةَ رَبِّهِ — فأبدى بها للقوم نَهْجَ المَحَجَّةِ

فإنْ تَقْتَرِيءْ مِنْ «تِلْكَ حُجَّتُنا» إلى — لَدُنْ «دَرَجاتٍ» تَذَّكِرْ عَنْ بَصِيرةِ

وَمَنْ كانَ في عَدْلٍ وَحَقٍّ وَقُوَّةٍ — تَفَوَّقَ في عَدْلٍ وَحَقٍّ وَقُوَّةِ

كما جَعَلَ الرحمنُ أُمَّةَ أحمدٍ — وَأَخْبَرَ عنها أَنَّها خيرُ أُمَّةِ

الفرقة الناجية

وَقَدْ صَحَّ ما مَعْنَاهُ عَنْ سيِّدِ الورى   سَيَبْقَى ظهورُ الحقِّ في بعض أُمَّتي

وأهلُ ظُهُورِ الحقِّ هُمْ بعضُ فِرْقَةٍ   هيَ ٱلفِرْقَةُ الأَرجى لِوَاسِعِ رَحْمَةِ

فَثِنْتَانِ مَعْ سَبْعينَ هُمْ فِرَقُ الهوى   وَهُمْ مِنْ بني النيران مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ

وَفِرْقَةُ أهلِ الحقِّ نَهْجِ محمدٍ   ذَوُو ٱلسُّنَّةِ الغَرَّاءِ أَهْلُ ٱلمَحَجَّةِ

فَمِنْ هؤلاءِ وٱلنَّجاةُ لِكُلِّهِمْ   أُناسٌ بِهِمْ يبقى ظهورُ الشريعةِ

وحيثُ لَهُمْ وَصْفُ الظُّهورِ على ٱلعِدى   فلا بُدَّ مِنْ موجودِ هذي ٱلحقيقةِ

فحيناً يُرى منهُمْ وحيدٌ بِقَرْيَةٍ   وحيناً يُرَى منهُمْ عديدٌ بِبَلْدَةِ

عَلامَتُهُمْ خوفُ الإلهِ وَحُبُّهُ   بِما ٱسْتَكْمَلوا مِنْ نَهْجِ ذكرٍ وَسُنَّةِ

إذا ذُكِرَ ٱلرحمنُ ذابَتْ قلوبُهُمْ   وصاروا مِنَ ٱلخُشْعَانِ في حَجْمِ ذَرَّةِ

يَخِرُّونَ للرحمنِ يبكونَ سُجَّداً   مِنَ ٱلخَوْفِ وٱلتَّحْنانِ في غَيْبِ سَجْدَةِ

إِمَامُهُمُ دونَ الأنامِ مُحَمَّدٌ   وليس لَهُمْ مِنْ دونهِ مِنْ أئِمَّةِ

يدوسونَ هاماتِ ٱلعِدى بنعالِهِمْ   وإنْ هُوجِمُوا بالقَاذِفاتِ ٱلمبيدَةِ

فحيناً ترى صَوْلَ ٱبنِ خَطَّابَ فيهِمُ   وحيناً ترى فيهِمْ شَجَاعَةَ حَمْزَةِ

لَهُمْ رَهْبَةٌ في قَلْبِ كُلِّ مُضَلَّلٍ   كَرَهْبِ أبي الأشبالِ في قَلْبِ نَعْجَةِ

تَتِيهُ على رأسِ الضَّلالِ نِعَالُهُمْ   إذا خَطَروا في ٱلحقِّ مِشْيَةَ عِزَّةِ

لَهُمْ قُوَّةٌ مِنْ رَبِّهِمْ في قلوبِهِمْ   يُرى الخوفُ منها خائفاً في الوقيعةِ

أولئك أحبابيَ وَصَحْبِي ومعشري   وقومي وإخواني وأهلي وأمتي

هو ٱللّهُ ربي مالِكُ الملكِ وَحْدَهُ   فَهَلْ لكَ يا مسكينُ شِرْكٌ بِذَرَّةِ

تعالى الذي ما مِنْ إلهٍ سواهُ ذو ... الجلالِ والإكرامِ الكثيرُ العَطِيَّةِ
تَبَصَّرْ بهذا الإسْمِ إنْ كُنْتَ ذا رُؤىً ... تَجِدْ فيه مجموعَ الصفاتِ الكريمةِ
فقد فَتَحَ المولى عَلَيَّ بِهِ الرؤى ... فَأَبْصَرْتُ أَسْرَارَ المثاني العظيمَةِ
فمعنى الجلالِ الحمدُ والمجدُ وٱلثَّنا ... ءُ ذلكَ حَقُّ اللّهِ في خَيْرِ سورةِ
ويكرمُ ذو الإكرامِ مِنْ عندِ «إهدنا» ... إلى آخرِ الآياتِ أكرمَ نِعْمَةِ
كما صَحَّ في تفسير فاتحَةِ ٱلهُدى ... إذا ما تلاها ٱلعبدُ في كُلِّ رَكْعَةِ
فيا ذا الجَلالِ الحقِّ إياكَ نَعْبُدَنْ ... ونرجوكَ ذا الإكرام نَوْلَ المعونَةِ
فَأَبْصِرْ بهذا الإِسْمِ فَضْلَ إلهِنا ... علينا بِهِ في كُلِّ ذِكْرٍ وَدَعْوَةِ
ولا تُطْلِقَنْ وَصْفَ الجليلِ على الورى ... على مَلِكٍ مِنْ بينِهِمْ أو مَلِيكَةِ
فإنَّ الجَلالَ الحقَّ لِلَّهِ رَبِّنا ... وما لملوكِ الأرضِ غيرُ العُبُودَةِ
كذلكُمُ الإكرامُ لِلّهِ وَحْدَهُ ... هو المُكْرِمُ الوَهَّابُ رَبُّ العَطِيَّةِ
لَقَدْ خابَ مَنْ يرجو مكارِمَ غَيْرِهِ ... كما خابَ مَنْ يرجو سراباً بِقِيعَةِ
وعنهُ فلا تُخْدَعْ بروضٍ وَصَخْفَةٍ ... ولا تُخْدَعَنْ عنهُ بِنَهْرٍ وَجَرَّةِ
وَكُنْ مِثْلَ أعرابِيِّ هرونَ إذْ غَدا ... لِيَسْأَلَهُ مِنْ بعضِ فَضْلٍ وَفَضْلَةِ
فألفاهُ في المحرابِ يَضْرَعُ باكياً ... يَمُدُّ إلى مولاهُ كَفَّ ٱلمَذَلَّةِ
فَأَحْدَثَ فيهِ حالُ هرونَ غَيْرَةً ... وقَالَ يُنَاجي نَفْسَهُ بعد ذُكْرَةِ
أَمَا هُوَ ربي مِثْلَما هُوَ رَبُّهُ ... فكيفَ إذاً أبغي سِوَاهُ لِبُغْيَتي
وأعرضَ عَنْ سُؤْلِ الخليفَةِ آبِياً ... فأغناهُ بالإكرامِ رَبُّ الخليفةِ
لَئِنْ كانَ أغفى قَلْبُهُ بعضَ غفوةٍ ... لقد زادَهُ مولاهُ قُرْباً بِغَفْوَةِ
كذلكَ أهلُ اللّهِ إنْ لحظةً سَهَوْا ... ففي سَهْوِهِمْ كشفُ ٱزديادٍ وَقُرْبَةِ
فَسَهْوُ أبي حَفْصٍ لِسَارِيَةٍ وقى ... وَسَهْوُ المصلي زادَهُ ثُنْيَ سجدةِ
فذلكَ مِنْ إكرامِ ربكَ للورى ... تَدَاخَلَ في معنى ٱبتلاءٍ وَنَفْحَةِ
وربُّكَ رَبٌّ مُقْسِطٌ بينَ خَلْقِهِ ... فَكُلٌّ لَهُ حَظٌّ بِعَدْلٍ وحكمةِ
فَمَنْ عاشَ قرناً في بَلاءٍ وَشِدَّةٍ ... كَمَنْ عاشَ قرناً في رَخَاءٍ وَنِعْمَةِ

فهذي حياةٌ تستقيمُ بنعمةٍ ... وتلكَ حياةٌ تستقيمُ بِشِدَّةِ
فَشُكْرُ ذوي النُّعْمَى كَصَبْرِ ذوي الطَّوَى ... ولا يَظْلِمُ الرحمنُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ
فَهَلْ لكَ يا ٱبنَ ٱلتُّرْبِ حكمةُ رَبِّنا ... لِتُقْسِطَ في ٱلتَّقْسيمِ بينَ الخليقَةِ
وربُّكَ رَبٌّ جامِعُ كُلِّ خَلْقِهِ ... ليوم حسابٍ ذي قيامٍ وَبِعْثَةِ
وَيَجْمَعُ أحباباً وأهلاً تَفَرَّقُوا ... ويَجْمَعُ قَلْبَ العبدِ بعدَ التَّشَتُّتِ
ولستَ بذي جَمْعٍ لدى كُلِّ ما تَرَى ... سوى جَمْعِ كَفٍّ تَحْتَ ذَقْنٍ بِحَيْرَةِ
غَنِيٌّ ومُغني فٱلغِنَى منهُ في ٱلورى ... وليسَ بِسَعْيٍ مِنْ ثَرِيٍّ وَحيلَةِ
فَكَمْ مِنْ ذَكِيّ ظَلَّ في ظِلِّ فاقَةٍ ... وَكَمْ مِنْ غَبِيٍّ عاشَ في عَرْشِ ثَرْوَةِ
غَنِيٌّ بذاتٍ لا بِمُلْكٍ فإنَّهُ ... عَنِ الملكِ مُسْتَغْنٍ بِعِزِّ المشيئةِ
وإنك يا مسكينُ والخلقُ كُلُّهُ ... فقيرٌ إلى خيراتهِ كُلَّ بُرْهَةِ
هو الضَّارُّ وَهْوَ ٱلنافِعُ اللّهُ وَحْدَهُ ... وفي كُلِّ ضُرٍّ عينُ عَدْلٍ وحكمةِ
وتعريفُنا بٱسميهِ هذينِ رحمةٌ ... تُطَهِّرُنا من كلِّ شركٍ وشِرْكَةِ
ولستَ بذي ضُرٍّ وَنَفْعٍ عُبَيْدَهُ ... بِشَيءٍ لِشَيءٍ دونَ إذنِ الألُوهَةِ
هو النورُ لا عَنْ حالِ ضِدٍّ لِظُلْمَةٍ ... وليسَ كَضَوْءِ ٱلشمسِ أَوْ نُور نَجْمَةِ
ويهدي هُوَ الهادي لدينٍ وَفِطْرَةٍ ... وَسُبْلٍ وأعمالٍ وعلمٍ وَصَنْعَةِ
وما أَنْتَ بالهادي إلى أيِّ وِجْهَةٍ ... وإنَّكَ مُحْتَاجٌ بليلٍ لِشَمْعَةِ
بديعٌ على معنى ٱنتفاءِ مَثِيلِهِ ... وأيضاً على معنى ٱبتداعِ الخليقةِ
وإنَّكَ لَمْ تُبْدِعْ فَتَخْلُقْ ذُرَيْرَةً ... وما أنتَ إلاّ مُحْدِثٌ شَرَّ بِدْعَةِ
ويبقى هو ٱلباقي وإنَّكَ هَالِكٌ ... وهذا لِفَرْقِ ٱلوَصْفِ أعظمُ حُجَّةِ
وَإِنَّكَ مَوْرُوثٌ وربُّكَ وَارِثٌ ... إليهِ يؤولُ الأَمْرُ في كُلِّ وِرْثَةِ
رشيدٌ إلى الخيراتِ يُرْشِدُ خَلْقَهُ ... وَتَعْجَزُ عَنْ إرْشادِ بَهْمٍ بِضَلَّةِ
صَبُورٌ يرى كُفْرَ العبادِ وَظُلْمَهُمْ ... فَيُمْهِلُ كُلاً منهُ واسعَ مُهْلَةِ
وها أنتَ مخلوقٌ ولست بخالِقٍ ... وَتَخْرُجُ عَنْ صَبْرٍ بِحَرْفٍ وَكِلْمَةِ
وَلَلْفَرْقُ بينَ ٱلصَّبْرِ وَٱلحِلْمِ غَامِضٌ ... فلا بُدَّ مِنْ تَبْيينِهِ عَنْ بَصِيرَةِ

فما كانَ حِلْماً فَهْوَ دائِمُ رَحْمَةٍ … وما كان صَبْراً ينتهي بِالْعُقُوبَةِ

فهذا يَسيرٌ مِنْ كثيرِ فَوارقٍ … عَنِ اْحْصَائِها تَعْيَا جميعُ الخليقةِ

وَمَا أَنْ هُنا فَسَّرتُ أسماء رَبِّنا … ولكنني أَثْبَتُّ فَرْقَ الرُّبُوبَةِ

فَعَنْ كُلِّ ما إِسْمٍ ذَكَرْتُ تَقَاصَرَتْ … إِحَاطَاتُ أوهامِ الخيالِ وَذَلَّتِ

وَلَمْ أُحْصِ أسماءَ الإلهِ جَمِيعها … فَإِنَّ لَهُ أُخرى بِذِكْرٍ وَسُنَّةِ

(وليس معي في الملكِ شيءٌ سوايَ و … الْمعِيَّةُ لَمْ تَخْطُرْ على الْمَعِيَّةِ)

تَبَصَّرْ تَجِدْ فيك التَّنَاقُضَ ظاهِراً … يُرى عَنْ قريبٍ دونَ إِجْهَادِ فِكْرَةِ

«فليس معي في الملكِ شيءٌ سواي» في … هِ إثباتُ مُلْكٍ وَهْوَ عينُ المعِيَّةِ

وَدَعْوَاكَ في نَفْيِ المعِيَّةِ خالَفَتْ … مَعِيَّةَ إِثْبَاتٍ بِآيٍ كثيرةِ

وَحَسْبُكَ فيها آيةٌ عَنْ نَبِيِّنا … لَدُنْ قال «لا تَحْزَنْ» لخيرِ خليفَةِ

أَلَمْ تَقْرَأِ القُرآنَ عُمْرَكَ مَرَّةً … فَما لَكَ تعمى عنهُ في كُلِّ مَرَّةِ

كَأَنَّكَ مَدْفُوعٌ لِتُبْطِلَ دِينَنَا … بِتَحْرِيفِهِ عَنْ بَيِّنَاتِ الحقيقةِ

(وهذي يدي لا أنَّ نفسي تَخَوَّفَتْ … سوايَ ولا غيري لخيري تَرَجَّتِ)

(ولا ذُلَّ إِخْمَالٍ لذكري تَوَقَّعَتْ … ولا عِزَّ إِقْبَالٍ لِشُكْرِي تَوَخَّتِ)

(ولكنْ لِصَدِّ الضِّدِّ عَنْ طَعْنِهِ على … عُلا الأولياءِ المنجدينَ بنجدتي)

«وهذي يدي» نَقْضٌ لزعمِكَ سابقاً … لَدُنْ قُلْتَ لَمْ تَخْطُرْ على الْمَعِيَّةِ

«ولا ذُلَّ إِخْمالٍ لذكري تَوَقَّعَتْ» … نَقَضْتَ بها دعوى خمولٍ وَذِلَّةِ

وكيف أخا الأوهام إنْ لم يَكُنْ سوى … تَعُودُ إلى إثباتِ ضِدٍّ وَصَدَّةِ

لأَعْجَبُ شيءٍ ذكرُكَ الضِّدَّ هاهُنا … وما هيَ إلاَّ فَلْتَةٌ عَنْ حَمِيَّةِ

فإثباتُ ضِدٍّ منكَ كانَ بِغَفْلَةٍ … أُخِذْتَ بها عَنْ غَضْبَةٍ عَصَبِيَّةِ

وَمَالَكَ مِنْ ضِدٍّ ولا للذين قُمْـ … ـتَ عَنْهُمْ سوى أصحابِ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ

فكيفَ هنا يا أجهل الخَلْقِ هَاهُنَا … ترى «الأولياءَ المنجدين بنجدتي»

أَعُذْتَ عنِ الدَّعوى «وَإِيَّايَ لم تَزَلْ … ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي أحبَّتِ»

أَمْ أَنَّكَ قَدْ أَثْبَتَّ شِرْكاً بِنَجْدَةٍ … لِتُرْضِيَ أهواءَ النفوسِ الجهولَةِ

وَمَـا مِـنْ وَلِـيٍّ مُـنْـجِـدٍ دونَ رَبِّـنـا ... وَمَنْ يَدْعُ غيرَ اللّهِ يَرْجِعْ بِخَيْبَةِ

وفي «ضَلَّ مَنْ تدعونَ إلاّ» ولا تَقِفْ ... وتـابِـعْ إِلـى «إيّاهُ» أعـظـمُ حُـجَّـةِ

(رَجَـعْـتُ لأعـمـالِ الـعِـبَـادَةِ عـادَةً ... وَأَعْـدَدْتُ أحـوالَ الإِرادَةِ عُـدَّتـي)

إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء الآية (٦٦)

«إنتفاء العادة في العبادة عند أهل السعادة»

تَـوَهَّـمْـتَ أعـمـالَ الـعِـبَـادَةِ عـادَةً ... لِـجهـلـكَ مـنـهـا كُـلَّ فَـتْـحٍ وَنَـفْـحَـةِ

ولو كُنْتَ مِنْ أهلِ الهداية لَمْ تَجِدْ ... عِـبَـادَتَـكَ الـرحـمـنَ عـادَةَ فِـعْـلَـةِ

فـفـي كُـلِّ أنـواعِ الـعـبـادَةِ زُلْـفَـةٌ ... تَـجَـدَّدُ لِـلْـعُـبَّـادِ فـي كُـلِّ مَـرَّةِ

فَـخُـذْ مَـثَـلاً رُكْـنَ الـصَّـلاةِ تَـدَبُّـراً ... بِـمـا فـيـهِ مِـنْ تـجـديـدِ نَـفْـحٍ وَنِـعْـمَـةِ

ففي الفَجْرِ والأقوامُ صَرْعى تَنَوَّعُوا ... وفـي كُـلِّ مـا نَـوْعٍ تَـبَـايُـنُ كـثـرةِ

فَسُكْرُ كَرًى أو سُهْدُ بَلْوَاءَ أوْ رؤى ... مُـطَـالَـعَـةٍ أو ذَوْبُ مَـرْءٍ وَمَـرْأَةِ

فَـبَـيْـنَـا هُـمُ كُـلٌّ تَـقَـمَّـصَ شَـأْنَـهُ ... إذِ اْخْـتَـرَقَـتْ آذانَـهُـمْ خَـيْـرُ دَعْـوَةِ

فَـأَمَّـا أخـو الـعُـسْـرى فـهـامَ بِـهَـمِّـهِ ... وَأَمَّـا أَخُـو الـيُـسْـرى فَـقَـامَ بِـهِـمَّـةِ

فَـقَـوْمَـتُـهُ لِـلْـفَـجْـرِ لَـيْـسَـتْ كَـغَـيْـرِهـا ... مِنَ الصَّلَواتِ الخَمْسِ في كُلِّ قَوْمَةِ

ولا قَـوْمَـةٌ فـي الـحـرِّ تَـعْـدِلُ قَـوْمَـةً ... إذا الـقُـرُّ غَـشَّـى كُـلَّ جِـسْـمٍ بِـفَـرْوَةِ

ولـيـسَ وُضـوءٌ يُـطْـفِـيءُ الـحَـرَّ مُـمْـتِـعٌ ... كَـمِـثْـلِ وُضـوءِ مُـحْـدِثٍ مَـسَّ رَجْـفَـةِ

ولـيـس خـروجٌ لـلـصـلاةِ بِـصَـحْـوَةٍ ... كَـمِـثْـلِ خـروجٍ لـلـصـلاةِ بِـشَـتْـوَةِ

ولـيـسَ قـيـامٌ فـي الـربـيـعِ بِـرَكْـعَـةٍ ... كَـمِـثْـلِ قـيـامٍ فـي الـشـتـاءِ بِـرَكْـعَـةِ

ولـيـسَ اْقْـتِـراءٌ لازِمٌ عَـيْـنَ سـورةٍ ... كَـمِـثْـلِ اْقْـتـراءِ كُـلَّ وَقْـتٍ بِـسـورةِ

فَـمِـنْ هَـاهُـنـا فَـاْفْـهَـمْ فـلـيـسَ بِـدِيـنِـنَـا ... عِـبَـادَةُ عـاداتٍ وَوَحْـدَةُ دَوْرَةِ

فَـلِـلَّـهِ عَـيْـنَـا مَـنْ رأى مِـثْـلَ مُـرْتَـدٍ ... لِـحَـافَـيْـنِ مِـنْ أَرْدَانِ أُنْـثَـى وَشَـمْـلَـةِ

فَـلَـمَّـا دَعَـتْ أَلـلـهُ أَكْـبَـرُ أُذْنَـهُ ... فَـهَـبَّ وَلَـمْ يَـرْقُـبْ إعـادَةَ دَعْـوَةِ

فَلَمَّا أتى فَجْراً إلى بيت رَبِّه ... تَفَجَّرَ مِنْ تقوى بِشَمْسٍ مُضِيئَةِ

فَمَا مُشْفِقٌ في صَرْحِ مَشْفَى مُزَلْزَلٌ ... لِحِبٍّ لَهُ في غُرْفَةِ العَمَلِيَّةِ

يَرَى ساعةً قُدَّامَ عينيهِ عُلِّقَتْ ... تَمُرُّ ثوانيها عليهِ كَحِقْبَةِ

ففوجِيءَ بالبُشْرى فأشرقَ وَجْهُهُ ... وعادَ يرى مَرَّ الزَّمانِ كَنُزْهَةِ

بِأَنْضَرَ مِنْ وجهِ المحبِّ لِرَبِّهِ ... إذا ما أذانُ الحقِّ قامَ بِدَعْوَةِ

فلو أنَّ عيناً تَسْتَشِفُّ لِخَافِقٍ ... وأنَّ لِخَفْقِ النَّبْضِ ظاهِرَ صُورَةِ

لأَبْصَرَ ذو العَيْنَيْنِ في كُلِّ خافِقٍ ... يُسَبِّحُ للرحمنِ فردوسَ جَنَّةِ

وينفي رؤى فِعْلِ العبادةِ عادَةً ... تَنَوُّعُ ما فيها بِبَدْءٍ وَخَتْمَةِ

فإنْ تَفْتَتِحْ تَخْتَرْ فَلَسْتَ مُقَيَّداً ... بِوَاحِدَةٍ عند ٱفْتِتَاحٍ وَصِيغَةِ

«فَوَجَّهْتُ» أو «أَحْسِنْ وقوفيَ» أو فَقُلْ ... «بِسُبْحَانَكَ ٱللهُمَّ» أعظمَ قَوْلَةِ

فهذي ثلاثٌ كُلُّها عَنْ نَبِيِّنا ... وفي كُلِّها معنى فُتُوحٍ عَظِيمَةِ

فإنْ خِفْتَ مِنْ شِرْكٍ "فوجهتُ" مَأْمَنٌ ... "وأحسنْ وُقُوفي" مَخْرَجٌ مِنْ خَطِيئَةِ

و«سُبْحَانَكَ ٱللهُمَّ» أهدى لِجَمْعِها ... لِنَفْيٍ وإثباتٍ وَحَمْدٍ وَنَزْهَةِ

فَكُلُّ ٱفْتِتَاحٍ فَاتِحٌ لَكَ رحمةً ... تُنَاسِبُ شَأْناً كُنْتَ فيه بِنِسْبَةِ

فليس إذاً في ديننا فِعْلُ عادَةٍ ... لَدُنْ صِيغَ عند ٱفْتِتَاحٍ عَدِيدَةِ

فإنْ يَكُ هذا في ٱفتتاحٍ فكيفَ إنْ ... تَدَبَّرْتَ آياتِ المثاني العظيمَةِ

ففي الحمدِ مِنْ معنى العَطَاءِ زيادَةٌ ... تراها لَدُنْ تتلو لَهَا كُلَّ مَرَّةِ

ففي مَرَّةٍ أولى حَمَدْتَ لِنَجْوَةٍ ... وفي مرةٍ أخرى حَمَدْتَ لِنَفْحَةِ

وفي مَرَّةٍ أَبْصَرْتَ سابقَ نعمةٍ ... وفي مرةٍ أبصرتَ زائِدَ نِعْمَةِ

وفي مرةٍ أبصرتَ آتِيَ بُغْيَةٍ ... وفي مَرَّةٍ شاهَدْتَ رَفْعَ بَلِيَّةِ

ففي كُلِّ ما حَمْدٍ فُيُوضُ مكارمٍ ... على غيرِ ما فاضَتْ بسابقِ فَيْضَةِ

وحمدُ المثاني ذو الثَّنَاءِ مُنَزَّلٌ ... لِيُدْعى به الرحمنُ خَالِصَ دعوةِ

وتُبْصِرُ حَمْدَ الربِّ فيما يَرُبُّهُ ... فَمِنْ عرشِهِ الأعلى لأَصْغَرِ ذَرَّةِ

فَتُبْصِرُهُ رَبّاً يَرُبُّ عِبَادَهُ ... بِرحمتِهِ لا بانتقامٍ وقسوةِ

ويملكُ يومَ الدينِ منهُ برحمةٍ ... لِمَا جاءَ مِنْ بعد الرحيم بِجَيْئَةِ

تَعَلَّقَ يومُ الدينِ بِٱسْمَيْنِ قَبْلَهُ ... فَدَيَّانُ يومِ الدينِ زائدُ رحمةِ

فَقَدِّرْ هُنَا كَمْ مِنْ مَشَاهِدِ رحمةٍ ... تطوفُ بها في العالمينَ بِبُرْهَةِ

وإنَّكَ تَعْيَا أَنْ تُحيطَ بِجَمْعِها ... فَمِنْ أجلِ هذا جُدِّدَتْ كُلَّ مَرَّةِ

فكيف إذاً تُلْفي العِبَادَةَ عَادَةً ... وما زلتَ منها في فُتُوحٍ جديدةِ

وإنَّكَ في «إيَّاكَ نَعْبُدُ» شاهِدٌ ... لدى كُلِّ ما وَقْتٍ مُقَامَ عُبُودَةِ

فها أنتَ عَبْدٌ ذو شؤونٍ كثيرةٍ ... وَتَعْبُدُهُ رَغْمَ الشؤونِ الكثيرةِ

فإنك في «إياكَ نَعْبُدُ» مُفْرِدٌ ... بِعَبْدِيَّةٍ قَوْلِيَّةٍ عَمَلِيَّةِ

تَدَبَّرْ بِـ «إياكَ» العِبَادَةَ كُلَّها ... فإنَّ هنا جَمْعَ السبيلِ السَّوِيَّةِ

فتقديمُ ذا المفعولِ يعني ٱخْتِصَاصَهُ ... بِنَفْيِ لِشِرْكٍ وٱنْتِفَاءٍ لِشِرْكَةِ

فَـ «إياكَ» تعني أنتَ وَحْدَكَ رَبُّنا ... وَ«نَعْبُدُ» تَعْني كُلَّ فِعْلِ العُبُودَةِ

فَلَيْسَتْ فَقَطْ «إياكَ نعبدُ» قَوْلَةً ... ولكنها تَحْقيقُ فِعْلٍ وَقَوْلَةِ

فَنَعْبُدُ تَسْبيحاً بِذِكْرٍ وَرَكْعَةٍ ... ونعبُدُ تَطْبيقاً لِحُكْمِ الشريعةِ

فما عبد الرحمنَ تاركُ شرعهِ ... ولو كُلَّ يومٍ قَامَ عَنْ ألفِ رَكْعَةِ

فَإِيَّاكَ يا أللهُ نَعْبُدُ دَائِماً ... وَتَنْفي هُنَا إِيَّاكَ شِرْكَ عُبُودَةِ

وإياكَ أيضاً نَسْتَعينُ إلهَنَا ... وَتَنْفِي هنا إياكَ شِرْكَ مَعُونَةِ

فَإِنْ كُنْتَ في حَاجٍ وَقُمْتَ مُصَلِّياً ... فَرَابِطْ لَدُنْ «إياكَ» سُؤْلاً بِنِيَّةِ

فإنْ كُنتَ في فَقْرٍ فَعَوْناً بِغُنْيَةٍ ... وإنْ كُنتَ في سُقْمٍ فَعَوْناً بِصِحَّةِ

وإنْ كُنتَ في غَمّ فَعَوْناً بِأَمْنَةٍ ... وإنْ كنتَ في بَأْسٍ فَعَوْناً بِنُصْرَةِ

وإنْ كُنتَ في قَبْضٍ فَعَوْناً بِبَسْطَةٍ ... وإنْ كُنتَ في بَسْطٍ فَعَوْناً بِخَشْعَةِ

وإنْ كنتَ في بلوى فعوناً برحمةٍ ... وإنْ كُنتَ في نُعْمى فعوناً بِعِصْمَةِ

فَإِنَّكَ مُحْتَاجٌ إلى اللّهِ دائماً ... على كُلِّ ما حالٍ تكونُ وهيئَةِ

وَقَلْبُكَ مُحْتَاجٌ إلى حُبِّ رَبِّهِ ... بِأَكْثَرَ مِنْ حَاجِ المَعِيِّ لأَكْلَةِ

فَخَمْساً تُصَلِّي كُلَّ يومٍ وليلةٍ ... وَلَنْ تَأْكُلَنْ خمساً بيومٍ وليلةِ

وإنَّ الصراطَ المستقيمَ تَبَرُّؤٌ … مِنَ السَّيْرِ في نَهْجَيْ يهودٍ وَصَلْبَةِ

فقد بَيَّنَ اللّهُ الصراطَ بأنَّهُ … على غيرِ دينِ العِجْلِ والصَّلَبِيَّةِ

فيا عَجَباً للمرءِ يقرأُ سورةً … بها ذِكْرُ مغضوبٍ عليهِمْ وَضُلَّةِ

ويبقى وَلِيّاً لِلأكافِرِ تابعاً … ذليلاً لَدَيْهِمْ خادِماً ذا وَظِيفَةِ

وتَاللّهِ لو جاءَ المسيحُ ابنُ مريمٍ … وموسى ٱبنُ عمرانٍ وَجَمْعُ النُّبُوَّةِ

لَمَا ٱتَّبَعُوا إلا سبيلَ محمدٍ … فَتِلْكَ سبيلُ الحقِّ ذاتُ المَحَجَّةِ

وَسُؤْلُ المصلينَ الصراطَ إشَارَةٌ … تَدُلُّ على معنى سُلوكٍ وَمِشْيَةِ

فَمِنْ هَاهُنَا لَمْ يَحْصُرِ اللّهُ دِينَنَا … كما ٱنحصرتْ أديانُ دَيْرٍ وَبَيْعَةِ

لقد جَعَلَ المولى لنا الأرضَ مسجداً … كما بَيَّنَ المختارُ خيرُ البريةِ

وتتلو مِنَ القرآنِ ما شئت سُورَةً … على سَعَةٍ في كُلِّ آيٍ وَسُورةِ

ففي كُلِّ ما تَتْلو مِنَ الذكرِ حكمةٌ … تُوَافِقُ شَأناً كُنْتَ فيهِ بِحِكْمَةِ

فإنَّ كتابَ اللّهِ يَسْتَوْعِبُ الورى … إلى أَبَدِ الآبادِ والأَبَدِيَّةِ

فَلَيْسَتْ صلاةُ المسلمينَ كغيرِهِمْ … تعيدُ مقالاً واحداً كُلَّ مَرَّةِ

وإنك تسعى في الصلاة تَنَقُّلاً … بِخَفْضٍ وَرَفْعٍ في قيامٍ وسجدةِ

تَنَقُّلُ بالتكبيرِ مِنْ كُلِّ هيئةٍ … إلى هيئَةٍ أُخرى بواسعِ رحمةِ

فَخُذْ مَثَلاً تكبيرَ الإحرامِ وَحْدَهُ … تَجِدْ نَفَحاتٍ فيهِ في كُلِّ مَرَّةِ

فتكبيرةُ الإحرامِ إعلانُ موقفٍ … نَسَفَتْ بهِ تأليهَ كُلِّ الخليقةِ

وفي كُلِّ تكبيرٍ للإحْرامِ نَسْفَةٌ … لِمَا كاد يَسْتَغْويكَ مِنْ قَبْلِ نَسْفَةِ

فحيناً تَراءَى جَاهَ علمٍ وَقُوَّةٍ … وحيناً تراءَى جَاهَ حُسْنٍ وَثَرْوَةِ

وحيناً تراءَى جاه جودٍ وَفَيْضَةٍ … وحيناً تَراءَى جاهَ رَأْفٍ ورحمةِ

فبينا تكادُ النفسُ بالخلقِ تُفْتَتَنْ … تُكَبِّرُ للرحمنِ ربِّ الخليقةِ

وأنت لَدُنْ كَبَّرْتَ رَبَّكَ داخِلاً … صلاتَكَ قد جَدَّدْتَ حالَ العُبُودةِ

كَدَأْبِكَ مِنْ جَمْعٍ بحضرةِ حاكمٍ … وآخَرَ مِنْ أُنْثى جَمَالٍ بحضرةِ

فَبَيْنَا هُمُ كُلٌّ تَجَلَّى بباطلٍ … فَأَذَّنَ للرحمنِ وقتُ الفريضةِ

فَكُلُّ ٱمريءٍ منهُمْ يقومُ مُكَبِّراً ... يُكَبِّرُ عَنْ حالٍ تَراءَتْ وصورةِ
فَقَدِّرْ هنا كَمْ في البَرِيَّةِ مِنْ رُؤَىً ... على كُلِّ ذي قَلْبٍ بوهمٍ تَغَشَّتِ
فإنْ تَتَّبِعْ أحوالَ عُمْرٍ لِمُفْرَدٍ ... وإنْ تَتَّبِعْ أحوالَ عُمْرٍ لأُمَّةِ
ففي كُلِّ ما حالٍ لِفَرْدٍ وَأُمَّةٍ ... إذا كَبَّرُوا قُرْبٌ بحالٍ جديدةِ
فليسَ إذاً في ديننا حالُ عادَةٍ ... ولكنَّهُ تجديدُ فَتْحٍ وَنَعْمَةِ
وما ذاكَ إلاّ أنَّ دينَ محمدٍ ... مِنَ اللّهِ لا مِنْ وحيِ رَأْيٍ وفكرةِ
ولو كان مِنْ وَضْعِ البَرِيَّةِ لم يَكُنْ ... لِيَفْتَحَ للإنسانِ دائمَ رَحْمَةِ
وإنَّكَ في خَفْضٍ وَرَفْعٍ كسالكٍ ... بِمُنْحَدَرٍ حيناً وحيناً بِصَعْدَةِ
كما في أبي داودَ عَنْ جَابِرٍ أتى ... مع المصطفى كُنّا لَدُنْ كُلِّ سَفْرَةِ
فإنْ تَلَّةً نَصْعَدْ نُكَبِّرْ بِتَلَّةٍ ... وإنْ وَهْدَةً نَهْبِطْ نُسَبِّحْ بِوَهْدَةِ
فجاءتْ على أمثالِ ذاكَ صلاتُنا ... بتكبيرِ ما رَفْعٍ وتسبيحِ سَجْدَةِ
وَمَا لَمْ يَقُلْهُ جابِرٌ وَهْوَ ظاهِرٌ ... وإنْ هُوَ إلاّ مِنْ فُتُوحٍ وَرَحْمَةِ
ففي الأرضِ سَهْلٌ غيرُ وَهْدٍ وَتَلَّةٍ ... وهذا مَقَامُ الحمدِ في كُلِّ قَوْمَةِ
ففي السَّهْلِ للمجتازِ في الأرضِ راحةٌ ... تُسَوَّى بها أعضاؤهُ بَعْدَ ثِنْيَةِ
كما قام جسمُ العبد قبلَ ركوعِهِ ... وَعَاوَدَ أُخرى قائماً بَعْدَ رَكْعَةِ
فعند القِيامِ العبدُ يَقْرأُ حَمْدَةً ... وبعد الركوعِ الرَّفْعُ مُفْضٍ لِحَمْدَةِ
كذلك بعد السَّيْرِ في الأرضِ للورى ... إناخَةُ رَكْبٍ وارْتِياحٌ بِقَعْدَةِ
فتلكَ التَّحِيَّاتُ المباركَةُ التي ... نُوَحِّدُ فيها اللهَ عَنْ مِثْلِ رُؤْيَةِ
كَأَنّا وَصَلْنَا بعد كَدْحٍ وَرِحْلَةٍ ... فقيلَ لنا هَيّا لأعظم حَضْرَةِ
نُسَبِّحُهُ في كُلِّ سُفْلٍ وَخَفْضَةٍ ... فَسُبْحَانَهُ عَنْ كُلِّ سِفْلٍ وَخَفْضَةِ
نكبرُ تكبيراً لِعِزِّ جلالِهِ ... على كُلِّ مُسْتَعْلٍ وَعَالٍ وَعَلْوَةِ
وَنَحْمَدُهُ في كل سهلٍ وَقَوْمةٍ ... فلولاهُ لَمْ نَنْعَمْ بِسَهْلٍ وَقَومَةِ
ولولاهُ لَمْ نَحْمَدْ ولولاهُ لم نَكُنْ ... ولولاهُ لَمْ نَسْلُكْ طريق المَحَجَّةِ
وَقَدْ قال «وَٱسْجُدْ وٱقْتَرِبْ» لرسولهِ ... فَمَا لَكَ تسهو عن سجودٍ وَقُرْبَةِ

إشارة إلى حديث: وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم
أخرجه مسلم ٤٧٩ من حديث ابن عباس

وَصحّ حديثٌ أكثروا في سُجودِكُمْ … دُعَاءً فأحرى أَنْ يُجابَ بِسَجْدَةِ
وفي قولِهِ صلَّى عليهِ إلٰهُهُ … أُمِرْتُ لِرَبِّي أنْ أَخِرَّ بِسَبْعَةِ
على الوَجْهِ والكَفَّيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ وَآ … لأَنَامِلِ مِنْ رِجْلَيَّ مِنْ غيرِ كَفْتَةِ
دليلٌ على أنَّ السجودَ مُجَمِّعٌ … جَوَارِحَنَا والجَمْعُ أَرْقَى العُبُودَةِ
أَرَانَا ٱقتربنا في السجودِ لأنه … يُغَيِّبُنَا عَنْ كُلِّ كَوْنٍ وَرُؤْيَةِ
وإنّا إذا ما الجسمُ أصْبَحَ ساجداً … نَجَوْنا وصرنا في حصونٍ أمينَةِ
كذي سَفَرٍ يبغي مليكاً بِرِحْلَةٍ … ويخشى مِنَ القُطَّاعِ في كل خُطْوَةِ
فما زالَ يسعى في ٱجتهادٍ وَحَيْطَةٍ … إلى أَنْ أتاهُ ساجداً عند حضرةِ
فَمَنْ خَرَّ للرحمن بالحقِّ ساجداً … تَغَشَّاهُ بعد الغَمِّ أَمْنُ السكينةِ
فَمِنْ هاهُنا إبليسُ يَنْفَدُ كيدُهُ … وَيَعْجِزُ عَنْ إغواءِ عَبْدٍ بِسَجْدَةِ
فليسَ يُرى مِنْ ساجدٍ مُتَثَائبٍ … وليسَ يُرى مِنْ ساجدٍ مُتَلَفِّتِ
ولكنْ تُرى عند السجودِ ٱستراحةٌ … وَيَشْعُرُ خَفْقُ القلبِ بٱلطُّمَأْنِينَةِ
وحيثُ الدُّنا دارٌ كثيرٌ مَخُوفُها … كثيراً إذا يَغلو أمانُ المَخُوفَةِ
وحيثُ تُرى أنواعُ بُعْدٍ بِغَفْلَةٍ … فسوف تُرى أنواعُ قُرْبٍ بِسَجْدَةِ
وهذا إذاً ينفي كما غيرُهُ نَفَى … عَنِ الدينِ دعوى العادةِ المستمرةِ
وإنَّكَ مِنْ بعد السجودِ لَجَالِسٌ … فما سَجْدَةٌ إلاَّ وَتُفْضِي لِجِلْسَةِ
كَجِلْسَةِ بينَ السَّجْدَتَيْنِ وَجِلْسَةٍ … تكونُ بُعَيْدَ السجدتينِ كَنُزْهَةِ
فما كان بينَ السَّجْدَتَيْنِ فَقَعْدَةٌ … تَنَالُ بها أنواعَ فَضْلٍ بِدَعْوَةِ
وإنَّكَ في فعلِ الصلاةِ لَرَاجِعٌ … على الجسمِ بالتدريبِ والحَيَوِيَّةِ
فَإِنَّ صلاةً عُدِّلَتْ حَرَكَاتُها … تُعَدِّلُ مَجْرى الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ
وكانَ ٱعتدالُ المصطفى بعد سجدةٍ … بِقَدْرِ ٱعتدالِ المصطفى بعد رَكْعَةِ
وكان ركوعُ المصطفى وسجودُهُ … وَمَثْنَى ٱعْتِدالَيْهِ قريباً بِنِسْبَةِ
كما صَحَّ مِنْ قولِ البَرَاءِ بن عازِبٍ … بما أَخْرَجَ الشيخانِ مِنْ بابِ شُعْبَةِ
كذلكَ بعد السجدتين ٱستراحةٌ … تَقَوَّى بها حتّى تقومَ بِهِمَّةِ

إشارة إلى حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين أخرجه م ٤٩٠، ٤٩٢

أخرجه م ٤٧١

فَلا تَدَعَنَّ الإستراحَةَ عامداً ... وَكَبِّرْ بها عند ٱرتفاعٍ بِنَهْضَةِ

كَدَأْبِ ٱبنِ أسماءَ الطُّهُورِ أميرِنا ... عليه سَلامٌ مِنْ شهيدٍ خَليفَةِ

فكانَ إذا ما قامَ كَبَّرَ جالساً ... وكَبَّرَ أُخرى ناهِضاً بعدَ جِلْسَةِ

رواهُ البخاريُّ المبارَكُ حِفْظُهُ ... عليه مِنَ الرحمنِ دَائِمُ رحمةِ

وكانَ ركوعُ المصطفى أوْ سُجودُهُ ... يُقَدَّرُ بالتَّسْبيح عَشْراً بِعَدَّةِ

كما في أبي داودَ عَنْ أَنَسٍ لَدُنْ ... غَدَا عُمَرُ الثاني أَمْيرَ المدينَةِ

وذلكَ في عَهْدِ الوليْدِ ٱبنِ عَمِّهِ ... وكان فَتَىً في مُسْتَهَلِّ الشبيبةِ

فحينئذٍ قال ٱبنُ مالكَ لَمْ أَجِدْ ... كَهَذَا شبيهاً بالنبيِّ بركعةِ

فعندئذٍ قالوا حَزَرْنا صلاتَهُ ... فَسَبَّحَ عَشْراً كُلَّ مَوْضِعِ سُبْحَةِ

فَمِنْ هاهُنا كانَتْ صلاةُ نبينا ... يُعَادِلُ بعضاً بعضُها عَدْلَ قِسْمَةِ

وهذا دليلٌ أنَّ نَفسَ محمدٍ ... تَنَزَّهُ عَنْ كُلِّ ٱضْطِرابٍ وَحَيْرَةِ

وإنَّكَ في تسبيحِ رَبِّكَ طائِفٌ ... تَجُوبُ ضميرَ الأُمَّةِ البَشَرِيَّةِ

فَمَا كانَ مِنْ أقوالها عَنْ إلهِهَا ... فَتَحَكَّمُ في أَقْوَالِها بالشريعةِ

فَيَسْتَحْضِرُ التسبيحُ كُلَّ مَقُولَةٍ ... تُقَالُ عَنِ الرحمنِ أو كُلَّ فِكْرَةِ

فَمَا كانَ منها عَنْ كتابٍ وَسُنَّةٍ ... فما الحَقُّ يعدو عَنْ كتابٍ وَسُنَّةِ

وما كانَ منها مِنْ وَسَاوِسِ قَوْلَةٍ ... فَيَنْسِفُ منها كُلَّ وسواسِ قَوْلَةِ

فسبحانَهُ عَنْ كُلِّ قَوْلَةِ مُشرِكٍ ... وسبحانَهُ عَنْ كُلِّ وَصْفِ نَقِيصَةِ

وَسَبِّحْهُ عَنْ قولِ اليهودِ فإنَّهُمْ ... يرونَ لَهُ وصفَ ٱفتقارٍ وَعِلَّةِ

وَسَبِّحْهُ عَنْ قولِ النصارى فإنَّهُمْ ... يرونَ لَهُ الإشراكَ بٱبْنٍ وزوجَةِ

وَسَبِّحْهُ عَنْ قولِ البريةِ كُلِّها ... سوى قائلٍ بالحقِّ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ

وفي كُلِّ تَسْبيحٍ تسبح عَنْ هَوىً ... على كَثْرَةِ الأهواءِ في كُلِّ مِلَّةِ

فَقَدِّرْ هُنَا كَمْ في البَرِيَّةِ مِنْ هَوىً ... وَكَمْ في نفوسِ الناسِ مِنْ كُلِّ ضَلَّةِ

وَلَلْحَالُ فيما كانَ قَبْلَ فريضَةٍ ... سَتُعْكَسُ في التَّسْبيحِ عند الفريضةِ

فَأَنتَ إذاً في كُلِّ وَقْتِ فريضَةٍ ... تُسَبِّحُ عَنْ أهواءِ حالٍ جديدةِ

وهـذا إذاً يـنـفـي ٱدِّعـاءَ تَـعَـوُّدِ ... وَيُـثْـبِـتُ إمـدادَ الـفُـتُـوحِ الـمـديـدَةِ

فـإنْ قُـلْـتَ إنـي قَـدْ أُسَبِّـحُ مَـرَّةً ... فَـأَنْـسِـفُ فـيـهـا كُـلَّ بـاطِـلِ فِـكْـرَةِ

فـهـذا صـحـيـحٌ قَـدْ يُـرَى غَـيْـرَ أَنَّـهُ ... يَـمُـرُّ كَـمَـرِّ الـبَـرْقِ أَسْـرَعَ لَـمْـحَـةِ

فـأنـتَ إذا جَـاءَتْـكَ سبـعـونَ صُـورَةً ... سَـتَـغْـلِـبُ فـيـهـا صـورةٌ كُـلَّ صـورةِ

وإنَّـك إنْ جـاءتـكَ سبـعـونَ فـكـرةً ... سَـتَـغْـيَـا لـدى الـتَّـرْكِـيـزِ إلاَّ بِـفِـكْـرَةِ

وليسَ ٱنفعالُ النفسِ في حالِ حَضْرَةٍ ... كَمِثْلِ ٱنفعالِ النفسِ في حالِ غَيْبَةِ

ولا تَـحْـسَـبِ الـتسـبـيـحَ رَهْـنـاً بِـعِـلَّـةٍ ... فـإنَّ لَـهُ بَـحْـرَ الـمـعـانـي الـكـثـيـرَةِ

فـيـأتـي عـلـى نَـفْـيٍ لـكـل نـقـيـصَـةٍ ... ويـأتـي عـلـى إثْـبَـاتِ كـامِـلِ مِـدْحَـةِ

كـتـسـبـيـحِـهِ بـالـحـمـدِ سَبِّـحْ بـحـمـده ... فَـسُـبْـحَـانَـهُ بـالـحـمـدِ فـي كُـلِّ نـعـمـةِ

وسبـحـانَ مَـنْ بـالـحـق سَبَّـحَ نَـفْـسَـهُ ... بِـإِسْـرَائِـهِ لَـيْـلاً بـخـيـرِ الـبـريـةِ

وقـد أخـرج الـرحـمـنُ بـالـحـق يـونُـسـاً ... بـتـسـبـيـحـهِ مِـنْ بَـطْـنِ حُـوتٍ وَلُـجَّـةِ

وقـد جُـعِـلَ الـتسـبـيـحُ مِـنْ دونِ غـيـره ... دُعَـاءً لأهـلِ الـخُـلْـدِ خـالِـصَ دَعْـوَةِ

فـسـبـحـانَـكَ ٱلـلـهُـمَّ دَعْـواهُـمُ فَـعُـدْ ... إلى مُحْكَماتِ الذكرِ تَرْجِعْ بِحُجَّةِ

وإنَّـكَ فـي تـسـبـيـحِ رَبِّـكَ سَـابِـحٌ ... وَمِـنْ لُـجَّـةِ الأهـواءِ نَـاجٍ بِـنَـجْـوَةِ

فـأهـواءُ أَهْـلِ الأرضِ مثـلُ بِـحـارِهـا ... وسـبـحـانَـكَ ٱلـلـهُـمَّ مثـلُ الـسـفـيـنـةِ

وإنـكَ فـي الـتسـبـيـحِ أيـضـاً مُـخَـيَّـرٌ ... لَدُنْ ركعةٍ سَبَّحْتَ أَمْ عندَ سجدةِ

فقد صَحَّ في التسبيحِ عَنْ أفضل الورى ... زيـادَةُ أنـواعٍ تُـعَـدُّ بِـعَـدَّةِ

وإنـك إذْ سَـبَّـحْـتَ رَبَّـكَ سـاجـداً ... قَـرُبْـتَ مِـنَ الـرحـمـنِ أعـظَـمَ قُـرْبَـةِ

فَـقُـمْ جـالـسـاً مِـنْ بعـد آخِـرِ سَـجْـدَةٍ ... وَقَـدِّمْ تَـحِـيَّـاتِ الإلـهِ بِـجَـلْـسَـةِ

شـهـدتَ لَـهُ عـنـدَ الـتـحـيـاتِ أنـه ... مليكُ الورى فالملكُ معنى التحيةِ

وحـتـى تـرى فـرق الـتَّـنَـوُّعِ هـاهـنـا ... فَـأَنـصِـتْ بِـلُـبٍّ تَـسْـتَـبِـنْ عَـنْ بـصـيـرةِ

فـإنـك نـفـسٌ مِـنْ ثـلاثـةِ أنـفـسٍ ... فـقـيـرٍ وَمَـسْـتـورٍ وَصَـاحِـبِ ثـروةِ

ففـي الـفـقـر فـٱربـطْ بـالـتـحـيـاتِ نِـيَّـةً ... بِـسُـؤْلٍ وفـي الـسَّـتْـرِ ٱسْـتَـزِدْهُ بِـنِـيَّـةِ

وعـنـد الـغِـنـى ٱبْـرَأْ مِـنْ غِـنَـاكَ بِـذِلَّـةٍ ... ورابِـطْ بـقـلـبٍ فـي الـتـحـيـاتِ مُـخْـبِـتِ

فأضحى لسانُ الحالِ منكَ لَدَى الطَّوَى ... بِجُودِكَ يا ذا الملكِ عَلَّقْتُ مهجتي

وأضحى لسانُ الحالِ منكَ لدى المنى ... بِفَضْلِكَ يا ذا الملك أَنْزَلْتُ رَغْبَتِي

وَأَضْحى لسانُ الحالِ منكَ لدى الغِنَى ... لَكَ الملكُ كُلُّ الملكِ رَبَّ البَرِيَّةِ

فَأَبْصِرْ هنا كَمْ في التَّحِيَّاتِ مِنْ جَدًا ... لِمَا ليس يُحْصى مِنْ عَطَاءٍ وَنِعْمَةِ

وَقَدِّرْ هُنا كَمْ في التحياتِ مِنْ رُؤًى ... تزولُ لها دعوى ٱعْتِيَادٍ بِعَوْدَةِ

ولا تَحْسَبنَّ الملكَ بالمالِ وَحْدَه ... ولا أَن فَضْلَ اللّٰهِ ذو أَمدِيَّةِ

وفي الصَّلَواتِ الطَّيِّبَاتِ إشارَةٌ ... إلى كُلِّ مَنْ صَلَّى بِشَرْعٍ وفطرةِ

فَمِنْ خيرِ مَنْ صَلَّى لذي العرشِ خالِصاً ... مِنَ الملأ الأعلى وأهلِ النبوةِ

إلى كُلِّ أَصْحَابٍ وآلٍ لِمُرْسَلٍ ... وَمُتَّبِعٍ منهاجَ حَقٍّ بِشِرْعَةِ

إلى صَلَواتِ الطَّيْرِ والوحشِ في الفَلا ... وَأَمْثَالِهَا في البحرِ مِنْ كُلِّ أُمَّةِ

كأنك قد أحضرتَها وَجَمَعْتَها ... بِقَوْلِكَهَا جَمْعاً بِفارِدِ لَفْظَةِ

وإنكَ في عَجْزٍ عَنِ ٱحْضَارِ صُورةٍ ... لهذا وَعَنْ تَعْدَادِهِ أَيَّ عَدَّةِ

فَمِنْ هاهنا ٱرْبِطْ ما ٱستَطَعْتَ تَخَشُّعاً ... فَخَيْرُ صلاةِ العبدِ لَحْظَةُ خَشْعَةِ

إلَـهَ الورى هذا مُنَاجٍ كَـقَذَّةٍ ... وَبَيْنَ يَدَيْ نجواكَ كُلُّ كَذَرَّةِ

فَمَنْ أنا يا مولاي حتى تُنيلني ... دُنُوَّ مُنَاجاةٍ وإذْنَ تَحِيَّةِ

إلَهِيَ رَبِّي جاعِلَ السَّمْعِ فِيَّ وا ... هبي بَصَراً جَبَّارَ عظمي وطينتي

مُقَوِّمَ خَلْقِي نَافِخَ الروحِ فِيَّ مُط ... لِقاً مِقْوَلي مُعْطِيَّ قلبي وَمُهْجَتي

مُسَخِّرَ لي ما في السماواتِ والثرى ... وَمُؤْتِيَّ إِحْسَاسي ونورَ بصيرتي

وهادِيَّ فَضْلاً بالتي قَدْ شَرَعْتَها ... وَهَادِيَّ توفيقاً لأُومِنَ بالتي

ولستُ بِمُحْصٍ نِعْمَةً منكَ والورى ... وَمَالَكَ مِنْ شِرْكٍ بِفَضْلٍ ونعمةِ

فأنتَ إلهي لا إلهَ سِواكَ لي ... وأنتَ الإلهُ الحقُّ رَبُّ البريةِ

لَكَ الصَّلَوَاتُ الطيباتُ المباركا ... تُ خالصةً مِنْ كُلِّ شِرْكٍ وَشِرْكَةِ

فَتَعْساً لمنْ صلَّى لغيرِكَ بُرْهَةً ... وَأُفٌّ لمعبودٍ سواكَ بِبُرْهَةِ

وها أنتَ ذا مِنْ بعدِ هذا مُسَلِّمٌ ... على خير مبعوثٍ بِخَيْرِ نُبُوَّةِ

وإنَّ المنَادَى أيُّ مِنْ أَيُّها النبيُّ   يعني سَمَاعَ المصطفى للتحيةِ
ولا تحسبنَّ الهاءَ في أَيُّها هُنا   على حالِ تَنْبِيهِ المنادى بِغَفْلَةِ
ولكنها جَاءَتْ تُنَبِّهُ بِٱسْمِهِ   بِأَنَّ لَهُ ٱستغراق وَصْفِ النبوةِ
كما خَصَّهُ الرحمنُ في كُلِّ مَوْضِعٍ   بيا أَيُّها عند الخطابِ بسورةِ
وتخصِيصُهُ بالسَّلْمِ قبل نفوسنا   دليلٌ على تقديمه بالمحبَّةِ
فمن هاهنا حقٌّ على كل مؤمنٍ   محبتهُ من قبل نفسٍ ومهجةِ
وحيثُ رسولُ اللّهِ أخبرَ أنهُ   يَرُدُّ علينا سَلْمَنا كُلَّ مرةِ
فَقَدِّرْ هنا كَمْ في سلام نبينا   علينا تَوَالى مِنْ فُيُوضٍ عظيمَةِ
ومِنْ بعدِ ما نقضي حقوقَ محمدٍ   بِسَلْمٍ وَتَبْرِيكٍ عليهِ ورحمةِ
فَنُهْدي سلاماً شاملاً لِنُفُوسنا   وَلِلْخِيرَةِ الأَطْهَارِ مِنْ كُلِّ أُمَّةِ
كما أخرجَ الشيخانِ عن سيِّدِ الورى   إذا ما المصلِّي قالَ سَلْمَ التَّحِيَّةِ
فَذَاكَ سلامٌ بالغٌ كُلَّ صالحٍ   بِجَوِّ سماءٍ كانَ أمْ أرضٍ بُقْعَةِ
فأبصرْ هنا كم في السَّلامِ مِنَ الهُدى   وَكَمْ فيهِ مِنْ تعميم فَضْلٍ ونعمةِ
فإنَّكَ في ذا واصِلٌ أُمَّةَ التُّقى   وَمُسْتَشْعِرٌ مَعْ كُلِّهِمْ بالأُخُوَّةِ
فإلاَّ يكونوا حاضرينَ بِأَجْسُدٍ   فأرواحُهُمْ كادَتْ تَجيءُ بحضرةِ
فَقَدِّرْ هنا كم تستطيع من الرؤى   وَكَمْ يستطيعُ القلبُ مِنْ حَمْلِ فَرْحَةِ
فإنَّكَ طَوَّافٌ بِسَلْمِكَ ها هُنا   على الملأ الأعلى وأهلِ البَسيطةِ
فَلَسْتَ أخا حِزْبٍ ولا عَبْدَ مَوْطِنٍ   ولكنْ أخو التقوى وعبدُ الرُّبُوبَةِ
فكيفَ ترى فعلَ العبادةِ عادَةً   وقد طِرْتَ فيها مِنْ وراءِ المَجَرَّةِ
وكيفَ هنا ننسى علينا سلامنا   وَحُقَّ لنا مِنْ ربنا في التحيةِ
فليس سلامٌ خارجٌ عَنْ فريضةٍ   كَمِثْلِ سلامٍ داخلٍ في الفريضةِ
فهذا سلامٌ فيهِ نَعبُدُ رَبَّنا   تماماً على الأمرِ الذي في الشريعةِ
وإنَّا إذاً في ذا السَّلامِ عَنِ ٱذْنِهِ   تعالى ٱسْمُهُ في خير فَضْلٍ ونعمةِ
فرابِطْ هنا عند السلامِ تَرَجِّياً   لِمَا كنتَ محتاجاً إليهِ بِنِيَّةِ

فإنْ كنتَ في خوفٍ فَسَلِّمْ لأَمْنَةٍ　　وإنْ كنت في سُقْمٍ فَسَلِّمْ لِصِحَّةِ

وإنْ كنتَ في بلوى فَسَلِّمْ لِمَخْرَجٍ　　وإنْ كنت في نُعْمى فَسَلِّمْ لِعصمةِ

فكيف ترى فعل العبادة عادة　　وفيه سلام كاشِفٌ كُلَّ غُمَّةِ

وَأبصرْ هنا فَضْلَ السَّلام بإذنِهِ　　لِمَنْ في الدُّنا يحتاجُهُ كُلَّ لحظةِ

ففي كُلِّ ما وقتٍ تُراكَ بحاجَةٍ　　لمعنىً جديدٍ مِنْ سلام التحيةِ

وأنتَ إلى معنى السلام بحاجةٍ　　ولو صرتَ في فردوسِ خُلْدٍ وَجَنَّةِ

فإنْ كنتَ في شَكٍّ بهذا ألا اَقْتَرِئْ　　«تَحِيَّتُهُمْ فيها سلامٌ» بسورةِ

وإنك إذْ أعلنتَ خير شهادَةٍ　　وَصَلْتَ إلى أهدى سبيلِ المحجةِ

فأقسم بِاَللّهِ الذي لا إله غيـ　　رُهُ إنَّهُ لَلْحَقُّ حَقُّ الحقيقةِ

فما مِنْ إلهٍ أيها الناسُ واَسمعوا　　سوى اللّهِ باريكُمْ إلهِ البريةِ

فلا تألهوا الشيطانَ والمالَ والهوى　　وَدُوسُوا رؤوسَ الكافرينَ الأَضِلَّةِ

هُوَ اللّهُ مولاكُمْ هو اَللّهُ رَبُّكُمْ　　فما لَكُمُ عَنْ رَبِّكُمْ في مَضِلَّةِ

وليسَ لَكُمْ من مَلْجأٍ دونَ رَبِّكُمْ　　فَفِرُّوا إليهِ الآنَ قبلَ المنيةِ

فَمَنْ يَعْبُدِ الخَلاّقَ يَسْرَحْ برحمةٍ　　ومَنْ يَعْبُدِ المخلوقَ يَخْنَسْ وَيُكْبَتِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ القَلْبَ يرتاحُ أَنْ نَفَى　　وَيَخْشَعُ في الإثباتِ أَعْظَمَ خَشْعَةِ

بَلَى وإلهِ المصطفى إنَّ هَاهُنَا　　لأَعْظَمَ أسرار القلوبِ التَّقِيَّةِ

فَحَطِّمْ بِنَفْيِ اللاّ إلهَ مَن اَدَّعى　　وَأَثْبِتْ بإلاّ اللّهُ حَقَّ الأُلُوهَةِ

فَقَدِّرْ هنا في كُلِّ لا كَمْ تَحَطَّمَتْ　　طَوَاغيتُ أصنامٍ لإنْسٍ وَجِنَّةِ

بِحَسْبِكَ منها أَنَّ نَفْسَكَ طُهِّرَتْ　　مِنَ الشِّرْكِ واَسْتَعْلَتْ على كُلِّ ضَلَّةِ

وها أنتَ قد أعلنتَ أَنَّ محمداً　　رسولُ الإلهِ المصطفى ذو الأَدِلَّةِ

وإنَّكَ في هذا تقولُ لِذَا الورى　　تَبَرَّأْتُ منكُمْ أنْ تكونوا أَئِمَّتي

فإنْ تسلكوا في كُلِّ ما تَبَعِيَّةٍ　　فإني وراءَ المصطفى تَبَعِيَّتي

فإنْ كنتَ مِنْ قَبْلِ الصلاةِ مقارباً　　سبيلَ الهوى عَنْ حالِ ضَعْفٍ وَغَفْلَةِ

وقد جاءَكَ الشيطانُ يدعوكَ للهوى　　فَكِدْتَ وَلَمْ تَفْعَلْ وَظَلْتَ بِحَيْرَةِ

فـإنـك إنْ تَـدْخُـلْ صـلاةً فَـتَـذَّكِـرْ سبيـلَ رسـولِ اللّهِ تَـرْجِـعْ بـأوبـةِ
كَمُسْتَوْقِفٍ إيَّايَ فـي السـوقِ مَرَّةً لِيَسْأَلني بعـد ٱسْتِمـاعٍ لِخُطْبَتي
وكـنـتُ بـهـا ضَـلَّلْتُ كُـلَّ مُـرَشَّحٍ لـمـجـلـسِ نُـوّابٍ وَرَايَـةِ أرزةِ
وَضَـلَّلْتُ أيضـاً كُـلَّ مُـنْـتَـخِـبٍ لَـهُ وَكُلَّ ٱمْرِيءٍ يرضى بغير الشريعةِ
وأقسُـم مـا ضَـلَّلْتُهُـمْ بـمقـالـتـي ولـكـنـنـي ضَـلَّلْـتُـهُـمْ بـالأدِلَّـةِ
فـإني ٱمـرؤٌ والحمـدُ للّهِ لَـمْ أَزَلْ عـلـى بَيِّنـاتٍ مِـنْ كـتـابٍ وَسُنَّـةِ
فَقُلْتُ لِذَاكَ المرءِ إِذْهَبْ تَـوَضَّأَنْ وَذَا مَسْجِدٌ فـٱرْكَعْ بِذُلٍّ وَأَخْبِتِ
ولا تَـعْـجَـلَـنْ إنِّـي هُـنَـا مُـتَـرَبِّـصٌ لِتُخْبِرَنـي عمّـا ٱسْتَفَدْتَ بِرَكْعَةِ
فـغـابَ وَلَـمْ يَـعْـجَـلْ وَعَـادَ مُـنَـوَّراً لـيـنطـقَ عَـنْ فَتْـحٍ بنـورٍ وحـكمـةِ
يقـولُ لقـد أحضـرتُ قـلـبيَ داخِـلاً صلاةً بها ٱسْتَفْتَحْتُ عينَ بصيرتي
فـلـمـابـلـغـتُ الـقـول إنَّ مـحـمـداً رسـولُ الإلـهِ ٱسْتَوْقَفَتْنِيَ قَوْلتي
لِئِنْ كُنْتَ حَقّاً شـاهِـداً لـمـحـمـدٍ فَسِرْ خَلْفَهُ في كُلِّ مَوْضِعِ خُطْوَةِ
أَرَيْـتَـكَ إنْ يـرجـعْ نَـبِـيُّـكَ لـلـدُّنـا أيرضى بحكم غير حكم الشريعةِ
فـإنْ كـان لا يـرضـى وذلـكَ ديـنُـهُ أتـانـا بـهِ مِـنْ عـنـدِ رَبِّ الـبَـرِيَّـةِ
فـكـيـفَ إذاً تَـرْضـى بـغـيـرِ رضـائِـهِ وأيـنَ دَعَـاوى الـحـبِّ والـتَّـبَـعِـيَّـةِ
وإنَّـكَ فـي روضِ الـتَّـشَـهُّـدِ داخِـلٌ تُصَلِّي على المختـارِ منهُ بروضةِ
تُـصَـلِّـي عـلـى خيـرِ الـبَـرِيَّـةِ أحـمـدٍ وتـذكُـرُ إبـراهـيـمَ ثـانـي الـبـريـةِ
وَذِكْـرُكَ إبـراهـيـمَ فـيـه شَـهَـادَةٌ بـأنَّـكَ مِـنْ أهـلِ التُّـقـى خيـرِ أمَّـةِ
كمـا سألَ الرحمنَ أن يَجْعَلَنْ لِسا نَ صِـدْقٍ لَـهُ فـي الآخـرِيـنَ بسـورةِ
وفـي ذكـرِ إبـراهـيـمَ خـيـرُ تَـوَاصُـلٍ عـلـى زَمَـنِ الأيـامِ فـي خـيـرِ مِـلَّـةِ
أَلَـمْ تَـرَ مـولانـا لـنـا ٱخـتـارَهُ أبـاً فَطُوبى لـنـا طُـوبى بـهـذي الأُبُـوَّةِ
كـأنـك فـي ذكـراهُ قـيـل لَـكَ ٱرْتَـجِـعْ إلى نَسَبِ التقوى عَنِ الـعَـصَـبِـيَّـةِ
فـإنْ يَـكُ إبـراهـيـمُ جَـدّاً لأُمَّـةٍ فـقـد دَخَـلَ الإسـلامَ مِـنْ كُـلِّ أُمَّـةِ
ومـا آلُ إبـراهـيـمَ إذْ أنـتَ ذاكِـرٌ سوى السَّادَةِ الأخيـارِ أهـلِ النبـوةِ

فَقَدِّرْ هنا كَمْ مِنْ رُؤىً ومَشَاهِدٍ تفيضُ على قلبِ التَّقِيِّ برحمةِ
فإنْ كنتَ في إغواءِ أُنثى وَأَقْبَلَتْ صلاةٌ فَلَمْ تربطْ بها أيَّ فِكْرَةِ
فَلَمّا أتى ذكرُ التَّشَهُّدِ وانْتَهى إلى آلِ إبراهيمَ منهُ بِلَفْظَةِ
ففي آلِ إبراهيمَ مِن حالِ يُوسُفٍ لأهلِ الهُدى ذكرى بِتَرْكِ الخطيئةِ
وإنْ كنتَ في سِجْنٍ فيوسُفُ لَمْ يَزَلْ إلى اللّهِ يدعو رَغْمَ سِجْنٍ وَعُسْرَةِ
وإنْ كُنْتَ في فَقْدِ الأَحِبَّةِ فاعْتَبِرْ بأحوالِ يعقوبَ بِفُقْدِ الأَحِبَّةِ
وإن كنت في حربِ العَدُوِّ وَكَيْدِهِ فطالوتُ أو داوودُ أعظمُ عِبْرَةِ
وإنْ كنتَ تخشى مِنْ هوىً في حكومةٍ ففي أوْبِ داوودٍ نَقَاءُ الحكومةِ
وإن كنتَ في أحوالِ صَبْرٍ ودعوةٍ ففي حالِ موسى خيرُ صَبْرٍ ودعوةِ
وفي ذكرِ آلِ المصطفى رَجْعُ فَتْرَةٍ تعيشُ بها في الذِّكْرَيَاتِ الحبيبَةِ
وآلُ رسولِ اللّهِ بَدْءاً نِسَاؤُهُ وأولادُهُ والأقربونَ بِنِسْبَةِ
وأزواجُهُ في الذِّكْرِ أَوَّلُ آلِهِ وفي سُورةِ الأحزابِ أَبْيَنُ حُجَّةِ
كما في الصَّحِيحَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ عَنْ نبيِّنا جاءَ تعليمُ الصلاةِ بصيغةِ
فقولوا بها اللهمَّ صَلِّ على محمـ ـدٍ وعلى أزواجِهِ والذُرِيَّةِ
وكان رسولُ اللّهِ حيناً صلاتُهُ تجيءُ بذكرِ الآلِ مُجْمَلَ لَفْظَةِ
كما صَحَّ ذكرُ الآلِ مُجْمَلَ لَفْظَةٍ على غيرِ تفصيلٍ بِإِبْنٍ وزوجةِ
وحيناً بأزواجٍ وَذُرِّيَّةٍ على تَقَدُّمِ أزواجٍ لدى كُلِّ جُمْلَةِ
ويدخُلُ في آلِ النبيِّ وأهلِهِ تُقَاةُ العِبِدّى كُلُّ بَرٍّ وَبَرَّةِ
فآلُ النبيِّ الآيلونَ لأَمرِهِ وأهلُ النبيِّ الآهلونَ بِسُنَّةِ
فَقَدِّرْ هنا كَمْ قد تَرَاءَيْتَ من رُؤىً لَدُنْ عشتَ في الذكرى بِعصرِ الأحبةِ
تَرَاءَى رسولَ اللّهِ بين نسائِهِ وأولادِهِ في خَيْرِ عَيْشٍ وَعِشْرَةِ
نَبِيُّ الهُدى خيرُ الرجالِ بُعُولَةً وأرْحَمُ آباءِ الورى في الأُبُوَّةِ
وإنَّكَ إذْ أهديتَ خيرَ هديةٍ صلاةً فأبشرْ بالهدايا الكثيرةِ
كما قالَ مَنْ صلَّى عليَّ بِمَرَّةٍ يُصَلِّي عليهِ اللّهُ عشراً بِمَرَّةِ

وهذا حديثٌ صَحَّ في مُسْلِمٍ وفي ... معانيهِ أنهارُ الفيوضِ العظيمةِ
حميدٌ مجيدٌ رَبَّنا فَلَكَ الثَّنَا ... ءُ مِنْكَ علينا أُسْبِغَتْ خيرُ نِعْمَةِ
وإنكَ أيضاً في الدعاءِ مُخَيَّرٌ ... كَما صَحَّ عَنْ خيرِ الأنامِ بِسُنَّةِ
وَمِنْ خيرِ ما ظَلَّ النبيُّ مُواظِباً ... عليه دُعاءٌ شامِلٌ كُلَّ دَعْوَةِ
فَمِنْ فِتْنَةِ المحيا ٱستعاذَ وَفِتْنَةِ ... المماتِ وَدَجَّالٍ ونارٍ وَحُفْرَةِ
فَمِنْ فِتْنَةِ المحيا ٱستعاذَ لأَنَّهُ ... يَخافُ مِنَ الدنيا الوقوعَ بِفِتْنَةِ
يُعَلِّمُنا هذا النبيُّ فلا تَزِغْ ... فَقَدْ عَصَمَ اللّهُ النبيَّ بعصمةِ
وإنَّ هنا فَتْحاً أَتى الآن فٱنْتَبِهْ ... فَنَفْسُ دُعاءِ العبدِ عِصْمَةُ مُهْجَةِ
فلا شيءَ يَسْتَغْني عَنِ اللّهِ لَحْظَةً ... وَلِلَّهُ يَسْتَغْني إلى الأَبَدِيَّةِ
فَكَمْ هَاهُنا ذكرى لِكُلِّ مُتَيَّمٍ ... بِتَشْييدِ بُنْيَانٍ وتجميعِ ثروةِ
وَمِنْ فتنةِ الموت ٱستعاذَ لأنهُ ... يَخَافُ علينا مِنْ مَمَاتِ المَضِلَّةِ
فَكَمْ هاهنا ذكرى لِكُلِّ مُغَفَّلٍ ... تَراءَى الرَّدَى حَالَ ٱنتهاءِ سعيدةِ
وأبقى لنا ذكرى التَّنَبُّه دائماً ... مِنَ الأعور الدجالِ في كُلِّ عُوذَةِ
فإنْ يَظْهَرِ الدَّجالُ في الأرضِ فجأةً ... فَيَفْتِنْ بني الدنيا على حين غِرَّةِ
فَلَنْ يَفْتِنَ الدجالُ أهلَ محمدٍ ... فَهُمْ منهُ في ذكرى ٱنْتباهٍ وَرِقْبَةِ
وَعَلَّمَنا أنْ نَسْتَعِيذ مِنَ اللَّظَى ... لِنَبْقَى مِنَ الأُخْرَى بِفِكْرٍ وَذُكْرَةِ
فَكَمْ هاهُنَا ذكرى لِظَالِمِ نفسهِ ... إذا ما تَرَاءَى كُلُّ ذَنْبٍ كَجَمْرَةِ
وَأَبْصِرْ بِلُبٍّ كيف أَنْهى ٱسْتِعَاذَهُ ... مِنَ القَبْرِ ذكرى راجعٍ بَعْدَ رِحْلَةِ
فَمَا القَبْرُ إلاّ كالمحطَّةِ للورى ... وَكُلُّ الورى آتٍ لِتِلْكَ المحطَّةِ
أعوذُ بوجهِ اللّهِ مِنْ كُلِّ ما لَظَى ... ومِنْ كُلِّ ما شَرٌّ بِقَبْرٍ وَحُفْرَةِ
وإنَّكَ في التَّسْليمِ أيضاً مُخَيَّرٌ ... بإفرادِكَ اليُمْنى بِزَائِدِ لَفْظَةِ
وإنَّكَ إذْ تُنْهي الصَّلاةَ مُسَلِّماً ... وَتَخْرُجُ منها في أَمَانِ التحيةِ
أَتَيْتَ التي أحسنت فيها بِدَايَةً ... وَأَحْسَنْتَ فيها في سِيَاقٍ وَخَتْمَةِ
فَأَوَّلُهَا ٱسْمَ اللّهِ قُلْتَ مُكَبِّراً ... وآخِرُها ٱسْمَ اللّهِ قُلْتَ بِرَحْمَةِ

فَتَدْخُلُ باسمِ اللّهِ أوَّلَ لَفْظَةٍ ... وَتَخْرُجُ باسمِ اللّهِ آخِرَ لَفْظَةِ

(وَعُدْتُ بِنُسْكي بعد هَتْكي وعُدتُ مِنْ ... خلاعَةِ بَسْطي لانقباضٍ بِعِفَّةِ)

وهذا دليلٌ أَنَّ هَتْكَكَ لَمْ يُفِدْ ... فُتُوحاً وأنْ لا فَتْحَ إلاّ بِشِرْعَةِ

وَإذْ لَمْ تُضِفْ لِلْبَسْطِ إلاّ خلاعَةً ... فأنتَ بمعنى البَسْطِ صاحِبُ جَهْلَةِ

فَكَمْ مِنْ فُتُوحاتٍ بِبَسْطٍ وَنَفْحَةٍ ... وليسَ مَقَامُ الشُّكْرِ إلاّ بِبَسْطَةِ

ويشهدُ هذا أنَّ حالَكَ لم تكنْ ... على مستقيمٍ من سُبيلِ المحجَّةِ

وإنَّكَ في هذا عليكَ لَشَاهِدٌ ... بِبُعْدِكَ فيما كُنْتَ عَنْ حالِ عِفَّةِ

وَقَيَّدْتَ حالَ الانقباضِ بِعِفَّةٍ ... وَكَمْ في عفافِ النفسِ مِنْ حالِ بَسْطَةِ

(وَصُمْتُ نهاري رغبةً في مثُوبَةٍ ... وَأَحْيَيْتُ ليلي رَهْبَةً مِنْ عُقُوبَةِ)

لأَوْلى بِقَوْمِ الليلِ رَغْبُ مَثُوبَةٍ ... وأولى بحالِ الصَّوْمِ رَهْبُ عقوبَةِ

فَمَنْ صامَ يوماً باعَدَ اللّهُ وَجْهَهُ ... عنِ النَّارِ سبعينَ اقْتَرِنْها بِسُنَّةِ

وهذا حديثٌ صَحَّ في مُسْلم وَقَدْ ... رواهُ عنِ الشيخِ الإمامِ قُتَيْبَةِ

وإنَّ قِيَامَ الليلِ يُفضي لِرُتْبَةٍ ... كما وَعَدَ الرحمنُ خيرَ البريةِ

فإنَّ مقَامَ الحمدِ يُعْطى لأحمدٍ ... لإلزامِهِ بالليلِ نَفْلَ عُبُودَةِ

فَإنْ قيلَ إنَّ الصومَ صَحَّ بِفَضْلِهِ ... جَزاءٌ مِنَ المولى وَذَا كالمثُوبَةِ

فَلَفْظُ الجزاءِ اسْتَوْعَبَ الطَّوْعَ كُلَّهُ ... عُمُوماً وفي التَّخْصِيصِ كُلٌّ بِلَفْظَةِ

وَقَدْ كَتَبَ اللّهُ الصيامَ لِيُحْدِثَنْ ... لنا حَالَ تقوى والتُّقى صِنْوُ رَهْبَةِ

كما قالَ في كَتْبِ الصيامِ «لَعَلَّكُمْ» ... فَراجِعْ وَأَكْمِلْها بأطولِ سورةِ

(وَعَمَّرْتُ أوقاتي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ ... وَصَمْتٍ لِسَمْتٍ واعتكافٍ لِحُرْمَةِ)

لَتَعْمِيرُكَ الأوقاتِ بالوِرْدِ بِدْعَةٌ ... فما كانَ هذا نَهْجَ خير الخليقةِ

فإنك إنْ ترجعْ لنهجِ محمدٍ ... تَجِدْ نَهْجَهُ أرقى مقامِ العُبُودَةِ

على كُلِّ حالٍ كانَ يذكُرُ رَبَّهُ ... وَيَغْمُرُ بالإسلامِ أعظَمَ أمَّةِ

وما ذاكَ إلاّ أنَّ وِرْدَ محمدٍ ... يقومُ على قولٍ وَفِعْلٍ ونيةِ

وَقَيَّدْتَ معنى السَّمْتِ بالصَّمْتِ مُخْطِئاً ... فَسَمْتُ الهُدى أولى بقولٍ وَقُدْوَةِ

وكانَ أعتكافُ المصطفى بينَ صَحْبه ... على غيرِ ما معنى ٱبتعادٍ وَخَلْوَةِ

وَلَـمْ يَـعْـتَـكِـفْ إلاّ بِـعَـشْـرِ أَوَاخِـرٍ ... وفـي مـسـجـدٍ قُـدَّامَ قَـوْمٍ وَأُمَّـةِ

(وَبِنْتُ عَنِ الأوطانِ هِجْرَةَ قاطِعٍ ... مُوَاصَلَةَ الإخوانِ وٱخترتُ عُزلتي)

تَـرَكْـتَ بـهـذا الـهَـجرِ نَـهْجَ نَـبِـيِّـنَـا ... وتابعتَ نَـهْجَ الـجاهـلـيـنَ الأَضِـلَّـةِ

وَمَـنْ يَـتَـبَـاعَـدْ عَـنْ طَـريـقِ مـحـمـدٍ ... يُجَرْجِرْهُ شيطانُ الطريقِ البعيدةِ

كما صَحَّ مِنْ معنى حديثِ نبينا ... أرى الـذئـبَ أَكَّـالَ الـنِّـعاجِ الـقَـصِـيَّـةِ

وقد أَنْزَلَ اللّهُ الكتابَ مُجَمِّعاً ... وَذَمَّ بِـه كُـلَّ ٱفْـتِـراقٍ وَفُـرْقَـةِ

وفـي قـولـه «إيـاكَ نـعـبـدُ» آيـةٌ ... تَـدُلُّ عـلـى فَـضْـلِ ٱجـتـمـاعٍ وَوَحْـدَةِ

(وَدَقَّقْتُ فكري في الحلالِ تَوَرُّعاً ... وَرَاعيتُ في إِصلاحِ قُوتيَ قُوَّتي)

(وأنفقتُ من يُسْرِ القَنَاعَةِ رَاضِياً ... مِنَ العيشِ في الدنيا بِأَيْسَرِ بُلْغَةِ)

أَدَقَّـقْـتَ فِـكْـراً فـي أمـورٍ مُـبـيـنَـةٍ ... وَأَغْـلَـظْـتَ فِـكْـراً فـي أمـورٍ خَـفِـيَّـةِ

لقد كنت عَن تدقيقِ فكركَ هاهُنا ... غَنِيّاً لو ٱسترجعتَ نهجَ الشريعةِ

فَـكُـلُّ حـلالٍ أو حـرامٍ مُـبَـيَّـنٌ ... كما في الأسانيدِ العظامِ الصحيحةِ

وبـيـنـهـمـا شـيءٌ تَـشَـابَـهَ حُـكْـمُـهُ ... فَـهَـلاّ إذاً دَقَّـقْـتَ فـي كُـلِّ شُـبْـهَـةِ

فإنَّكَ لو دَقَّقْتَ في كُلِّ شُبْهَةٍ ... لَعُذْتَ عنِ الأوهامِ مِنْ بعدِ جرأةِ

(وَهَذَّبْتُ نفسي في الرِّياضَةِ ذاهباً ... إلى كَشْفِ ما حُجْبُ العوائدِ غَطَّتِ)

(وَغَرَّدْتُ في التجريدِ عزمي تَزَهُّداً ... وآثَرْتُ في نُسْكي ٱستجابَةَ دعوتي)

٥٠

«مجاهدة النفس»

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللّـهَ لَـمْ يَأْمُـرِ الـورى ... بما قُلْتَ مِنْ تهذيبِ نَفسٍ بِلَفْظَةِ

فَمَا جَاءَ هذا اللَّفظُ في أَيِّ سورةٍ ... وليسَ على معناكَ منهُ بِسُنَّةِ

وما ذاكَ إلاّ أَنَّ لَفظَكَ مُقحَمٌ ... وَيَحْوي كما آستعملتَهُ وَصْفَ بِدْعَةِ

فَهَذَّبْتُ نفسي ليسَ لفظاً ملائماً ... ولكنَّهُ مُسْتَحْدَثٌ عَنْ عَمِيَّةِ

فإنْ صَحَّ قولاً إنَّ هذا مُهَذبٌ ... فَفَاعِلُهُ مِنْ غيرِهِ في الحقيقةِ

فَهَذَّبَ أيْ نَقَّى مِنَ النَّفسِ عَيْبَها ... وَيَعْجَزُ عَنْ هذا جميعُ الخليقَةِ

لَقَدْ فَطَرَ اللّهُ العبادَ بِفِطْرَةٍ ... وَلَنْ يستطيعَ العبدُ تغييرَ فِطْرَةِ

وقد أَلْهَمَ اللّهُ النفوسَ فُجُورَها ... وألهمها التقوى لأعظمِ حكمةِ

فَمِنْ أَجْلِ هذا مَنْ نهى النفسَ عَنْ هَوىً ... فإنَّ لَهُ المأوى بواسعِ جَنَّةِ

وفي النَّهْيِ دونَ البُرْءِ معنى آستِدَامَةٍ ... لِتَجْدِيدِ قُرْبٍ بآمتحانٍ وفتنةِ

فَمَا لَمْ يَكُنْ في النفسِ شيءٌ مِن الهوى ... فلَنْ تَتَجَلّى بآنْفِعَالٍ وَقُرْبَةِ

فلو هُذِّبَتْ نَفسٌ على ما زعمتَهُ ... إذاً لانْتَهَتْ مِنْ قبلِ مَوْتٍ بِمَوْتَةِ

كَما عَنْ رسولِ اللّهِ صَحَّ بِمُسْلِمٍ ... وإني على المعنى نَظَمْتُ فَأَنْصِتِ

لَئِنْ ظَلْتُمْ مِنْ دونِ ذنبٍ وتوبةٍ ... لَبَدَّلَكُمْ قَوْماً بِذَنْبٍ وتوبةِ

وإنَّ لِهَذا في الكِتَابِ لَحُجَّةً ... لَدُنْ غَفَرَ الرحمنُ ذنباً لأُخْرَةِ

فَقَدْ غَفَرَ المولى لأفضَلِ خَلْقِهِ ... ذُنُوباً ستأتي بعد أخرى تَقَضَّتِ

فإنْ تَقْتَرِىءْ مِنْ أَوَّلِ الفَتْحِ تَسْتَبِنْ ... وإنْ تَتَدَبَّرْ تَرْتَجِعْ وَتَثَبَّتِ

فَمِنْ هاهنا فَآعلَمْ حقيقةَ واقعٍ ... فما دُمْتَ في الدنيا فأنتَ بِمِحْنَةِ

وما دُمْت في حالِ ٱمتحانٍ ومحنةٍ … فَـإنَّـك فـي حـالِ ٱرْتِـقَـاءٍ وَرِفْـعَـةِ

وإنَّ الـتـي أَسْـمَـيْـتَـهـا بِـرِيَـاضَـةٍ … تُـخَـالِـفُ نـهـجاً مِنْ كـتـابٍ وسُنَّـةِ

فَتِلْكَ سبيلُ المشركينَ تَداخَلَتْ … بأمثالِكَ الجُهَّالِ مِنْ بَابِ بِدْعَةِ

فَإِنَّ جهادَ النفسِ ليسَ رياضَةً … ولكنْ جهادٌ للهوى بالشريعةِ

فَتَرْويضُ نفسِ المرءِ مَحْوُ صِفَاتِها … وَمَحْوُ صفاتِ النفسِ شَرُّ الجريمةِ

ومهما تَكُنْ عند ٱمريءٍ مِنْ إرادَةٍ … فَلَنْ يغلبَ التَّرْويضُ وَصْفَ الطبيعةِ

وقد فَطَرَ اللّهُ العبادَ معادناً … لِيَعْبُدَهُ كُلٌّ بِمَعْدِنِ فِطْرَةِ

فَمَنْ كانَ ذا رَأْفٍ فَعَبْدٌ بِرَأْفَةٍ … وَمَنْ كانَ ذا بأسٍ فَعَبْدٌ بِقُوَّةِ

وَمَنْ كانَ ذا فَقْرٍ فَعَبْدٌ بِعِفَّةٍ … وَمَنْ كانَ ذا مالٍ فعبدٌ بِنَجْدَةِ

ففي كُلِّ ما آتى الإلهُ نُفُوسَنَا … مَقَامُ ٱنْطِلاقٍ في سِبَاقِ العُبُودَةِ

كأهلِ سباقٍ في دَوَائِرِ مَلْعَبٍ … لِكُلِّ ٱمريءٍ منهُمْ مَقَامٌ بِنُقْطَةِ

فَإِنْ تَخْتَلِفْ مِنْهُمْ نُقَاطُ ٱنطِلاقِهِمْ … فَمَا ٱخْتَلَفَتْ فيهِمْ مسافَةُ غَلْوَةِ

فَمِنْ نُقْطَةٍ فيها أَقَامَكَ سَارِعَنْ … إليهِ ولا تَنْظُرْ لأُخرى بِرَغْبَةِ

ولا تَفْهَمَنْ أنّي أَقُولُ لكَ ٱرْتَضِخْ … لِضَعْفٍ وَجَهْلٍ وٱفْتِقَارٍ وَذِلَّةِ

فحاشا وَكَلاً بل أقولُ لك ٱنْطَلِقْ … إلى كُلِّ خَيْرٍ ضِمْنَ خَطِّ الشريعةِ

فَمَا دُمْتَ في نَهْجِ المحجَّةِ سالكاً … فأنتَ على خَيْرٍ بنهجِ المَحَجَّةِ

ودعواكَ كَشْفَ الحُجْبِ عَمَّا تَغَطَّتِ … شياطينُ جِنٌّ في رُؤَيْسِكِ أَزَّتِ

فَمَا جَاءَ مِنْ كشْفٍ على غير سُنَّةٍ … فكشفُ ستارِ الجِنِّ في مَسْرَحِيَّةِ

ولا تَتَجَرَّدْ مِنْ صِفَاتٍ وَنِعْمَةٍ … وَكُنْ عَبْدَهُ في كُلِّ وَصْفٍ ونعمةِ

فَلَمْ يُؤْتِكَ الرحمنُ إلاّ لحكمةٍ … فلا تَبْتَعِدْ بالوهمِ عَنْ سِرِّ حكمةِ

فجاهِدْ جهاداً يَمْنَعُ النفسَ عَنْ هَوًى … وَيُسْلِكُها خَطَّ السبيلِ القويمةِ

وليس الهوى شيئاً تراءيتَهُ هَوًى … ولكنَّهُ ما كانَ ضدَّ الشريعةِ

(متى حِلْتُ عَنْ قولي أنا هيَ أو أقُلْ … وحاشا لمثلي أنَّها فيَّ حَلَّتِ)

(ولستُ على غيبٍ أُحيلُكَ لا ولا … على مستحيلٍ مُوجِبٍ سَلْبَ حيلةِ)

(وكيفَ وباسمِ الحقِّ ظَلَّ تَحققي   تكونُ أراجيفُ الضلالِ مُخيفتي)
(وهـا دِحْـيَـةٌ وافَـى الأمـينُ نَـبِيَّـنَـا   بـصـورتـهِ فـي بَـدْءِ وَحـيِ الـنـبـوةِ)
(أجبريلُ قُلْ لي كانَ دِحْيَةَ إذْ بَدَا   لـمهدي الـهدى في هيئةِ بَشرِيَّةِ)
(وفي علمهِ عَنْ حاضريهِ مَزِيَّةٌ   بِمَاهِيَّةِ المرئيِّ مِنْ غيرِ رُؤْيَةِ)
(يَـرَى مَـلَـكـاً يـوحـي إلـيـه وَغَـيْـرُهُ   يَرَى رَجُلاً يُدْعى لديهِ بِصُحْبَةِ)
(ولـي مِـنْ أَتَـمِّ الـرؤيـتـيـنِ إشـارَةٌ   تُنَزِّهُ عَنْ رأيِ الحلولِ عقيدتي)
(وفي الذِّكْرِ ذِكْرُ اللُّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ   وَلَمْ أَعْدُ عَنْ حُكْمَيْ كتابٍ وسنة)
لَضَلُّكَ في دعوى اتّحادٍ وَوَحْدَةٍ   يزيدُ على دعوى الحلولِ بِضَلَّةِ
فدعوى الحُلُولِيِّينَ ضَلٌّ مُقَيَّدٌ   ودعواك عَمَّتْ في الضلالِ وطَمَّتِ
وإنَّـكَ فـيـمـا تَـدَّعـي مُـتَـنَـاقِـضٌ   ففي كُلِّ لَفْظٍ منكَ نَقْضٌ للفظةِ
فإنَّكَ قَدْ مَيَّزْتَ نَفْسَكَ قائِلاً   وحاشا لمثلي أنَّها فِيَّ حَلَّتِ
ولو كنت فيها رابطاً ما ادَّعَيْتَهُ   مِنَ النَّفْيِ للأغيارِ في كل صورةِ
لَحَاشَيْتَ عَنْ دعوى الحلولِ جميعِها   إذاً وَلَـعَـمَّ الـنَّـفْـيُ كُـلاً بِـجُـمْـلَـةِ
فإنْ قُلْتَ إني قد تَحَاشَيْتُ أَنْ أُرى   قَـؤُولاً بِـهـذا الـرأيِ أَيَّـةَ قَـوْلَـةِ
فَمَعْنَى كلامي كانَ إنْ قال قائِلٌ   بِـهـذا فـإنـي غـيـرُ هـذا عـقـيـدتـي
فحينئذٍ إنْ قُلْتَ هذا فأنتَ في   «متى حِلْتُ عَنْ قولي بأولِ شَطْرَةِ)
قَؤُولٌ بِظَنٍّ مثلَ أقوالِ مَنْ تَرَى   وهذا إذا ينفي شهودَ الحقيقةِ
فـإنـكَ فـي هـذا عـلـيـك لَـشَـاهِـدٌ   بِـقَـولِ قُـصَـاراهُ ادِّعَـاءٌ بِـظَـنَّـةِ
كَـذلِـكَ ذا يَـنْـفـي ادِّعَـاءَكَ قَـبْـلَـهُ   «إلى كَشْفِ ما حُجْبُ العوائدِ غَطَّتِ»
فَمَنْ يَكُ في كَشْفٍ فَلِلْكَشْفِ قُوَّةٌ   وَلِلْكَشْفِ أسلوبُ اعتلاءٍ بِحُجَّةِ
وَأَبْصِرْ هنا كيفَ اتَّضَعْتَ بِذِلَّةٍ   لَدُنْ قُلْتَ في ضَعْفِ الفتاةِ الحَيِيَّةِ
«ولستُ على غيبٍ أُحيلُكَ لا ولا   على مستحيلٍ مُوجِبٍ سَلْبَ حيلةِ»
وما لَكَ مِنْ خَصْمٍ تُحيلُ سوى التي   بِجَنْبَيْكَ تعوي مِنْ ضلالٍ وَحَيْرَةِ
فـإنـكَ حَـيْـرانٌ بِـوَهْـمِ مَـتَـاهَـةٍ   تَشَعَّبُ عَنْ دعوى حلولٍ وَوَحْدَةِ

وما ذاكَ إلاّ أَنَّ نفسكَ أعرضَتْ ... بِكُلِّيَةٍ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ وسنةِ

ودعوى ٱتحادٍ في زمانكَ لَمْ تَكُنْ ... كدعوى حلولٍ في ٱشتهارٍ وَذُكْرَةِ

فَمِنْ هاهنا ٱخْتَرْتَ ٱتحاداً وَوَحْدَةً ... لِمَا فيهِ مِنْ تجديدِ صِيتٍ وَشُهْرَةِ

وحاولتَ أنْ تَقْوَى لِتَدْفَعَ حَيْرَةً ... لَدُنْ قلتَ في تَشْنِيجَةٍ عَصَبِيَّةِ

«وكيف وباسم الحق ظَلَّ تَحقُّقي ... تكونُ أراجيفُ الضلالِ مخيفتي»

فقولُكَ باسمِ الحقِّ ظَلَّ تَحقُّقي ... يَدُلُّ على حالِ ٱنهزامٍ وَرَجْعَةِ

فأينَ هُنا هذا مِنَ القولِ سابقاً ... «ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي أَحَبَّتِ»

ودعوى أراجيفِ الضلالِ تَنَاقُضٌ ... فعندكَ أَصْلاً لا وُجُودَ لِضَلَّةِ

فأنتَ تَرَى كُلَّ الوجودِ إلهَنَا ... وعندكَ كُلٌّ فيهِ وَصْفُ الألُوهةِ

وَدِحْيَةُ ما وافَى الأمينُ نَبِيَّنَا ... بِصُورَتِهِ في بَدْءِ وَحْيِ النبوةِ

فإنكَ في هذا جَهُولٌ مُخَيْطِيءٌ ... على أَيْسَرِ الأَقْوَالِ أَوْ ذو كُذَيْبَةِ

فقد أَبصر المختارُ جبريلَ بَدْءَةً ... على صورة تُوحي بِخَوْفٍ وَرَهْبَةِ

كما أخرجَ الشيخانِ مِنْ بابِ جابرٍ ... لَدُنْ وَصْفِهِ جبريلَ ثانِيَ جَيْئَةِ

وَأَكَّدَ فيها أَنَّ ثَانِيَ مَرَّةٍ ... لِنَفْسِ الذي قد جاءَ أَوَّلَ مَرَّةِ

كما قَالَ أَبصرتُ الذي في حِرَاء جَا ... ءَني جالساً بينَ السَّما والبَسِيطَةِ

فَمِنْ فَزَعٍ مِنْهُ جُئِثْتُ بِوَقْعَةٍ ... وَعُذْتُ إلى أهلي بخوفٍ وَرَجْفَةِ

وَجَيْئَةُ جبريلٍ بصورةِ دحيةٍ ... فَعَنْ شَبَهٍ لا عَنْ تَقَمُّصِ صورةِ

كما صَحَّ مِنْ قولِ النبيِّ بِمُسْلِمٍ ... تَشَابُهُ جبريلٍ بِشَكْلٍ وَدِحْيَةِ

وَضَمَّ الحديثُ المحتوي ذِكرَ دِحْيَةٍ ... تَشَابُهَ أَفرادٍ بشكلٍ وَهَيْئَةِ

فَفِيهِ رأَى موسى شبيهَ شَنُوءَةٍ ... وفيه رأى عيسى شبيهاً بِعُرْوَةِ

وفيه رأى ٱبراهيمَ يُشْبِهُ نَفْسَهُ ... عَلَيْهِمْ جميعاً خيرُ سَلْمٍ وَرَحْمَةِ

وَهَبْ جاءَ جبريلٌ بصورةِ دِحْيَةٍ ... فما صَارَ جبريلٌ بِذَاتٍ كَدِحْيَةِ

كما ٱشْتَبَهَتْ بَيْنَ التَّوائِمِ صورةٌ ... وما ٱشتبهوا في وَصْفِ ذاتٍ وَمُهْجَةِ

وَإِقْحَامُ جبريلٍ وَدحيةَ هاهنا ... مُغَالَطَةٌ مِنْ فاقِدٍ كُلَّ حُجَّةِ

فَإِنْ يَأْتِ جبريلُ بصورةِ دِحْيَةٍ   فَمَا شَأْنُ هذا في صِفَاتِ الأُلُوهَةِ

فَقَدْ جَاءَتِ الأَملاكُ لوطاً بِهَيْئَةٍ   وَجَلَّ مجيءُ اللّهِ عَنْ مِثْلِ هَيْئَةِ

كأَنَّكَ لم يَبْلُغْكَ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ»   وَلَمْ تَسْتَمِعْ يوماً لوحيٍ وتُنْصِتِ

وَقَدْ صَحَّ مِنْ معنى الحديثِ بمسلمٍ   أَلاَ لَنْ يُرى الرحمنُ قَبْلَ المنيةِ

وقولُكَ ليس اَللَّبْسُ في الذِّكْرِ مُنْكراً   خروجٌ وَبُعْدٌ عَنْ هُدَى العربيةِ

فَمَا جَاءَ ذِكْرُ اللَّبْسِ في الذِّكْرِ جائزاً   ولكنْ أتى بالمَنْعِ فاَرْجِعْ لِسُورَةِ

(مَنَحْتُكَ علماً إنْ تُرِدْ كَشْفَهُ فَرِدْ   سبيليَ وأشْرَعْ في اَتباعِ شريعتي)

(فَمَنْبَعُ صَدِّي مِنْ شرابٍ نَقِيعُهُ   لَدَيَّ فَدَعْنِي مِنْ سَرَابٍ بِقيعَةِ)

(ودونكَ بحراً خُضْتُهُ وَقَفَ الأُلى   بساحلِهِ صَوْناً لموضِعِ حُرمتي)

(ولا تقربوا مال اليتيم إشارةٌ   لِكَفِّ يَدٍ صُدَّتْ لَهُ إذْ تَصَدَّتِ)

(وما نَالَ شيئاً منهُ غيري سوى فتىً   على قدمي في القَبْضِ والبَسْطِ مافتي)

(فَلاَ تَعْشُ عَنْ آثارِ سَيْرِيَ واَخْشَى غَيْ   نَ إيثارِ غيري واَغْشَ عينَ طريقتي)

(فُؤادي وَلاَها صَاحِ صاحي الفؤادِ في   ولايةِ أمري دَاخِلٌ تَحْتَ إمْرَتي)

(وَمُلْكُ معالي العشقِ ملكي وَجُنْدي الْ   مَعَاني وكلُّ العاشِقِينَ رَعِيَّتي)

أَرَاكَ وشيطانَ الغرورِ اَجْتَمَعْتُما   فَأَوْرَدْتُما نَفْسَيْكُما شَرَّ بُؤْرَةِ

وليسَ يُرى علمٌ لِكَشْفٍ بحاجةٍ   بَلِ العلمُ كَشَّافُ الأمورِ الخَفِيَّةِ

ولستَ بذي علمٍ لِتَمْنَحَهُ الورى   وما فيكَ مِنْ علمٍ لطالبِ حُجَّةِ

وأعظَمُ علمٍ عِلْمُ نفسٍ بربها   وآيتُهُ إحداثُ صِدْقٍ وَخَشْيَةِ

وقولُكَ «واَشْرَعْ في اَتباعِ شريعتي»   قريبٌ إلى معنى اَدِّعاءِ النبوةِ

وإلاَّ فأَخْبِرْنا اَبنَ أُمِّ جُوَيْهِلٍ   أَعِنْدَكَ شَرْعٌ غيرُ ذكرٍ وسنةِ

كذلكَ قد أَوْهَمْتَ من بعدُ قائلاً   «لَدَيَّ فدعني مِنْ سَرابٍ بِقِيعَةِ»

وماذا عَسَى يُلْفى شَرَابٌ نَقَعْتَهُ   بِمُسْتَنْقَعٍ بالإفتِراءِ مُزَفَّتِ

تَراءَيْتَهُ بَحْراً تَرائِيَ نَمْلَةٍ   لِبَوْلِ حمارٍ رَشَّهُ فوق قَفْرَةِ

فإنَّ الذي أوهمتَ أَنَّكَ خُضْتَهُ   لأَعْمَقُ منهُ قَعْرُ فُنْجَانِ قهوةِ

وإنكَ إذ أعرضتَ عَنْ كوثرِ الهدى   وَأَقْبَلْتَ تَسْتَرْوِي مُخَاطَةَ فِكْرَةِ
لَكَالْهِرِّ يَخْشَى شَرْبَ مَاءٍ بِجَدْوَلٍ   وَيَشْرَبُ مِنْ أوساخِ مَاءٍ بحفرةِ
كذلكَ حالُ المسلمينَ بعصرنا   بما أعرضوا عن علمِ ذكرٍ وسنةِ
وعند الأُلى وَاللّهِ ما لَكَ حُرْمَةٌ   وأنتَ لَدَيْهِمْ دونَ مقدارِ «حُرْمَةِ»
ولستَ يتيمَ الدهرِ في صِفَةٍ ولا   فريداً بشيءٍ لا ولا بالنقيصةِ
فَكَمْ مِنْ أثيمٍ مَرَّ قَبْلَكَ في الورى   وكَمْ مِنْ كذوبٍ قد خلا في البريةِ
فَذَابُوا كما ذَابَتْ مِنَ المِلحِ ذَرَّةٌ   إذا أُلْقِيَتْ في بحرِ مَوْجٍ وَلُجَّةِ
وما أنتَ إلاَّ مِنْ أُناسٍ مُرادُهُمْ   مُحَارَبَةُ الإسلامِ في كُلِّ وِجْهَةِ
فإنْ تَسْتَطِعْ أَطْفِيءْ مِنَ الشمسِ ضَوْءَهَا   وَقِفْهَا عَنِ الإشراقِ في كُلِّ بُكْرَةِ
فَإِطْفَاءُ ضوءِ الشمسِ أدنى لِراغِبٍ   وَأَيْسَرُ مِنْ إطفاءِ نُورِ الشريعةِ
وَإِنَّكَ مَسْبُوقٌ بكفركَ قد أَتَى   بِهِ قَبْلَكَ الأشرارُ مِنْ كُلِّ أمةِ
بَلَى أنتَ سبَّاقٌ فقط بِوَقَاحَةٍ   وجرأةِ دعوى دونها كُلُّ جُرأَةِ
وما لَكَ مِنْ آثارِ سَيْرٍ سوى الهوى   وَمَنْ يَتْبَعِ الأهواءَ يَرْجِعْ بِخَيْبَةِ
وما لَكَ عندَ الحقِّ ريحُ ولايةٍ   بأقوالِكَ السُّوْى ولا ريحُ قُرْبَةِ
وإنَّ الدَّعَاوى ليسَ تُعْجِزُ فاجراً   وَمَنْ يَجْتَرِيءْ يَزْعُمْ وَمَنْ يَخْشَ يَسْكُتِ
(فتى الحبِّ ها قد بنتَ عنهُ بِحُكْمِ مَنْ   يراهُ حجاباً فالهوى دونَ رُتْبَتِي)
لَئِنْ بِنْتَ عَنْ حُبٍّ فَمَا ثَمَّ بَعْدَهُ   سوى البُغْضِ فالبغضاءِ ضِدُّ المحبةِ
وليسَ يَرى في الحُبِّ حَجْباً سوى امرِيءٍ   يُحِبُّ طعاماً مورثاً سوءَ تُخْمَةِ
وأخطأتَ في جَعْلِ المحبةِ كالهوى   وبينهما ما بينَ روضٍ وَقَفْرَةِ
وإنَّكَ في نَفْيِ المحبَّةِ مُدَّعٍ   لمعنى فَنَاءٍ فوقَ حالِ المحبةِ
وإنك فيما تدعي لمغالطٌ   ترومُ بِسُخْفِ الوهمِ نَسْفَ الحقيقةِ
فَهَبْ أَنَّ حبّاً قد تَفَانَى بِحِبِّهِ   وصارا معاً في عينِ ذاتٍ وَوَحْدَةِ
فَهَلْ ثَمَّ ذاتٌ لا تَرَى حُبَّ ذاتِها   فكيفَ إذاً تَنْفِي مَقَامَ المحبةِ
(وجاوزتُ حَدَّ العشقِ فالحبُّ كالقلى   وَعَنْ شَأْوِ معراجِ اتحادِيَ رحلتي)

يُقَالُ هنا أيضاً كما قيل آنفاً ... وللعشقِ معنىً غيرُ معنى المحبةِ
وما العشقُ إلاّ بينَ ذاتٍ وَمِثْلِها ... فَعَنْ وَصْفِ عِشْقٍ جَلَّ عِزُّ الأُلوهةِ
ولا شَكَّ أنَّ العِشْقَ يعلو على الهوى ... وَلِلْعِشْقِ أحوالُ النفوسِ الشريفةِ
وأَبصرْ هنا فيكَ التناقُضَ إذْ تقو ... لُ عَنْ شَأْوِ معراجِ اتحادِيَ رحلتي
فما شأن معراجِ اتحادِ برحلةٍ ... لِمَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ قبلُ عَيْنَ الحبيبةِ
كما قُلْتَ إياها وإيايَ لم أَزَلْ ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبتِ
وأخطأتَ لَمَّا قُلْتَ والحبُّ كالقِلى ... فَنَوْعُ القِلى مِنْ غيرِ نوعِ المحبةِ
ولو قُلْتَ يا وهمانُ والوَصْلُ كالقِلى ... لَكَانَ إذاً أَدْنى على جَهْلِ قَوْلَةِ
(فَطِبْ بالهوى نفساً فقد سُدْتَ أنفُسَ ا ... لعِبَادِ من العُبَّادِ في كل أمةِ)

«جريمة تغيير معنى الألفاظ»

أَطَيَّبْتَ نفساً بالذي اللّهُ ذَمّهُ ... فَمَا للهوى في الذِّكْرِ غيرُ المَذَمَّةِ

فَمَا ينبغي تغييرُ مدلولِ لَفْظةٍ ... إذا ثَبَتَتْ في آيِ ذكرٍ وسنَّةِ

فأقسمُ بالرحمن ما مِنْ جريمةٍ ... كَتَغْيِيرِ معنى لَفْظِ قولٍ وَكِلمَةِ

ففي كُلِّ ما لَفْظٍ مُسَمّى حقيقةٍ ... وقلبُ معاني اللَّفْظِ قلبُ الحقيقةِ

وإنك في دعوى السِّيادَةِ مُفْتَرٍ ... فما سُدْتَ إلاّ عَنْ خَيَالٍ وَفِرْيَةِ

وليسَ الهوى مِمّا يسودُ به الورى ... ولكنَّهُمْ سادوا بتقوى الألُوهَةِ

وما لَكَ لَمْ يُعْجِبْكَ حالُ عُبُودَةٍ ... وَمَا سَادَ عندَ اللّهِ غيرُ العُبُودَةِ

(وَفُزْ بالعُلا وَافْخَرْ على ناسِكٍ عَلا ... بِظَاهِرِ أعمالٍ ونفسٍ تَزَكَّتِ)

كأنك مِمّا تحتوي مِنْ تناقُضٍ ... تَعَمَّلْتَ هذا الشِّعْرَ في حالِ سَكْرَةِ

فما دُمْتَ إياها وإياكَ لَمْ تَزَلْ ... فما شأنُ فوزٍ وافتخارٍ بِرُتْبَةِ

وإنْ كنتَ إياها وإياكَ لم تزل ... فأنتَ إذاً معبودُ أهلِ العبودةِ

فماشأنُ فَخرٍ بينَ رَبٍّ وَعَبْدِهِ ... إذا نفسُ عَبْدٍ للإلهِ تَزَكَّتِ

وما لَكَ تعطيلَ العبادَةِ قاصِدٌ ... تُهَوِّنُ منها كُلَّ فرضٍ وسنَّةِ

(وَجُزْ مُثْقَلاً لو خَفَّ طَفَّ مُوَكَّلاً ... بِمَنْقُولِ أحكامٍ ومعقولِ حكمةِ)

أَتَهزأُ بالتقوى ابنَ أُمِّ غَوايَةٍ ... وَتَجْعَلُ كَسْبَ الخيرِ ثِقْلَ حُمُولَةِ

وماذا على مَنْ ظَلَّ خَلْفَ محمدٍ ... بِمَنْقُولِ أحكامٍ ومعقولِ حكمةِ

فَمَنْقُولُ أحكامٍ ومعقولُ حكمةٍ ... هِيَ السُّنَّةُ الغَرَّاءُ ذاتُ المَحَجَّةِ

وإنَّكَ قَدْ نَاقَضْتَ هُزْءَكَ مُعْجِلاً ... لَدُنْ قُلْتَ تَوّاً دونَ فَضْلٍ بِلَفْظَةِ

(وَحُزْ بِالْولا ميراث أَرْفَعِ عَارِفٍ
غدا هَمُّهُ إيثارَ تأثيرِ هِمَّةِ)

فإنْ كُنتَ تعني المصطفى سَيِّدَ الورى
فميراثُهُ منقولُ ذكرٍ وسنةِ

وإنْ كنتَ تعني دونه الدَهْرَ آخراً
فأنتَ إذاً عَيْرٌ بأُذْنٍ طويلةِ

وإنْ كنت تعني منكَ نَفساً غَرُورةً
فما زِلتَ في أنقاضِ نَفسٍ غرورةِ

فكيفَ مِنَ العرفانِ أصبحتَ وارثاً
عُبُودِيَّةً مِنْ بعدِ دعوى الرُّبُوبَةِ

كَأَنْ لَمْ تَقُلْ إفكاً «وإيَّايَ لَمْ تَزَلْ
ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي أَحَبَّتِ»

فَأَبصِرْ هنا كَمْ قَدْ تَنَاقَضْتَ مُثْبِتاً
لِنَفسِكَ أضدادَ الدَّعاوى الكثيرةِ

(وَتِهْ ساحِباً بالسُّحْبِ أذيالَ عاشِقٍ
بِوَصْلٍ على أعلى المجرَّة جُرَّتِ)

وما شأنُ تِيهٍ بالذي قد زعمتَهُ
وما التِّيهُ إلا للنفوسِ الضعيفةِ

(وَجُلْ في فنونِ الاتحادِ ولا تَحِدْ
إلى فِئَةٍ في غيرهِ العمرَ أَفْنَتِ)

جَعَلْتَ بهذا الاتحادَ تَنَقُّلاً
يُصَارُ إليه باكتسابٍ وَفِعْلَةِ

وفي مثلِ هذا نَقْضُ ما قُلْتَ سابقاً
«فَظَنُّوا سواها وَهْيَ فيها تَجَلَّتِ»

فَمِنْ قبلُ كانَ الاتحادُ مظاهراً
لديكَ وأضحى الآن أفعالَ رَغْبَةِ

وإنكَ في هذا وفي ذاكَ زاعِمٌ
خلافَ الذي قد جاءنا في الشريعةِ

ولا يَتَعَدَّى الحيدُ إلاَّ بِعَنْ وَمِنْ
وأَمَّا «إلى» فالحَيْدُ عنها بِحَيْدَةِ

«وما فِئَةٌ في غَيْرِهِ العُمْرَ أَفْنَتِ»
سوى أهل نَهْج الحقِّ ذكرٍ وسنةِ

فأولى هنا أنْ يُنْقَضَ البيتُ جُمْلَةً
بِبَيْتٍ وحيدٍ جامعٍ خَيْرَ جُمْلَةِ

وَعُدْ عَنْ ضلالِ الاتحادِ ولا تَحِدْ
عَنِ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ ذاتِ المَحَجَّةِ

(فواحِدُهُ الجَمُّ الغفيرُ وَمَنْ غَدا
هُ شِرْذِمَةٌ حُجَّتْ بِأَبْلَغِ حُجَّةِ)

لأَنتَ لَدُنْ أَثْبَتَّ واحِدَهُ هنا
مُضيفٌ بآحادٍ إليه كثيرةِ

وحيثُ إذاً جَزَّأْتَهُ وَقَسَمْتَهُ
فَعَنْهُ انْتَفَى معنى اتحادٍ وَوَحْدَةِ

فليسَ لَهُ مِنْ واحدٍ غيرُ كُلِّهِ
على أصلكَ الرّائي مَظاهِر جَلْوَةِ

وَجَعْلُكَهُ جَمّاً غفيراً بِواحِدٍ
يُضَافُ لآحادٍ تَنَاقُضُ كَثْرَةِ

وَجَعْلُكَهُ جَمّاً غفيراً تَنَاقُضٌ
بإِثْبَاتِ أوصافِ اختلافٍ بعيدَةِ

فما يَجْمَعُ الجَمُّ الغفيرُ مُوَحِّداً ... وَلَكِنَّهُ جَمَّاعُ كُلِّ نَقيضَةِ
كما يحتوي الجمُّ الغفيرُ من الورى ... صُنُوفَ العِبِدَّى مِنْ ملوكٍ وَسُوقَةِ
وأشبهتَ إذْ سَمَّيْتَ شِرْذِمَةً سوا ... هُ شَيْخَكَ فرعون الخبيثَ بِلَفْظَةِ
كذاكَ عَدُوُّ اللّهِ سَمَّى كليمَهُ ... وَمَنْ مَعَهُ فأرجِعْ لمحكمِ سورةِ
وإنَّكَ في جَعْلِ المُخالِفِ فِرْقَةً ... جَعَلْتَ لَهُ معنى وجودٍ كَفِرْقَةِ
وإثباتُ هذا منك نَقْضٌ لِوَحْدَةِ ... وَيُثْبِتُ أيضاً فِرْيَةَ الثَّنَوِيَّةِ
ودعواكَ في «حُجَّتْ بأبلغ حُجَّةٍ» ... كَوَهْمِ الذي أهْراقَ سَمْناً بِجَرَّةِ
(فَمُتْ بِمَعْنَاهُ وَعِشْ فيهِ أوْ فَمُتْ ... مُعَنَّاهُ واتَّبِعْ أُمَّةً فيهِ أمَّتِ)
إلى مَنْ بِمَعْنَاهُ يُمَتُّ وَمَنْ يَمُـ ... ـتُّ إنْ لَمْ يَكُنْ إلاّهُ عينَ الحقيقةِ
وكيف بأمرٍ منك فيه يعيشُ إنْ ... يَكُنْ لا سوى والأَمْرُ عَنْ ثَنَوِيَّةِ
وما شأنُ مَيْتٍ أو مُعَنًّى وَأُمَّةٍ ... لِمَنْ يَدَّعي إثْبَاتَ واحِدٍ وَحْدَةِ
وَهَلْ كانَ هذا السُّخْف إلاّ لِضَلَّةٍ ... بِألفاظِ تجنيسٍ على غَيْرِ نِسْبَةِ
تكلفت للتجنيسِ ما لا تطيقُهُ ... فَطُوِّقْتَ بالتَّنْجِيسِ في كُلِّ لَفْتَةِ
أمِنْ أجلِ ألفاظٍ تَجانَسُ بَيْنَها ... تُغَيِّرُ دينَ اللّهِ يا ابنَ الغَبِيَّةِ
(فأنتَ بهذا المجدِ أجدرُ مِنْ أخي أجـ ... ـتِهادِ مُجِدٌّ عَنْ رَجَاءٍ وخيفَةِ)
تَكَلَّفْتَ دعوىً ثُمَّ مجداً دَعَوْتَها ... وثُمَّ بها حاولتَ نَسْفَ الشريعةِ
فلا أنتَ فيما قد تَكَلَّفْتَ صادقٌ ... ولا أنتَ إذْ حاولتَ صاحِبُ حيلةِ
فكيف ترى مَجْداً «بِمُتَّ وَمُتْ وَعِشْ» ... لِمَنْ لَمْ يَزَلْ في عينِ مجدٍ وَعِزَّةِ
فإن كنتَ إياها وإياكَ لَمْ تَزَلْ ... فَمُتَّ وَمُتْ أو عِشْ أوامرُ سُخْفَةِ
وإنْ لَمْ يَكُنْ إلا الإلهُ ولا سوى ... وَكَوَّنَ هذا الكونَ منهُ بِقُدْرَةِ
فحينئذٍ فالمجدُ للّهِ وَحْدَهُ ... ولا بُدَّ مِنْ إثبات فَرْقِ العُبُودَةِ
فَإِثْبَاتُ حَقِّ الفَرْقِ إثباتُ شِرْعَةٍ ... وفي نَفْي حَقِّ الفَرْقِ نَفْيُ الشريعةِ
وكيفَ تَرَى ذا الوهمِ أَجْدَرَ بالعُلا ... مِنَ الخائفِ الرّاجي إلهَ البريَةِ
فإنْ تُعْطَ مَجْداً نَفْسُ عَبْدٍ فَلَلَّتي ... تَخافُ وترجوا اللّهَ أولى مِنَ التي

ومصداقُ هذا في كتابِ وَسُنَّةٍ ... ولا صِدْقَ إلاّ في كتابِ وَسُنَّةِ

فَأَكْرَمُكُمْ أتقاكُمُ عندَ رَبِّكُمْ ... ولا تَتْلُها إلاّ تِلاوَةَ سورةِ

فأتقى عِبادِ اللّهِ أكرمُ عِنْدَهُ ... وليس التُّقى إلا بخوفٍ وَرَجْوَةِ

وفي قولِهِ «يرجونَ رحمتَهُ» إلى ... «يخافونَ» في الإسراءِ أَبْيَنُ حُجَّةِ

فما لَكَ تبغي أنْ تُغَيِّرَ دينَنَا ... وما فيهِ إلاّ بَيِّنَاتُ الحقيقةِ

(وغيرُ عجيبٍ هَزُّ عِطْفَيْكَ دونَهُ ... بأهنا وأَنْهَى لَذَّةٍ وَمَسَرَّةِ)

لأَوْلى بهذي الحالِ أهلُ جَهَنَّمٍ ... فذي صفةُ المستكبرينَ الأَضِلَّةِ

كما أخرج الشيخانِ عَنْ سيد الورى ... بما بَوَّبا مِنْ بابِ لُبْسٍ وَزِينَةِ

فلا يَنْظُرُ المولى إلى مُتَبَخْتِرٍ ... ولا مُعْجَبٍ يمشي ٱخْتِيالاً بِحُلَّةِ

(وأوصافُ مَنْ تُعْزَى إليه كم ٱصْطَفَتْ ... مِنَ الناسِ مَنْسِيّاً وَأَسْمَاهُ أَسْمَتِ)

«الأسماء والصفاتِ والأفعال»

ألا أيها المرءُ الجهولُ بربهِ ... إليك بياناً فاسْتَمِعْهُ وأنْصِتِ

لَئنْ شَقَّ مولانا لعبدٍ مِنَ اسمهِ ... فليس اسمُ عَبْدٍ كاسمِ مَوْلى العُبُودَةِ

وإمَّا تَجِدْ خَلْقاً رؤوفاً بِرَأْفَةٍ ... فرأفتُهُ خَلْقٌ كبعضِ الخليقةِ

كما «وجعلنا في قلوبِ الذينَ» إنْ ... تَدَبَّرْتَ معنى الجَعْلِ تَرْجِعْ بِحُجَّةِ

فما الجَعْلُ إلاّ الخلقُ أوْ بعضُ نوعهِ ... ومعناهُ تصييرٌ لحالٍ جديدةِ

كما يَجْعَلُ المرءُ الحديدَةَ مُدْيَةً ... ولا شَكَّ في تَخْليقِ عَيْنِ الحديدةِ

وقد أخرج الشيخانِ عَنْ سيد الورى ... «لقد خَلَقَ الرحمنُ مِيئَةَ رَحْمَةٍ»

فَأَثْبَتَ في هذا النبيُّ مَرَاحِماً ... مُخَلَّقَةً قامَتْ بِوَصْفِ الخليقةِ

فَإنْ يُسْمَ مخلوقٌ رحيماً فما اسْمُهُ ... سوى جَعْلِ خَلْقٍ ليسَ كاسْمِ الأُلوهَةِ

فَرَبُّ الورى الرحمنُ قَبْلَ بَرِيَّةٍ ... وَرَبُّ الورى الرحمنُ بعد البَرِيَّةِ

وقد أَثْبَتَ الرحمنُ خلقَ عبادِهِ ... جميعاً بهذا الاسم فارْجِعْ تَثَبَّتِ

ففي «المُلْكِ» إنْ تُتْبِعْ قراءَةَ «ما ترى» ... تَجِدْ أنَّهُ الرحمنُ قَبْلَ الخليقةِ

فأسماءُ مولانا لوازمُ ذاتهِ ... وَلَمْ تَزَلِ الأسماءُ في الأَزَلِيَّةِ

وما زال مولانا رحيماً برحمةٍ ... وما زالَ مولانا حكيماً بِحِكْمَةِ

وكانَ اسْمُهُ الخلاّقَ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ ... بِأَنَّ لَهُ مِنْ ذاتِهِ كُلَّ قُدْرَةِ

فأسماؤهُ حَقَّتْ لِقُدْرَةِ ذاتهِ ... فلا تَحْسَبِ الأسماءَ بالخَلْقِ حَقَّتِ

ولو لَمْ يَشَأْ خَلْقاً لَحَقَّتْ لِذَاتِهِ ... لِقُدْرَتِهِ حَقّاً صفاتُ الأُلوهَةِ

فما صار رَبّاً إذ يَرُبُّ عبادَهُ ... ولكنَّهُ رَبٌّ بوصفِ الرُّبُوبَةِ

وما صار رحماناً لرحمةِ خَلْقِهِ … ولكنّهُ الرحمنُ قَبْلَ الخليقةِ

وليس غَنِيّاً بالسماواتِ والثرى … ولكنَّهُ عنها غَنِيٌّ بِعِزَّةِ

فَما أَثَّرَتْ أكوانُهُ في صفاتِهِ … ولا وُجِدَتْ أسماؤهُ بالبَرِيَّةِ

فمعنى «وكانَ اللّهُ» أَيْ لَمْ يَزَلْ فإنْ … تَقُلْ كيفَ ربّاً كان قَبْلَ العُبُودَةِ

فَرَبٌّ على مَنْ والربوبَةُ تَقْتَضِي … وجوداً لمربوبٍ بِفِعْلِ الربوبَةِ

فَحِينَئِذٍ بالحقِّ قُلْ كانَ قادراً … على الفِعْلِ قَبْلَ الفِعْلِ فيْ الأَزَلِيَّةِ

كما أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الوَارِثَ الذي … بِهِ يَرِثُ الأكوانَ من بعد مُدَّةِ

فما زالَ قَبْلَ الفِعْلِ مقتدراً وَمُذْ … قضى الفعل أبدى الإقْتِدار بِفِعْلَةِ

وما مَرَّ وَقْتٌ كان دون مشيئةٍ … ولا مَرَّ وَقْتٌ كان من دونِ قُدْرَةِ

فإنْ قيلَ لَمَّا كانَ لا شيءَ غيرُهُ … فأينَ إذاً إذْ ذاكَ وصفُ المشيئةِ

فإذ ذاكَ قُلْ كانَتْ مشيئَةُ رَبِّنا … على غير ما معنى وجود الخَليقةِ

فإنْ قيلَ هذا سالِبٌ غيرُ مُوجِبٍ … وَلَمْ يأتِ معنى سالبٍ في المشيئةِ

فحينئذٍ فالحُكْمُ للذكر بيننا … بما فيهِ من آياتِ حقٍّ مُبِينَةِ

فإنْ تَقْتَرِيءْ «لو شاءَ ما فَعَلُوهُ» وٱقْـ … ـتَرِئْها كما جاءَتْ بِمُحْكِمِ سورةِ

فَقَدْ بَيَّنَتْ ما لَمْ يَكُنْ عَنْ مشيئَةٍ … يكونُ كَكَوْنِ المُقْتَضى عَنْ مشيئَةِ

فقولُكَ قد شَاءَ الإلهُ هدايتي … كَقَوْلِكَ ما شَاءَ الإلهُ مضلَّتي

وإنْ قيل «لَوْ» حرفُ ٱمتناعٍ فَلَوْ هُنا … لِمَا لَمْ يَشَأْهُ لا لِوَصْفِ المشيئةِ

فَصَحَّ بذا ما لَمْ يَكُنْ عَنْ مَشِيئَةٍ … كما صَحَّ عنها ما يكونُ بِقُدْرَةِ

فَمَا لَمْ يَشَأْهُ شاءَ أنْ لا يَشَاءَهُ … مُشِيئاً إذاً ما زال في الأزليةِ

فإنْ قيلَ هَلْ دَلَّتْ مِنَ الذكرِ آيةٌ … على صِفَةٍ للاقتدارِ قديمةِ

فَمِنْ عندِ كان اللّهُ فٱقرأْ لِقَوْلِهِ … «قديراً» تَجِدْ إثباتَ سَرْمَدِ قُدْرَةِ

فما كانَ قَبْلَ الفِعْلِ عنه بِعَاجِزٍ … تَعالى عُلا الرحمنِ عَنْ كُلِّ عَجْزَةِ

فَلَمْ يَزَلِ ٱلمولى على الفِعْلِ قادراً … إلى أَنْ قضى الأفعالَ حَسْبَ المشيئةِ

فإنْ قيلَ لِمَ لَمْ يَفْعَلَنْ حالَ قُدْرَةِ … فَقُلْ للذي هذا يقولُ ألا ٱسْكُتِ

إذا كانَ عَنْ أَفْعَالِهِ لَيْسَ يُسْأَلن ... أَتسْأَلُهُ عَنْ تَرْكِها يا اَبنَ ضَلَّةِ

فَمَنْ قالَ تركُ الفِعْلِ نَقْصٌ فقولُهُ ... ضَلالٌ أَتى مِنْ جَهْلِهِ بالألُوهةِ

فَإِنَّ اَتِّراكَ الفِعْلِ نَقْصٌ لِمَنْ غدا ... إلى الفِعْلِ مُحْتاجاً لِسَدِّ حُوَيْجَةِ

وقد أَخْبَر الرحمنُ بالحقِّ أَنَّهُ ... غَنِيٌّ عَنِ الأَكوانِ فاَرجِعْ لسورةِ

وَبِالحَقِّ أَنَّ اللّهَ كان ولا سوى ... على غير ما شَكٍّ بهذا وَمِرْيَةِ

ففي قَوْلِهِ «اَللّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... الحُجَّةُ الكُبْرى لِبَدْءِ الخليقةِ

وَمَهْما يَكُنْ خَلْقٌ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... فَإِنَّ لَهُ وَقْتَ ابتداءٍ وَنَشْأَةِ

وَقَدْ بَيَّنَ المبعوثُ مِنْ عند رَبِّنا ... محمدٌ المختارُ بَدْءَ البريةِ

كما أخرجَ الشيخانِ لَمّا قَضى إِلهُنا ... الخَلْقَ واَسْتَرْسِلْ لآخِرِ لَفْظَةِ

لَدُنْ كَتبَ المولى على نَفْسِهِ وَقَدْ ... قَضى الخَلْقَ أَنَّ السَّبْقَ عندي لرحمتي

وإِذْ أخرجَ الشيخانِ لمَّا بلفظها ... ولمّا بمعنى الظَّرْفِ في العربيةِ

فقد صَحَّ معنى الظَّرْفِ لِلْخَلْقِ بَدْأَةً ... وما الظَّرْفُ إِلاّ عينُ وَقْتٍ مُوَقَّتِ

وإذْ أنتَ هذا قَدْ تَدَبَّرْتَ جَيِّداً ... فلا تَجْعَلَنْ للعبدِ وَصْفَ الألُوهةِ

فأسماؤهُ جَلَّ اَسمُهُ وصفاتُهُ ... وأفعالُهُ دونَ اَشْتراكٍ وَشِرْكَةِ

فَما أَشْبَهَتْ أسماؤهُ وصفاتُهُ ... وأفعالُهُ المخلوقَ مِنْ أَيِّ وِجْهَةِ

(وأنتَ على ما أنتَ عَنِّيَ نازحٌ ... وليس الثُّرَيّا للثرى بقرينةِ)

(فَطُورُكَ قد بُلِّغْتَهُ وَبَلَغْتَ فَوْ ... قَ طَوْرِكَ حيثُ النفسُ لم تَكُ ظَنَّتِ)

(وَحَدُّكَ هذا عندهُ قِفْ فَعَنْهُ لَوْ ... تَقَدَّمْتَ شيئاً لاحترقْتَ بِجَذْوَةِ)

لَقَدْ ظَلْتَ في قَوْلِ التَّناقُضِ سابِقاً ... وَظَلْتَ لِجَهْلِ القَوْلِ مِثْلَ المطِيَّةِ

وتاَللّهِ لولا أَنَّ جَهْلَكَ سالِكٌ ... لدى الناسِ لَمْ أَرْدُدْ عليك بِلَفْظَةِ

ولكنَّ قوماً يحسبونَكَ عارِفاً ... عَزَمْتُ عل تبصيرِهِمْ بالحقيقةِ

وَإِنّي لَمَنّانٌ عليكَ مُؤلِّفي ... أُخَفِّفُ فيهِ عنكَ إِثْمَ البريةِ

فإني إذا بَيَّنْتُ كفركَ للورى ... فتابوا وَوَلَّوا عنكَ بؤتَ بنعمةِ

فإنَّكَ وِزْرَ الّذْ تُضِلُّ لَحامِلٌ ... فَتَخْفِيفُ وِزْرٍ عنكَ أعظمُ مِنَّةِ

ألا كيفَ أضحى وَهُمُ دعواك نازحاً ... وَقَدْ قُلْتَ من أبياتِ نظمٍ قريبةِ
وَجُلْ في فنونِ الاتحادِ بِشَطْرَةٍ ... وواحِدُهُ الجَمُّ الغفيرُ بِشَطْرَةِ
فما لَكَ يا مسكينُ لا تجمعُ الرؤى ... ولا تربط المعنى بقولٍ وَنِسْبَةِ
كَأَنَّ الذي ما بينَ بَيْتٍ وَآخرٍ ... من البعد بالمعنى مسافَةُ حِقْبَةِ
ولا طُورَ إلاّ لابنِ عمرانَ وَحْدَهُ ... بِما خَصَّهُ الرحمنُ دونَ الخليقةِ
ولستَ كموسى والذي فَطَر الورى ... وَلَنْ تَبْلُغَنْ مِنْ حالِهِ قَدْرَ ذَرَّةِ
وليس على المعنى الذي أنتَ قاصِدٌ ... بلوغٌ لِخَلْقٍ فَوْقَ طَوْرٍ بِهِمَّةِ
فإنْ صَحَّ في قَوْلٍ تَجاوَزَ طَوْرَهُ ... فما صَحَّ في معنى مقامٍ وَرُتْبَةِ
فَكُلُّ امريءٍ يسعى لِيَبْلُغَ رُتْبَةً ... مُقَدَّرَةً مِنْ قَبْلِ بَرْءِ البريةِ
وإنَّكَ إذْ أَوْقَفْتَهُ عندَ حَدِّهِ ... بِزَعْمِكَ من خوفِ احتراقٍ بِجَذْوَةِ
لَمُتَّبِعٌ بالظنِّ ما لستَ بالِغاً ... سوى عَنْ خيالٍ مِنْ وساوسِ جِنَّةِ
فإنْ يَكُ جبريلٌ تَأَخَّرَ خيفَةً ... وَمَا صَحَّ هذا في كتابٍ وَسُنَّةِ
ولكنَّهُ مِنْ قولِ مَرْءٍ مُفَسِّرٍ ... وما كُلُّ تفسيرٍ قرينٌ لِصِحَّةِ
فلا هُوَ جبريلٌ ولا أنت أحمَدٌ ... ولا أنتُما في قابِ قَوْسٍ وسِدْرَةِ
وأنتَ بهذا الوهمِ تَقْلِبُ دينَنَا ... وتُوهِمُ في الإسراءِ غيرَ الحقيقةِ
فما باجتهادٍ منه أسرى محمدٌ ... ولا بسلوكٍ أو رجاءٍ ورغبةِ
ولكنه فضلٌ مِنَ اللّهِ خالصٌ ... وما كانَ فضلاً لَنْ يُنَال بهمةِ
وإنَّكَ عَنْ أنْ تَبْلُغَنْ ظُفْرَهُ ولو ... خيالاً لَمَحْجُوزٌ إلى الأبديةِ
فلا تحسبِ الإسراءَ رؤيا لنائمٍ ... ولا تحسب القُرْبى إشَارَةَ رؤيةِ
(وقدري بحيثُ المرءُ يُغْبَطُ دونَهُ ... سُمُوّاً ولكنْ فوق قدرِكَ غبطتي)
(وكلُّ الورى أبناءُ آدم غيرَ أنَّـ ... ـني حُزْتُ صَحْوَ الجَمْعِ مِنْ بينِ إخوتي)
(فسمعي كَلِيمِيٌّ وقلبي مُنَبَّأٌ ... بأحمدَ رؤيا مُقْلَةٍ أحْمَدِيَّةِ)

«معنى الصحو والجمع»

لَئِنْ كانَ فيما دون قدركَ غِبْطَةٌ   إذاً فَمَنِ المغبوطُ منكَ بِغِبْطَةِ

وما شأنُ قَدْرٍ أوْ سُمُوٌّ وَغِبْطَةٍ   لِمَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ قَبْلُ عَيْنَ الحقيقةِ

وما زلتَ معنى الصَّحْوِ والجمعِ جاهلاً   كما جَهِلَ الإسلامَ شيخُ الوظيفَةِ

وما الصَّحْوُ إلاّ عَنْ ضلالٍ وَشِرْكَةٍ   فَمَنْ يَصْحُ عَنْ هذينِ يُفْلِحْ بصحوةِ

وفي الجَمْعِ توحيدُ الإلهِ بـ لا إله غيـ   ـرُهُ مَعْ إِثْباتِ فَرْقِ الأُلوهةِ

وأنتَ ترى جَمْعَ اتِّحادٍ وَوَحْدَةٍ   وفي جَمْعِكَ المزعومِ كُفْرُ الشريعةِ

إذا أنتَ لَمْ تَشْهَدْ وجودَ خليقةٍ   نَفَيْتَ إذاً أفعالَ رَبِّ الخليقةِ

وَمَنْ يَنفِ أفعالَ الرُّبُوبَةِ يَخْتَسِبْ   بِزَنْدَقَةٍ ذا الخلقَ عينَ الربوبةِ

وَمَنْ يَشْهَدِ الأكوانَ عينَ إلهها   يَكُنْ جامعاً للكفر كُلَّ طريقةِ

وليسَ وجودُ الخلقِ في ذاتِ ربهِ   وليس وجودُ الربِّ في ذاتِ خِلْقَةِ

ولو كنتَ أسماءَ الإلهِ مُحَقِّقاً   لأَبْصَرْتَ في الأسماءِ فَرْقَ الحقيقةِ

ففي قُدْرَةِ الإسْمِ البديعِ وَفِعْلِهِ   وفي الواجِدِ الخَلاّقِ أعظمُ حُجَّةِ

فَأَبْدَعَ في إيجادِ خَلْقٍ بِقُدْرَةٍ   وإبداعُهُ الإيجادُ عَنْ عَدَمِيَّةِ

فَمِنْ هاهُنا فالصَّحْوُ عندَكَ سَكْرَةٌ   وَجَمْعُكَ شركٌ جامعٌ كُلَّ ضَلَّةِ

وَمِنْ بينِ ما أبناءِ آدَمَ لَمْ تَحُزْ   على أَيِّ ما معنى مَقَامٍ وَرُتْبَةِ

فما أنتَ من أبناءِ آدَمَ في الذي   تقولُ ولكنْ مَنْ بني أُمِّ شَطْنَةِ

فإنْ تَكُ مِنْ أبناءِ آدَمَ هيئَةً   فليس فَقَطْ يُعْزَى إليه بِهَيْئَةِ

ومالكَ سَمْعٌ أَيُّها الشيءُ فاَعْلَمَنْ   سوى سَمْعِ وسواسٍ بباطنِ بُؤْرَةِ

وكيف كَليميّاً تكونُ ولَمْ يَكُنْ … كليماً سوى موسى مِنَ البَشَرِيَّةِ

كما أخبرَ الرحمنُ بالحقِّ أنَّهُ … اَصْطَفَاهُ بإسماعِ الكلامِ بسورةِ

فإنْ تَقْتَرِيءْ «إني اَصْطَفَيْتُكَ» مُتْبِعاً … إلى «بكلامي» تَرْتَجِعكَ بِحُجَّةِ

فَلَسْتَ كَلِيمِيّاً على آدَمِيَّةِ … وما مِنْ كَلِيمِيِّ على شَيْطَنِيَّةِ

وقلبُكَ يا وهمانُ ليسَ مُنَبّأً … فبالمصطفى قد تمَّ خَتْمُ النبوةِ

فإنْ عنكَ يَدْفَعْ تُهْمَةَ الكُفْرِ جَاهَلٌ … بَأَنَّ اَدِّعاءَ القَلْبِ دعوىٌ مَظَنَّةِ

فما القلبُ إلا موضِعُ الوحْيِ كُلِّهِ … كما جاءَ في آياتِ ذِكْرِ مُبِينَةِ

«على قَلْبِكَ» اَقْرَأْهَا لدى الشعراءِ أَوْ … «على قلبكَ» اَقرأْها بأطولِ سورةِ

وَلَنْ يَدْفَعَنْ عنكَ اَدِّعاءُ تَعَلُّقٍ … بأَحْمَدَ عَنْ دعوى اَدِّعاءِ النبوةِ

«هل رأى النبي ربه في الإسراء»

فَـإِنَّـكَ قَـدْ أَثْبَـتَّ دعـواكَ قـائـلاً ... بـأحـمـدَ رؤيـا مُـقْـلَـةٍ أحـمـديـةِ

فـجاوزتَ عَنْ دعوى اَدِّعـاءِ نُبُوَّةٍ ... إلـى رؤيـةِ الـمولـى اَدِّعـاءً بِـمُـقْـلَـةِ

وإنَّـكَ فـي دعـواكَ هـذي لَـزَاعِـمٌ ... على المصطفى زعماً خلافَ الشريعةِ

فَـلَـمْ يَـدَّعِ رؤيـا الإلـهِ بِـمُـقْـلَـةٍ ... لأحـمـدَ مَـنْ يُـعْـتَـدُّ مـنـهُ بِـقَـوْلَـةِ

وقـال ابـنُ عـبـاسٍ رأى بِـفُـؤادِهِ ... فـإنْ غـيـرُ هـذا يُـرْوَ شُـكَّ بِصِـحَّـةِ

فَـعَـنْ أَفْـضَـلِ الأزواجِ عـائِـشَ أُمِّـنَـا ... لنا أخرجَ الشيـخانِ بَيْنَ جُمْلَةِ

فَقَدْ أَكْذَبَتْ مَنْ قَالَ إنَّ محمداً ... رأى اَللّهَ واَحْتَجَّتْ بِأَبْلَغِ حُجَّةِ

لَدُنْ قَرَأَتْ ما يُعْجِزُ النَّظْمَ لَفْظُهُ ... ولا تُـدْرِكُ الأبـصـارُ رَبَّ الـبـريـةِ

ومِنْ قَبْلُ قد ضَمَّنْتُ مَرْوِيَّ مسلم ... أَلاَ لَنْ يُرى الرحمنُ قَبْلَ المنيةِ

(وروحـيَ لـلأرواحِ روحٌ وكُـلُّ مـا ... تَرَى حَسَناً في الكونِ مِنْ فيضِ طينتي)

لأنْـتَ إذاً روحٌ والأرواحُ أَجْـسُـدٌ ... إذا هِيَ ما قيسَتْ إليكَ بِنِسْبَةِ

وقـولُـكَ هـذا مِـنْ غُـلُـوْ ضـلالَـةٍ ... فلا روحَ للأرواحِ يا اَبْنَ المَضِلَّةِ

تـريـد بـهـذا جـعـلَ نفسكَ رَبَّـهـا ... بإثبات حولٍ منكَ فيها وقوةِ

فـليسَ هـنـا مـعـنـى اَتـحـادٍ وَوَحْـدَةٍ ... ولكنْ هنا معنى اَدِّعاءِ الألوهةِ

ولـو أَنَّـهـا دعـوى اَتـحـادٍ ووحـدةٍ ... لَمَا خَصَّصَتْ فَرْداً إذاً وَلَعَمَّتِ

تَـضَـارَبَـتِ الأقـوالُ فـيـكَ بِـظَـنَّـةٍ ... ولكنَّ قولي فيكَ ليس بِظَنَّةِ

فَـقَـوْلُـكَ هـذا قـولَ فـرعـونَ مُـشْـبِـهٌ ... وأنتَ بهِ مِنْ جِنْسِ خُوفُو وَخَفْرَتِ

فـأنـتَ هُـنَـا عـيـنَ الألـوهـةِ تَـدَّعـي ... وَتَلْبَسُ معنى كُلِّ حولٍ وقدرةِ

ومـا ذاكَ إلاّ أنَّ قـلـبـكَ لَـمْ يَـزَلْ ... جهولاً بمعنى الروحِ أَشْنَعَ جَهْلَةِ

الــــروح

فأنتَ ترى في الروحِ وَصْفَ إلٰهِنَا ... وما الروحُ إلاّ بعضُ هذي الخليقةِ

وَسِيَّانِ كانَ الروحُ جِبْريلَ وَهْوَ هُو ... أَمِ ٱلمَدَدَ السَّارِي بِحَيٍّ وَحَيَّةِ

فَـ «مِنْ أَمْرِ ربي» أَيْ مُكَوَّنَةٌ بِأَمـ ... ـرِهِ فَهْيَ لَيْسَتْ عينَ أمرِ الرُّبُوبَةِ

كما سُمِّيَ العبدُ المسيحُ بِكِلْمَةٍ ... بما أَنَّهُ قَدْ كانَ مَفْعُولَ كِلْمَةِ

فَقَدْ خَلَقَ اللّهُ المسيحَ بِكُنْ فَكِلْـ ... ـمَةُ اللّهِ كُنْ فَعَّالَةٌ للمشيئةِ

كما قيلَ هذا مَلْبَسٌ صُنْعُ بَلْدَةٍ ... ومعناهُ مصنوعٌ بِفِعْلِ لِبَلْدَةِ

وَ«مِنْ أمرِ ربي» مِنْ هنا لابتداءِ غَا ... يَةٍ صَدَرَتْ عَنْ أمرِهِ عند بَدْأَةِ

كما في «جميعاً منهُ» أخبرَ أَنَّهُ ... «لَكُمْ» سَخَّرَ الأكوانَ واْقرأْ بسورةِ

فروحُكَ كالأرواحِ ما هيَ روحُها ... على أيِّ ما معنى قَصَدْتَ وَنِيَّةِ

وروحُكَ والأرواحُ والكونُ كُلُّهُ ... مِنَ اللّهِ مَصْنُوعٌ بعلمٍ وَقُدْرَةِ

وإنَّكَ أَفَّاكٌ بقولِكَ كُلَّ ما ... ترى حسناً في الكونِ مِنْ فيضِ طينتي

وما طينَةُ الإنسانِ إلاّ جِبِلَّةٌ ... مِنَ الأرضِ إنَّ الأرضَ أَصْلُ الجِبِلَّةِ

وقد بَرَأَ الرحمنُ مِنْ قَبْلِ آدمٍ ... جميعَ البرايا فَهْوَ خَتْمُ البريةِ

كما صَحَّ مِنْ قولِ النبيِّ بِمُسْلِمٍ ... لَدُنْ رُتِّبَتْ أيَّام بَدْءِ الخليقةِ

فقد خُلِقَ الإنسانُ في يَوْمِ جُمْعَةٍ ... وفي آخِرِ اليومِ المسمَّى بِجُمْعَةِ

(فَذَرْ لِيَ ما قَبْلَ الظهورِ عَرَفْتُهُ ... خُصوصاً وَبي لَمْ تَدْرِ في الذَّرِّ رُفْقَتي)

لَئِنْ كنتَ مِنْ أبناءِ آدَمَ حِسْبَةً ... فقد قُلْتَ ما قالوا بحرفٍ وَلَفْظَةِ

وماذا عَسَى قَبْلَ الظهورِ عَرَفْتَهُ ... يزيدُ على دعوى وجودٍ قديمةِ

ودعواكَ «بي لم تدر في الذر رفقتي» ... تُؤَدّي إلى أمثال خلقٍ كثيرةِ
وإنَّكَ إذْ هذا تقولُ لناقِضٌ ... لِقَوْلِكَ بَلْ ذاتي لذاتي أَحَبَّتِ
وَمَا لَكَ لا تأتي لدعوى بِحُجَّةٍ ... كَأَنْ لَمْ تَزَلْ دعواكَ تُلْقي بِصَرْعَةِ
فإنْ كنت عَهْدَ الذَّرِّ تذكُرُ صادقاً ... فَبَيِّنْ لنا مِنْ وَصْفِهِ قَدْرَ ذَرَّةِ
فَقَدْ وَصَفَ ٱلذَّرَّ ٱلنبيُّ مُبَيِّناً ... بِمَرْوِيَّةٍ في ٱلتِّرْمِذِيِّ صحيحةِ
(ولا تُسْمِني فيها مُريداً فَمَنْ دُعي ... مُراداً لها جَذْباً فقيرٌ لِعِصْمَتي)
أَمَا قُلْتُ لَمْ يَعْرِفْكَ مثليَ عارِفٌ ... على كَثْرَةٍ في ٱلعارفينَ وَوَفْرَةِ
فَمَا أَنْتَ إلاّ أَيُّها ٱلشَّيءُ مُشْبِهٌ ... إمامَكَ فرعونَ ٱلخبيثَ بِدَعْوَةِ
فَلَسْتَ ٱتّحادِيّاً بِحَالٍ وَفِكْرَةٍ ... بَلْ إنَّكَ فرعونيُّ حالٍ وفكرةِ
فإنْ تُظْهِرَنْ ضَلَّ ٱتحادٍ وَوَحْدَةٍ ... فَباطِنُ دَعْوَاكَ ٱدِّعاءُ ٱلربوبةِ
فَإِنَّ ضَلالَ ٱلإتِّحادِيِّ مُطْلَقٌ ... وَيَنْطِقُ عَنْ دعوى ٱتحادٍ لِكَثْرَةِ
ودعواكَ فرعونيةٌ نَفْسَهَا تَرَى ... تَقُومُ فَقَطْ فيها صفاتُ ٱلأُلوهَةِ
وَمَا مِنْ مُريدٍ أَوْ مُرادٍ بِدِينِنَا ... أَلاَ إنَّها أسماءُ إفْكٍ وَبِدْعَةِ
وما للورى مِنْ عَاصِمٍ دونَ رَبِّهِمْ ... وليسَ لَهُمْ مِنْ دونهِ حَبْلُ عِصْمَةِ
(وأَلْغِ ٱلكُنَى عني ولا تَلْغُ ... أَلْكَناً بها فَهْيَ مِنْ آثارِ صيغَةِ صَنْعَتي)
وها أَنْتَ هذا ٱلآنَ نَفْسَكَ آلِهٌ ... وَتَلْبَسُ بٱلدَّعْوى صِفَاتِ ٱلأُلوهَةِ
فَمِنْ قَبْلُ بٱلدَّعْوَى عُصِمْتَ بِعِصْمَةٍ ... وها أنتَ بٱلدَّعْوَى صَنَعْتَ بِصَنْعَةِ
وإنْ تَكُ مِنْ آثارِ صَنْعَتِكَ ٱلكُنَى ... فأنتَ إذاً جَعَّالُ حَرْفٍ وَكِلْمَةِ
كَذَبْتَ كُلُبنانَ ٱلكذوبِ بِعَصْرِنا ... بِدَعْوَى ٱختراعِ ٱلأحرفِ ٱلأَبْجَدِيَّةِ
فقد ورِثَ ٱلإنسانُ ٱلأَحْرُفَ فطرةً ... بما عَلَّمَ ٱلمولى أبا ٱلبَشَرِيَّةِ
وفي عَلَّمَ ٱلأسماءَ آدَمَ كُلَّها ... لأَبْيَنُ بُرْهانٍ وأعظمُ حُجَّةِ
فَمَنْ خَلَقَ ٱلإنسانَ عَلَّمَهُ ٱلبَيَا ... نَ فَلْيَخْسَأَنْ ذو ٱلكُفْرِ وَٱلوَثَنِيَّةِ
(وَعَنْ لَقَبي بٱلعارِفِ ٱرْجِعْ فإنْ تَرَ ... ٱلتَّنابُزَ بٱلألقابِ فِي ٱلذِّكْرِ تُمْقَتِ)
كَدَأْبِكَ معنى ٱللَّفْظِ تَقْلِبُ عَنْ هَوًى ... وفي قلب معنى ٱللفظِ قلبُ ٱلحقيقةِ

وفي مثلِ ذا تَغْييرُ عُرْفٍ وَشِرْعَةٍ ... ولا خيرَ في تَغْييرِ عُرْفٍ وَشِرْعَةِ
فَإنْ تَجْعَلِ ٱلعِرْفَانَ وَصْفَ مَذَمَّةٍ ... فَأَنْتَ إذاً بِٱلجهلِ راغِبُ مِدْحَةِ
وَمِنْ لَقَبِ ٱلعرفانِ أنتَ لذي ٱلهُدى ... أَقَلُّ وَأَدْنى فَٱنْقَمِعْ بِٱلمَذَلَّةِ
(فَأَصْغَرُ أَتباعي على عَيْنِ قَلْبِهِ ... عرائسُ أبكارِ ٱلمعارِفِ زُفَّتِ)
(جنى ثَمَرَ ٱلعرفانِ منْ فرعِ فِطْنَةٍ ... زَكَا بِٱتِّبَاعي وَهُوَ مِنْ أصلِ فطرتي)
(فإنْ سِيلَ عَنْ معنى أتى بِغَرَائِبٍ ... عن ٱلفَهْمِ جَلَّتْ بَلْ عَنِ ٱلوَهْمِ دَقَّتِ)
فَإنْ تَكُ أبكارُ ٱلمعارفِ ما تَرَى ... فيا حَبَّذَا ٱلجهلاءُ أُمُّ ٱلجَهُولَةِ
وما ثَمَرُ ٱلعِرْفَانِ مِنْ فرعِ فِطْنَةٍ ... ولكنَّهُ مِنْ شَرْعِ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ
فلا خيرَ في لُبٍّ بغير شريعةٍ ... ولا بُدَّ مِنْ أصليْنِ لُبٍّ وشِرْعَةِ
ولا خيرَ في سُؤْلٍ أتى بغرائبٍ ... ولا في إجاباتٍ عن ٱلفَهْمِ جَلَّت
(ولا تَدْعُني فيها بِنَعْتٍ مُقَرَّبٍ ... أراهُ بِحُكْمِ ٱلجَمْعِ فَرْقَ جريرةِ)
(فَوَصْلِيَ قطعي وٱقترابي تباعُدي ... وَوُدِّيَ صَدِّي وٱنتهائيَ بَدْءَتي)
(وفي مَنْ بها وَرَّيْتُ عني وَلَمْ أُرِدْ ... سوايَ خَلَعْتُ ٱسمي ورسمي وكُنْيَتِي)
(فسرتُ إلى ما دونه وقف ٱلأُلى ... وَضَلَّتْ عقولٌ بِٱلعَوائدِ ضَلَّتِ)
(فلا وَصْفَ لي وٱلوصفُ رَسْمٌ كذاكَ ٱلإِ ... سْمُ وَسْمٌ فإنْ تَكْنِ فَكَنٍّ أَوِ ٱنْعَتِ)
(وَعَنْ أنا إياها إلى حيثُ لا إلى ... عَرَجْتُ وَعَطَّرْتُ ٱلوجودَ بِرَجْعَتِي)
(وَعَنْ أنا إِيَّايَ لِبَاطِنِ حكمةٍ ... وظاهرِ أحكامٍ أُقيمَتْ لِدَعْوَتي)
(وَغَايَةُ مجذوبي إليها وَمُنْتَهى ... مُرَادِيهِ ما أَسْلَفْتُهُ قبلَ توبتي)
(وَمِنِّيَ أَوْجُ ٱلسابقينَ بِزَعْمِهِمْ ... حَضِيضُ ثرى آثارِ مَوْضِعِ وَطْأَتي)
(وآخِرُ ما بعد ٱلإشارةِ حيثُ لا ... تَرَقِّي ٱرْتِفَاعٍ وَضْعُ أَوَّلِ خُطْوَتي)
أَتُلْغي بدعوى ٱلجَمْعِ نَعْتَ مُقَرَّبٍ ... وَذَنْباً ترى مَمْدُوحَ ذكرٍ وَسُنَّةِ
وَتَأْنَفُ كِبْراً مِنْ صفاتِ عُبودَةٍ ... لِتَدْخُلَ وَهْماً في صِفَاتِ ألوهَةِ
فَوَصْلُكَ قَطْعٌ عَنْ صفاتِ ألوهةٍ ... بِزَعْمِكَ إذ لِلْوَصْلِ معنى ٱلعبودةِ
وإنَّكَ يا مسكينُ مَحْجُوجُ وَاقِعٍ ... وما لَكَ منهُ مِنْ خَلاَصٍ وحيلةِ

فلو كُنْتَ فوق ٱلوَصْلِ وَٱلقُرْبِ لَمْ تَكُنْ — لِتَظْهَرَ عَنْ عَكْسٍ بحالٍ جديدةِ
فما دُمْتَ مَوْصُوفاً بحالٍ تَغَيُّرٍ — فأنتَ إذاً عَبْدٌ كَشَأْنِ ٱلخليقةِ
وليس يُوَرَّى بٱلإلهِ عَنِ ٱلورى — ولكن يُوَرَّى بٱلأمورِ ٱلشَّبِيهَةِ
وكيف بها وَرَّيْتَ عنكَ ولم تُرِدْ — سواكَ وقام ٱلفَرْقُ في كُلِّ لَفْظَةِ
فَلَمْ تَخْلَعَنْ رَسْماً ولا ٱسْماً وَكُنْيَةً — لَدُنْ ظَلْتَ مُحتاجاً إلى ياء نِسْبَةِ
فإنَّ ٱختلافاً في ٱلضَّمَائِرِ شاهِدٌ — بِعَجْزِكَ عَنْ دعواكَ حتّى بِكِلْمَةِ
فلا أنتَ إياها ولا أنتَ مِثْلُهَا — وعَنْ كُلِّ ما مِثْلٍ تَعَالَتْ وَجَلَّتِ
وما سِرْتَ يا مسكينُ إلاّ تَوَهُّماً — وفي ٱلسَّيْرِ إذْ أَثْبَتَّهُ نَقْضُ وَحْدَةِ
وَلَمْ تَخْلُ منْ وَصْفٍ وذلكَ لازمٌ — وتبقى أسيراً في صفاتِ ٱلعُبُودَةِ
وماٱلوَصْفُ مثلُ ٱلرَّسْمِ فٱلوَصْفُ ناعِتٌ — وفي ٱلرَّسْمِ آثارٌ بِمَعْنى ٱلبَقِيَّةِ
وإنَّكَ في لا وَصْفَ لي مُتَنَاقِضٌ — على أيِّ ما دَعْوَى ٱدَّعَيْتَ وَصِيغَةِ
وفي سورةِ ٱلإخلاصِ وَصْفٌ لِرَبِّنا — كما مُسْلِمٌ يروي بِأَبْيَنِ جُمْلَةِ
«وَمِنْ أنا إِيَّاهَا إلى حيثُ لا إلى» — جَعَلْتَ لها ظَرْفَ ٱرتحالٍ وَنُقْلَةِ
وإنَّكَ في هذا لَتَنفي وُجُودَها — سوى مِنْ خلالٍ منكَ فَٱخْسَأْ بِذِلَّةِ
وَشَطْرَةُ عَطَّرَتْ ٱلوجود بِرَجْعَتي — خِلافٌ لِمَا في ٱلبيتِ أَوَّلَ شَطْرَةِ
«وَعَنْ أنا إيَّايَ» ٱرتجاعُ تراجُعٍ — إلى صِفَةٍ فيها ٱلعبودَةُ حَقَّتِ
وَجَعْلُكَ ما أَسْلَفْتَهُ قَبْلَ توبةٍ — رُقِيّاً لِجَذْبٍ عينُ نَقْضٍ لِتَوْبَةِ
كذلك إبليسٌ يوسوسُ بالهوى — ليجعلَ في ٱلآثامِ أسرارَ حكمةِ
فما بٱكتسابِ ٱلذنب إعلاءُ رُتْبَةٍ — ولكنْ بِتَرْكِ ٱلذنبِ إعلاءُ رُتْبَةِ
كما قد بَسَطْتُ القولَ مِنْ قَبْلُ ذاكراً — حديثاً بهذا عَنْ إمامِ ٱلنبوةِ
لَئِنْ ظَلْتُمْ منْ دونِ ذنبٍ وتوبةٍ — لَبَدَّلَكُمْ قوماً بذنبٍ وتوبةِ
وأنتَ ترى بٱلذَّنْب مِنْ غيرِ تَوْبَةٍ — مَقَامَ ٱرتِقَاءٍ وَهْيَ أَخْبَثُ رُؤْيَةِ
وَأَوْجُ ٱلذينَ ٱلسَّابِقِينَ بزعْمِهِمْ — زعَمْتَ هُمُ ٱلأصحابُ خيرُ ٱلأَئِمَّةِ
وما سَبَقُوا زعماً ولكنْ حقيقةً — وفي شاهِدِ ٱلقُرآنِ أبينُ حُجَّةِ

فكيفَ ترى أَوْجَ ٱلذينَ هُمُ الأُلى … كَمَوْطِيءِ آثارِ لَدَيْكَ ٱبنَ ضَلَّةِ
فإنْ قُلْتَ لا أعني صِحَابَ محمدٍ … فَهَلْ تَبْلُغَنْ مِنْ تَابِعٍ قَدْرَ ذَرَّةِ
ودعواكَ مِنْ بعدِ ٱلإشارةِ حيثُ لا … تَرَقِّي ٱرتفاعٍ وَضْعُ أَوَّلِ خُطْوَتي
فَذَا لِكُمُ وَهْمُ ٱخْتلاطٍ مُفَتِّتٍ … ولا حَقَّ في وَهْمِ ٱختلاطٍ مُفَتِّتِ
(فما عَالِمٌ إلا بِفَضْلِيَ عالمٌ … ولا ناطِقٌ بٱلكونِ إلاّ بِمِدْحتي)
ولو كانَ ذا حَقّاً لَكُنتَ إلهَنا … ولو كُنْتَهُ ما ذُقْتَ كأْسَ ٱلمنيةِ
وكَمْ نَاطِقٍ في ٱلكونِ كُفْراً وَضَلَّةً … ولا مَدْحَ في منطوقِ كُفرٍ وَضَلَّةِ
(ولا غَرْوَ أنْ سُدْتُ ٱلأُلى سبقوا وَقَدْ … تَمَسَّكْتُ مِنْ طَهَ بأوثقِ عُرْوَةِ)
(عليها مَجَازِيٌّ سلامي فإنَّما … حَقِيقَتُهُ مني إليَّ تحيتي)
وإنَّكَ فيما تَدَّعي مِنْ تَمَسُّكٍ … بِطه لذو نَقْضٍ ودعوى بعيدةِ
فلولا بها مُسْتَمْسِكاً كُنْتَ لَمْ تَقُلْ … حقيقتُهُ مني إليَّ تحيتي
(وأطيبُ ما فيها وجدتُ بِمُبْتَدا … غرامي وقد أبدى بها كُلَّ نَذْرَةِ)
(ظهوري وقد أخفيتُ حاليَ منشداً … بها طَرَباً وٱلحالُ غيرُ خَفِيَّةِ)
(بَدَتْ فرأيتُ ٱلحَزْمَ في نقضِ توبتي … وقام بها عند ٱلنُّهى عُذْرُ مِحْنَتي)
(فمنها أماني مِنْ ضَنًى جسدي بها … أَمَانيُّ آمالٍ سَخَتْ ثُمَّ شَحَّتِ)
(ومنها تَلافي ٱلجسم بِٱلسُّقْمِ صِحَّةٌ … لَهُ وتلافُ ٱلنفسِ نَفْسُ ٱلفُتُوَّةِ)
(وموتي بها وجداً حياةٌ هنيئةٌ … وإنْ لَمْ أَمُتْ في ٱلحبِّ عِشْتُ بِغُصَّةِ)
وهل كانَ ما منها ظَنَنْتَ بِمُبْتَدا … غَرَامِكَ إلاّ مَسَّ شيطانِ جِنَّةِ
تَرَاءَيْتَ بٱلأوهامِ نَفْسَكَ أحمداً … بما زِغْتَ عَنْ منهاجِ ذكرٍ وَسُنَّةِ
وَقَدْ خَدَعَ ٱلشيطانُ قَبْلَكَ مَعْشراً … بهذا فَزَاغُوا عَنْ سبيلِ ٱلشريعةِ
ولي سَوَّلَتْ نفسي قديماً بِمِثْلِها … فكنتُ أرى نفسي نَبِيَّ ٱلبَرِيَّةِ
وما ذاكَ إلاّ مِنْ أَثَامٍ أَتَيْتُهُ … بما كُنْتُ أخلو مَعْ نِساءٍ بِخَلْوَةِ
فَبَيْنا أنا يوماً وأُنْثى بخلوةٍ … أُحَدِّثُها بٱلحبِّ بٱسمِ ٱلحقيقةِ
فَأَشْرَقَ في عَيْنَيَّ نورٌ حَسِبْتُهُ … بِوَهْمٍ وَجَهْلٍ رُوحَ خيرِ ٱلخليقةِ

تَلَبَّسَني ٱلشيطانُ فيها مُخادِعاً ... لأصْرِفَ زعماً عَنْ حرامٍ وَحُرْمَةِ

فُتِنْتُ بما خالفتُ أمرَ محمدٍ ... لَدُنْ كانَ دأبي ٱلإختلاءَ بنسوةِ

كذلكَ خالَفتُ ٱلنبيَّ بأنني ... سَرَدْتُ صياماً دائماً ألفَ ليلةِ

فَظَلْتُ أصومُ ٱلدَّهرَ حتّى تَعوَّدَتْ ... على ٱلصَّوْمِ أمعائي فَأَبْطَلْتُ نِيَّتي

وفي مُحْكَمِ ٱلفُرْقَانِ فَلْيَحْذَرِ ٱلذي ... يُخالِفُ أمرَ المصطفى وَقْعَ فِتْنَةِ

(فيا مهجتي ذوبي جَوًى وَصَبابَةً ... ويا لوعتي كوني كذاكَ مُذِيبَتي)

(ويا نارَ أحشائي أقيمي مِنَ ٱلجَوَى ... حَنَايا ضلوعي فَهْيَ غيرُ قويمةِ)

(ويا حُسْنَ صبري في رضا مَنْ أُحِبُّها ... تَحَمَّلْ وكُنْ للدهرِ بي غيرَ مُشْمِتِ)

(ويا جَلَدي في جَنْبِ طاعةِ حُبِّها ... تَحَمَّلْ فِداكَ ٱلثُّكْلُ كُلَّ عظيمَةِ)

(ويا جَسَدي ٱلمُضْنَى تَسَلَّ عَنِ ٱلشِّفَا ... ويا كَبِدي مَنْ لي بأنْ تَتَفَتَّتي)

(ويا سَقَمي لا تُبْقِ لي رَمَقاً فَقَدْ ... أَبَيْتُ لِبُقْيا ٱلعِزِّ ذُلَّ ٱلبَقِيَّةِ)

(ويا صِحَّتي ما كانَ مِنْ صُحْبَتي ٱنْقَضَى ... وَوَصْلُكِ في ٱلأحشاءِ مَيْتاً كَهِجْرَةِ)

(ويا كُلَّ ما أبقى ٱلضَّنَى مِنِّيَ ٱرْتَحِلْ ... فَمَا لَكَ مأوى في عظامٍ رَمِيمَةِ)

(ويا ما عَسَى مِنّي أُناجي تَوَهُّماً ... بِيَاءِ ٱلنِّدا أو نِسْتُ منكَ بِوَحْشَةِ)

(وكُلُّ ٱلذي ترضاهُ والموتُ دونَهُ ... بِهِ أنا راضٍ وٱلصَّبابَةُ أَرْضَتِ)

(وَنَفْسِيَ لَمْ تَجْزَعْ بِإتْلافها أَسَى ... ولو جَزِعَتْ كانَتْ بغيري تَأَسَّتِ)

(وفي كُلِّ حَيٍّ كُلُّ حَيٍّ كميتٍ ... بها عندَهُ قَتْلُ ٱلهوى خَيْرُ مَوْتَةِ)

(تَجَمَّعَتِ ٱلأهواءُ فيها فما ترى ... بِها غَيْرَ صَبٍّ لا يَرَى غَيْرَ صَبْوَةِ)

(إذا سَفَرَتْ في يومِ عيدٍ تَزَاحَمَتْ ... على حسْنِها أبصارُ كُلِّ قبيلةِ)

(فأرواحُهُمْ تصبو لمعنى جمالها ... وأحداقُهُمْ مِنْ حُسْنِها في حديقةِ)

(وعنديَ عيدي كُلَّ يومٍ أرى به ... جَمَالَ مُحَيَّاها بِعَيْنٍ قريرةِ)

(وكُلُّ ٱلليالي ليلةُ ٱلقَدْرِ إنْ دَنَتْ ... كما كُلُّ أيامِ ٱللُّقا يومُ جُمْعَةِ)

(وَسَعْيي لها حَجٌّ به كُلُّ وِقْفَةٍ ... على بابها قد عادَلَتْ كُلَّ وَقْفَةِ)

(وَأَيُّ بلادِ ٱللّٰه حَلَّتْ بها فَمَا ... أَراها وفي عيني حَلَتْ غَيْرَ مَكَّةِ)

(وَأَيُّ مكانٍ ضَمَّهَا حَرَمٌ كَذَا　أرى كُلَّ دارٍ أَوْطَنَتْ دارَ هجرتي)
(وما سَكَنَتْهُ فَهْوَ بَيْتٌ مُقَدَّسٌ　بِقُرَّةِ عيني فيهِ أحشايَ قَرَّتِ)
(وَمَسْجِدِيَ ٱلأقصى مَسَاحِبُ بُرْدِها　وَطِيبي ثَرَى أرضٍ عليها تَمَشَّتِ)
(مَوَاطِنُ أفراحي وَمَرْبى مآربي　وأطوارُ أطواري ومأمنُ خيفتي)
(مَغَانٍ بها لَمْ يَدْخُلِ ٱلدهرُ بيننا　ولا كادَنَا صَرْفُ ٱلزمانِ بِفُرْقَةِ)
(ولا صَبَّحَتْنَا ٱلنائباتُ بِنَبْوَةٍ　ولا حَدَّثَتْنا ٱلحادثاتُ بِنَكْبَةِ)
(ولا شُفِّعَ الواشي بِصَدٍّ وهجرةٍ　ولا أرْجَفَ ٱللاّحي بِبَيْنٍ وَسَلْوَةِ)
(ولا ٱسْتَيْقَظَتْ عينُ ٱلرقيبِ ولم تَزَلْ　عليَّ لها في ٱلحُبِّ عيني رقيبتي)
(ولا ٱخْتُصَّ وَقْتٌ دونَ وَقْتٍ بِطِيبَةٍ　بها كُلُّ أوقاتي مواسِمُ لَذَّةِ)
(نَهَاري أصيلٌ كُلُّهُ إنْ تَنَسَّمَتْ　أَوَائِلُهُ منها بِرَدِّ تَحِيَّتي)
(ولَيليَ فيها كُلُّهُ سَحَرٌ إذا　سَرَى ليَ منها فيهِ عُرْفُ نُسَيْمَةِ)
(وإنْ طَرَقَتْ ليلاً فَشَهْرِيَ كُلُّهُ　بها ليلةُ ٱلقَدْرِ ٱبتهاجاً بِزَوْرَةِ)
(وإنْ قَرُبَتْ داري فَعَامِيَ كُلُّهُ　ربيعُ ٱعتدالٍ في رياضٍ أَرِيضَةِ)
(وإن رَضِيَتْ عني فَعُمْرِيَ كُلُّهُ　زَمَانُ ٱلصِّبَا طِيباً وَعَصْرُ ٱلشَّبِيبَةِ)
(لَئِنْ جَمَعَتْ شَمْلَ ٱلمحاسنِ صورةٌ　شهدتُ بها كُلَّ ٱلمعاني ٱلدَّقيقةِ)
(فَقَدْ جَمَعَتْ أَحْشَايَ كُلَّ صَبَابَةٍ　بها وَجَوًى يُنْبِيكَ عَنْ كُلِّ صَبْوَةِ)
(وَلِمْ لا أُبَاهي كُلَّ مَنْ يَدَّعي ٱلهوى　بها وأنا هي في ٱفتخاري بِحُظْوَةِ)
(وقد نِلْتُ منها فَوْقَ ما كنتُ راجياً　ولم... أَمَّلْتُ من قربِ قربتي)
(وَأَرْغَمَ أنفَ ٱلبَيْنِ لُطْفُ ٱشْتِمالِها　عَلَيَّ بما يُرْبي على كُلِّ مُنْيَةِ)
(بِها مِثْلَ ما أَمْسَيْتُ أَصْبَحْتُ مُغْرَماً　وما أَصْبَحَتْ فيهِ منَ ٱلحُسْنِ أَمْسَتِ)
(فلو مَنَحَتْ كُلَّ ٱلوَرَى بَعْضَ حُسْنِها　خلا يُوسُفٍ ما فَاتَهُمْ بِمَزِيَّةِ)
(صَرَفْتُ لها كُلِّي على يَدِ حُسْنِها　فَضَاعَفَ لي إِحْسَانُها كُلَّ وَصْلَةِ)
(يشاهِدُ مني حُسْنَها كُلُّ ذَرَّةٍ　بها كُلُّ طَرْفٍ جالَ في كُلِّ طَرْفَةِ)
(وَيُثْني عليها فِيَّ كُلُّ لطيفَةٍ　بكلِّ لسانٍ طالَ في كُلِّ لفظةِ)

(وَأَنْشَقُ رَيَّاها بِكُلِّ دقيقَةٍ بها كُلُّ أَنْفٍ ناشِقٍ كُلَّ هَبَّةِ)

(ويسمَعُ مني لفظَها كُلُّ بِضْعَةٍ بها كُلُّ سَمْعٍ سامعٍ مَتَنَصِّتِ)

(وَيَلْثُمُ مني كلُّ جُزْءٍ لِثَامَها بِكُلِّ فَمٍ في لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ)

(فلو بَسَطَتْ جسمي رأتْ كُلَّ جَوْهَرٍ بِهِ كُلُّ قَلْبٍ فيهِ كُلُّ مَحَبَّةِ)

تَرَاجَعْتَ يا وَهْمَانُ عَمَّا ٱدَّعَيْتَهُ وَعُدْتَ على رَغْمٍ إلى ٱلبَشَرِيَّةِ

وإنَّكَ في ذِكْرِ ٱلصَّبَابَةِ وٱلجَوَى تَبَاعَدُ عَنْ دَعْوَى ٱلفَنَاءِ ٱلعَرِيضَةِ

وَمَا هَذِهِ ٱلأَبْيَاتُ إلاَّ تَحَزُّنٌ وَشَوْقٌ إلى ذكرى شَبَابٍ وَصَبْوَةِ

وما هذِهِ ٱلأُنْثَى ٱلتي قَدْ وَصَفْتَهَا سوى غَادَةٍ تَاهَتْ عَلَيْكَ وَعَزَّتِ

ولو أنَّهَا حَقّاً أَنَالَتْكَ وَصْلَهَا لَغِبْتَ بِلَذِّ ٱلوَصْلِ عَنْ ذُلِّ قَوْلَةِ

(وَأَغْرَبُ ما فيها ٱسْتَجَدْتُ وَجَادَلي بِهِ ٱلفَتْحُ كَشْفاً مُذْهِباً كُلَّ رِيبَةِ)

(شُهُودي بِعَيْنِ ٱلجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفٍ وَلِيَّ ٱئتِلافٍ صَدُّهُ كَٱلمَوَدَّةِ)

(أَحَبَّنِيَ ٱللاَّحي وَغَارَ فَلامَني وهامَ بها ٱلوَاشي فَجَارَ بِرِقْبَةِ)

(فَشُكْرِي لهذا حَاصِلٌ حيثُ بِرُّها لِذَا وَاصِلٌ وٱلكُلُّ آثارُ نِعْمَتي)

(وغيري على ٱلأغيارِ يُثْني وَلِلسِّوَى سوايَ يُثَنِّي منهُ عَطْفاً لِعَطْفَتي)

(وشكريَ لي وٱلبِرُّ مِنِّيَ واصِلٌ إليَّ ونفسي بٱتحادي ٱسْتَبَدَّتِ)

(وَثَمَّ أُمورٌ تَمَّ لي كَشْفُ سِتْرِها بِصَحْوٍ مُفِيقٍ عَنْ سِوَايَ تَغَطَّتِ)

(وَعَنِّيَ بٱلتَّلْويحِ يَفْهَمُ ذَائِقٌ غَنِيٌّ عَنِ ٱلتَّصْرِيحِ لِلْمُتَعَنِّتِ)

(بها لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبِحْ دَمَهُ وفي ٱلإشَارَةِ معنى ما ٱلعِبَارَةُ حَدَّتِ)

(وَمَبْدَأُ إبْداها ٱللَّذَانِ تَسَبَّبَا إلى فُرْقَتي وَٱلجَمْعُ يأبى تَشَتُّتي)

(هُمَا مَعَنَا في باطِنِ ٱلجَمْعِ وَاحِدٌ وَأَرْبَعَةٌ في ظاهِرِ ٱلفَرْقِ عُدَّتِ)

(وإني وإياها لَذَاتٌ وَمَنْ وَشَى بها وَثَنَى عنها صِفَاتٌ تَبَدَّتِ)

(فَذَا مَظْهَرٌ للروحِ هَادٍ لأُفْقِها شهوداً بدا في صِبْغَةٍ مَعْنَوِيَّةِ)

(وذا مَظْهَرٌ للنفسِ حادٍ لِرِفْقِها وجوداً غدا في صِيغَةٍ صُورِيَّةِ)

(وَمَنْ عَرَفَ ٱلأشْكَالَ مِثْلِيَ لَمْ يَشُبْهُ شِرْكُ هُدًى في رَفْعِ إشْكَالِ شُبْهَةِ)

تَعَلَّقْتَ مِنْ وَهْمِ ٱلْخَيَالِ بِشَعْرَةٍ … فَأَلْقَتْكَ فِي وِدْيانِ جَهْلٍ سَحِيقَةِ
فلا تَحْسَبَنَّ ٱلْفَتْحَ ظَنّاً ظَنَنْتَهُ … فَمَا ٱلْفَتْحُ إلا مِنْ خلالِ ٱلشَّرِيعَةِ
فَمَا كَانَ مِنْ فَتْحٍ يُوافِقُ مُحْكَماً … فَذَاكَ وَإلاَّ فَهْوَ سِرْدابُ ظُلْمَةِ
فكيفَ ترى بِٱلجمعِ كُلَّ مخالفٍ … وَلِيٍّ ٱئتلافٍ ضِدُّهُ كالمودةِ
وهل بعد هذا غيرُ تعطيلِ شِرْعَةٍ … وَجَعْلُ أبي جَهلٍ لَدَيْكَ كَحَمْزَةِ
وَيُبْنى على دعواكَ بِٱلجَمْعِ هكذا … كفورٌ كَصِدِّيقٍ ونارٌ كَجَنَّةِ
وليسوا سواءً هكذا قالَ رَبُّنَا … وليسَ يقولُ ٱلربُّ غيرَ ٱلحقيقةِ
وما زلتَ مَعْنى ٱلجمعِ تَجْهَلُ هَا هُنَا … كَجَهْلِكَهُ عند ٱبتداءِ ٱلقصيدةِ
وما ٱلجَمْعُ إلاّ جَمْعُ أَشْتَاتِ خَافِقٍ … لِيُفْرِدَ بِٱلتَّأْليهِ رَبَّ ٱلبريةِ
فلولا بمعنى ٱلجمعِ كنتَ مُحَقِّقاً … علمتَ إذاً مَدْلُولَ معنى ٱلأُلوهةِ
فَمَعْنَاهُ أَنْ لا تَأْلَهَنْ غَيْرَهُ ولا … تُرَجِّي سواهُ عندَ رَهْبٍ وَرَغْبَةِ
ولا تَخْضَعَنْ إلاّ لَهُ وَلَهُ ٱسْجُدَنْ … وَسَبِّحْ لَهُ في كُلِّ وَقْتٍ وَأَخْبِتِ
فإنَّ مُحِبَّ ٱلخَلْقِ يبقى مُشَتَّتاً … ويبقى مُحِبُّ ٱللّه غَيْرَ مُشَتَّتِ
كَمَا مَالَ إبراهيمُ عَنْ كُلِّ آفِلٍ … وقالَ إلى ٱلرحمٰنِ وَجَّهْتُ وِجْهَتي
وأنتَ ترى بِٱلجَمْعِ فِعْلَكَ فِعْلَهُ … وَجَلَّ عُلاهُ عَنْ فِعَالِ ٱلنقيصةِ
لقد خَلَقَ ٱلرحمٰنُ أفعالَ خلقه … وليسَ بِفَعَّالٍ فِعَالَ ٱلخليقةِ
فليسَ بَأَكَّالٍ وليسَ بشارِبٍ … وليسَ بمغمومٍ وليس بِمَيِّتِ
ودعواكَ في ٱللاّحي أَحَبَّ ولا مني … وَهَامَ بها ٱلواشي فَجَارَ بِرِقْبَةِ
تُحَاوِلُ تفسيرَ ٱلأُمورِ بِضِدِّها … وَتَقْلِبُ معنى ٱللفظةِ ٱليعربيةِ
وليس ٱلذي يلحو مُحِباً ولا ٱلذي … يهيمُ يَشِي وٱلجَوْرُ لِلْمُتَغَطْرِتِ
وكيف ترى لاحٍ وواشٍ بُعَيْدَما … نَفَيْتَهُما مِنْ قَبْلُ منذُ هُنَيْهَةِ
وليسَ على ٱلأغيارِ يُثْني مُوَحِّدٌ … ولكنْ على الأغيارِ يُثْني ٱبنُ شِرْكَةِ
وَأَمَّا ٱلسِّوَى فٱللّهُ أَوْجَدَ خَلْقَهُ … فإنْ قُلْتَ هُمْ إِيَّاهُ بُؤْتَ بِضَلَّةِ
فلا بُدَّ مِنْ إثباتِ فَرْقٍ فَذَاتُهُ … تَعَالَتْ وَجَلَّتْ عَنْ ذواتِ ٱلخليقةِ

وَشُكْرُكَ إنْ تَشْكُرْ فَمِنْ فَضْلِهِ أَتَى ... وَنِعْمَتِهِ وَٱلبِرُّ منهُ بِنِعْمَةِ
وقولُكَ «نفسي بٱتحادي ٱسْتَبَدَّتِ» ... نَقَضْتَ بها دعوى ٱتّحادٍ أصيلةِ
وَنَاقَضْتَ في دعوى أمورٍ كَشَفْتَها ... بِصَحْوٍ مُفِيقٍ عَنْ سواكَ تَغَطَّتِ
فكيفَ تَغَطَّتْ عَنْ سواكَ ولا سوى ... وكيف تَرَى كَشْفاً يَتِمُّ بِوَحْدَةِ
وَهَلْ عنكَ بٱلتلويحِ يَفْهَمُ ذائِقٌ ... إذا لَمْ يَكُنْ سَبَّاقَ حالٍ وَذَوْقَةِ
وإنْ تَكُ مَسْبُوقاً بِذَوْقٍ لِذَائِقٍ ... فدعوى ٱنفرادِ فيكَ غيرُ صَحِيحَةِ
فَقَدِّرْ هناكَمْ مِنْ معاني تَنَاقُضٍ ... بقولِكَ جَهْلاً عَنْ سِوَايَ تَغَطَّتِ
وكيفَ تَخافُ ٱلبَوْحَ بٱلَّذْ زَعَمْتَهُ ... أَتَاكَ بِكَشْفٍ مُذْهِبٍ كُلَّ رِيبَةِ
وماذا علينا أَنْ تُبَاحَ دِمَاؤُنا ... إذا نَحْنُ بُحْنَا بٱلهُدى وَٱلحقيقةِ
فَلَلنَّمْلَةُ ٱللَّتْ قَوْمَها ٱلجُنْدَ حَذَّرَتْ ... أَعَزُّ إذاً مِنَّا بِعَزْمٍ وَهِمَّةِ
وكيفَ ٱلسِّوَى تخشى وعندكَ لا سوى ... وعندكَ أَنَّ العيشَ ذوقُ ٱلمنيةِ
وما كنتَ إياها وَعِزَّةِ ذاتِها ... وما أنتَ إلا بعضُ هذي ٱلخليقةِ
وما زلتَ معنى ٱلفرقِ وٱلجمعِ جاهلاً ... كما جهل ٱلإسلامَ أهلُ ٱلعروبةِ
وكيف ترى في باطنِ ٱلجمعِ واحداً ... وأربعةً في ظاهرِ ٱلفرقِ عُدَّتِ
فأنتَ وإياها وَوَاشٍ وَمَنْ ثَنَى ... تخالفُ معنى ٱلعِزَّةِ ٱلأَحَدِيَّةِ
أَتَفْرِي عليها وَفْقَ نَظْمٍ وَزَنْتَهُ ... مُصِرّاً على إثباتِ فَرْيٍ بِفِرْيَةِ
وكيف يُرَى واشٍ بها وَلِمَنْ يَشِي ... وَهَلْ مَلِكٌ يُوشَى بهِ لِرَعِيَّةِ
وكيفَ صفاتُ ٱلربِّ تبدو بِمَظْهَرٍ ... وليستْ صِفَاتُ ٱلربِّ غَيْرَ ٱلربُوبَةِ
تَعَالَتْ عَنِ ٱلأَشْكَالِ ذاتُ إِلهِنَا ... وَعَنْ شُبْهَةِ ٱلإِشْكَالِ عَزَّتْ وَجَلَّتِ
(فَذَاتِيَ بٱللَّذاتِ خَصَّتْ عوالمي ... بمجموعها إمدادَ جَمْعٍ وَعَمَّتِ)
(وجادَتْ ولا ٱستعدادَ كَسْبٍ بفيضها ... وقبلَ ٱلتَّهَيِّي للقبول ٱستعدَّتِ)
(فبٱلنفسِ أشباحُ ٱلوجودِ تَنَعَّمَتْ ... وبٱلروحِ أرواحُ ٱلشهودِ تَهَنَّتِ)
(وحالُ شهودٍ بينَ سَاعٍ لأُفْقِهِ ... ولاحِ مُراعٍ رِفْقَهُ بٱلنصيحَةِ)
(شهيدٌ بحالي في ٱلسَّمَاعِ لجاذبي ... قَضَاءُ مَقَرِّي أو مَمَرُّ قَضِيَّتي)

إشارة إلى قصة النملة الواردة في سورة النمل في قوله تعالى حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون

(وَيُثْبِتُ نَفْيَ ٱلإلْتِبَاسِ تَطَابُقُ ... ٱلمِثَالَيْنِ بِٱلخمسِ ٱلحواسِ ٱلمبينةِ)

(وبينَ يَدَيْ مَرْمايَ دونكَ سِرٌّ ما ... تَلَقَّتْهُ منها ٱلنفسُ سِرّاً فَأَلْقَتِ)

(إذا لاحَ معنى ٱلحُسْنِ في أيِّ صورةٍ ... وناحَ مُعَنَّى ٱلحُزْنِ في أيِّ سورةِ)

(يُشَاهِدُها فكري بِطَرْفِ تَخَيُّلي ... وَيَسْمَعُها ذكْري بِمَسْمَعِ فِطْنَتي)

(وَيُحْضِرُها للنفسِ وهمي تَصَوُّراً ... فَيَحْسَبُها في ٱلحِسِّ فَهمي نديمتي)

(فَأَعْجَبُ مِنْ سُكْري بغيرِ مُدامَةٍ ... وَأَطْرَبُ في سِرِّي وَمِنِّيَ طَرْبَتي)

(فيرقُصُ قلبي وٱرتعاشُ مَفَاصِلي ... يُصَفِّقُ كَالشَّادي وَرُوحِيَ قَيْنَتي)

وَهَلْ هذه ٱللَّذَّاتُ إلا تَوَهُّمٌ ... كما تُوهِمُ ٱلسَّكْرانَ أَكْؤُسُ خمرةِ

ولولا جِنَاسٌ بينَ ذاتٍ وَلَذَّةٍ ... لَمَا جَاءَ هذا ٱلوَهْمُ منك بِجَيْئَةِ

فأنتَ ٱمرؤٌ تلقي ٱلكلامَ مجازفاً ... على حَسْبِ ما يأتي بِغَيْرِ رَوِيَّةِ

ففي كُلِّ ما بَيْتٍ تَبُولُ خَواطِراً ... على حَسْبِ بالٍ منكَ أَوَّلَ خَطْرَةِ

فإنْ خَطَرَتْ نَفْسٌ ذكرتَ نَفَائِساً ... وإنْ حَدَقاً أَذْكَرْتَ قُلْتَ حديقتي

وما أنتَ في هذا ولا ذاكَ رَابِطٌ ... وإنَّكَ في هذا وذاكَ ٱبنُ فَلْتَةِ

تَدَبَّرْهُنا ذَا ٱلبيتَ ٱلأَوَّلَ إنَّهُ ... يُريكَ ٱلذي بَيَّنْتُ ظاهِرَ رؤيةِ

لَدُنْ قُلْتَ بِٱللذَّاتِ ذاتي بِشَطْرَةٍ ... ومجموعُها إمدادُ جَمْعٍ بِشَطْرَةِ

وَأَتْبَعْتَهُ تَوّاً بِجَادَتْ بفيضها ... وَقَبْلَ ٱلتَّهيُّي للقبولِ ٱستعدتِ

فهذا كلامٌ لا تَنَاسُبَ بينَهُ ... إذا قيسَ في ميزانِ قِسْطٍ وَنِسْبَةِ

فَمِنْ قَبْلُ قَدْ أَذْكَرْتَ ذاتاً عَلِيَّةً ... لَدُنْ قُلْتَ بِٱللذاتِ خَصَّتْ وَعَمَّتِ

ومِنْ بعدُ قد صَيَّرْتَها بَشَرِيَّةً ... لَدُنْ قُلْتَ مِنْ قبلِ ٱلتهيي ٱستعدتِ

فَخَصَّتْ وَعَمَّتْ وصفُ ذاتٍ قديرةٍ ... وأَمَّا ٱسْتَعَدَّتْ فَهْوَ وَصْفُ ٱلضعيفةِ

فما مُسْتَعِدٌّ غيرُ مَنْ كانَ فَاقِراً ... فيحتاجُ مِنْ بعدِ ٱفتقارٍ لِعُدَّةِ

وَلَلْفَرْقُ بينَ ٱلجودِ وٱلفَيْضِ ظاهِرٌ ... كَفَرْقٍ يُرَى ما بينَ فِعْلٍ وَفِطْرَةِ

فَما في لسانِ ٱلعُرْبِ جَادَ بِفَيْضِهِ ... وَهَلْ يستوي فِعْلٌ وَمَحْضُ طبيعَةِ

وقولُكَ أشباحٌ بنفسٍ تَنَعَّمَتْ ... كقولكَ أرواحٌ بروحٍ تَهَنَّتِ

فَحَاوَلْتَ تقسيماً بِحَشْوٍ فَصُغْتَهُ ... كما حاول ٱلحداد صُنْعَ ٱلهريسةِ
وما ثَمَّ ضِدٌّ بينَ سَاعٍ لأُفْقِهِ ... وبينَ مُرَاعٍ رِفْقَهُ بٱلنصيحةِ
وهذا إذا كانا جميعاً على هُدًى ... وما مِنْ هُدًى مِنْ دونِ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ
وإنَّ صراطَ ٱللَّهِ للخلقِ وَاحِدٌ ... فأهلُ صراطِ ٱللَّهِ هُمْ أَهْلُ وَحْدَةِ
فهذا صراطٌ مستقيمٌ قَوَامُهُ ... ألاَ فٱعْبُدوا ٱلرحمٰنَ رَبَّ ٱلبريةِ
وقد نَوَّعَ ٱلمولى شرائِعَ رُسْلِهِ ... وما نَوَّعَ ٱلمولى صراطَ ٱلطريقةِ
فَمَعْ خَضِرٍ ما كانَ موسى مُخَالِفاً ... ولكنَّهُ لَمْ يَصْطَبِرْ كَشْفَ حِكْمَةِ
وقد أثبتَ ٱلقُرآنُ ذلكَ بَيِّناً ... بِلَمْ تَسْتَطِعْ صبراً بِآيٍ مُبِينَةِ
وقد أرسل ٱلرحمٰنُ موسى لقومه ... وما خَضِرٌ مِنْ قومِ موسى بنسبةِ
فلما أتى منْ ذي ٱلجلالِ محمدٌ ... إلى الناسِ مبعوثاً بأكملِ شِرْعَةِ
فَقَدْ صارَ حقاً أنْ يُطيعَ محمداً ... جميعُ ٱلورى من كُلِّ إنسٍ وَجِنَّةِ
فلا خَضِرٌ يسطِيعُ دونَ محمدٍ ... سبيلاً ولا مجموعُ أهلِ ٱلنبوةِ
وليسَ ٱلتِبَاساً ما تُحَاوِلُ نَفْيَهُ ... ولكنها أوهامُ إبليسَ أزَّتِ
وَبَيْنَ يَدَيْ مَرْمَاكَ سِرٌّ دَنَاءَةٍ ... تلَقَّتْهُ مِنْ إبليسَ نَفْسٌ تَدَنَّتِ
كَجَعْلِكَ معنى ٱلحُسْنِ في كُلِّ صورةٍ ... وجعلِ مُعنّى ٱلحُزْنِ في كُلِّ سورةِ
وَجَلَّ كتابُ ٱللَّهِ عَنْ كُلِّ باطلٍ ... وَقَدْ قَالَ لا تَحْزَنْ لخيرِ ٱلبريةِ
وإنكَ إذْ أَثْبَتَّ وَهْمَ تَخَيُّلٍ ... خرجتَ مِن ٱلدَّعْوى بِحَالِ دَعِيَّةِ
(وما برحتْ نفسي تَقَوَّتُ بٱلمنى ... وتمحو ٱلقُوى بٱلضعفِ حتى تَقَوَّتِ)
(هناكَ وَجَدْتُ ٱلكائناتِ تَحَالَفَتْ ... على أَنَّها وَٱلعَوْنُ مني مُعِينتي)
(لِيَجْمَعَ شملي كُلُّ جارحةٍ بها ... وَيَشْمَلَ جمعي كُلَّ مَنْبِتِ شَعْرَةِ)
(وَيَخْلَعَ فينا بَيْنُنَا لُبْسُ بَيْنِنا ... على أنني لَمْ أُلْفِهِ غيرَ أُلْفَةِ)
(تَنَبَّهْ لِنَقْلِ ٱلحِسِّ للنفسِ راغباً ... عَنِ ٱلدَّرْسِ ما أَبْدَتْ بوحيِ ٱلبديهةِ)
وليس ٱلمنى قوتاً ولكنْ جَلَبْتَهُ ... لِرَبْطِ جِنَاسٍ بينَ قوتٍ وَقُوَّةِ
وكيف ترى نفساً تَقَوَّتُ بٱلمنى ... وإنَّ ٱلمنى داءُ النفوسِ ٱلضعيفةِ

وفي سُوَرِ ٱلقرآنِ ذُمَّ لنا ٱلمنى ... وَذُمَّ لنا في ٱلسُّنَّةِ ٱلنبويةِ

وَمَحْوُ ٱلقُوى بِٱلضَّعْفِ نهجُ ضلالَةٍ ... فليسَ يُقَوِّي ٱلروحَ إضعَافُ بِنْيَةِ

ففي قُوَّةِ ٱلأجسامِ للروحِ طاقةٌ ... إذا ٱنفَتَحتْ في ٱلنَّفْسِ عينُ ٱلبصيرةِ

وحسبُك بِٱلقرآنِ إنْ كُنْتَ ذاكراً ... «أَعِدُّوا لَهُمْ» وٱقرأْ قراءَةَ سورةِ

وَلَلْمُؤمِنُ ٱلأقوى أَحَبُّ لِرَبِّنا ... كما في ٱلأحاديثِ ٱلصحاحِ ٱلشريفةِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَفْقَهْ دُعَاءَ نَبِيِّنا ... أَعِزَّ إِلهي بِٱبنِ خَطَّابَ دَعْوَتي

فَلَمَّا فتى ٱلخطَّابِ أَسْلَمَ أَيْنَعَتْ ... بِهِ دعوةُ ٱلإسلامِ نَصْراً وَعَزَّتِ

وقولُكَ إنَّ الكائناتِ تحالَفَتْ ... على أنها وٱلعونُ مني مُعِينَتي

فَمَا ٱلعَوْنُ إلاّ مِنْ إلهيَ وَحْدَهُ ... ودعواكَ ضَلَّ راكبٌ بَحْرَ ضَلَّةِ

فلا أنتَ مَنْ عنها بدعواكَ تَفْتَري ... ولا هيَ ما عنها تقولُ بِفِرْيَةِ

ولا جَمْعَ شَمْلٍ بينَ رَبِّكَ وٱلورى ... فذلكَ شأنُ ٱلخلقِ بعد ٱلتَّشَتُّتِ

ولا بَيْنَ بُعْدٍ بينَ رَبِّك وٱلورى ... ففي قَبْضَةِ ٱلخلاّقِ كُلُّ ٱلخليقةِ

ولا لَبْسَ وَصْفٍ بينَ رَبِّكَ وٱلورى ... فليسَ كوصفِ ٱلربِّ وصفُ ٱلبريةِ

وليس الذي لَمْ تُلْفِهِ غيرَ أُلْفَةٍ ... سوى داءِ وَهْمٍ منْ فَسَادِ ٱلطَّبيعةِ

وحيثُ إذاً لَمْ تُلْفِهِ غيرَ أُلْفَةٍ ... ففي الأُلْفِ إِثباتٌ لِفَرْقٍ وَفِرْقَةِ

فما ٱلإلفُ إلاّ بينَ نَفْسٍ وغيرِها ... وفي ٱلأُلْفِ نَفْيٌ لاتحادٍ ووحدةِ

ولا حَصْرَ أُلْفٍ بَيْنَ نَفْسٍ وَجِنْسِها ... فَقَدْ قَامَ إِلْفٌ بينَ مَرْءٍ وَهِرَّةِ

ولكنَّ معنى ٱلأُلْف يُحْصَرُ في ٱلورى ... وَتَعْظُمُ عَنْ أُلْفٍ صفاتُ ٱلرُّبُوبَةِ

لقد أكرمَ ٱلمولى بِحُبٍّ وَخُلَّةٍ ... وَمَا أُلْفَةٌ قُدَّامَ حُبٍّ وَخُلَّةِ

فإنَّ ٱلذي بينَ الإلهِ وَخَلْقِهِ ... لأَكْرَمُ مِنْ معنى ٱئْتِلافٍ وَأُلْفَةِ

فأما ٱلذي مِنْ رَبِّنا لِعِبَادِهِ ... فَحُبٌّ وَإكرامٌ وواسِعُ رحمةِ

وأمّا ٱلذي منهُمْ لِعِزِّ جلالِهِ ... فَحُبٌّ وطاعاتٌ وَذُلُّ عُبُودَةِ

وما كُلُّ نَقْلِ ٱلحِسِّ للنَّفْسِ صائبٌ ... فلا نَفْيَ أو إِثْبَاتَ دونَ أَدِلَّةِ

وما مِنْ دليلٍ للحقائِقِ كُلِّها ... ولا بَعْضِها إلاّ دليلُ ٱلشريعةِ

(لِرُوحيَ يُهْدي ذكرُها ٱلروحَ كُلَّما ... سَرَتْ سَحَراً منها شَمَالٌ وَهَبَّتِ)

(وَيلْتَذُّ إنْ هاجَتْهُ سَمْعِيَ بِٱلضُّحى ... على وَرَقٍ وُرْقٌ شَدَتْ وَتَغَنَّتِ)

(وَيَنْعَمُ طَرْفي إنْ رَوَتْهُ عَشِيَّةً ... لإِنْسَانِهِ عنها بُرُوقٌ وَأَهْدَتِ)

(وَيَمْنَحُهُ ذَوْقي وَلَمْسِيَ أَكْؤُسَ ... ٱلشَّرابِ إذا ليلاً عَلَيَّ أُدِيرَتِ)

(ويوحيهِ قلبي للحوائجِ باطناً ... بظاهرِ ما رُسْلُ ٱلجوارحِ أَدَّتِ)

(وَيُحْضِرُني في ٱلجَمْعِ مَنْ بِٱسْمِها شَذَى ... فَأَشْهَدُها عندَ ٱلسَّمَاعِ بِجُمْلَتي)

(فينحو سماءَ ٱلنَّفْحِ روحي ومظهري ٱلـ ... مُسَوَّى بها ينحو لأترابِ تُربتي)

(فَمِنِّيَ مجذوبٌ إليها وجاذبٌ ... إليهِ وَنَزْعُ ٱلنَّزْعِ في كُلِّ جَذْبَةِ)

(وما ذاكَ إلاّ أَنَّ نفسي تَذَكَّرَتْ ... حَقِيقَتَها مِنْ نَفْسِها حينَ أَوْحَتِ)

(فَحَنَّتْ لتجريدِ ٱلخِطَابِ بِبَرْزَخِ ... ٱلتُّرابِ وَكُلٌّ آخِذٌ بِأَزِمَّتي)

(وَيُنبيكَ عَنْ شَأْنِ ٱلوليدِ وإنْ نَشَا ... بليداً بِإلهامٍ كَوَحْيٍ وَفِطْنَةِ)

(إذا أَنَّ مِنْ شَدِّ ٱلقِمَاطِ وَحَنَّ في ... نَشَاطٍ إلى تَفْريجِ إفْرَاطِ كُرْبَةِ)

(يُنَاغَى فَيُلْغي كُلَّ كَلٍّ أَصَابَهُ ... وَيُصْغي لِمَنْ نَاغَاهُ كَٱلمُتَنَصِّتِ)

(وَيُنْسيهِ مُرَّ ٱلخَطْبِ حُلْوُ خِطَابِهِ ... وَيُذْكِرُهُ نجوى عُهُودٍ قديمةِ)

(وَيُعْرِبُ عَنْ حالِ ٱلسَّمَاعِ بِحَالِهِ ... فَيُثْبِتُ لِلرَّقصِ ٱنتفاءَ ٱلنَّقِيصَةِ)

(إذا هَامَ شوقاً بِٱلمناغي وَهَمَّ أَنْ ... يَطيرَ إلى أوطانِهِ ٱلأَوَّلِيَّةِ)

(يُسَكَّنُ بِالتحريكِ وَهْوَ بِمَهْدِهِ ... إذا مالَهُ أيدي مُرَبِّيهِ هَزَّتِ)

لَقَدْ ضاقتِ الدعوى عليكَ فلم تَجِدْ ... سبيلاً سوى تأليهِ هذي ٱلخليقةِ

كذلكَ أهلُ ٱلشِّرْكِ قَبْلَكَ أوهموا ... وبعدكَ أنَّ ٱللَّهَ عينُ ٱلطبيعةِ

فلولا مِنَ ٱلقرآنِ أَذْكَرْتَ قولَهُ ... ولا تَسْجُدوا للشمسِ أُبْتَ بِأَوْبَةِ

وفي لا أُحِبُّ ٱلآفلينَ أدِلَّةٌ ... على أنها ليستْ بذاتِ ٱلوهةِ

وما زلتَ في ٱلأمثالِ تَضرِبُ خابطاً ... وتنحو على غيرِ ٱلطريقِ ٱلقويمةِ

تَعِبْتَ وَلَمْ تَجْعَلْ لِدَعْوَاكَ حُجَّةً ... سوى صَفْنِ طِفْلٍ عِنْدَ إخْرَاجِ خُرْءَةِ

وكيف تَرَى طِفْلاً يُنَاغَى بِمَهْدِهِ ... فَيَذْكُرُ نجوى مِنْ عُهُودٍ قديمةِ

وقد أُخرِجَ الإنسانُ منْ بَطْنِ أُمِّهِ ... جهولاً ضعيفاً دون علمٍ وقدرةِ
كما جاء في ٱلقرآنِ ذلك مُحْكَماً ... فإنْ كُنتَ في شَكٍّ فَرَاجِعْ تَثَبَّتِ
وحيثُ ترى أنَّ ٱلوليدَ بِمَهْدِهِ ... يُشَاهِدُ عهد ٱلذِّكْرَيَاتِ ٱلسعيدةِ
وحيثُ يُرى يَنْمُو وَتَنْمُو صِفَاتُهُ ... فما بالُ ذي ٱلذكرى لَدَيْهِ ٱضْمَحَلَّتِ
أَتَحْسَبُهُ يَنْمُو بِلَحْمٍ وَعَظْمَةٍ ... ويخبو فلا ينمو بروحٍ وَفِكْرةِ
فأينَ إذاً فَضْلُ ٱلإلهِ على ٱلورى ... وتفضيلُ نوعِ ٱلأمةِ ٱلبشريةِ
فإنَّ حِمَارَ ٱلزَّرْعِ يعرفُ دَرْبَهُ ... إذا مَرَّ فيها مَرَّةً بعد مَرَّةِ
وإنَّكَ خَطَّاءٌ كَدَأْبِكَ إذْ تَرَى ... مَوَاطِنَ للإنسانِ في ٱلأَزَلِيَّةِ
فَلَيْسَ لِطِفْلٍ مَوْطِنٌ قَبْلَ مَهْدِهِ ... سوى صُلْبِ ظَهْرٍ أَوْ وِعَاءِ مَشِيمَةِ
تَذَكَّرْ فَبِإِشْهَادُ ٱلإلهِ عِبَادَهُ ... أَتى بعد أَخْذٍ منْ ظُهُورِ ٱلأُبُوَّةِ
كما قالَ في ٱلقرآنِ وٱلحقُّ قولُهُ ... وما بعد قولِ ٱلحقِّ غيرُ ٱلمَضِلَّةِ
كَذَا لأبي يَحْيَى(١) أبانَ بِقولِهِ ... «ولم تكُ شيئاً» فٱذَّكِرْهَا وَأَخْبِتِ
فَمَا كانَ إلاَّ ٱللَّهُ مِنْ قَبْلُ وَحْدَهُ ... وشاءَ فكانَ ٱلخَلْقُ عندَ ٱلمشيئةِ
(وَجَدْتُ بِوَجْدٍ آخذي عندَ ذِكْرِها ... بِتَخْبيرِ تالٍ أَوْ بألحانِ صَيِّتِ)
(كَمَا يَجِدُ ٱلمكروبُ في نَزْعِ نَفْسِهِ ... إذا مالَهُ رُسْلُ ٱلمنايا تَوَفَّتِ)
(فواجِدُ كَرْبٍ في سِبَاقٍ لِفُرْقَةٍ ... كمكروبِ وَجْدٍ لاشْتِيَاقٍ لِرُفْقَةِ)
(فذا نَفْسُهُ رُقَّتْ إلى ما بَدَتْ بهِ ... وروحي تَرَقَّتْ للمبادي ٱلعَلِيَّةِ)
(وباتَ تَخَطِّيَّ ٱتصالي بِحَيْثُ لا ... حِجَابَ وِصَالٍ عنهُ روحي تَرَقَّتِ)
(على أَثَرِي مَنْ كانَ يُؤْثِرُ قَصْدَهُ ... كَمِثْلِيَ لَمْ يركَبْ لهُ صِدْقَ عَزْمَةِ)
أَتَجْعَلُ وَجْداً واحداً عِنْدَ ذكرها ... بِتَخْبيرِتَالٍ أَوْ بألحانِ صَيِّتِ
وليس كَقَوْلِ ٱللَّهِ قولُ عبادِهِ ... كَمَا لَيْسَ كَٱلخَلاَّقِ قَدْرُ ٱلخليقةِ
ولو كنتَ قَوْلَ ٱللهِ تَفْقَهُ لَمْ تَجِدْ ... كما يَجِدُ ٱلمكروبُ في نَزْعِ مُهْجَةِ
فإنَّ كلامَ ٱللَّهِ يُحْيي عِبَادَهُ ... وَيُزْهِرُ فيهِمْ مِنْهُ نورُ ٱلبصيرةِ
وَإِنَّ كلامَ ٱللَّهِ حَيٌّ مُبَارَكٌ ... يُمِدُّ ٱلبرايا بٱلفُتُوحِ ٱلجديدةِ

وليسَ كلامُ ٱلخَلْقِ في أَوْجِ شأْوِهِ إذا قيسَ للقرآنِ إلاّ كَمَيِّتِ
وَمَا لك قِسْتَ ٱلموتَ مِنْ قَبْلِ ذَوْقِهِ وَعِرْفانُ طعمِ ٱلموت بعد ٱلمنيةِ
وَمَنْ نَفْسُهُ رُقَّتْ إلى ما بَدَتْ به إذاً نَفْسُهُ نَفْسَانِ كُلٌّ بِرُتْبَةِ
فإنْ كانَ ذا يبدو بمعنى وصورةٍ فأثبتْ إذاً هذا بمعنى وصورةِ
وَإنْ كانَ مِنْ خَلْطٍ أَتى وَكَذاكَ هُوْ فَمَا يُوَقِظُ ٱلمخلوطَ شيءٌ كَصَفْعَةِ
وَدَعْوى تَخَطِّيكَ ٱتِّصالَكَ حيثُ لا حِجَابَ لروحٍ منكَ زعماً تَرَقَّتِ
فوسواسُ هذا منْ حديثٍ سَمِعْتَهُ بِهِ قَالَ جبريلٌ وقفتُ بِرُتْبَتي
وما صَحَّ هذا عَنْ لسانِ نَبِيِّنَا ولا تُقْبَلُ ٱلأخبارُ مِنْ غيرِ صِحَّةِ
وإنَّكَ في دَعْوى ٱلتَّرَقِّي مُنَاقِضٌ فَإِنَّ ٱلتَّرَقِّي ضِدٌّ جَمْعٍ وَوَحْدَةِ
(وَكَمْ لُجَّةٍ قَدْ خُضْتُ قَبْلَ ولوجهِ فقيرُ ٱلغِنى ما بُلَّ منها بِنَغْبَةِ)
دَعَاوى عليها قَادِرٌ كُلُّ مُدَّعٍ وَمَنْ لَمْ يُقَيَّدْ بِٱلهُدَى يَتَفَلَّتِ
وحيثُ على دعواكَ نَفْسُكَ في ٱلعُلا فَهَلاَّ على غيرِ ٱلفقيرِ تَعَلَّتِ
فَفَخْرُكَ هذا فيهِ أنفاسُ جاهلٍ عليه رياحُ ٱلجاهِلِيَّةِ هَبَّتِ
وكيفَ وقد بُلِّغْتَ ما كُنْتَ زاعماً نَزَلْتَ مِنَ ٱلأعلى لِدَرْكِ ٱلنَّقِيصَةِ
فَأُقسِمُ يا مسكينُ مَا هيَ نَزْلَةٌ ولكنها آياتُ نَقْصِ ٱلخليقةِ
ففي كُلِّ مخلوقٍ صفاتُ عُبُودَةٍ تُكَذِّبُهُ عندَ ٱدِّعاءِ ٱلأُلُوهَةِ
(بِمِرآةِ قولي إنْ عَزَمْتَ أُرِيكَهُ فَأَصْغِ لما أُلقي بِسَمْعِ بصيرةِ)
(لَفَظْتُ مِنَ ٱلأقوالِ لَفْظِيَ عِبْرَةً وحظي مِنَ ٱلأفعالِ في كُلِّ فَعْلَةِ)

«التجليات»

لَئِنْ كانَ قولُ ٱلمرءِ مرآةَ قلبهِ فَقَلْبُكَ مُزبَدٌ كَلَيْلِ ٱلمصيبةِ

وَلَمّا عَرَضْنَا ما تقولُ على ٱلهُدى رأينا ٱلهُدى يأبى عليكَ بِشِدَّةِ

ولو كنتَ مَنْ تَفري لَجِئْتَ بِمُعْجِزٍ بِمُعْجِزِ فِعْلٍ أَوْ بِمُعْجِزِ قَوْلَةِ

فما لَكَ قولٌ غيرُ وسواسِ نَفْخَةٍ يُهَيِّجُ كِبْراً في ٱلنفوسِ ٱلصغيرةِ

وَهَلْ لَكَ قَوْلٌ فيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةٌ وفي عِبْرَةٍ مَعنى عُبُورٍ وَنُقْلَةِ

كما يَعْبُرُ ٱلإنسانُ مِنْ حالِ غَفْلَةٍ إذا أبصر ٱلموتى إلى حالِ خَشْيةِ

فبينَ ٱلهُدى وٱلضَّلِّ مُدَّتْ مَعابِرٌ كَمِثْلِ جُسُورٍ بَيْنَ شَطَّيْنِ مُدَّتِ

فَأَذْكَرْتُ مِنْ نفسي وكنتُ مُراهقاً أُناهِزُ سَبْعاً بعد عَشْرٍ أُتِمَّتِ

وكنتُ إلى بيروتَ أغدو بِمَتْجَرٍ فأسعى على قَدْرِ ٱحتياجي وَبُلْغَتي

فإني بِفَضْلِ ٱللّه ما زلتُ كادِحاً وما زالَ ثوبي مِنْ حلالٍ وَلُقْمَتي

وَأُقْسِمُ ما مَسَّتْ يدايَ ولا فمي طعامَ زعيمٍ أَوْ مَعَاش وَظيفَةِ

فبينا أنا يوماً بِبَيْرُوتَ أحتسي شرابَ عصيرٍ قُرْبَ دارٍ مُطِلَّةِ

أَطَلَّتْ فَنَادَتْني فتاةٌ لَوَ أنَّها دَعَتْ صخرةً منْ رأسِ طود لَلَبَّتِ

فما هُوَ إلاّ أنْ سمعتُ نِدَاءَها فَأَصْعَدْتُ في لَهْفٍ إليها وَنَخْوَةِ

صَعَدْتُ إليها صَعْدَ شَهْمٍ لِنَجْدَةٍ كَعَادَةِ قومٍ مُنْجِدينَ ببلدتي

فَأَلْفَيْتُ أنثى لَمْ تُرِدْني لِنَجْدَةٍ ولكنْ أرادتني لِلَهْوٍ وَشَهْوَةِ

فَلَمّا رأتني بينَ أحضانِ دَارِها دَعَتْني إلى أَحْضَانِ صَدْرٍ وَسُرَّةِ

فقالَتْ وَجَسَّتْني بِرَاحَةِ تَاجِرٍ أرى فيكَ ما أبغي بِضَاعَةَ رغبتي

فَمَا هَيَّجَتْ مني بِجَسٍّ وَلَمسَةٍ   كما هَيَّجَتْ مني بِلَفْظٍ وَكِلْمَةِ
فَوَلَّيْتُ عنها مُقْشَعِرّاً وقولُها   «بِضَاعَةٌ» يَغْشَى نور ذهني وَفِكْرَتي
وَلَمّا إلى ٱلفيحاءِ عُدْتُ مُسَلِّماً   فَظَلَّ ٱلذي قالَتْ يدورُ بِمُهْجَتي
فما زلتُ عنها أصرفُ ٱلقَلْبَ جاهداً   إلى ٱلشَّفَقِ ٱلمحْمَرِّ بَعْدَ ٱلعُتَيْمَةِ
فَلَمّا طغى فِيَّ ٱلأثامُ وَجَدْتُني   أعودُ إلى بيروتَ بعد ٱلعَشِيَّةِ
فَأَلْفَيْتُني في ساحةِ ٱلبُرْجِ هائماً   أُفَتِّشُ عَنْ سَيَّارَةٍ شَطْرَ وِجْهَتي
وكانَتْ مَحَلاَّتُ ٱلتجارةِ أُغْلِقَتْ   سوى واحِدٍ منها أَمامَ مَحَطَّةِ
فَبَيْنَا أنا عنهُ أُبادرُ مُعْرِضاً   إِذِ ٱعْتَلَقَتْ عينايَ منهُ بِجُمْلَةِ
قَرَأْتُ على ٱلبِلَّوْرِ إعلانَ تَاجِرٍ   عَبَرْتُ بهِ مِنْ شَطِّ طَيْشٍ لِتَوْبَةِ
قَرَأْتُ أَلاَ إِنَّ ٱلبِضَاعَةَ إِنْ تُبَعْ   فَلَسْنَا لها نَرضى بِرَدٍّ وَرَجْعَةِ
هُنَالِكُمُ وٱللَّهِ أَحْسَسْتُ أنني   أُخَاطَبُ مِنْ ربي بِكَشْفٍ وَحَضْرَةِ
وفي بُرْهَةٍ ليست تُقَاسُ أحاطني   وَأَشْرَقَ في صَدْرِي غِشَاءُ ٱلسكينة
فلو أنَّ لَذَّاتِ ٱلنفوسِ تَطَايَرَتْ   وصارَتْ سَحاباً صُبَّ في كأسِ خَمْرَةِ
وَأُعْطِيتُها مِنْ ثَغْرِ حوراءَ رَشْفَةً   سَرَتْ وٱسْتَمَرَّتْ في عُروقي وَمُهْجتي
لأَلْفَيْتُهَا قُدَّامَ ما كنتُ شاعِراً   بهِ مِنْ فُتُوحٍ مِثْلَ وَخْلٍ بِحُفْرَةِ
فأنتَ ترى في مثلِ ذلكَ وَحْدَةً   كذلكَ نفسي حينَ ذَلِكَ ظَنَّتِ
فَظَلْتُ زَمَاناً أَحْسَبُ الكونَ شَاشَةً   عَلَيَّ صِفَاتُ ٱللَّهِ فيها تَجَلَّتِ
فَلَمَّا صفاتِ ٱللَّهِ أصبحتُ عارفاً   وأسماءَهُ ٱلحسنى ٱسْتَنَارتْ بصيرتي
فأصبَحَ تَعْبِيدُ ٱلخلائِقِ مَذْهبي   وليسَ كَمِثْلِ ٱللَّهِ شيءٌ عقيدتي
فَتِلْكَ ٱلتَّجَلِّيَاتُ لَيْسَتْ صِفَاتِهِ   ولكنها منهُ بِخَلْقٍ وَقُدْرَةِ
أَشَائِرُ مِنْ خَلْقِ ٱلإلهِ هَدَتْ إلى   سبيلِ ٱلهُدى قوماً وقوماً أَضَلَّتِ
كَيُوسُفَ لَمَّا أَنْ أُرِيدَ بِخَلْوَةٍ   فأبصرَ برهانَ ٱلإلهِ بخلوةِ
كَذَا فَٱذَّكِرْ إِنَّ ٱلذينَ ٱتَّقَوْا إذا   أُصيبوا بِمَسٍّ أَبْصَرُوا بَعْدَ ذُكْرَةِ
وَضَلَّ بها قومٌ رأوها صِفَاتِهِ   كما ضَلَّ فِعْلُ ٱلسَّامِرِيِّ بِقَبْضَةِ

(ولحظي على ٱلأعمالِ حُسْنُ ثَوَابِها ... وَحِفْظِيَ للأحوالِ مِنْ شَيْنِ رِيبَةِ)

(ووعظي بِصِدْقِ ٱلقولِ إلقاءُ مُخْلِصٍ ... وَلَفْظِي ٱعتبارُ ٱللَّفْظِ في كُلِّ قِسْمَةِ)

(وقلبي بيتٌ فيهِ أسكُنُ دونَهُ ... ظهورُ صفاتي عنهُ مِنْ حُجُبِيَّتي)

(ومنهُ يميني فِيَّ رُكْنُ مُقَبَّلٌ ... وَمِنْ قِبْلتي لِلْحُكْمِ في فِيَّ قُبْلَتي)

(وَحَوْلِيَ بِٱلمعنى طَوَافي حَقِيقَةً ... وَسَعْيِي لِوَجْهي مِنْ صَفَائي لِمَرْوَتي)

(وَفي حَرَمٍ مِنْ باطني أَمْنُ ظاهري ... وَمِنْ حَوْلِهِ يُخْشَى تَخَطُّفُ جيرتي)

لَلَفْظُكَ مَلْفُوظٌ وَلَحْظُكَ مُغْمَضٌ ... وَعَنْ حِفْظِ حالٍ منكَ أَنْتَ بِعَجْزَةِ

وَوَعْظُكَ منقولٌ إذا كانَ هادياً ... وإلاّ فَقَوْلٌ غَيْرُ وَعْظٍ وَحِكْمَةِ

وقلبُكَ فيهِ ٱلوَهْمُ يَسْكُنُ وٱلهوى ... وَيُعْلِنُ فيهِ ٱلخَفْقُ ذُلَّ ٱلعُبُودَةِ

وَجَعْلُكَ بيتَ ٱللّٰهِ مَجلى صِفَاتِهِ ... ذَهَابٌ وَضَلٌّ عَنْ سبيلِ ٱلشريعةِ

فَقَدْ جَعَلَ ٱلرحمٰنُ كَعْبَةَ بَيْتِهِ ... مَثَاباً وَأَمْناً لا مَقَرَّ أُلُوهَةِ

(وَنَفْسي بِصَوْمي عَنْ سِوَايَ تَفَرُّداً ... زَكَتْ وَبِفَضْلِ ٱلفَضْلِ عَنِّيَ زَكَّتِ)

لَئِنْ صُمْتَ زعماً عَنْ سواكَ تَفَرُّداً ... فَلِمْ لَمْ تَصُمْ عَنْ بَثِّ شكوى وَتَصَمُّتِ

(وَشَفْعُ وجودي في شُهُودِيَ ظَلَّ في ... ٱتِّحَادِيَ وِتْراً في تَيَقُّظِ غَفْوَتي)

لَجَمْعُ وجودٍ في شُهُودٍ بِشَفْعِهِ ... خَطَاءٌ كَجَمْعٍ بَيْنَ حَقٍّ وَظِنَّةِ

ففي كُلِّ موجودٍ حقيقةُ واقعٍ ... وما كُلُّ مشهودٍ وُقُوعُ حقيقةِ

كما لَمْ يَكُنْ شيئاً مُخَيَّلُ ساحِرٍ ... كذا لَمْ يَكُنْ شيئاً سرابُ بِقِيعَةِ

وحيثُ إذاً هذا ٱسْتَبَانَ كما ترى ... فقد بانَ بُطْلانُ ٱتحادٍ وَوَحْدَةِ

(وإسراءُ سِرِّي عَنْ خُصُوصِ حقيقةٍ ... إليَّ كَسَيْري في عمومِ ٱلشريعةِ)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللّٰهَ أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... وأنزل في ٱلإسراءِ مُحْكَمَ سورةِ

وَمَنْ سُورَةَ ٱلإسراءِ يَتْلُ تَدَبُّراً ... يَجِدْ كَشْفَ علمٍ عَنْ غيوبٍ كثيرةِ

فَهَلاّ إذاً يا ٱبنَ ٱلفُوَيرِضِ جِئْتَنَا ... بِبُرْهَانِ إسراءٍ زَعَمْتَ وَحُجَّةِ

فَإِذْ أنتَ لَمْ تَفْعَلْ وَعُمِّرْتَ بعدها ... فَهَلاّ عَنِ ٱلدَّعْوى ٱرتَجَعْتَ بِتَوْبَةِ

وَسَمَّاهُ إِذْ أسرى بهِ ٱللّٰهُ عَبْدَهُ ... وأنتَ ٱمرؤٌ تأبى مقامَ ٱلعُبُودَةِ

وكيفَ إلى الإسراءِ تحتاجُ بعدما ... وما زلتُ إياها تقولُ بِجُمْلَةِ
(وَلَمْ أَلْهُ بِٱللاَّهُوتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي ... وَلَمْ أَنسَ بِٱلنَّاسُوتِ مَظْهَرَ حكمتي)
تَرَكْتَ بهذا ٱلقولِ دينَ محمدٍ ... جهاراً إلى تَقْنِيمِ قَوْمٍ أَضِلَّةِ
وَإِنَّك في تَقْنِيمِ رَبِّكَ ناقِضٌ ... مَزاعِمَكَ ٱلأولى بِجَمْعٍ وَوَحْدَةِ
فَشِرْكُ ٱلنصارى بِٱلإلهِ مُقَيَّدٌ ... بعيسى وروحِ ٱلقُدْسِ دونَ ٱلبَرِيَّةِ
ولو كنت مِمَّنْ يعرفُ ٱللَّهَ لَمْ يَكُنْ ... لِيَخْطُرَ هذا ٱلكُفْرُ منكَ بِفِكْرَةِ
هُوَ ٱللَّهُ لَمْ يُولَدْ هو ٱللَّهُ لَمْ يَلِدْ ... وَجَلَّ عَنِ ٱلتَّقْسيمِ وَٱلقَنِمِيَّةِ
(فَعَنِّي على ٱلنفسِ ٱلعُقُودُ تَحَكَّمَتْ ... وَمِنِّي على ٱلحِسِّ ٱلحدودُ أُقِيمَتِ)
كَذَبْتَ فَإِنَّ ٱلحِسَّ بِٱلنفسِ قائِمٌ ... وليسَ على ٱلموتى ٱلحدودُ أُقِيمَتِ
(وَقَدْ جاءَني مني رسولٌ عليه ما ... عَنِتُّ عزيزٌ بي حريصٌ لِرَأْفَةِ)
«مِنَ أَنْفُسِكُمْ» لا منكَ جاءَ كذا أَتَتْ ... وما أنتَ مِنهُمْ لا ولا قَدْرَ ذَرَّةِ
(فَحُكْمِيَ مِنْ نفسي عليها قَضَيْتُهُ ... ولما تَوَلَّتْ أَمْرَهَا ما تَوَلَّتِ)
ولو كُنْتَ إياها كدعواكَ لَمْ يَكُنْ ... عليكَ لِيَعْلُو منكَ أمرُ حكومَةِ
فَلَنْ يَحْكُمَنْ إلاَّ على نفسِهِ ٱلذي ... يرى نَفْسَهُ زاغتْ بِأَمْرٍ وَضَلَّتِ
وليسَ بِها نَقْصٌ بِوَصْفٍ لِتَحْكُمَنْ ... على نَفْسِها حكماً تَعالَتْ وَجَلَّتِ
كما قال موسى إِذْ يناظِرُ «لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى» بِمُحْكَمِ سورةِ
فَإِنْ تَرْضَ ما فرعونُ قالَ عقيدَةً ... فإني ٱلذي موسى يقولُ عقيدتي
(وَمِنْ عهدِ عهدي قَبْلَ عَصْرِ عناصري ... إلى دار بَعْثٍ قَبْلَ إِنْذارِ بِعْثَةِ)
أَلاَ إِنَّ ذاتاً رُكِّبَتْ مِنْ عَناصِرٍ ... فَتِلْكَ إِذاً خَلْقٌ كهذي ٱلخليقةِ
ولكنَّ مولانا هُوَ ٱلصَّمَدُ ٱسْمُهُ ... وفي ٱلصَّمَدِ ٱلتَّنْزِيهُ عَنْ عُنْصُرِيَّةِ
ففي صَمَدٍ معنى ٱنتفاءِ تَرَكُّبٍ ... وفي صَمَدٍ معنى ٱنْتِفاءِ تَشَتُّتِ
(إِلَيَّ رسولاً كُنْتُ مِنِّيَ مُرْسِلاً ... فَذاتي بِآياتي عَلَيَّ ٱسْتَدَلَّتِ)
كَذَبْتَ عَدُوَّ ٱللَّهِ فيما تقولُهُ ... وَقُلْتَ على ٱلرحمٰنِ غيرَ ٱلحقيقةِ
أَلَسْتَ ترى ٱلرحمٰنَ يَعْلَمُ ذاتَهُ ... بغيرِ رسولٍ منهُ يأتي بِحُجَّةِ

أي سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم.

بَلَى شَهِدَ ٱلمولى أُلُوهَةَ ذاتِهِ ... وَأَثْبَتَهَا بِٱلحقِّ ثَالِثَ سُورَةِ

وَقَدْ قَدَّمَ ٱلمولى شَهَادَةَ نَفْسِهِ ... على شاهِدِ ٱلأملاكِ وَٱلبشريةِ

وما بعثَ ٱلمولى إليهِ رَسُولَهُ ... وما حاجَةُ ٱلمولى لِرُسْلٍ وَبِعْثَةِ

ولكنْ إِلَيْنَا ٱللَّهُ أَرْسَلَ رُسْلَهُ ... وَأَيَّدَهُمْ بِٱلمعجزاتِ ٱلمبينَةِ

كما قال: قُل يا أَيُّها ٱلناسُ إنني ... رسولٌ إليكم مِنْ مَليكِ ٱلبريةِ

(وَلَمّا نَقَلْتُ النفسَ مِنْ مِلْكِ أَرْضِها ... بِحُكْمِ ٱلشِّرا منها إلى مُلْكِ جَنَّةِ)

(وَقَدْ جاهَدَتْ وَٱسْتَشْهَدَتْ في سبيلها ... وفازَتْ بِبُشْرى بَيْعِها حينَ أَوْفَتِ)

(سَمَتْ بي لِجَمْعي عَنْ خلودِ سَمَائها ... وَلَمْ أَرْضَ إخلادي لأرض خليفتي)

كَذَبْتَ عَدُوَّ ٱللَّهِ فيما ٱدَّعَيْتَهُ ... كَذَأْبِكَ فيما تَدَّعي كُلَّ كِذْبَةِ

فإنَّكَ قَدْ أَوْهَمْتَ أَنَّ إِلَهَنَا ... سَمَا بِشَهيدٍ عَنْ مَقَامِ ٱلبَسِيطَةِ

فَذَلِكَ ما يَفْرِيهِ قولُكَ كاذباً ... وَلَمْ أَرْضَ إخلادي لأرضِ خليفتي

وليسَ لِجَمْعٍ فيه يَسْمُو شهيدُهُ ... ولكنَّهُ يَسْمُو إليهِ لِحَضْرَةِ

كما قال في ٱلقرآنِ «بَلْ عند رَبِّهِمْ» ... فَهُمْ عِنْدَهُ لا فيهِ يا ٱبنَ ٱلفَرِيَّةِ

(ولا فَلَكٌ إلاّ ومِنْ نور باطني ... بهِ مَلَكٌ يُهدي ٱلهدى بِمَشيئتي)

ملائكةُ ٱلمولى عبادٌ وما هُمُ ... مِنَ ٱللَّهِ مِنْ جُزْءٍ ولا عَنْ بُنُوَّةِ

وقد أَكْفَرَ ٱلرحمٰنُ مَنْ جعلوا لَهُ ... بنينَ وَجُزْءاً في مُفَصَّلِ سورةِ

فعَنْ وَصْفِ تَجْزِيءٍ وَوَصْفِ تَوَالُدٍ ... تَعَالَتْ وَجَلَّتْ عِزَّةُ ٱلصَّمَدِيَّةِ

ولا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ نُورَ أَشِعَّةٍ ... كنورٍ بِبَدْرٍ أو كنورٍ بِنَجْمَةِ

هُوَ ٱلنورُ حَقّاً مِثْلَما حَقَّ قولُهُ ... وليس كنورِ ٱللَّهِ نورُ ٱلخليقةِ

وَمَا ضَلَّتِ ٱلأَفلاكُ عَنْ أمرِ رَبِّها ... لِتَهْدِيَهَا ٱلأملاكُ نَهْجَ ٱلطريقةِ

فإنَّ ٱلسَّما وٱلأرضَ للَّه قالَتا ... أَتَيْنَاكَ طَوْعاً عِنْدَ أَمْرٍ بِأَتْيَةِ

(ولا قَطْرَ إلاّ حَلَّ مِنْ فيضِ ظاهري ... بهِ قَطْرَةٌ عنها ٱلسَّحائِبُ سَحَّتِ)

كَذَبْتَ فإنَّ القَطْرَ مِنْ فَيْضِ فِعْلِهِ ... فليسَ لَهُ أوصافُ ماءٍ وَغَيْمَةِ

(وَمِنْ مَطْلَعي ٱلنورُ البسيطُ كَلَمْعَةٍ ... وَمِنْ مَشرعي ٱلبحرُ ٱلمحيطُ كَقَطْرَةِ)

تعالى عُلاهُ أنْ يُنيرَ بِلَمْعَةٍ ... وما ٱلبحرُ منهُ غيرُ مَفْعُولِ قُدْرَةِ

(فَكُلِّي لِكُلِّي جاذِبٌ مُتَوَجِّهٌ ... وبعضي لبعضي جاذِبٌ بِٱلأَعِنَّةِ)

وَكُلٌّ وبعضٌ وَصْفُ ذاتٍ تَرَكَّبَتْ ... وَجَلَّتْ عنِ ٱلتركيبِ ذاتُ ٱلأُلوهَةِ

(وَمَنْ كانَ فَوْقَ ٱلتَّحتِ وَٱلفَوْقُ تَحْتَهُ ... إلى وَجْهِهِ ٱلهادي عَنَتْ كُلُّ وِجْهَةِ)

نَقَضْتَ بهذا ٱلبيتِ ما قُلْتَ قَبْلَهُ ... وَأَثْبَتَّ للرحمٰنِ وَصْفَ ٱلحقيقةِ

فلولا على هذا ثَبَتَّ لَسُجِّلَتْ ... لَكَ ٱلحَسَناتُ الغُرُّ بعدَ الخطيئةِ

ولكنْ عَنِ ٱلحقِّ ٱرْتَجَعْتَ مُسارِعاً ... إلى بَاطِلٍ مِنْ وَهْمِ جَمْعٍ وَوَحْدَةِ

(فَتَحْتُ ٱلثَّرى فوقَ ٱلأثيرِ لِرَتْقِ ما ... فَتَقْتُ وَفَتْقُ ٱلرَّتْقِ ظاهِرُ سُنَّتي)

(ولا شُبْهَةٌ وٱلجمعُ عينُ تَيَقُّنٍ ... ولا جِهَةٌ وٱلأَيْنُ بَيْنُ تَشَتُّتي)

فَهَا أَنْتَذَا لِلرَّتْقِ وٱلفَتْقِ جاعِلٌ ... مَعَانِيَ جَمْعٍ في ٱلإلهِ وَوَحْدَةِ

أَتَجْعَلُ مفعولاتِهِ عَيْنَ ذَاتِهِ ... إلى وَجْهِ مَنْ تَعْنُو إذاً كُلُّ وِجْهَةِ

وكيفَ تَرَى لا أينَ وَٱللّٰهُ بائِنٌ ... عَنِ ٱلخلقِ فٱلخلّاقُ غيرُ ٱلخَلِيقَةِ

وَقَدْ أَثْبَتَ ٱلمختارُ أَيْنَ بِسُؤْلِهِ ... لَدَى ٱمْتَحَنَ ٱلإيمانَ في نَفْس مَرْأَةِ

(ولا عِدَّةٌ وٱلعَدُّ كٱلحدِّ قاطِعٌ ... ولا مُدَّةٌ وٱلحدُّ شِرْكُ مُوَقَّتِ)

(ولا نِدَّ في ٱلدارينِ يقضي بِنَقْضِ ما ... بَنَيْتُ وَيمضي أمرُهُ حُكْمَ إِمْرَتي)

(ولا ضِدَّ في ٱلكونينِ وَٱلخَلْقُ ما تَرَى ... بِهِمْ لِلتَّساوي مِنْ تَفَاوُتِ خِلْقَتي)

(وَمِنّي بَدَا لي ما عَلَيَّ لَبِسْتُهُ ... وعني ٱلبوادي بي إِلَيَّ أُعيدَتِ)

(وَفِيَّ شَهِدْتُ ٱلسَّاجِدِينَ لِمَظْهَري ... فَحَقَّقْتُ أني كنتُ آدَمَ سجدتي)

(وَعَايَنْتُ روحانِيَّةَ ٱلأَرضينَ في ... مَلائِكِ عِلِّيينَ أَكْفَاءَ سجدتي)

(وَمِنْ أُفُقِي ٱلدَّاني ٱجْتَدَى رِفْقِيَ ٱلهُدى ... وفي فَرْقِيَ ٱلثاني بدا جَمْعُ وَحْدَتي)

لَقَدْ خَلَقَ ٱللّٰهُ ٱلعِبادَ وَعَدَّهُمْ ... وَحَدَّ لَهُمْ مقدارَ رِزْقٍ وَمُدَّةِ

وحيثُ لَهُمْ عَدٌّ وَحَدٌّ وَمَوْقِتٌ ... فقد ظَهَرَتْ فيهِمْ صفاتُ ٱلعبودَةِ

ولا نِدَّ للرحمٰنِ في كُلِّ دَارَةٍ ... وإثباتُ خَلْقٍ ليسَ إثباتَ شِرْكَةِ

ففي نَفْيِ خَلْقِ ٱللّٰهِ تعطيلُ فِعْلِهِ ... وفي جَعْلِهِ كٱلخلقِ نَفْيُ ٱلأُلوهَةِ

وإثباتُ وَصْفِ ٱلضِّدِّ في ٱلخلقِ ظاهِرٌ وَجَلَّ عَنِ ٱلأضدادِ رَبُّ ٱلخليقَةِ
وليسَ ٱلتَّساوي بِٱنتفاءِ تَفاوُتٍ لِمَا تَدَّعي مِنْ نَفْيِ ضِدٍّ بِمُثْبَتِ
فإنكَ تأتي ٱللَّفْظَ مِنْ غيرِ بابِهِ وَتَرْحَلُ عَنْ معناهُ في كُلِّ رِحْلَةِ
أَلَمْ تَرْضِ ضِدّاً بينَ نارٍ وَجَنَّةٍ بَلَى وستدري فَرْقَ نارٍ وَجَنَّةِ
وَفِعْلُ «بدا» لا ينبغي لإلٰهنا وَعَنْ وَصْفِ لَبْسٍ ذاتُهُ عَزَّ جَلَّتِ
وها أنتَ ذا يا أسرعَ ٱلخلقِ بِٱلأذى جَعَلْتَ لَهُ أَضْدادَ لَبْسٍ وَرُؤْيَةِ
أَتَنْفي عَنِ ٱلمخلوقِ ضِدّاً مُشاهَداً وَتَجْعَلُ لِلْخَلاّقِ ضِدّاً بِفِرْيَةِ
وَإِنَّكَ إِذْ في ذاتِهِ ٱلضِّدَّ تَفْتَري وتنفي وُجودَ ٱلضِّدِّ بَيْنَ ٱلبَرِيَّةِ
لَكَٱلقَسِّ يأبى نِسْبَةَ ٱبنٍ وَزَوْجَةٍ وَيَرْضى لِرَبِّ ٱلعرشِ بِٱبْنٍ وزوجةِ
وما آدَمُ إلاّ تُرابٌ مُخَلَّقٌ وَتَعْظُمُ ذاتُ ٱللّهِ عَنْ وَصْفِ تُرْبَةِ
ولو كانَ للرحمٰنِ آدَمُ مَظْهَراً لَمَا زَلَّ عَنْ عِزٍّ وزَالَ بِمَوْتَةِ
أَيُحْفَظُ بِٱلتَّحْنيطِ مَيْتٌ بِصُورَةٍ ولا يَحْفَظُ ٱلرحمٰنُ حَيّاً بِصُورَةِ
«وَحَقَّقْتُ» فِعْلٌ ليسَ للعبدِ مِدْحَةً فكيفَ يُرَى للحقِّ رَبِّ ٱلحقيقةِ
«وَعَايَنْتُ» فِعْلٌ لا يليقُ بِمَنْ يَرَى بَوَاطِنَ ذَرِّ ٱلنَّمْلِ فِي قَلْبِ صَخْرَةِ
وإثباتُ رُوحانِيَّةِ ٱلأَرَضِينَ في مَلائِكِ عِلِّيينَ وَسْوَاسُ ضَلَّةِ
وَمَا ذاكَ في دينِ ٱلنُّبوَّةِ وَٱلهدى ولكنَّهُ مِنْ دينِ أهلِ ٱلطبيعةِ
أُولئكَ قومٌ يعبدونَ كَوَاكِباً يَظُنُّونَ فيها سِرَّ حَوْلٍ وَقُوَّةِ
شياطينُ جِنٍّ قارَنَتْهَا فَوَسْوَسَتْ لِصَرْفِ ٱلعِبِدّى عَنْ صراطِ ٱلعُبُودَةِ
وَعَزَّتْ صِفَاتُ ٱللّهِ عَنْ فِعْلِ ٱلإجْتِدا وَعَنْ وَصْفِ فَرْقٍ أَنْتَ تَفْرِيهِ جَلَّتِ
(وفي صَعْقِ دَكِّ ٱلحِسِّ خَرَّتْ إِفاقَةً لِيَ ٱلنَّفْسُ قَبْلَ ٱلتوبةِ ٱلمُوسَوِيَّةِ)
(فلا أَيْنَ بَعْدَ ٱلعينِ وَٱلسُّكْرُ منهُ قَدْ أَفَقْتُ وعينُ ٱلعينِ بِٱلصَّحْوِ أَصْحَتِ)
(وآخِرُ مَحْوٍ جاءَ خَتْمِيَ بَعْدَهُ كَأَوَّلِ صَحْوٍ لإرْتِسامِ بَعِدَّةِ)
(وكيفَ دخولي تَحْتَ مِلْكي كأوليا ءِ مُلْكي وأتباعي وَحِزبي(وشيعتي)
(ومأخوذُ مَحْوِ ٱلطَّمْسِ محقاً وزنتُهُ بِمَجْذُوذِ صَحْوِ ٱلحِسِّ فَرْقاً بِكِفَّةِ)

(فَنُقْطَةُ غَيْنِ ٱلغَيْنِ عَنْ صَحْوِيَ ٱنمَحَتْ ... وَيَقْظَةُ عينِ ٱلعينِ مَحْوِيَ ٱلْغَتِ)

(وَمَا فَاقِدٌ بِٱلصَّحْوِ في ٱلمحوِ واجِدٌ ... لِتَلْوِينِهِ أهلاً لتمكينِ زُلْفَةِ)

(تَسَاوَى ٱلنَّشَاوَى وٱلصُّحَاةُ لِنَعْتِهِمْ ... بِرَسْمِ حُضُورٍ أو بِوَسْمِ حِظيرةِ)

(وليسوا بقومي مَنْ عليهِمْ تَعَاقَبَتْ ... صِفَاتُ ٱلتباسٍ أَوْ سِمَاةُ بَقِيَّةِ)

(وَمَنْ لَمْ يَرِثْ عني ٱلكمالَ فَنَاقِصٌ ... على عَقِبَيْهِ نَاكِصٌ في ٱلعُقُوبَةِ)

(وَمَا فِيَّ ما يُفْضي لِلَبْسِ بَقِيَّةٍ ... ولا فَيْءَ لي يقضي عَلَيَّ بِفَيْئَةِ)

(وما ذا عَسَى يلقى جَنَانٌ وما بِهِ ... يفوهُ لسانٌ بَيْنَ وَحْيٍ وَصِيغَةِ)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلنفسَ خَرَّتْ لِرَبِّها ... بِفِطْرَتِهَا مِنْ قَبْلِ دَكٍّ وَصَعْقَةِ

وَقَوْلُكَ بَعْدَ ٱلعَيْنِ لا أَيْنَ ضَلَّةٌ ... فَمَا أَبْصَرَ ٱلرحمٰنَ موسى بِمُقْلَةِ

أأنتَ أَمِ ٱلرحمٰنُ أدرى بما جَرَى ... وَعَنْ «لَنْ تراني» كيفَ تبقى بغفلةِ

وَلَمْ يُمْحَ موسى عندَ خَرٍّ بِصَعْقَةٍ ... فَمَا ٱلمحوُ إلاّ في كتابٍ وَجُمْلَةِ

وليسَ ٱلذي ما بينَ بَدْءٍ وَخَتْمةٍ ... بِمَحْوٍ وَصَحْوٍ بَلْ بِوَقْتٍ وَدَوْرَةِ

كما قَالَ خيرُ ٱلرُّسْلِ في يومِ حَجِّهِ ... لَدُنْ للورى أَدْلَى بأعظَمِ خُطْبَةِ

وكيف دُخُولُ ٱلربِّ في تَحْتِ مِلْكِهِ ... وَقَدْ جَلَّ عَنْ معنى دُخُولٍ وَتَحْتَةِ

وفي قولِهِ عَنْ فِعْلِهِ لَيسَ يُسْأَلَنْ ... وَهُمْ يُسْئَلُونَ ٱلبُعْدُ عَنْ كُلِّ شُبْهَةِ

ومأخوذُ محوِ ٱلطَّقْسِ والطقسُ سائِرٌ ... ومجذوذُ صَحْوِ ٱلحِسِّ وَفْقَ ٱلمشيئةِ

يُؤَثِّرُ فِعْلُ ٱللّٰهِ في كُلِّ خَلْقِهِ ... وليسَ لِخَلْقٍ فيهِ تأثيرُ فِعْلَةِ

وَنُقْطَةُ غَيْنِ ٱلغَيْنِ لِلْغَيْنِ مَيَّزَتْ ... وَيَقْظَةُ عينِ ٱلعينِ في ٱلعينِ شَعَّتِ

فليستْ صفاتُ ٱللّٰهِ أشكالَ أحرفٍ ... ولا حَرَكَاتٍ بينَ فَتْحٍ وَكَسْرَةِ

ولكنْ علينا حَقُّ تعظيمِ أَحْرُفٍ ... تَآلَفُ في أسماءِ رَبِّ ٱلبريةِ

وَحَقٌّ علينا أنْ نُعَظِّمَ أحرُفاً ... تَآلَفُ في آياتِ ذكرٍ وسنةِ

وَجَعْلُكَ وَجْدَ ٱلمحوِ تمكينَ زُلْفَةٍ ... مُحَالٌ فَوَجْدُ ٱلمحوِ وَهْمُ مَظَنَّةِ

ولو كانَ مَحْوُ ٱلوجدِ موجودَ واقعٍ ... لَبَيَّنَهُ ٱلمولى بآيٍ مُبينةِ

وَلكنَّ آياتِ ٱلمهيمنِ بَيَّنَتْ ... لَنَا أَنَّ ما يُمْحَى خِلافُ لِمُثْبَتِ

وبينَ ٱلنَّشَاوَى وٱلصُّحَاةِ فَوَارِقٌ ... علـى كُلِّ ما حالٍ تكونُ وَهَيْئَةِ
فَإِنْ تَنفِ قَوْمَ ٱلفَرْقِ وَٱلفَرْقُ قَائِمٌ ... فَلِلشَّمْسِ سَطْعٌ رَغْمَ عَيْنٍ عَمِيَّةِ
وليسَ مُحِبُّ ٱللَّهِ في حالِ نَشْوَةٍ ... ولا ٱلنَّشْوُ مِنْ حالِ ٱلنفوسِ ٱلتَّقِيَّةِ
وَهَلْ غيرُ قَوْمٍ أنتَ مِنهُمْ تَعَاقَبَتْ ... عَلَيْهِمْ صِفَاتٌ مِنْ ضَلاَلٍ وَلَبْسَةِ
فَأُقْسِمُ ما أبصرتَ مِثْلَكَ في ٱلورى ... بِنَقْضٍ وَوَهْمٍ وٱضطرابٍ وَحَيْرَةِ
وَهَلْ حُزْتَ أَوْصَافَ ٱلكمالِ لِتُعْطِها ... وَهَلْ فيك وَصْفٌ غيرُ وَصْفِ ٱلنَّقِيصَةِ
ولا يَرِثُ ٱلخَلْقُ ٱلإلهَ فَربُّنا ... هو ٱلوارثُ ٱلباقي مليكُ ٱلخليقةِ
وما لَكَ لَمْ تَخْجَلْ لِلَبْسٍ نَفَيْتَهُ ... وَمِنْ قَبْلُ قَدْ وَكَّدْتَهُ كُلَّ وُكْدَةِ
«وماذا عَسَى يلقى جَنَانٌ وما بِهِ ... يفوهُ لسانٌ» تِلْكَ حالُ ٱلعُبُودَةِ
وإنَّكَ فيها ظَالِمٌ مُتَنَاقِضٌ ... فما لَكَ مِنْ وحيٍ ولا مِنْ نُبُوَّةِ
أَبَتْ فطرةُ ٱلمخلوقِ إلاَّ ٱنْكِشَافَهُ ... ففيهِ عليه شاهداتُ ٱلنَّقِيصَةِ
وَمَنْ يَعْتَلِقْ حَبْلَ ٱلدَّعَاوَى تُرَدِّهِ ... فَحَبْلُ ٱلدَّعَاوَى ذو خيوطٍ ضَعِيفَةِ
أَلاَ أَيُّهَا ٱلمرءُ ٱلمناقِضُ نَفْسَهُ ... لَقَدْ كدتُ أنْ أحنو عليكَ بِحَسْرَةِ
فأذكرتُ «لا تَحْزَنْ عليهم» فَرَدَّني ... وَمَنْ يَذَّكِرْ آيَ ٱلهُدى يَتَثَبَّتِ
(تَعَانَقَتِ ٱلأطرافُ عِنْدِيَ وَٱنْطَوى ... بِسَاطُ ٱلسِّوى عَدْلاً بِحُكْمِ ٱلسَّوِيَّةِ)
تَعَانَقَتِ ٱلأطرافُ منكَ وَٱفْتِلَتْ ... كما ٱنفَتَلَتْ أَطْرَافُ غِرٍّ بِدَوْرَةِ
فَمَا زَالَ في فَتْلٍ يدورُ بِنَفْسِهِ ... إلى أنْ تَرَاءآها مَدَارَ ٱلخليقةِ
فَبَيْنا كذا هُو في ٱنفِتَالٍ فَأَعْثَرَتْ ... بِجَانِبِ وادٍ رِجْلُهُ فَأَكَبَّتِ
فحينئذٍ لَمَّا ٱستقرَّ بِحُفْرَةٍ ... رأى ٱلحقَّ لكنْ لاتَ ساعةَ رُؤْيَةِ
ألا أيُّها ٱلعبدُ ٱلمؤلِّهُ نَفْسَهُ ... ويا مَنْ يَرَى ٱلأكوانَ عَيْنَ ٱلأُلوهةِ
أَلَمْ يَأْنِ أنْ تَسْتَشْعِرا أنَّ رَبَّنا ... أَجَلُّ وأعلى مِنْ جسومٍ وصورةِ
فتى فارضٍ هل تمنَعُ ٱلنفسُ نَفْسَها ... وَهَلْ تَمْلِكُ ٱلأكوانُ دَفْعَ ٱلمَضَرَّةِ
سَلِ ٱلشمسَ هَلْ تَسطيعُ تغييرَ سَيْرِها ... وَهَلْ كوكبٌ يسطيعُ إنزالَ نَجْدَةِ
فَمَا بالُها لا تستجيبُ عِبَادَها ... وَعَنْ سَيْرِها لا تَسْتَحيدُ بِشَعْرَةِ

كذلكَ أطرافُ ٱلوجودِ تَعَانَقَتْ وفي فَلَكٍ كُلٌّ يدورُ بِسُخْرَةِ
فَسَلْهَا وَقَدْ دارَتْ دُهُوراً هَلِ ٱنطوى وَمُدٌّ لها إلاّ بِساطُ ٱلعُبُودَةِ
وَمِنْ مُضحِكَاتِ ٱلوهمِ قولُكَ بَعْدَها كَأَنَّكَ قَدْ قَرَّرْتَ أَمْرَ بَدِيهَةِ
(وَعَادَ وجودي في فَنَا ثَنَوِيَّةِ الوجود شهوداً في بقا أحدية)
أليس الفنا محواً وما شئت سَمِّهِ فكيفَ شُهوداً صار في أَحَدِيَّةِ
وحيثُ شهوداً صَارَ في أحديةٍ فكيفَ تَرَاءَى سالِفَ ٱلثنويةِ
فَكَلاّ وربِّ ٱلعرشِ ليس كما تَرَى ولكنَّها ٱلأوهامُ قَلْبَكَ غَطَّتِ
وَذَاكَ وهذا وٱلذي قُلْتَ قَبْلَهُ يُنَاقِضُ ما تَفريهِ بَذْءَ ٱلقصيدةِ
لَدُنْ قُلْتَ إيَّاها وإيايَ لم تَزَلْ ولا فَرْقَ بل ذاتي لذاتي أحبتِ
فَمَا دُمْتَ إياها وإِياكَ لَمْ تَزَلْ فَفِيمَ ٱلفَنَا يا وَهْمُ عَنْ ثَنَوِيَّةِ
(فما فَوْقَ طَوْرٍ لعقل أَوَّلُ فَيْضَةِ كما تَحْتَ طُورِ ٱلنَّقْلِ آخِرُ قَبْضَةِ)
(لذلكَ عَنْ تَفضِيلهِ وَهْوَ أَهْلُهُ نَهَانا على ذي ٱلنونِ خيرُ ٱلبريةِ)
(أَشَرْتُ بما تُعْطي ٱلعِبَارَةُ وٱلذي تَغَطّى فَقَدْ أَوْضَحْتُهُ بِلَطِيفَةِ)

مشير البيت إلى دربه (ابن مسعود) أحوكم مرفوع الى لاتقولى تاعتى إلى حنهم يونس أرخ خ ٢٤٧م

«النقل والعقل ودعوى الفيض»

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلعَقْلَ لِلنَّقْلِ تَابِعٌ   وما ٱلعَقْلُ إلاّ ٱلرَّبْطُ ليس بِبِضْعَةِ

كما لا يكونُ ٱلرَّبْطُ إلاّ بِرابطٍ   كذا لا يكونُ ٱلعَقْلُ إلاّ بِشِرْعَةِ

فليسَ بِفِعْلِ ٱلنفسِ نَيْلُ ٱهتدائها   ولا بٱكتسابِ ٱلنفسِ نَيْلُ ٱلنبوةِ

وإنَّ أَخاحَيٍّ بنِ يَقْظانَ وَاهِمٌ   فَعَنْ نور شَرْعٍ ليسَ مَرْءٌ بِغُنْيَةِ

وليسَ هنا هذا يخالِفُ ما أَتى   وَصَحَّ مِنَ ٱلأخبارِ في شَأْنِ فِطْرَةِ

فَلَيْسَ هُدَى مَنْ ظَلَّ في حالِ فِطْرَةٍ   سوى نَفْيِ شِرْكٍ لا مُفَصَّل شِرْعَةِ

كَطِفْلٍ بِقَفْرٍ بعد ما شَبَّ خُيِّرَنْ   فلا رَيْبَ لَنْ يختارَ غيرَ ٱلحَنيفَةِ

ولكنه يحتاجُ بعد ٱهتدائِهِ   إلى شِرْعَةٍ قبلَ ٱحتياجٍ لِفِكْرَةِ

فما ٱلفِكْرُ إلاّ ٱلطِّفْلُ أَوْ هُوَ مِثْلُهُ   يَجِيءُ بِميلادٍ وَيُغْذَى بِدَرَّةِ

كَقَوْمٍ هُمُ مِنْ قَبْلُ بِٱلذِّكْرِ قَدْ غُذُوا   إذا أمعنوا في ٱلكونِ آبُوا بِذِكْرَةِ

يقولونَ مِنْ بعدِ ٱلتَّفَكُّرِ رَبَّنا   تَعالَيْتَ عَنْ بُطْلانِ خَلْقٍ بِحِكْمَةِ

فلا فِكْرَ إلاّ مِنْ مَوادَّ مُمِدَّةٍ   ولا فِكْرَ حَقٌّ دونَ وَحْيٍ وَشِرْعَةِ

فَمِنْ هَا هُنَا ضَلَّتْ مَشَايِخُ عَصْرِنَا   بِما قَلَّدُوا فِقْهاً بِغَيْرِ أَدِلَّةِ

فكانوا كَمَنْ خَلَّى ٱلمطِيَّةَ في ٱلوَغَى   وَجاءَ يَجُرُّ ٱلحَبْلَ دونَ ٱلمطيَّةِ

وَجَعْلُكَ طَوْرَ ٱلعَقْلِ فَيْضاً تَفَلْسُفٌ   وَقَوْلٌ بِجَهْلٍ ليسَ قولاً بِحُجَّةِ

أَتُعْرِضُ عَنْ أضواءِ دينِ محمدٍ   إلى تُرَّهاتِ ٱلفَلْسَفاتِ ٱلعقيمَةِ

فما بَالُ فَيْضِ ٱلعقلِ لَمْ يُنْقذ ٱلورى   وَلَمْ يَهْدِ هِمْ نَهْجَ الطريق ٱلقويمةِ

فَسَائِلْ أرسطو هَلْ أَفادَ سِكَنْدَراً   بِفَيْضٍ سوى إسعارِ حَرْبٍ وَفِتْنَةِ

فَمَا لأَرسطو لَمْ يُفِضْ بِمُرِيدِهِ ... وَقَدْ عاشَ في سُلْطانِهِ عيشَ تُرْفَةِ

وما لَهُما لَمْ يُخْرِجا ٱلفيضَ بٱلورى ... وَقَدْ حَكَمَا في ألفِ مِصْرٍ وَبَلْدَةِ

فأعرِضْ عنِ ٱلأوهامِ يا عِلْقَ ثَدْيِها ... وَأَقْبِلْ على غَرَّاءَ بَيْضاءَ سَمْحَةِ

فَإِمّا تَجِدْ آثارَ خَيْرٍ بِكافِرٍ ... فَمِمّا تَبَقّى مِنْ زمانِ ٱلنبوةِ

لَقَدْ رَحِمَ ٱللَّهُ ٱلقُرى بٱبتعاثِهِ ... رسولاً نذيراً منهُ في كُلِّ قريةِ

وأرسَلَ في أُمِّ ٱلقُرى سيِّدَ ٱلورى ... بدينِ ٱلهدى وٱلحقِّ للبشريةِ

وَلَمْ يَنْهَ عَنْ تَفْضِيلِهِ ٱلمصطفى على أبـ ... ـنِ مَتَّى لِسِرٍّ بَلْ لإِعْظامِ حُرْمَةِ

لِئَلاّ على ذي ٱلنونِ يَجْتَرِيءَ ٱلوَرَى ... وأيضاً لِيُسْتَرْعى مقامُ ٱلنبوةِ

كذلكَ كَيْلاَ تَخْدَعَ ٱلمرءَ نَفْسُهُ ... فَيَحْسَبُها تعلو بِذاتٍ وَهِمَّةِ

وَقَدْ أَكْذَبَ ٱلمختارُ مَنْ قال إِنَّني ... على يُونُسٍ أعلو بِفَضْلٍ وَرُتْبَةِ

وما لكَ قَدْ أذكرتَ يونُسَ ها هُنا ... بِما ليسَ فيهِ مِنْ كلامٍ بِنِسْبَةِ

وكيفَ كَضِدٍّ للنبيِّ جَعَلْتَهُ ... بِضَرْبِ مِثالٍ بَيْنَ عَقْلٍ وَشِرْعَةِ

وما يُونُسٌ إلاّ نَبِيٌّ وَعِلْمُهُ ... كعلمِ جميعِ ٱلرُّسْلِ وَحْيٌ بِبِعْثَةِ

وما ذا ٱلذي أَوْضَحتَهُ بِلَطِيفَةٍ ... سوى مُفْتَرى وَهْمٍ وَصَعْدٍ وَنَزْلَةِ

(وَلَيْسَتْ ألستُ ٱلأَمسِ غيراً لمنْ غَدَا ... وَجُنْحي غداً صُبْحي ويومي ليلتي)

(وسِرُّ بَلَى للَّهِ مِرَآةُ كَشْفِها ... وإثباتُ معنى ٱلجمعِ نَفْيُ ٱلمعِيَّةِ)

(فلا ظُلَمٌ تغْشَى ولا ظُلْمَ يُخْتَشَى ... ونعمةُ نوري أَطْفَأَتْ نارَ نِقْمتَي)

ولو لَمْ تَكُنْ غَيْراً ألستُ لمنْ غدا ... لَمَا مَنْ غدا أَغْفَى بِنَوْمٍ وَمَوْتَةِ

وليستْ بَلَى سِرّاً وقد قالها ٱلورى ... جوابَ ٱعترافٍ شَاهِدٍ للرُّبُوبَةِ

«ولا ظُلَمٌ تَغْشَى ولا ظُلْمَ يُخْتَشَى» ... فَلَيْسَ لها شَأْنٌ بِنَارٍ وَنِقْمَةِ

فلا يَظْلِمُ ٱللَّهُ ٱلعبادَ بِذَرَّةٍ ... على ما قَضَى مِنْ خُلْدِ نارٍ وَجَنَّةِ

(ولا وَقْتَ إلاّ حيثُ لا وَقْتَ حاسِبٌ ... وُجُوْدَ وُجودي مِنْ حسابِ ٱلأَهِلَّةِ)

(ومسجونُ حَصْرِ ٱلعَصْرِ لَمْ يَرَ ما ورا ... ءَ سِجْنِهِ في ٱلجنةِ ٱلأبديةِ)

(فبي دارتِ ٱلأفلاكُ فٱعْجَبْ لِقُطْبِها ... ٱلمحيطِ بها وٱلقُطْبُ مَرْكَزُ نُقْطَةِ)

«الاستواء»

تَبَصَّرْ ببيتِ ٱلوَقْتِ إنْ كنتَ ذا رُؤىً ... تَجِدْ فيه تلبيسَ ٱحْتِيَالٍ بخدعةِ

تَدَاخَلَ فيهِ ٱلنَّفْيُ ٱلآخِرُ حاسباً ... حِسَابَ أميرٍ أَوْ قَضَاءَ حكومةِ

لِكَيْمَا إذا قالوا كَفَرْتَ يقولُ بَلْ ... نَفَيْتُ بثاني ٱلنَّفْي وَهْمَ ٱلنقيصةِ

وإلاّ فمعناهُ على أصْلِ فُرْفُضٍ ... وجودي بدا حقّاً بِحَسْبِ ٱلأَهِلَّةِ

وَوَكَّدَ هذا بعد بيتٍ بقولِهِ ... فبي دارتِ ٱلأفلاكُ أعظَمَ وُكْدَةِ

وَفَسَّرَهُ إذْ قال فٱعجبْ لقُطْبِها ٱلـ ... مُحيطِ بها وٱلقُطْبُ مركزُ نقطةِ

وهذا إذاً يعني بأنَّ وجودَهُ ... تعالى عُلاهُ عينُ فُلْكٍ وَدَوْرَةِ

وَقَدْ أخبرَ ٱلرحمٰنُ بٱلحقِّ أنَّهُ ... على ٱلعرشِ فوقَ ٱلكَوْنِ فوق ٱلخليقةِ

وما ٱلعَرْشُ إلاّ خَلْقُهُ ليسَ وَصْفَهُ ... كما قال رَبُّ ٱلعرشِ فٱفْهَمْ بسورةِ

وقد كانَ قَبْلَ ٱلعرشِ وٱلعرشُ لم يَكُنْ ... وما زالَ عنهُ في غَنَاءٍ وَعِزَّةِ

وإني أَرَى فَهْماً أُبَيِّنُهُ هنا ... أُقَرِّبُ فيهِ بينَ نافٍ وَمُثْبِتِ

أليسَ لهذا ٱلخلقِ حَدٌّ ومُنْتَهى ... بل ينتهي بٱلعَرْشِ حَدُّ ٱلخليقَةِ

كما أَثْبَتَ ٱلرحمٰنُ سِدْرةَ مُنْتَهى ... وَصَحَّتْ بهِ ٱلأخبارُ في خَيْرِ سُنَّةِ

فَقَدْ صَحَّ أنَّ ٱلعَرْشَ بٱلخلقِ حَائِطٌ ... إحاطةَ صحراءِ ٱلفَلاَةِ بِحَلْقَةِ

فحيثُ ٱنْتَهى بٱلعرشِ حَدُّ أَمَاكِنٍ ... وَإِذْ ليسَ فَوْقَ ٱلعرشِ أَيَّةُ خِلْقَةِ

هنالِكَ فوق ٱلعرشِ حيثُ ٱنتفى ... ٱلمكانُ وٱلحدُّ وٱلأزمانُ رَبُّ ٱلبريةِ

وَقَدْ جَعَلَ ٱللّهُ ٱلأَهِلَّةَ للورى ... وَلِلْحَجِّ حُسْباناً لِوَقْتٍ وَمُدَّةِ

وقال ٱبنُ مسعودٍ تَنَزَّه رَبُّنا ... عَنِ ٱلزَّمَنِ ٱلسَّاري ويومٍ وليلةِ

ومسجونُ حَصْرِ ٱلعَصْرِ لَيس مُسَجَّناً فَسِجِّينُ للكفارِ لا للأحِبَّةِ
وَسِجِّينُ للكفارِ خُلْدٌ مُخَلَّدٌ كما يَخْلُدُ ٱلأبرارُ في خُلْدِ جنةِ
(ولا قُطْبَ قبلي عَنْ ثَلاثٍ خَلَفْتُهُ وَقُطْبِيَّةُ ٱلأوتادِ عَنْ بَدَلِيَّةِ)
أحاديثُ أوتادٍ وَقُطْبٍ ضعيفَةٌ وفي ٱلعُلَمَا مَنْ قال غيرُ أَصِيلَةِ
وإنْ صَحَّ في ٱلأبدالِ شيءٌ فإنما يَصِحُّ بِوَقْفٍ لا يَصِحُّ بِرَفْعَةِ
وقد ذُكِرَتْ أوصافُ كُلٍّ وكُلُّها خِلافُ ٱلذي تحكيه عنكَ ٱبنَ فُرْضَةِ
فما أنتَ في ٱلأبدالِ زِرٌّ بِبَذْلَةٍ ولا أنتَ في ٱلأقطابِ خَيْطٌ بِقُطْبَةِ
(فلا تَعْدُ خَطِّي ٱلمستقيمَ فإنَّ في ٱلزَّوَايا خَبَايا فٱنْتَهِزْ خيرَ فُرصَةِ)
تُراهُ أيبقى مستقيماً إذا ٱنْزَوَى وَهَلْ مِنْ زوايا في ٱلخطوطِ ٱلقويمةِ
(فَعَنِّي بدا في ٱلذَّرِّ فِيَّ ٱلوَلاَ ولي لُبَانُ ثُدِيِّ ٱلجَمْعِ مِنِّيَ دَرَّتِ)
وليسَ ٱلوَلا إلاّ ٱلتُّقى مِنْ مُكَلَّفٍ ويبقى رَضيعُ ٱلثَّدْيِ تَحْتَ ٱلوَصِيَّةِ
وما مِنْ رِضَاعٍ بينَ نَفْسٍ وَثَدْيِهَا سوى مَصِّ طِفْلٍ إِصْبَعاً قَبْلَ رَضْعَةِ
(وأعجبُ ما فيها شَهِدْتُ فراعني وَمِنْ نَفْثِ رُوحِ ٱلقُدْسِ في الرُّوعِ رَوْعَتي)
لأَعْجَبُ مِنْ ذا أَنْ تُشَاهِدَها وأَنْ تُرَاعَ مِنَ ٱلمخلوقِ في نَفْسِ حَضْرَةِ
(وَقَدْ أَشْهَدَتْني حُسْنَها فَشُدِهْتُ عَنْ حِجَايَ وَلَمْ أُثْبِتْ حِلايَ لِدَهْشَتي)
أَلَيْسَ لها مَعْ حُسْنِها هَيْبَةٌ بها تُثَبِّتُ مَنْ منها يفوزُ بنظرةِ
(ذُهِلْتُ بها عني بِحَيْثُ ظَنَنْتُني سوايَ وَلَمْ أَقْصِدْ سواءَ مَظَنَّتي)
(وَدَلَّهني فيها ذهولي فَلَمْ أُفِقْ عَلَيَّ وَلَمْ أَقْفُ ٱلتماسي بِظِنَّتي)
أفي حَضْرَةٍ منها بَقَاءُ مَظَنَّةٍ أَلَيْسَ رؤاها ما حِقٌ لِلْمَظَنَّةِ
(فأصبحتُ فيها والِهاً لاهياً بها وَمَنْ وَلَّهَتْ شُغْلاً بها عنهُ أَلْهَتِ)
أَتَلْهُو بها شُغْلاً وَهَلْ هِيَ دُمْيَةٌ فَأَيْنَ إذاً منها جَلاَلُ ٱلألوهةِ
(وَعَنْ شُغُلي عني شُغِلْتُ فَلَوْ بها قَضَيْتُ رَدًى ما كُنْتُ أدري بِنُقْلَتي)
وَهَلْ كانَ شُغْلٌ غَيْرَها عَنْهُ أَشْغَلَتْ وَهَلْ مَنْ بها يَقْضي تُرى لَهُ أَرْدَتِ
(وَمِنْ مُلَحِ ٱلوَجْدِ ٱلمُدَلِّهِ في ٱلهوى ٱلمُوَلِّهِ عقلي سَبْيُ سَلْبٍ كَغَفْلَتي)

وكيفَ إلى وَجْدٍ تعودُ وَقَبْلُ في ... وجودِ شُهُودٍ صِرْتَ في أَحَدِيَّةِ
(أُسَائِلُها عني إذا ما لقيتُها ... وَمِنْ حيثُ أَهْدَتْ لي هُدَايَ أَضَلَّتِ)
أَغَابَتْ لِتَلْقَاها فكيفَ وَلَمْ تَزَلْ ... تقولُ بها عني شُغِلْتُ وَأَلْهَتِ
(وَأَطْلُبُها مني وَعِنْدِيَ لَمْ تَزَلْ ... عجيبٌ لها بي كيف عَنِّي ٱسْتَجَنَّتِ)
أعِنْدَكَ هِي أَمْ أنتَ ما زلتَ عندها ... فَمَنْ عندَ مَنْ ألربُّ أمْ ذو ٱلعبودةِ
فإنْ قيلَ فٱلقرآنُ يذكُرُ «عندَهُ» ... فذاكَ لِمَا قُلْنَاهُ أعظَمُ حُجَّةِ
فَقَدْ وَجَدَ ٱلظمآنُ مولاهُ حَيْثُ لَمْ ... يَجِدْ وَهْمَهُ شيئاً لَهُ أيُّ وُجْدَةِ
فَلَمْ يَنْفِ مَرْآهُ فقط بَلْ وجودَهُ ... نَفَى حيثُ بٱلمرصادِ رَبُّ ٱلبريةِ
وما كنتُ لولا أَنْ يَضِلَّ مُعَانِدٌ ... لأَذْكُرَ هذا في سياقِ ٱلقصيدةِ
(وما زلتُ في نفسي بها مُتَرَدِّداً ... لِنَشْوَةِ حِسِّي وٱلمحاسِنُ خمرتي)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلنفسَ قَيْدٌ بِجِسْمِها ... وكٱلجسم تحيا بَيْنَ سُقْمٍ وَصِحَّةِ
وكٱلجسمِ ترقى بعد ضعفٍ لِقُوَّةٍ ... وَتَبْلَى وَتُبْلى بعدَ عِلْمٍ بِجَهْلَةِ
فكيفَ ترى فيها ٱلإلهَ وذاتُهُ ... تَعِزُّ عَنِ ٱلأطوارِ وٱلعَدَمِيَّةِ
وكيفَ عُبَيْدَ ٱللَّهِ وٱبْنَ عُبَيْدِهِ ... تُحِسُّ بذاتِ ٱللَّهِ إحساسَ نَشْوَةِ
أَلَمْ تَقْرأ ٱلقرآنَ في ٱلدهرِ مَرَّةً ... أَلَمْ تَخْتَشِعْ للَّهِ يوماً بِسَجْدَةِ
أَلَمْ تَتَفَكَّرْ في ٱلسمٰواتِ وٱلثرى ... وما فيهما مِنْ آيِ خَلْقٍ وَحِكْمَةِ
أَلَمْ تَرَ جِرْماً منكَ يبدو كَنَمْلَةٍ ... على جِرْمِ أَرْضٍ في ٱلفَضَاءِ كَنَمْلَةِ
لَخَلْقُ ٱلسَّما وٱلأَرْضِ أَكْبَرُ وَٱتْلُها ... كما أُنْزِلَتْ حقاً بِمُحْكَمِ سُورَةِ
فَنَحْنُ ٱلورى مَهْما ٱفْتَخَرْنا فُخَيْرَةٌ ... وَمَهْما تَعَاظَمْنَا عظامٌ بِحُفْرَةِ
نَهِيمُ بِألحانِ ٱلخَيَالاَتِ وٱلرؤى ... وَيَسْتَلُّنا منها طنينُ بَعُوضَةِ
(أُسَافِرُ مِنْ علمِ اليقينِ لِعَيْنِهِ ... إلى حَقِّهِ حيثُ ٱلحقيقةُ رحلتي)

«اليقين»

ولو كنتَ في علمِ ٱليقينِ لأبْصَرَتْ جحيمَ ٱللَّظى عيناكَ رؤيةَ مُقْلَةِ

كما أخبرَ ٱلمولى بِوَحْيِ كِتابِهِ فَمَا لَكَ عَنْ وَحْيِ ٱلكتابِ بِغَفْلَةِ

ولو كنتَ أبصرتَ ٱلجحيمَ لأُطْبِقَتْ شُفَيْتاكَ عَنْ دعوى ٱتّحادٍ ووحدةِ

وعينُ ٱليَقِينِ ٱلكَشْفُ عندَ مَنِيَّةٍ وَحَقُّ ٱليقينِ ٱلذَّوْقُ بَعْدَ ٱلمنيةِ

وإنَّكَ أنتَ ٱلآنَ ذلكَ مُدْرِكٌ فَقَدْ صِرْتَ حقاً في ديارِ ٱلحقيقةِ

فكيفَ رأيتَ ٱلأَمْرَ يا ٱبْنَ فُوَيْرِضٍ أَوَهْمُكَ أهدى أمْ يقينُ ٱلشريعةِ

ألاَ مُدَّعي دَعْوى «ٱلحقيقةُ رحلتي» ويا سندبادَ ٱلوَهْمِ في ألفِ ليلةِ

ألاَ لَيْسَ تَرْحَالُ ٱلحقيقةِ في ٱلدُّنا ولكنَّهُ ٱلتَّرْحَالُ عَنْ ذي ٱلدَّنِيَّةِ

فإنَّ أخا ٱلدُّنيا يروحُ ويغتدي وَيَرْجعُ مِنْ بَعْدِ ٱرتحالٍ بِرَجْعَةِ

كَأَنَّ ٱلدُّنا وٱلناسَ فيها وَسَعْيَها أراجيحُ أَطْفَالٍ تَدُورُ بِنُقْطَةِ

تَبَصَّرْ بِحَالِ ٱلنفسِ في ٱلموتِ تَلْقَها إذا حَشْرَجَتْ مَدَّتْ بِعَيْنٍ مُطِلَّةِ

كَأَنَّ عيونَ ٱلناسِ سَاعَةَ مَوْتِهِمْ عيونُ صغارٍ مُنْصِتينَ لِقِصَّةِ

فلو لَمْ تَكُنْ تِلْكَ ٱلعيونُ تَفَاجَأَتْ لَمَا ٱنْعَكَسَتْ فيها مظاهِرُ فَجْأَةِ

ففي أَعْيُنِ ٱلموتى مرايا لِمَا رَأَوْا مَرَايا لأُخْرى مِنْ ديارٍ جديدةِ

فَمَا حَالُهُمْ عندَ ٱلخروجِ مِنَ ٱلدُّنا كما كانَ مِنْ حالِ سُوَيْعَةَ جَيْئَةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلمرءَ يولَدُ مُغْمَضاً وَيَفْتَحُ عندَ ٱلموتِ واسعَ مُقْلَةِ

وذلكَ أَنَّ ٱلطِّفْلَ عندَ وِلادِهِ كَمُسْتَغْمِضٍ يَغْشَاهُ نورٌ بِعَتْمَةِ

وحالُ ٱلورى عندَ ٱلخروجِ مِنَ ٱلدُّنا كَمُسْتَيْقِظٍ مِنْ بعدِ نومٍ بصحوةِ

كما جاءَ في ٱلآثارِ أَنَّ بني ٱلدُّنا — نِيَامٌ فَهُمْ يَسْتَيْقِظونَ بِمَوْتَةِ

أَلاَ آتْلُ «وجاءَتْ سكرةُ ٱلموتِ» خاشِعاً — وَأَكْمِلْ تَجِدْ بِٱلحقِّ أَعْظَمَ حُجَّةِ

فَقَدْ بَدَأَتْ بِٱلموتِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ — لِمُرْتَحِلٍ بِٱلحقِّ نحوَ ٱلحقيقةِ

(وَأَنْشُدُني عني لأُرْشِدَني على — لساني إلى مُسْتَرْشِدي عند نِشْدَتي)

أَتَجْعَلُ للرحمٰنِ نِشْدَانَ نَفْسِهِ — وَهَلْ ضَلَّ حَتَّى يُسْتَعَادَ بِنِشْدَةِ

ولو قال عبدٌ أينَ ذاتي فإنني — أُفَتِّشُ لي عني لَبَاءَ بِوَصْمَةِ

فَكَيْفَ ترى للَّه ما عنهُ عَبْدُهُ — تنزه من أوصاف نقصٍ وخسةِ

تَعَلَّمْ فإنَّ ٱلوصفَ للَّه لازِمٌ — وذلك حَقٌّ في معاني ٱلأُلوهةِ

كَمَا قِيلَ للمرءِ ٱلملازم بُقْعَةً — أَلِهْتَ بها يعني بقيتَ بِبُقْعَةِ

فَحَيْثُ صفاتُ ٱللَّهِ لِلَّهِ لَمْ تَزَلْ — وَجَلَّتْ عَنِ ٱلتَّغْييرِ وَٱلبَدَلِيَّةِ

وقد نَزَّهَ ٱلرحمٰنُ بِٱلحقِّ نَفْسَهُ — عَنِ ٱلضَّلِّ وَٱلنِّسْيَانِ وَٱلعَدَمِيَّةِ

فَسُبْحَانَ ذاتِ ٱللَّهِ عَمَّا تقولُهُ — وسبحانَهُ عَنْ كل باطلِ قولةِ

(وَأَسْأَلُني رفعي ٱلحجابَ بِكَشْفِيَ ٱلنِّقابَ وبي كانَتْ إليَّ وسيلتي)

وَهَلْ مِنْ نِقَابٍ للإلهِ لِيُكْشَفَنْ — فما جاءَ هذا في كِتَابٍ وَسُنَّةِ

وما ينبغي وصفُ ٱلنِّقَابِ لِرَبِّنا — لِمَا فيه منْ معنى ٱنْتِقَاصٍ بِنِقْبَةِ

فَلَيْسَ نِقَابُ ٱلوَجْهِ إلاَّ لمرأةٍ — تَرَى مِنْ خلالٍ منهُ مَوْضِعَ خُطْوَةِ

وَأَمَّا حِجَابُ ٱللَّهِ فَٱلنُّورُ وَصْفُهُ — أَوِ ٱلنَّارُ كُلٌّ في مُتُونٍ صحيحةِ

ولو كَشَفَ ٱللَّهُ ٱلحجابَ لأَحْرَقَتْ — إذاً سُبُحَاتُ ٱلوَجْهِ كُلَّ ٱلخليقةِ

وَمِنْ قَبْلُ قَدْ أَذْكَرْتُ مَرْوِيَّ مُسْلِمٍ — أَلاَ لَنْ يُرى ٱلرحمٰنُ قَبْلَ ٱلمنِيَّةِ

(وَأَنْظُرُ في مرآةِ حُسْنِيَ كَيْ أرى — جمالَ وجودي في شهودِيَ طَلْعَتي)

أَتَزْعُمُ أَنَّ ٱلربَّ لَمْ يَرَ نَفْسَهُ — سوى في مَرَايا مِنْ خِلالِ ٱلخليقةِ

فهذا ٱلذي يعنيهِ قولُكَ «كي أرى» — فَـ «كَيْ» يا عليلَ ٱلروحِ حَرْفٌ لِعِلَّةِ

فكيفَ وكانَ ٱلمصطفى وَهْوَ عَبْدُهُ — يَرَى مِنْ وراءٍ منهُ كامِلَ رُؤْيَةِ

وكيفَ تَرَى مَنْ لا مثيلَ لِذَاتِهِ — يُرَى في ذواتٍ ذاتَ حَدٍّ وصورةِ

(فَإِنْ فُهتُ بِٱسْمِي أَصْغُ نحوي تَشَوُّقاً ... إلى مَسْمَعي ذكري بِنُطْقي وَأُنْصِتِ)

جَعَلْتَ لَهُ فَاهاً وليسَ بِشِرْعةٍ ... فَمَا تَثْبُتُ ٱلأوصافُ إلاّ بِشِرْعَةِ

ويعلو عنِ ٱلإصغاءِ وٱلنُّطْقِ رَبُّنا ... ففي ٱلنُّطْقِ والإصغاءِ وَصْفُ ٱلخليقةِ

فَنَزِّهْهُ عَنْ نَعْتِ ٱلعِبَادِ وَوَصْفِهِمْ ... وَأَثْبِتْ لَهُ أَوْصافَ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ

سميعٌ بَصِيرٌ فَاعِلٌ مُتَكَلِّمٌ ... مُحِقٌّ يقولُ ٱلحقَّ رَبُّ ٱلحقيقةِ

وحاشاهُ أَنْ يُصْغي لِيَسْمَعَ نَفْسَهُ ... فَفِي ٱلصَّغْوِ معنى مَيْلِ نَقْلٍ وَحَرْكَةَ

وَقَدْ أثبتَ ٱلمولى ٱلمجيءَ لِنَفْسِهِ ... فلا تَعْدُ في ٱلإثْبَاتِ عَنْ لَفْظِ جَيْئَةِ

وفي ٱلصَّغْوِ معنى ٱلتُّنْبِهِ مِنْ بَعْدِ غَفْلَةٍ ... وَحَاشَاهُ عَنْ وَصْفِ ٱنْتِبَاهٍ وَغَفْلَةِ

وَإِنَّ أَصَمَّ ٱلخَلْقِ يَسْمَعُ نَفْسَهُ ... فكيفَ إِلهُ ٱلخلقِ باري ٱلبَرِيَّةِ

(وَأُلْصِقُ بِٱلأَحْشَاءِ كَفِّي عَسَايَ أَنْ ... أُعَانِقَهَا في وَضْعِها عِنْدَ ضَمَّةِ)

وَحَاشَا عُلاها أَنْ يكونَ لها حَشًى ... وَعَنْ مَوْضِعِ ٱلأَحْشَاءِ عَزَّتْ وَجَلَّتِ

وَإِنَّ ٱعْتِنَاقَ ٱلوَهْمِ أَدْنَى مِنَ ٱلذي ... تَقُولُ وتفري عَنْ عِنَاقٍ وَضَمَّةِ

هُوَ ٱللَّهُ فوقَ ٱلوَهْمِ فَوْقَ ٱلتَّصَوُّرا ... تِ فَوْقَ ٱرْتِقَاءِ ٱلفكرِ فَوْقَ ٱلمَخِيلَةِ

(وأهفو لأَنْفَاسي لَعَلِّيَ واجدي ... بها مُسْتَجِيزاً أَنَّها بِيَ مَرَّتِ)

تَعَالَتْ عَنِ ٱلأَنْفَاسِ ذاتُ إِلَهِنَا ... وَحُقَّ لها تَنْفِيسُ هَمٍّ وَكُرْبَةِ

كَمَا نَفَّسَ ٱلرحمٰنُ كَرْبَ رَسُولِهِ ... بِأَحبابِهِ ٱلأنصارِ أهلِ ٱلمدينَةِ

فَإِنْ قيلَ قد جَاءَ ٱلحديثُ مُؤَكَّداً ... على نَفَسِ ٱلرحمٰنِ حقّاً بِسُنَّةِ

فَمَغْنَاهُ إعلامُ ٱلنبيِّ بِأَنَّهُ ... مِنَ ٱليَمَنِ ٱلتَّنْفِيسُ يَأْتي بِنُصْرَةِ

وَعَيَّنَهُمْ هُمْ قومُ هذا وَقَدْ أَشَا ... رَ نَحْوَ أَبي موسى إشارَةَ وُكْدَةِ

فَمَعْنَى حديثِ ٱلمصطفى في سياقِهِ ... فَرَاجِعْ حديثَ ٱلمصطفى تَتَثَبَّتِ

(إلى أَنْ بدا مِنِّي لِعَيْنِيَ بَارِقٌ ... وبانَ سَنَا فَجْري وبانَتْ دُجُنَّتي)

(هُنَاكَ إلَيَّ ما أَحْجَمَ ٱلعَقْلُ دُونَهُ ... وَصَلْتُ وبي مِنِّي ٱتِّصالي وَوُصْلَتي)

(فَأَسْفَرْتُ بِشْراً إِذْ بَلَغْتُ إلَيَّ عَنْ ... يَقِينِ يقيني شَدَّ رَحْلٍ لِسَفْرَةِ)

(وَأَرْشَدْتُني إِذْ كُنْتُ عَنِّيَ ناشدي ... إلَيَّ ونفسي بي عَلَيَّ دليلتي)

إشارة إلى حديث إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن أخرجه حم ٢-٥٤١ قال الألباني ضعيف الضعيفة ١٠٩٧

(وَأَسْتَارُ لَبْسِ ٱلحِسِّ لَمَّا كَشَفْتُهَا وكانَتْ لها أسرارُ حُكْمِيَ أَرْخَتِ)
(رَفَعْتُ حِجَابَ ٱلنَّفْسِ عنها بِكَشْفِيَ ٱلنِّقَابَ فَكَانَتْ عَنْ سؤالي مُجِيبَتي)
(وكنتُ جِلا مرآةِ ذَاتِيَ مِنْ صَدَا صِفَاتي وَمِنِّي أُحْدِقَتْ بِأَشِعَّةِ)

«دعوى الفناء والحلول»

وماذا عَسَى يبدو لِمُتَّبِعِ ٱلهوى ... سوى خُلَّبِ بَرْقٍ على بابِ هُوَّةِ
كَـدَأْبِكَ مِنْ أتباعِ بُوذا وَكُنْفُشٍ ... وَبَرْهَمِ هندوسٍ وقومِ زَرَدْ شَتِ
فَإِمَّا هُمُ رُسْلٌ تَحَرَّفَ شَرْعُهُمْ ... وَإِمَّا هُمُ أَصْحَابُ شِرْكٍ وَضَلَّةِ
فلا تَحْسَبَنَّ ٱلفَتْحَ بَرْقَ تَخَيُّلٍ ... ولا أَنَّهُ إحساسُ نَفْسٍ بِنَشْوَةِ
ألا إِنَّ فَتْحَ ٱلحقِّ فَتْحٌ بآيَةٍ ... تَجلَّتْ معانيها وَفَتْحٌ بِسُنَّةِ
فلا فَتْحَ إلاَّ في ٱتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ... على غَيْرِ مَيْلٍ عنهُ مِقْدَارَ شَعْرَةِ
فَكُنْ في ٱتِّبَاعِ ٱلمصطفى مِثْلَ عُصْبَةٍ ... وراءَ خبيرٍ في مُلَغَّمِ بُقْعَةِ
فَمَنْ يَنْحَرِفْ يَرْدَهْ وَمَنْ يَتَّبِعْ يَفُزْ ... وَبَيْنَ ٱلرَّدى وَٱلفَوْزِ زَحٌّ بِخُطْوَةِ
فَأَذْكَرْتُ مِنْ نفسي وكنتُ مُتَيَّماً ... بإحدى مريداتي زَمَانَ طَرِيقتي
ولستُ أرى قولاً يُقَارِبُ وَصْفَها ... سوى أَنَّها كانَتْ كَرَوْضَةِ جَنَّةِ
إِلَيْها ٱنْتَهى حُسْنُ ٱلنساءِ وَحُلْيَتْ ... بأخلاقِ صِدِّيقٍ وَعِزِّ مَليكَةِ
مِنَ ٱللاَّءِ يَدْفَعْنَ ٱلخيالَ إلى ٱلعُلا ... فَمَهْمَا عَلاَ حَوَّلْنَهُ لحقيقَةِ
وكنتُ بها أخلو وَأَزْعُمُ أَنَّني ... أُدَرِّبُها حتى تكونَ خليفَتي
وَلَمْ يَكُ ما بيني بِخَلْوٍ وَبَيْنَهَا ... مَقَامَ أَثَامٍ أو رُكُوبَ خطيئَةِ
وما كان تَعَفُّفًا في هناكَ مِنَ ٱلتُّقَى ... ولا كنتُ أَبغي كَسْبَ أَجْرٍ بِعِفَّتي
ولكنَّني إِذْ ذاكَ كانَ تَعَفُّفي ... لأَرْقَى بِزَعْمي في سَمَاءِ هُوِيَّتي
فَكُنْتُ أَرَاني لَوْ مَسِسْتُ بَنَانَها ... لأُهْبِطْتُ مِنْ عَلْيَاءِ عِزِّي وَرِفْعَتي
وكنتُ أَرَى نفسي أَعَزَّ مِنَ ٱلهوى ... وَأَعْظَمَ مِنْ أَنْ أَسْتَزِلَّ بِزَلَّةِ

وكـنـتُ إذا أَذْكَـرْتُ نَـهْـيَ نَـبِـيِّـنَـا … بِـتَـحْـريـم خَـلْـوٍ بَـيْـنَ مَـرْءٍ وَمَـرْأَةِ
أَفِـرُّ مِـنَ ٱلـذكـرى لِـنَـفْـسِـيَ زَاعِـمـاً … بِـأَنِّـي قُـطْـبٌ وَٱلـنِّـسَـاءُ رَعِـيَّـتـي
فَـبَـيْـنَـا أنـا يـومـاً وَتِـلْـكَ بِـخَـلْـوَةٍ … كِـلاَنَـا بِـنـا مِـنّـا يَـذُوبُ بِـمُـقْـلَـةِ
وَقَدْ فَاضَ بي حُبُّ ٱلجَمَالِ على ٱلعُلاَ … كَـرَغْـمـي لـنـفـسي يَـوْمَـذَاكَ وَنِـيَّـتـي
وَأَيْـقَـظَ أطـيـاري ربـيـعُ بَـهَـائِـهـا … وَغَـرَّدَ بـي مـنـهـا لـسـانُ قَـرِيـحَـتـي
فَطُفْتُ بها أَوْ طُفْتُ بي مِنْ خِلالِها … إلـى لَـذَّةٍ فَـوْقَ ٱعْـتِـنَـاقٍ وَضَـمَّـةِ
فَـبَـيْـنَـا كِـلاَنَـا فـي مَـعَـارِجِ رِقَّـةٍ … إذا بـي بَـدَا مـنـي شُـعَـاعٌ لِـمُـقْـلَـتـي
فَأَحْسَسْتُ أَنّي صِرْتُ حقّاً محمداً … وَأَنّي أَنَا هُو وَهْوَ عَيْنُ حقيقتي
وَأَشْـرَقَ نُـورٌ فِـيَّ غَـشَّـى جَـلِـيـسـتـي … وَأَزْهَـرَ فـي أَرْجَـاءَ تِـلْـكَ ٱلـخَـلِـيَّـةِ
ومـا أَنْ لَـهَـا أَوْحَـيْـتُ حَـتَّـى رَأَيْـتُـهـا … تَـخَـشَّـعُ قُـدَّامـي وتـبـكـي بِـحَـضْـرَتـي
وَصَـارَتْ تُـصَـلِّـي فـي حَـنَـانٍ وَرِقَّـةٍ … عَـلَـيَّ وَتُـهْـديـنـي سَـلامَ ٱلـتَّـحِـيَّـةِ
فَمِنْ حينِ ذا أَنْهَيْتُ عَهْدَ عُبُودَتي … وَأَوْغَـلْـتُ فـي أَوْهَـامِ جَـمْـعٍ وَوَحْـدَةِ
ومـا كُـنْـتُ فـي ذاكَ ٱلـزَّمَـانِ مُـحَـقِّـقـاً … بِشَيْءٍ مِنَ ٱلأحوالِ غَيْرَ ٱلمحبةِ
فَـسِـنِّـيَ كـانَـتْ يَـوْمَـذَاكَ ثَـلاثَـةً … وَعِـشْـريـنَ عـامـاً فـي شُـهُـورٍ قـلـيـلـةِ
فَـكَـانَ دُخُـولـي فـي تَـوَهُّـمِ وَحْـدَةٍ … بِـسِـنٍّ بـهـا تَـطْـغَـى صـفـاتُ ٱلـفُـتُـوَّةِ
وكانَ ٱعتمادي في ٱعتقادي بِوَحْدَتي … بِجَمْعِ ظُهُوري في ٱلذَّوَاتِ ٱلشَّرِيفَةِ
فحيناً أرى نفسي ٱلنَّبِيَّ بِحَضْرَةٍ … وحيناً أرى نفسي ٱلخليلَ بِحَضْرَةِ
وحيناً أرى نفسي ٱلكليمَ بِجَلْوَةٍ … وحيناً أرى نفسي ٱلمسيحَ بِجَلْوَةِ
وَزَادَ ٱعـتـقـادي فِـيَّ أَنَّ مُـشَـاهِـدِي … يَرَى فِيَّ ما يُجْلى بِفَهْمٍ بَصِيرَةِ
وَأَذْكُـرُ يـومـاً كُـنْـتُ فـيـهِ بِـزَوْرَةٍ … بِـدَارِ نـصـارى مُـخْـتَـفِـيـنَ بِـزَوْرَتـي
فَلَمَّا تَجَلَّى بي ٱلمسيحُ تَوَهُّماً … تَـرَاءَوْنَـنـي إِيَّـاهُ سَـاعَـةَ جَـلْـوَتـي
وَقَـدْ حَـفَّ بـي أبـنـاؤهُـمْ وبـنـاتُـهُـمْ … وَأُمُّـهُـمُ أَهْـوَتْ تُـقَـبِّـلُ جُـبَّـتـي
وأعـلـنَ رَبُّ ٱلـبـيـتِ إِذْ ذاكَ قـائِـلاً … أرى فيكَ عيسى لا أَشُكُّ بِرُؤْيَتي
ومـا وَقَـفَـتْ دعـواي عِـنْـدَ مـحـمـدٍ … وموسى وعيسى بَلْ تَعَدَّتْ بِجُرْأَةِ

فقد زادني جهلي بِرَبِّيَ جُرْأَةً ... فَكُنْتُ أرى بي ذاتَ ربي تَجَلَّتِ

وكنتُ أراني في ٱلورى مُتَصَرِّفاً ... تسيرُ أُمورُ ٱلكَوْنِ حَسْبَ مشيئتي

كذلكَ نفسي سَوَّلَتْ لِيَ حِقْبَةً ... منَ ٱلعُمْرِ فيها كُنْتُ أغبى ٱلبَرِيَّةِ

وَقَدْ وَقَعَتْ لي في ضلالي حوادِثٌ ... يضيقُ بها ذَرْعاً مجالُ قَصِيدَتي

فإنْ قيلَ لي كيفَ ٱرْتَجَعْتَ إلى ٱلهُدَى ... وكيفَ ٱسْتَبَنْتَ ٱلحقَّ بَعْدَ ٱلمَضِلَّةِ

أَقُولُ فَإنَّ ٱلحمدَ للَّهِ وَحْدَهُ ... عَلَيَّ بِفَضْلٍ منهُ مَنَّ بِتَوْبَةِ

فَأَرْجَعني ٱلمولى إلى ٱلحقِّ بٱلذي ... إلى ٱلمصطفى أوحى بِذِكْرٍ وَسُنَّةِ

فُتِنْتُ بما خالَفْتُ أمرَ نَبِيِّنا ... بتحريمِ خَلْوٍ بَيْنَ مَرْءٍ وَمَرْأَةِ

وَقَدْ حَذَّرَ ٱلمولى مُخَالِفَ أَمْرِهِ ... مُصَابَ عَذَابٍ أَوْ مُصاباً بِفِتْنَةِ

فإني وتلكُمْ حيثُ كُنّا بخلوةٍ ... وَثَالِثُنا ٱلشيطانُ مِنْ غيرِ مِرْيَةِ

فَلَمّا رأى ٱلشيطانُ كَفّاً وَعِفَّةً ... أتاني بأمرٍ لا يُكَفُّ بِعِفَّةِ

فحيثُ رسولُ ٱللَّهِ مَوْضِعُ قُدْوَتي ... وَأَعْظَمُ مخلوقٍ يدورُ بِفِكْرَتي

وحيثُ رآني قَدْ تَشَبَّعْتُ بٱلذي ... أَضَلَّ بهِ ٱلحَلاَّجَ وٱبنَ عُرَيْبَةِ

كَسِرٌّ سَنَا ٱلناسُوتِ في عَيْنِ جَلْوَةٍ ... وَأَصْبَحَ قلبي قابِلاً كُلَّ صورةِ

وأنَّ ٱلذي ظَنَّ ٱلأنامُ محمداً ... حَقِيقَتُهُ في غَيْرَ جِسْمٍ وَهَيْئَةِ

فَقَدْ جاءَني ٱلشيطانُ مِنْ حيثُ أبتغي ... فَأَوْهَمَني معنى فَنَاءٍ وَمَحْوَةِ

وَمِنْ ها هُنا ٱلشيطانُ يَدْخُلُ في ٱلورى ... وَيَلْعَبُ بِٱلرُّهْبَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةِ

فإنْ قيلَ هذا قولُ ظَنٍّ فإنَّني ... أعوذُ بِرَبِّي مِنْ مَقَالٍ بِظَنَّةِ

فَمِصْداقُ هذا في كِتَابِ إلهِنَا ... ولا تَتْلُهَا إلا تِلاوَةَ سُورَةِ

وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلإلهِ فَإِنَّهُ ... يُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانَ جِنٍّ بِعَشْوَةِ

فَقَدْ كُنْتُ في عَشْوٍ عَنِ ٱلذكرِ عندما ... تَمَثَّلَ بي ٱلشيطانُ عندَ مريدتي

فَإِنْ قِيلَ فَٱلشيطانُ لا يَتَمَثَّلَنْ ... بصورة خَيْرِ ٱلمُصْطَفَيْنَ ٱلأَعِزَّةِ

أقولُ فَمَا في صورةِ ٱلمصطفى بَدَا ... وحاشا رسولِ ٱللَّهِ لكنْ بصورتي

وإنْ قيلَ لا تدري لَعَلَّ نَبِيَّنا ... تَجَلّى بِحَقٍّ فيكَ سَاعَةَ جَلْوَةِ

فَيَمْنَعُ مِنْ هذا أُمورٌ كَثيرَةٌ ... ولا بُدَّ مِنْ تِبْيَانِ تِلْكَ ٱلْكَثيرةِ
فَأَوَّلُهَا نَفْيُ ٱلحلولِ جَميعِهِ ... بِإِثْبَاتِ فَرْدِيِّ ٱلمقَامِ بسورةِ
كما كُنْتُ قَدْ بَيَّنتُ منْ قَبْلُ مُثْبِتاً ... بِكُلِّهِم آتيهِ فَرْداً بِأُخْرَةِ
وذي آيةٌ دعوى ٱلتَّقَمُّصِ أَبْطَلَتْ ... بِإِثْبَاتِهَا إِتْيَانَ كُلٍّ بِمُهْجَةِ
وإِنْ قيلَ فَٱلجِنِّيُّ يَدْخُلُ في ٱلورى ... فما ذاكَ مِنْ جِنْسِ ٱلحلولِ بِنِسْبَةِ
فَإِنَّ دخولَ ٱلجِنِّ في بَدَنِ ٱلورى ... كَمِثْلِ عُبُورِ ٱلريحِ في جَوْفِ قَصْبَةِ
فَلِلْجِنِّ في مجرى ٱلدِّمَاءِ مسالِكٌ ... كما صَحَّ عَنْ خيرِ ٱلأَنَامِ بِسُنَّةِ
وهذا كما حَلَّ ٱلطعامُ بآكِلٍ ... وَحَلَّ ٱمرؤٌ أَوْ أَيُّ جِسْمٍ بِحُفْرَةِ
ولو أَنَّ جِنِّيّاً أَقَامَ بِجُثَّةٍ ... فَمَا حَلَّ فيها حِلَّ رُوحٍ بِمُهْجَةِ
فإِنَّ ٱلحُلُو لِيِّينَ يعنونَ بِٱلحُلُو ... لِ إِغْشَاءَ رُوحٍ عَيْنَ رُوحٍ بِمَحْوَةِ
وذلكَ يعني أَنَّ روحَ جميلةٍ ... تَحُلُّ مَحَلَّ ٱلروحِ مِنْ جِسْمِ عَبْلَةِ
وَيَلْزَمُ في دعوى ٱلحلولِ لِنَاظِرٍ ... حُلُولٌ على قِسْمَيْنِ طَرْدٍ وَوَحْدَةِ
فَإِمّا حُلُولٌ بِٱختلالٍ وَطَرْدَةٍ ... وَإِمّا حُلولٌ بِٱتِّحَادٍ وَمَزْجَةِ
ففي ٱلطَّرْدِ يغدو ٱلجسمُ جِيفَة جُثَّةٍ ... وَقَدْ علموا أَنْ لا حُلُولَ بِجُثَّةِ
وفي ٱلمزجِ مَوْتٌ لِلْمُمَازِجِ إِذْ خَلاَ ... وما ثَمَّ مَزْجٌ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتِ
فَذَا ٱلعَقْلُ يَنفي ما ٱلحُلُولِيُّ مُوهِمٌ ... وَمِنْ قَبْلُ قَدْ أَثْبَتُّ نَفْياً بِشِرْعَةِ
وَإِنَّ هُنَا أمراً لِزَامٌ بَيَانُهُ ... لِئَلاَّ يَظَلَّ ٱلفِكْرُ في وَهْمِ شُبْهَةِ
تَعَلَّمْ فَإِنَّ ٱلخَلْقَ كُلاً مُجَسَّمٌ ... فَمَا ثَمَّ خَلْقٌ دونَ جسمٍ وصورةِ
مِنَ ٱلعَرْشِ لِلأَمْلاَكِ للروحِ للريا ... حِ لِلْجِنِّ كُلٌّ في مُجَسَّمِ خِلْقَةِ
فإِنْ قيلَ فَٱلأملاكُ تَظْهَرُ في ٱلورى ... وَتَلْبَسُ شَكْلَ ٱلصُّورَةِ ٱلبَشَرِيَّةِ
فَإِنَّ ظُهُورَ ٱلمَلْكِ في هيئَةِ ٱلورى ... تَشَكُّلُ عَيْنِ ٱلمَلْكِ منهُ بِهَيْئَةِ
وذلكَ أَنَّ ٱلمَلْكَ نُورٌ وَجِسْمُهُ ... لَطِيفٌ لَهُ ٱلتَّشْكِيلُ منهُ بِفِطْرَةِ
كَمَاءٍ بِغَيْمٍ صَارَ في شَكْلِ فَارِسٍ ... وَمَا هُوَ إِلاَّ عينُ مَاءٍ بِغَيْمَةِ
فَقَدْ صَارَ جبريلُ كَصُورةِ دِحْيَةٍ ... وما حَلَّ جبريلُ بصورة دِحْيَةِ

وَكَمْ مِنْ فُرُوقٍ بينَ قولِكَ ذَا كَذَا ... وَقَوْلِكَ هذا عينُ هذا بقولَةِ
فَقَدْ بانَ بُطْلانُ ٱلحلولِ على ٱلذي ... يَـراهُ ٱلحلو ليونَ بَيْنَ رُؤْيَةِ
فإنْ قيلَ فٱلشيطانُ جَاءَكَ مُوهماً ... وَقُلْتَ بدا لي حينَ ذاكَ بصورتي
فذلكَ تَخْيِيلٌ وليسَ حقيقةً ... كَتَخْيِيلِ سِحْرٍ فَارِغٍ مِنْ حَقِيقَةِ
وما كانَ إلاّ مِثْلَ ما قالَ رَبُّنا ... مُقَارَنَةً ما بينَ إنْسٍ وَجِنَّةِ
وَإنَّ قرينَ ٱلشيءِ للشيءِ قَارِنٌ ... وَمَا هُوَ فيهِ عَيْنُهُ عِنْدَ قَرْنَةِ
فَإِنِّي أَنا نفسي بَقِيتُ وَلَمْ أَغِبْ ... وما حَلَّ غيري فِيَّ مَوْضِعَ مُهْجَتي
وَلكِنَّني نفسي تَرَاءَيْتُ غَيْرَهَا ... تَرَائِيَ ظَمْآنٍ سراباً بِقِيعَةِ
وَلَوْ كَانَ نوراً ما تَجَلَّى حقيقَةً ... لَكَانَ تَجَلَّى ساطِعاً وَقْتَ ظُلْمَةِ
فَمَا ليَ لا أبدو إذا ٱلكَهْرَبا ٱنْطَفَتْ ... وَمَا ليَ لا أجلو ظلامَ ٱلدُّجُنَّةِ
فَقَدْ صَحَّ عَنْ بَعْضِ ٱلصحابَةِ أَنَّهُ ... رَأَى نورَ مَلْكٍ في غَيَاهِبِ عَتْمَةِ
فَذَلِكَ حَقٌّ سَاطِعٌ بِحَقِيقَةٍ ... وَلَلَّذْ بَدَا لي كانَ مَحْضَ مَضِلَّةِ
فَمَا كَانَ إلاّ وَهْمَ وَغْدٍ مُلَبِّسٍ ... عَدُوٌّ لنا يسعى بِكُلِّ أَذِيَّةِ
تُدَمِّرُهُ منا عِبَادَةُ رَبِّنا ... فيوحي إلينا بِٱدِّعَاءِ ٱلرُّبُوبَةِ
وَإنَّ أُناساً جاهلينَ يَرَوْنَني ... سُلِبْتُ ٱلمعالي بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةِ
وَقَالَ أُنَاسٌ كُنْتَ قُطْباً فَمَا عَدَا ... وَمَا إنْ عَدَا إلاّ ٱعتدالُ عقيدتي
وما كُنْتُ قُطْباً لا ولا قُطْبَ في ٱلوَرَى ... ولو كانَ قُطْبٌ لَسْتُ منهُ بِقُطْبَةِ
فَكُلُّ ٱمرِيءٍ أَدْرَى بِسِرِّ ضميرِهِ ... وأعلمُ مِنّا رَبُّنا بٱلسَّرِيرَةِ
وإني وإياهُمْ إلى ٱللّهِ راجِعٌ ... وَيَحْكُمُ بَيْنَ ٱلخَلْقِ رَبُّ ٱلخليقَةِ
وإنْ قيلَ ما بالُ ٱلذينَ رَأَوْكَ هَلْ ... هُمُ خُدِعوا أيضاً بِبَاطِلِ رُؤْيَةِ
نَعَمْ خُدِعوا وٱسْتُرْهِبُوا بِتَخَيُّلٍ ... كما ٱسْتُرْهِبَتْ عَيْنٌ بِسِحْرٍ وَرَهْبَةِ
فَقَدْ مَثَّلَ ٱلشيطانُ بي مَسْرَحِيَّةً ... وكانوا هُمُ ٱلجمهورَ في ٱلمسْرَحِيَّةِ
وَقَدْ كانَ لي قِدْماً مريدٌ تَسَلَّطَتْ ... على جِسْمِهِ أُنثَى مِنَ ٱلجِنِّ أَبْلَتِ
فكانَتْ على رَغْمٍ تَنَالُ وِصَالَهُ ... وكانَ على كُرْهٍ يُنيلُ وَخَشْيَةِ

فَلَمّا طَغَتْ يوماً عليهِ وَأَثْقَلَتْ ... دعاني فألفاني لديهِ بِحَضْرَةِ

رآني بِعَيْنَيْ رأسهِ قَدْ قَتَلْتُهَا ... وكانَ بِبَرٍّ لينٍ وكنتُ بِبَلْدَتي

وَلَمْ يَكُ هذا غيرَ إخراجِ مُخْرِجٍ ... خبيثٍ لِتَمْثيلِيَّةٍ مَسْرَحِيَّةِ

فَقَدْ جَاءَ شيطانٌ إليهِ بصورتي ... فَمَثَّلَ والأنثى عليه بِخُدْعَةِ

فَأَضْحى يناديني لدى كُلِّ كَرْبَةٍ ... وما عَادَ يدعو اللَّهَ في أَيِّ كَرْبَةِ

وذا مُبْتَغَى الشيطانِ مِنْ مُهَجِ الورى ... لكيْ يشركوا باللَّهِ رَبِّ البريةِ

فَمِنْ ها هنا ضَلَّ النصارى وغيرهُمْ ... من الأُمَمِ الشِّرْكِيَّةِ الوَثَنِيَّةِ

وَمِنْ ها هنا ضَلَّتْ شيوخُ تَصَوُّفٍ ... بما ابتدعوا في الدينِ مليونَ بِدْعَةِ

وَمِنْ ها هنا مِنْ بَابِ فِكْرٍ مُوَسْوَسٍ ... تَضِلُّ دُعَاةُ الدَّعْوَةِ الحَرَكِيَّةِ

ومن ها هنا ضلَّ الأنامُ جَمِيعُهُمْ ... سوى سالكٍ بالسُّنَّةِ النبويةِ

فَمَنْ يَنْحَرِفْ عَنْ خَطِّ سيرِ محمدٍ ... يَصِرْ في يَدِ الشيطانِ مثلَ البهيمةِ

ولا تَحْسَبَنَّ السَّيْرَ خلفَ محمدٍ ... كرحلة صَيْدٍ أو كَمِشوار نُزْهَةِ

فلا بُدَّ مِنْ رَبْطٍ وراءَ محمدٍ ... بِسِلْسِلَةِ الإِلْزَام والتَّبَعِيَّةِ

وَهَبْ أَنَّ ما يُدْعى حلولاً مُحَقَّقٌ ... وَأَزْعُمُ هذا كَيْ أَسوقَ أَدِلَّتي

فَيَمْنَعُ أَنّي بي تَجَلّى نَبِيُّنا ... وَمِنْ خِلْتُ وهماً مِنْ ذواتٍ شريفَةِ

فُروقُ صفاتٍ بينَ مثلي وبينهُمْ ... فما أنا مِنْ ظُفْرٍ لَدَيْهِمْ بِذَرَّةِ

ولو أَنَّني إِيَّاهُمُ صِرْتُ مثلما ... يَظُنُّ شيوخٌ لاعْتَصَمْتُ بِعِصْمَةِ

فَمَا لِيَ لَم أَتْرُكْ دُخَانَ لُفَافَةٍ ... لَدُنْ ظَهَرَتْ أرواحُهُمْ وَتَجَلَّتِ

أَمَا كانَ خَيْرُ الخَلْقِ سيِّدُ مَنْ مَشَى ... على الأرضِ يأبى ريحَ ثومٍ وَبَصْلَةِ

أَيُخرِجُ أَهْلَ الثُّوم مِنْ أرضِ مسجدٍ ... ويدخُلُ في جِسْمٍ يَفُوحُ بِدَخْنَةِ

وكيفَ يُرى بي المصطفى مُتَجَلِّياً ... وإني لأَخْلو كُلَّ يومٍ بزوجتي

وما لِلتجلّي لَمْ يجيءْ وَقْتَ طاعَةٍ ... ولكنْ أَتاني في مُحَرَّمِ خَلْوَةِ

أَيَرْضَى نَبِيُّ اللَّهِ أمراً مُحَرَّماً ... أَمَا جَلَّ عَنْ هذا مَقَامُ النبوةِ

وَمَا لِلتجلّي لم يَكُنْ بِيَ ظاهراً ... أَمَامَ عجوزٍ أو أَمَامَ قَبِيحَةِ

وكنتُ إذا ما ٱستَوْقَفَتْني قبيحةٌ   لِتَسْأَلَ عَنْ فَتْوَى ٱضْطَرَبْتُ بِوِقْفَتي

أما كانَ خيرُ ٱلخلق بٱلخلقِ راحماً   أَمَا وَسِعَتْ أخلاقُهُ كُلَّ أمةِ

أما جاءَ فَحْلٌ يَشْتكي فأجارَهُ   أَمَا حَنَّ جِذْعٌ فَٱحْتَوَاهُ بِضَمَّةِ

أما كانَ موسى في بَلاَءٍ وَغُرْبَةٍ   لَدُنْ ما سَقَى لِلْمَرأَتَيْنِ بِعِفَّةِ

فلما سَقَى وَلَّى إلى الظلِّ داعياً   وَلَمْ تَتِبَّعْ عيناهُ آثارَ مَرْأَةِ

أما كانَ روحُ ٱللَّهِ عيسى إذا رأى   فقيراً وَمِسْكيناً يفيضُ بِرَأْفَةِ

قرأتُ صِفاتِ ٱلأنبياءِ فَلَمْ أَجِدِ   بِنَفْسِيَ منها عُشْرَ مِعْشَارِ ذَرَّةِ

فحيَنئذٍ نفسي كَفَرْتُ فَعِفْتُها   وأعلنتُ للرحمٰنِ رَبِّيَ توبتي

أقولُ لأشياخِ ٱلضَّلالِ ألاَ ٱفْتَحُوا   بَصَائِرَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَخْذِ ٱلمنيةِ

(وكنتُ جِلا مرآةِ ذاتيَ مِنْ صَدَا   صفاتي ومني أُحْدِقَتْ بأشعةِ)

وأما صفاتُ ٱلربِّ جَلَّ جلالُهُ   فَعَنْ صَدأ جَلَّتْ صفاتُ ٱلربوبةِ

وَيَجْلو صفاتِ ٱلعَبْدِ إن تَصْدأ ٱلهُدى   وإلاَّ فَيُجْلى إنْ يَضِلَّ بِجَلْدَةِ

(وَأَشْهَدْتَني إيَّايَ لا سوايَ في   شهوديَ موجود فَيْضي بِزَحْمة)

أَلَيْسَ شهودٌ لا سوى فيه مُلْزِماً   بِنَفْيِ ٱلسُّوى ذِكْراً بِفِكْرٍ وَلَفْظَةِ

فلو صَدَقَتْ دَعْوَاكَ لَمْ تَذْكُرِ ٱلسُّوَى   فَذِكْرُ ٱلسُّوى إذْ لا سِوى نَفْيُ نَفْيَةِ

(وَأَسْمَعْتَني في ذكريَ ٱسْمِيَ ذاكري   ونفسي بِنَفْيِ ٱلحِسِّ أَصْغَتْ وَأَسْمَتِ)

كذا كُلُّ شيءٍ ذَاكِرٍ ذاتَ نَفْسِهِ   لها سَامِعٌ إبَّانَ إسْمَاعِ ذُكْرَةِ

وَنَفْسُكَ دونَ ٱلحِسِّ معدومةُ   ٱلوجودِ سِيَّانِ في ٱلدنيا وبعد ٱلمنيةِ

وللنفسِ جسمٌ بعد موتٍ بِبَرْزَخٍ   على غيرِ ما معنى تُرابٍ وَطِينَةِ

وللنفسِ ريحٌ بعد مَوْتٍ وَمَوْضِعٌ   كما حَقَّ هذا في كتابٍ وسنةِ

فلو خُلِّيَتْ نَفْسٌ مِنَ ٱلجِسْمِ أُعْدِمَتْ   وهذا لمعنى ٱلفَرْقِ أقوى ٱلأدِلَّةِ

فَصل

«دعوى تحضير الأرواح»

وقد كُنتُ بالبُرْهانِ بَيَّنْتُ سابقاً ... وُجُودَ الورى مِنْ بعد موتٍ بِهيئةِ

لَدُنْ قُلْتُ إنَّ الروحَ جِسْمٌ بِمَوْضِعٍ ... وَأَنْ ليس خَلْقٌ دونَ حَدٍّ وصورةِ

وَشَاهِدُ هذا في حديثِ نَبِيِّنا ... إذا الروحُ ماتَتْ أُصْعِدَتْ نَحْوَ عَلْوَةِ

فَإن شُمَّ منها في السَّما الطِّيبُ بُورِكَتْ ... وقيل ارفعوها شَطْرَ سِدْرَةِ جَنَّةِ

وإنْ شُمَّ منها في السما الخُبْثُ قُبِّحَتْ ... وقيل إلى سِجِّينَ في دارِ لَعْنَةِ

وَمِنْ ها هنا مَنْ ظَنَّ تحضيرَ مَيِّتٍ ... بروحٍ يَكُنْ في خُدْعَةٍ أيِّ خُدْعَةِ

وشاهِدُهُ واقرأ بحقٍ ومن ورا ... ئهِمْ برزخٌ واتَّبِعْ قراءَةَ سورةِ

فليس ادّعا استِحضارِ روحٍ لِمَيِّتٍ ... سوى فِلْمِ إفْكٍ بَيْنَ إِنْسٍ وَجِنَّةِ

فَإنْ قيلَ إنَّ الروحَ تُخْبِرُ وَاقِعاً ... لِمَا كانَ منها في حَيَاةٍ تَقَضَّتِ

فَمَا رُوحُ مَيْتٍ مَنْ أتى بل قرينُهُ ... يَجِيءُ بدعوى أَنَّهُ روحُ مَيِّتِ

فَيُخْبِرُ عمَّا كانَ منهُ لَدَى الدُّنا ... لِمَا كانَ منهُ مِنْ لِزَامٍ وَصُحْبَةِ

فَإنَّ قرينَ الإنسِ أدنى لِنَفْسِهِ ... وأدرى بِهِ مِنْ والدينِ وزوجةِ

فإنْ تَتْلُ مِ القرآنِ «قال قرينُهُ» ... تَجِدْ للذي فَصَّلْتُ ظاهِرَ حُجَّةِ

وما الروحُ إلاّ في عوالِمِ بَرْزَخٍ ... كما أَخْبَرَ المولى إلى يومِ بِعْثَةِ

لقد قَيَّدَ اللَّهُ الخليقَةَ كُلَّها ... بقيدِ وجودٍ ذي حدودٍ وهيئَةِ

فإنْ حُجَّةً تَرْغَبْ لهذا فَقَوْلُهُ ... تعالى «شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ» خَيْرُ حُجَّةِ

تدورُ البرايا في حُدودٍ وَرَبُّها ... تَعَالى عُلاهُ عَنْ حُدُودٍ وَدَوْرَةِ

أَلاَ لَيْسَ للرحمٰنِ جِسْمٌ وَصُورَةٌ … لِيَفْنَى بِهِ أصحابُ جِسْمٍ وصورةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ كانَ ولم نَكُنْ … وإنْ شَاءَ أَفْنَانَا جميعاً بِلَمْحَةِ

فَنَحْنُ إذاً في حُكْمِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فَكَيْـ … فَ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْنَى بذي ٱلأَزَلِيَّةِ

وَلِلْفَرْقِ بينَ ٱللَّهِ وَٱلخَلْقِ فَوْقَ ما … تَكُونُ فروقٌ بَيْنَ حَقٍّ وَوُهْمَةِ

فَكُلُّ ٱلذي يُلْفَى بِحَقٍّ مِنَ ٱلورى … لَهُ حُكْمُ وَهْمٍ قَبْلَ كَوْنٍ وَخِلْقَةِ

إذاً كُلُّ حَقٍّ حُكْمُهُ حُكْمُ بَاطِلٍ … سوى ٱلأَكْبَرِ ٱلأعلى إله ٱلحقيقةِ

(وَعَانَقْتُني لا بِٱلتزامِ جوارحي … ٱلجوانِحَ لكنّي ٱعْتَنَقْتُ هُوِيَّتي)

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ ذو هُوِيَّةِ ذَاتِهِ … هُوِيَّةُ كُلٍّ غيرُ كُلِّ هُوِيَّةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلمرءَ إنْ كانَ كافِراً … يقولُ ٱرجعوني بعد ذَوْقِ ٱلمنيةِ

فإنْ تَتْلُ كَلاّ إنَّها كِلْمَةٌ هُوَ ٱلْـ … قَؤولُ لها وٱقرأْ قِرءَةَ سورةِ

تَجِدْ للورى مِنْ بعد مَوْتٍ هُوِيَّةً … وهذا إذاً يَنْفي ٱمِّحاءَ ٱلهُوِيَّةِ

وَحَيْثُ ٱنْتَفَى مَحْوٌ بُعَيْدَ مَنِيَّةٍ … فَأَوْلى ٱنْتِفَاءُ ٱلمحوِ قَبْلَ ٱلمنيةِ

وحيثُ إذاً لا مَحْوَ في كُلِّ حالَةٍ … فَقَدْ بَطُلَتْ دعوى ٱعْتِنَاقٍ بِوَحْدَةِ

(وَأَوْجَدْتُني روحي وروحُ تَنَفُّسي … يُعَطِّرُ أنفاسَ ٱلعبيرِ ٱلمفتَّتِ)

أَلاَ لَيسَ في ٱلقُرآنِ أنَّ إلٰهَنَا … لَهُ وَصْفَ أنفاسٍ وَلَيْسَ بِسُنَّةِ

وأنفاسُكَ ٱللَّثُ خِلْتَ منكَ زَكِيَّةً … يراها ذَوُو ٱلأَلْبَابِ أَنْفَاسَ رِجْسَةِ

وأطيبُ عندَ ٱللَّهِ أنفاسُ صائمٍ … وعندَ ٱلورى أَنْفَاسُ عذراءَ بَضَّةِ

وليسَ يَشُمُّ ٱلقردُ أنفاسَ نَفْسِهِ … فَيَحْسَبُها أنفاسَ وَرْدٍ مُفَتَّتِ

(وَعَنْ شِرْكِ وَصْفِ ٱلحِسِّ كُلِّي مُنَزَّهٌ … وَفِيَّ وَقَدْ وَحَّدْتُ ذَاتِيَ نُزْهتي)

وَكَيْفَ لِذَاتِ ٱلحقِّ كُلِّيَةً تَرَى … وَعَنْ كُلِّ تَبْعيضٍ تعالَتْ وَجَلَّتِ

أَإِنَّكَ لَمّا رُمْتَ تَنْزِيهَ ذَاتِهِ … جَعَلْتَ لَهُ كُلاًّ رُمِيتَ بِكُلَّةِ

(وَمَدْحُ صفاتي بي يُوَفِّقُ مادحي … لحمدي وَمَدْحي بِٱلصفاتِ مَذَمَّتي)

(فَشَاهِدُ وصفي بي جليسي وشاهدي … بِهِ لاحتجابي لَنْ يَحِلَّ بِحُلَّةِ)

(وبي ذكرُ أسمائي تَيَقُّظُ رؤيةٍ … وذكري بها رؤيا تَوَسُّنِ هجعتي)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الوَصْفَ للذاتِ مِدْحَةٌ   وقد مَرَّ هذا في سياقِ ٱلقصيدةِ

فَلَمْ يَزَلِ ٱلمولى قديراً بِقُدْرَةٍ   ولم يَزَلِ ٱلمولى حكيماً بحكمةِ

تَدَبَّرْ «قُلِ ٱدعو ٱللَّهَ» وَٱتبعْ سِيَاقَها   إلى عِنْدِ «أَيّاً ما» تَعُدْ عَنْ مَضَلَّةِ

وقد أنزل ٱلمولى «تَبارَكَ» فَٱتْلُها   إلى «ٱلملكِ» تَرْجعْ عن ضَلالٍ وَتُخْبِتِ

وأنزلَ في ٱلقرآنِ أيضاً «تَبارَكَ ٱسمُ رَبِّك ذي ٱلإكرامِ» وٱقرأ كسورةِ

وفي سَبِّحِ ٱسْمَ ٱللَّهِ إنْ كُنتَ تالياً   كما أُنزِلَتْ أقوى وأَبْيَنُ حُجَّةِ

فَمَنْ سَبَّحَ ٱسمَ ٱللَّهِ سَبَّحَ ذاتَهُ   فَمَا ينبغي تسبيحُ غيرِ ٱلألوهةِ

(كَذَاكَ بِفِعْلي عارفي بيَ جَاهِلٌ   وعارِفُهُ بي عَارِفٌ بٱلحقيقةِ)

وَإِنَّكَ في هذا كَدَأْبِكَ وَاهِمٌ   تَقُولُ مِنَ ٱلأَقْوَالِ خَبْطاً بِعَشْوَةِ

وإنَّكَ في هذا تُقَلِّدُ مَنْ يرى   صُدُورَ ٱلورى عَنْ ذاتِ ربِّ ٱلبريةِ

وما صَدَرُوا عنهُ وَعِزَّةِ ذاتِهِ   وَلكِنَّهُمْ مِنْهُ بِخَلْقٍ وقدرةِ

ولا يعرفُ ٱلمخلوقُ كُنْهَ إلهِهِ   ولكنْ يرى أفعالَهُ في ٱلخليقةِ

وَهَلْ خَلْقُهُ إلا حقيقَةُ فعلهِ   فَعَنْ فِعْلِهِ موجودُ كُلِّ فَعيلَةِ

ومِنْ قَبْلِ إشهادٍ بِذَرٍّ فَإِنَّنا   عَرَفْنَاهُ بٱلأفعالِ أَوَّلَ عِرْفَةِ

فَفِعْلٌ بِإِيجادٍ وَفِعْلٌ بِرُبَّةٍ   وَفِعْلٌ بِأَخْذٍ مِنْ ظهورِ ٱلأُبُوَّةِ

وَفِعْلٌ بإشْهَادٍ فَأَشْهَدَ خَلْقَهُ   على أَنْفُسٍ مِنْهُمْ بِفِعْلِهِ رُبَّتِ

وَعَرَّفَ خَيْرَ ٱلخَلْقِ أَوَّلَ بَعْثِهِ   بِفِعْلِ ٱسمِهِ ٱلخَلاَّقِ أَوَّلَ سورةِ

فقد عَرَفَ ٱلعبدُ ٱلإلهَ بِفِعْلِهِ   وما كانَ عبدٌ قَبْلَ خَلْقٍ بِفِعْلَةِ

وإنْ تَقْتَرِيءْ «إِقْرَأْ» وَتَتْبَعْ سِيَاقَها   إلى «عَلَّمَ الإنسانَ» تَزْدَدْ بِحُجَّةِ

(فَخُذْ عِلْمَ أعلامِ ٱلصفاتِ بِظاهِرِ   ٱلمعالمِ من نفسٍ بذاكَ عليمةِ)

(وَفَهْمَ أسامي الذات عنها بباطِنِ   ٱلعوالمِ منْ روحٍ بذاكَ مُشِيرَةِ)

وليسَ لأعلامِ ٱلصفاتِ مَعَالِمٌ   تعالى عُلاها عَنْ مِسَاسٍ وَجَلَّتِ

وليسَ لأسماءِ ٱلإلهِ عوالمٌ   تعالى عُلاها عَنْ حدودٍ وَعَزَّتِ

وَنَفْسُكَ يا وهمانُ نَفْسٌ جهولَةٌ   عنِ ٱلعلمِ وٱلعِرْفَانِ جِدُّ بعيدةِ

(ظهورُ صفاتي عن أسامي جوارحي   مَجَازاً بها للحكمِ نفسي تَسَمَّتِ)

تَعَالى عُلاها عَنْ صفاتِ جوارحٍ   وبٱلحقِّ جَلَّتْ عَنْ مجازٍ وَعَلَّتِ

ومعنى مَجَازٍ ضِدُّ معنى حقيقةٍ   وليستْ صفاتُ ٱلربِّ غيرَ ٱلحقيقةِ

(رُقُومُ علومٍ في سُتُورِ هَيَاكِلٍ   على ما وراءَ ٱلحِسِّ في ٱلنفسِ وَرَّتِ)

(وأسماءُ ذاتي عَنْ صفاتِ جَوَانحي   جوازاً لأسرارٍ بها ٱلروحُ سُرَّتِ)

وَمَا مِنْ رُقُومٍ في سُتُورِ هياكِلٍ   يُوَرَّى بها عَنْ ذاتِ رَبِّ ٱلبريةِ

فَلِلَّهِ ما بٱلحقِّ أَثْبَتَ وَحْيُهُ   على غيرِ ما كَيْفٍ وَمِثْلٍ وَشِبْهَةِ

وحاشا علاهُ عَنْ صفاتِ جوانِحٍ   وَعَنْ أَنْ يُرَى معنى جوازٍ لِبُلْغَةِ

وليسَ وراءَ ٱللَّهِ شيءٌ فَيُبْتَغى   أَحَاطَ بِكُلِّ ٱلخلقِ رَبُّ ٱلخليقةِ

(رموزُ كنوزٍ عن معاني إشارةٍ   بمكنون ما تخفي ٱلسرائرُ حُفَّتِ)

(وآثارُها في ٱلعالمينَ بعلمها   وعنها بها ٱلأكوانُ غيرُ غَنِيَّةِ)

(وجودُ آقتنا ذكرٍ بأيد تَحَكُّمٍ   شهودُ اجتنا شُكْرٍ بأيْدٍ عميمةِ)

(مظاهِرُ لي فيها بدوتُ ولم أَكُنْ   عَلَيَّ بِجَافٍ قَبلَ مَوْطِنِ بَرْزَتي)

(فَلَفْظٌ وَكُلِّيَ بي لسانٌ مُحَدِّثٌ   ولحظٌ وَكُلِّي فِيَّ عَيْنٌ لِعِبْرَتي)

(وَسَمْعٌ وَكُلِّي بٱلنَّدَى أَسْمَعُ ٱلنِّدا   وَكُلِّيَ في رَدِّ ٱلرَّدَى يَدُ قُوَّةِ)

(معاني صِفَاتٍ مَا وَرَا ٱللَّبْسِ أَثْبَتَتْ   وأسماءُ ذاتٍ ما روى ٱلحِسُّ ثَبَّتِ)

(فتصريفُها عَنْ حافظِ ٱلعهدِ أَوَّلاً   بنفسٍ عليها بٱلولاءِ حفيظةِ)

(شوادي مُبَاهَاةٍ هَوَادي تَنَبُّهٍ   بَوَادي فُكَاهَاتٍ عوادي رَجِيَّةِ)

(وَتَوْقيفُها مِنْ مَوْثِقِ ٱلعَهْدِ   راجياً بِنَفْسٍ على عِزِّ الإباءِ أَبِيَّةِ)

(جواهِرُ أنباءٍ زواهِرُ وُصْلَةٍ   طَوَاهِرُ أبناءٍ قواهِرُ صَوْلَةِ)

(وتعرفُها من قاصِدِ ٱلحزمِ ظاهراً   سَجِيَّةُ نَفْسٍ بٱلوجودِ سَخِيَّةِ)

(مثاني مُنَاجَاةٍ معاني نباهةٍ   مَغَاني مُحَاجَاةٍ مباني قَضِيَّةِ)

(وتشريفُها مِنْ صادق ٱلعزمِ باطناً   إنابةُ نفسٍ بٱلشهودِ رَضِيَّةِ)

(نجائِبُ آياتٍ غرائبُ نُزْهَةٍ   رغائِبُ غاياتٍ كتائبُ نَجْدَةِ)

(عقائِقُ إحكام دقائقُ حكمةٍ حقائِقُ أحكام رقائِقُ بَسْطَةِ)
(وبِٱلحِسّ منها بِٱلتحقُّقِ في مقا مِ ٱلإيمانِ عن أعلامِهِ ٱلعَمَلِيَّةِ)
(صوامعُ أذكارٍ لوامعُ فكرةٍ جوامعُ آثارٍ قوامعُ عِزَّةِ)
(وللنفسِ منها بِٱلتخلُّقِ في مقا مِ ٱلإحسانِ عن أنبائِهِ ٱلنبويةِ)
(لطائفُ أخبارٍ وظائِفُ مِنْحَةٍ صحائفُ أخبارٍ خلائفُ حِسْبَةِ)
(وللجمعِ من مبدا كأنَّكَ وٱنتهى فإنْ لم تكنْ عن آيةِ ٱلنَّظَرِيَّةِ)
(غيوثُ ٱنفعالاتٍ بعوثُ تَنَزُّهٍ حدوثُ ٱتِّصَالاتٍ ليوثُ كتيبَةِ)
(فَمَرْجِعُها للحسِّ في عَالَمِ ٱلشهادَةِ ٱلمجتدي ما ٱلنفسُ مني أَحَسَّتِ)
(فصولُ عباراتٍ وصولُ تَحِيَّةٍ حصولُ إشاراتٍ أُصولُ عَطِيَّةِ)
(وَمَطْلِعُها في عَالَمِ ٱلغيبِ ما وجد تُ مِنْ نِعَمٍ منِّي عليَّ ٱسْتَجَدَّتِ)
(بشائِرُ إقرارٍ بصائِرُ عِبْرَةٍ سرائِرُ آثارٍ ذَخَائِرُ عَوْدَةِ)
(وَمَوْضِعُها في عَالَمِ ٱلملكوتِ ما خُصِصْتُ مِنَ ٱلإسرابِهِ دونَ أُسرتي)
(مدارسُ تنزيلٍ محارسُ غِبْطَةٍ مَغَارِسُ تأويلٍ فوارسُ مِنْعَةِ)
(وَمَوْقِعُها في عالَمِ ٱلجبروتِ منْ مشارقِ فَتْحٍ للبصائِرِ مُنْهِتِ)
(أرائِكُ توحيدٍ مدارِكُ زُلْفَةٍ مسالكُ تمجيدٍ ملائكُ نُصْرَةِ)
(وَمَنْبَعُها بِٱلفَيْضِ في كُلِّ عَالِمٍ لِفَاقَةِ نَفْسٍ بِٱلإفاقَةِ أَثْرَتِ)
(فوائِدُ إلهامٍ روائِدُ نَغْمَةٍ عوائِدُ إنعامٍ موائِدُ نعمةِ)
(ويجري بما تعطي ٱلسريرةُ سائري على نهجِ ما منِّيَ ٱلحقيقةُ أَعْطَتِ)
(وَلَمّا شَعَبْتُ ٱلصَّدْعَ وٱلتَأَمَتْ فُطو رُ شَمْلٍ بِفَرْقِ ٱلوصفِ غيرِ مُشَتَّتِ)
(وَلَمْ يَبْقَ ما بيني وبينَ تَوَثُّقي بإيناسِ وُدِّي ما يؤدي لِوَحْشَةِ)
(فَحَقَّقْتُ أَنَّا في ٱلحقيقةِ وَاحِدٌ وَأَثْبَتَ صَحْوُ ٱلجمعِ مَحْوَ ٱلتَّشَتُّتِ)

«فصل «الإشارات»

أَقَدَّمْتَ رَمْزاً عَنْ معاني إشارَةِ … وَأَخَّرْتَ ذِكْرَ ٱلمحكماتِ ٱلمبينةِ
وبالَغْتَ في وَصْفِ ٱلإشارةِ مادحاً … وَلَمْ تُعْطِ للآياتِ لائقَ مِدْحَةِ
لَعَمْري لقد صَوَّرْتَ حالكَ ها هُنَا … بما كنتَ عَنْ آيِ ٱلكتابِ بِغَفْلَةِ
فما كُنْتَ إلاّ تَقْتَني ٱلذِّكْرَ مُصْحَفاً … وَلَمْ تَتَصَفَّحْ منهُ أَيَّةَ صفحةِ
ولستُ هُنَا نَفْيَ ٱلإشارَةِ قاصِداً … وكيفَ وَصَحَّ ٱلفَأْلُ حقاً بِسُنَّةِ
فَقَدْ أخرجَ ٱلشيخانِ عَنْ سيد ٱلورى … مَحَبَّتَهُ لِلْفَأْلِ صَالِحَ لَفْظَةِ
ولكنَّ معنى ٱلفألِ يبقى مُقَيَّداً … وتبقى فُؤُولُ ٱلفَتْحِ ضِمْنَ ٱلشريعةِ
فَرُبَّتَما فَأْلٍ وليسَ بِصَالِحٍ … كما دَلَّ معنى قولِ خيرِ ٱلبريةِ
فَمَنْ يَفْتَئِلْ بِٱلكونِ عَنْ غيرِ شِرْعَةٍ … يَزِغْ بهوى ٱلأوهامِ في كُلِّ ضَلَّةِ
فَلَيْسَتْ إشاراتُ ٱلوجودِ صحيحةً … إذا خالَفَتْ منهاجَ ذكرٍ وسنةِ
فما كُلُّ لَفْظٍ فيهِ صادقُ خاطِرٍ … ولا كُلُّ لَحْظٍ فيهِ واقعُ عِبْرَةِ
فإنْ يَرْتَبِطْ خَيْطُ ٱلإشارَةِ بِٱلهُدى … يُشِعَّ وَإلاّ فَهُوَ وَهْمٌ بِقَفْرَةِ
فأذكرتُ مِنْ نفسي زَمَانَ سِيَاحَتي … وكنتُ قليلاً ما أسيحُ بِبَلْدَتي
لَدُنْ لَمْ أَكُنْ مسؤولَ بَيْتٍ وزوجةٍ … وكنتُ فتًى عَزَباً يسيرَ ٱلمعيشَةِ
ففي ساحلٍ حيناً أطوفُ بِبَلْدَةٍ … وفي جَبَلٍ حيناً أطوف بِقَرْيَةِ
فإني لَفِي ٱلفيحاءِ أَسْعى مُطَوِّفاً … أصيلَ نَهَارٍ ذي ربيعٍ وَبَهْجَةِ
فألفيتُ كَهْلاً يَسْتَجِيرُ مِنَ ٱبنهِ … وكانَ شيوعياً خبيثَ ٱلعقيدةِ
فسرتُ به أَسْعى أُفَسِّرُ ما أرى … أَمَامِيَ مِنْ إعلانِ لَفْظٍ وَجُمْلَةِ

وأربطُ أسماء ٱلشوارعِ والورى ... كما يَرْبِطُ ٱلقَصَّاصُ أبوابَ قِصَّةِ

فذلك عبدُ ٱللَّهِ يصحبُ سالماً ... تَدَبَّرْ فَإِنَّ ٱلسِّلْمَ عندَ ٱلعُبُودَةِ

وهذا بشيرٌ جاءَ صبحي وراءَهُ ... فأَبْشِرْ بِصُبْحٍ بعد ليلِ ٱلمَضِلَّةِ

هنالكَ ما أهملتُ شيئاً رأيتُهُ ... ولو كانَ ذاكَ ٱلشيءُ قِشْرَةَ موزةِ

أقولُ لَهُ إِذْ ذَاكَ أنتَ مُمَيَّزَ ... وهذا سلوكٌ ذو ٱمتيازٍ وَرِفْعَةِ

وما كنتُ في تلك ٱلطريقةِ مُوهِماً ... فَتِلْكَ ٱلتي كانَتْ هناكَ طريقتي

جلوتُ لهُ ٱلدنيا لِيَشْهَدَ سَيْرَها ... وَيَعْلَمَ أنَّ ٱلكَوْنَ ليسَ بِصُدْفةِ

وكُنّا ٱنطَلَقْنَا منْ جَنُوبٍ فَأَصْبَحَتْ ... مَقَابِرُ بابِ ٱلرَّمْلِ شَمْأَلَ وِجْهَةِ

فَلَمّا بَلَغْنَاها شعرنا بأننا ... قَطَعْنَا منْ الدنيا مراحِلَ حِقْبَةِ

فَأَلْفَيْتُ أبوابَ ٱلمقابِرِ أُغْلِقَتْ ... فَقُلْتُ إذاً فَٱغْنَمْ ثَوانِيَ فُسْحَةِ

وكانَ كمِثْلِ ٱلطِّفْلِ ينقادُ في يدي ... وَيُرْسِلُ منْ عَيْنَيْهِ أنظارَ دَهْشَةِ

وَلَمّا هَبَطْنا شَطْرَ ساحَةِ نجمةٍ ... فقُلْتُ ٱنتَجِمْ أسرارَ ساحَةِ نَجْمَةِ

فدونَكَ ذا مقهىً يُقَهْقِهُ أَهْلُهُ ... كذلكَ حالُ ٱلناسِ عَهْدَ ٱلطفولةِ

ويتلوهُ خَيَّاطٌ يَخِيطُ زَخَارِفاً ... كذلكَ حالُ ٱلناسِ عَهْدَ ٱلشَّبِيبَةِ

ويتلو هواءٌ فارغٌ فَمُنَجِّدٌ ... كَذَاكَ ٱلهوى يُفْضي لِبَيْتٍ وزوجةِ

وذي سينما تُدْعى ٱلكواكبَ بَعْدَهُ ... كذلكَ عيشُ ٱلناسِ أفلامُ خُدْعَةِ

ويتلو فَرَاغٌ ثُمَّ بائعُ بُوظَةٍ ... كذاكَ فراغُ ٱلعُمْرِ ذَوْبُ كَبُوظَةِ

وما زلتُ أسماءَ ٱلمواضِعِ رابطاً ... ومستخرجاً منها دلائِلَ حِكْمَةِ

فَلَمّا بَلَغْنَا ٱلمسجِدَ ٱلجامِعَ ٱنْتَهَى ... إلى سَمْعِنا بِٱلحقِّ أَصْدَقُ دَعْوَةِ

فَقلْتُ لَهُ هَيّا فَجَرِّبْ صلاتنا ... عساكَ بها تُفْضي لخيرٍ ونعمةِ

فَأَوْقَفْتُهُ قربي وَقُلْتُ لَهُ ٱسْتَمِعْ ... لما سوف يتلوهُ ٱلإمامُ وَأَنْصِتِ

فَقَدَّرَ ذو ٱلإكرام إِذْ ذاكَ أَنْ تَلاَ ... إِمامُ ٱلصَّلاة «ٱقْرَأْ» بِأَوَّلِ رَكْعَةِ

فَأُقْسِمُ لاَرْتَجَّتْ مَفَاصِلُ صاحبي ... كَمَا ضَرَبَ ٱلزِّلْزَالُ أرضاً فَرُجَّتِ

وَعُدْتُ بِهِ بعد ٱلعِشَاءِ مُطَوِّفاً ... إلى ساحِ موسى حيثُ مقْهى بربوةِ

مَـرَرْنـا بِـطَـيْـنَـالٍ خـلالَ مَـقَـابِـرِ ... صُعُوداً إلى ٱلمقهى بليلِ سكينةِ

فَمَـا أنْ خَـطَـوْنـا فـيـهِ أَوَّلَ خُـطْـوَةٍ ... لَدُنْ نَحْنُ في وَهْدٍ نَهُمُّ بِصَعْدَةِ

هُنَالِك مِنْ رِجْلِ ٱلفتى ٱلنَّعْلُ خُلِّعَتْ ... فَأَبْطَأَ مِنْ سَيْرٍ يَهُمُّ بِوقْفَةِ

فَقُلْتُ لَهُ أَبْشِرْ وَأَشْرَق خَاطِري ... ففي سَاحِ موسى خِلْعَةُ ٱلنَّعْلِ حُقَّتِ

فَمَـا هُـوَ إلاّ أَنْ بَـثَـثْـتُ إشـارتـي ... فَكَبَّرَ للمولى بِصَوْتٍ وَصَرْخَةِ

وفي بُرْهَةٍ كـٱلبرقِ كانَتْ دُمُوعُهُ ... وَقَدْ شَربَ ٱلمعنى تفيضُ بتوبةِ

تَبَصَّرْ أخا ٱلإسلامِ فيما قَصَصْتُهُ ... تَجِدْ لا هُدًى إلاّ بِذِكْرٍ وَسُنَّةِ

فإنَّ ٱلفتى لَمْ يَنْتَفِعْ بِأَشائِرِ ... أَشَرْتُ بها حتَّى بِوَحْيٍ أُمِدَّتِ

فَلَمَّا ٱلإشاراتُ ٱسْتَمَدَّتْ شُعَاعَها ... منَ ٱلذكرِ هَزَّتْ منهُ قلباً وَأَحْيَتِ

وإنـي لَـمَـعْ هـذا أقـولُ مُـحَـذِّراً ... أَلاَ لَيْسَ هذا نَهْجَ خيرِ ٱلبريةِ

فَقَدْ يُخْدَعُ ٱلإنسانُ فيما يخالُهُ ... فُتُوح إشاراتٍ بوهم وَغَفْلَةِ

فإنْ قيلَ فـٱلقُرآنُ ليسَ لباطلٍ ... إليهِ سبيلٌ كانَ مِنْ أَيِّ وِجْهَةِ

فَحَاشا عُلا ٱلقرآنِ عنْ جَيْيءِ بَاطِلٍ ... ولكنَّ فَهْمَ ٱلعبدِ يُؤتى بِجَيْئَةِ

وقد أَمَرَ ٱللَّهُ ٱلعبادَ إذا هُمُ ... تَلَوْا سُوَرَ ٱلذكرِ ٱلحكيمِ بِعَوْذَةِ

فَمَـا أُمِروا بـٱلعَوْذِ صَوْناً لآيةٍ ... وَمِمَّنْ على ٱلآياتِ يُخْشَىٰ لِهَجْمَةِ

ولكنَّهُمْ صانوا بِعَوْذٍ صُدُورَهُمْ ... لِكَيْلا عَنِ ٱلمعنى يُزَاغَ بِنَزْغَةِ

فلا فَتْحَ إلاّ مِنْ خلالِ شريعةٍ ... وَمَعْ حَذَرٍ فيها وَكَامِلِ حَيْطَةِ

فهذا ٱلفتى فَرْفُوضُ لما ٱسْتَمَدَّها ... بغير هدى ٱلتشريعِ قالَ بِجُرْأَةِ

فَحَقَّقْتُ أَنَا في ٱلحقيقةِ وَاحِدٌ ... وَأَثْبَتَ صَحْوُ ٱلجمعِ محو ٱلتَّشَتُّتِ

ولا إلهِ ٱلعرشِ ما كنتَ فُرْفُضٌ ... وتبقى إلى ٱلآبادِ إلاّ ٱبنَ طِينَةِ

أَلاَ أَيُّها ٱلمرءُ ٱلمُسَمَّعُ وَهْمَهُ ... أَلَمْ تَسْتَمِعْ يوماً لذكرٍ وَتُنْصِتِ

أَمَا ٱهْتَزَّ مِنْ دعواكَ خَفْقٌ فَصَدَّها ... أما شَعْرَةٌ مِمَّا تَقُولُ ٱقْشَعَرَّتِ

فَأُقْسِمُ لو دعواكَ شَخْصاً تَمَثَّلَتْ ... لَصَبَّتْ عليكَ ٱللَّعْنَ ثُمَّ ٱضْمَحَلَّتِ

أَرَيْتَ مُضَافاتٍ تَكَلَّفْتَ جَمْعَها ... لَقَدْ كُنْتَ فيها ضَيْفَ عَيٍّ وَفَهَّةِ

فَلَيْسَتْ خَفِيَّاتُ ٱلسرائرِ جوهراً ... لِتَجْعَلَهَا أسرارَ كَنْزٍ تَخَفَّتِ
فَأَفْئِدَةُ ٱلأخيارِ فَاضَتْ بِخَيْرِها ... وأفئدةُ ٱلأشرارِ بِٱلشَّرِّ شَرَّتِ
وَقَدْ أَخْرَجَ ٱلمولى دفينَ صُدُورِهِمْ ... كما وَعَدَ ٱلمولى بمحكم سُورَةِ
وهذا رسولُ ٱللَّهِ لَمْ يَكْتُمِ ٱلهدى ... وَبَلَّغَ عَنْ مولاهُ كُلَّ ٱلشريعةِ
وَمَا كَانَ مِنْ ذكرٍ بأيدي ملائكٍ ... فإرسالُ تَبْليغٍ وليسَ بِقُنْيَةِ
وَهَبْ أَنَّ في أيدي ٱلملائكِ مُقْتَنًى ... أَأُشْهِدْتَهُ يا فُرْضُ فَأْتِ بِحُجَّةِ
وَمَنْ ذا ٱلذي عَنْ مثلِ قولكَ عاجِزٌ ... بزعمِ إشاراتٍ بغيرِ أدِلَّةِ
«شوادي مُبَاهَاةٍ» فأينَ ٱرْتِجَاعُها ... «بوادي فكاهاتٍ» بأيِّ مَحَلَّةِ
«جواهرُ أنباءٍ» فأينَ وُقوعُها ... «طواهرُ أبناءٍ» بأيِّ قبيلةِ
«مثاني مِناجاةٍ» فأينَ ٱقتراؤها ... «مغاني مُنَاجاةٍ» بأيِّ مَحَجَّةِ
«نجائِبُ آياتٍ» فأينَ ظُهُورُها ... «رغائِبُ غاياتٍ» فَهَلاَّ تَسَمَّتِ
«عقائِقُ إحكامٍ» فأينَ عَقُودُها ... «حقائقُ أَحْكَامٍ» فَهَلْ من حقيقةِ
«صوامعُ أذْكَارٍ» فأينَ ٱدِّكارُها ... «جوامعُ آثارٍ» بأيِّ طريقةِ
«لَطَائِفُ أخبارٍ» فَهَلْ مِن لَطِيفَةِ ... «صحائِفُ أخبارٍ» فَهَلْ مِنْ صَحيفَةِ
«عيونُ ٱنفعالاتٍ» فأينَ نَبَاتُها ... «حدوثُ ٱتصالاتٍ» فَهَلْ مِنْ هَدِيَّةِ
«فصولُ عباراتٍ» فأينَ سُطُورُها ... «حُصُولُ إشاراتٍ» على أيِّ شُرْفَةِ
«بَشَائِرُ إِقْرَارٍ» فأينَ شُهُودُها ... «سرائرُ آثارٍ» فَهَلْ مِنْ سَريرةِ
«مدارسُ تَنْزِيلٍ» فأينَ كتابها ... «مغارسُ تأويلٍ» بأيِّ حديقةِ
«أرائكُ توحيدٍ» فأينَ قُصُورها ... «مسالكُ تمجيدٍ» إلى أيِّ وِجْهَةِ
«فَوَائِدُ إلهامٍ» فأينَ مفادُها ... «عَوَائِدُ إنعامٍ» فَهَلْ مِنْ نُعَيْمَةِ
فَمَا لَكَ لَمْ تُخْبِرْ عَنِ ٱلغَيْبِ ذَرَّةً ... وهذي قرونٌ بعد مَوْتِكَ مَرَّتِ
فهذا كتابُ ٱللَّهِ فينا كعهدِهِ ... يُمِدُّ ٱلبَرَايَا بِٱلفتوحِ ٱلجديدةِ
فما ٱكْتَشَفَ ٱلإنسانُ سِرَّ حقيقَةٍ ... مِنَ ٱلكونِ إلاّ وَهْيَ تُتْلى بِسُورَةِ
(وَكُلِّي لِسانٌ نَاظِرٌ مِسْمَعٌ يَدٌ ... لِنُطْقٍ وإدراكٍ وَسَمْعٍ وَبَطْشَةِ)

«سرُّ الشعور بقوة التصريف»

وهذا مِنَ ٱلوَهْمِ ٱلذي النفسَ يعتري ... إذا ما ٱستراحَتْ أوْ أَحَسَّتْ بنشوةِ

فإنَّ ٱرتياحَ ٱلنفسِ يَستَجْمِعُ ٱلقُوى ... كما ٱستُجْمِعَتْ أعضاءُ جسمٍ لِوَثْبَةِ

وإنَّ ٱنْتِشَاءَ ٱلنفسِ يُوهِمُهَا ٱلمنى ... كما تُوهِمُ ٱلصَّهْبَاءُ صاحِبَ سكرةِ

فحينئذٍ في ٱلرَّوْحِ وٱلنَّشْوِ للورى ... شعورُ ٱنطلاقٍ منْ قيودِ ٱلطبيعةِ

فَإمّا لأنَّ ٱلرَّوْحَ وٱلنَّشْوَ فِطْرَةٌ ... يعيدانِ نَفْسَ ٱلمرءِ عهدَ ٱلطفولة

لَدُنْ تحسبُ ٱلنفسُ ٱلرَّغائِبَ طَوْعَها ... لِمَا لَمْ تَجِدْ أدنى ٱعتراضٍ لِرَغْبَةِ

فَمِنْ ها هنا ما حوربَ ٱلرُّسْلُ إذْ أَتَوْا ... كما حوربوا مِنْ أهلِ مُلْكٍ وَتُرْفَةِ

وَإمّا لِجَهْلِ ٱلنفسِ قُدْرَةَ رَبِّها ... فَتَحْسَبُها مِثْلَ ٱلإلهِ بِقُدْرَةِ

وشاهدُ هذينِ ٱلمثالينِ بَيِّنٌ ... بِمُحْكَمِ وَحْيِ ٱللَّهِ لِلْمُتَثَبِّتِ

وإذْ ما لهذينِ ٱلمثالينِ إنْ هُمَا ... أقاما بنفسٍ غيرُ معنى ٱلتَّغَطْرُتِ

وحيثُ يقولُ ٱللَّهُ «إنْ في صدورهِمْ» ... سوى ٱلكِبْرِ وَٱقْرَأْهَا قراءَةَ سورةِ

فَراجِعْ وَتَابِعْ وٱتْلُ «ما هُمْ بِبَالِغيهِ» تَعْلَمْ إذاً فحوى شعورٍ بِقُوَّةِ

(فَعَيْنِيَ نَاجَتْ وٱللسانُ مُشَاهِدٌ ... وَيَنْطِقُ مني ٱلسَّمْعُ وٱليدُ أَصْغَتِ)

لأدْنى لِأَنْ يُدْعى لساناً مُشَاهِداً ... لسانُ بَهِيمٍ مَدُّهُ عندَ لَهْثَةِ

(وَسَمْعِيَ عينٌ تجتلي كلَّ ما بدا ... وَعَيْنِيَ سَمْعٌ إنْ شدا ٱلقومُ تُنْصِتِ)

كذلكَ فأرُ ٱلخُلْدِ بِٱلسَّمْعِ مُبْصِرٌ ... وَوَطْواطُ لَيْلٍ لا يَرى في ٱلأَشِعَّةِ

(وَمِنِّيَ عَنْ أَيْدٍ لساني يَدٌ كَمَا ... يدي لي لسانٌ في خطابي وَخُطْبَتي)

كذاكَ لسانُ ٱلطِّفْلِ كَٱلكَفِّ مَدُّهُ ... وَمِقْوَلُ شَحّاذٍ بِكَفٍّ أُمِدَّتِ

(كذاكَ يدي عَيْنٌ ترى كُلَّ ما بدا … وعيني يَدٌ مَبْسُوطَةٌ عند بَسْطَتي)

كَذَاكَ يَدُ ٱلجِنِّيِّ في ألفِ ليلةٍ … وعينُ حَسُودٍ بِٱلأَذِيَّة صُبَّتِ

(وسمعي لسانٌ في مخاطبتي كذا … لِسَانيَ في إصغائِهِ سَمْعٌ مُنْصِتِ)

كذا سَمْعُ أذنابِ ٱلطواغيتِ خاطِبٌ … رضاهُمْ وللطَّاغُوتِ مِقْوَلُ رَهْبَةِ

(وَلِلشَّمِّ أحكامُ ٱطِّرَادِ ٱلقياسِ في … ٱتحادِ صفاتي أو بعكسِ ٱلقضيةِ)

كذلكَ شَمُّ ٱلهِرِّ يُغْنيهِ عَنْ يَدٍ … وعينٍ وأُذْنٍ عندَ إخفاءِ سَمْكَةِ

(وما فِيَّ عُضْوٌ خُصَّ منْ دونِ غيرِهِ … بتَعْيينِ وَصْفٍ مثلَ عينِ ٱلبصيرة)

إذاً كُلِّ بِدُبْرٍ وَٱخْتِرَج بِفَمٍ وَدُسْ … بِرَأْسٍ وَقَاتِلْ مَنْ أَبى بِٱلعَجِيزَةِ

(ومني على أفرادها كُلُّ ذَرَّةٍ … جَوَامِعَ أفعالَ ٱلجوارحِ أَحْصَتِ)

وَيُبْطِلُ هذا ٱلوَهْمَ قَوْلُ نَبِيِّنا … تَصَدُّقُ يُمْنى دونَ يُسْرى بِخُفْيَةِ

(يُنَاجي وَيُصْغي عَنْ شُهُودِ مُصَرِّفٍ … بِمَجْمُوعِهِ في ٱلحالِ عَنْ يَدِ قُدْرَةِ)

وما ثَمَّ مجموعٌ سوى مُتَرَكِّبٍ … إذاً كُلُّ جُزْءٍ منهُ رَبُّ وَظيفةِ

(فأتلو علومَ ٱلعَالِمينَ بِلَفْظَةٍ … وأجلو عَلَيَّ ٱلعَالَمينَ بِلَحْظَةِ)

وَمَنْ يَتْلُ يُتْبِعْ لَفْظَةً إِثْرَ لَفْظَةٍ … وفي ٱللَّحْظِ معنى رؤيةٍ بعد غَفْلَةِ

وإنَّكَ يا مسكينُ لستَ بِقَارِيءٍ … سوى صَفْحَةٍ مِنْ بَعْدِ إمرارِ صفحةِ

وذلكَ مِنْ كِبْرٍ بصدركَ مُوهِمٍ … كما أُوهِمَ ٱلسَّكْرانُ شُرْبَ ٱلبُحَيْرَةِ

فَأَذْكَرْتُ مِنْ نفسي زَمَانَ تَوَهُّمي … وَقَدْ جئتُ يوماً دَارَ كُتْبٍ كثيرةِ

فَأَرْسَلْتُ فيها نَظْرَةً فَقَرَأْتُها … كذلكَ نفسي أوهمتني بِوِقْفَتي

فَقُلْتُ لربِ ٱلدارِ إنِّي قَرَأْتُها … جميعاً بروحي فٱخْتَبِرْني تَثَبَّتِ

فَهَابَ وَلَمْ يَفْعَلْ ولو فَعَلَ ٱنْتَفى … تَوَهُّمُ ظني وٱرتجعتُ بخَيْبَةِ

(وَأَسْمَعُ أَصْوَاتَ ٱلدُّعاةِ وسائرَ ٱللغاتِ بِوَقْتٍ دونَ مقدار لمحةِ)

وذلكُمُ ٱلمولى ٱلأَجَلُّ إلهُنَا … وَيَسْمَعُ ما فَصَّلْتَ عَنْ غَيْرِ مَوْقِتِ

فَمَنْ يَسْتَمِعْ بِٱلوَقْتِ يَحْتَجْ لآلةٍ … وربُّك ربُّ ٱلوقتِ فٱفقَهْ وَأَخْبِتِ

(وأُحْضِرُ ما قَدْ عَزَّ لِلْبُعْدِ حَمْلُهُ … ولم يَرْتَدِدْ طَرْفي إليَّ بِغَمْضَةِ)

وذلكَ مِنْ علمِ ٱلكتابِ فإنْ تَكُنْ   عليماً بهِ ٱسْتَحْضِرْ إذاً قِشْرَ بَصْلَةِ

(وَأَنْشَقُ أرواحَ ٱلجِنَانِ وَعَرْفَ ما   يُصَافِحُ أَذْيَالَ ٱلرياحِ بِنَسْمَةِ)

كذلكَ حالُ ٱلواهمين لدى ٱلهوى   وَمَنْ لَمْ يَذُقْ خمراً يَذُبْ بِزَبِيبَةِ

ولو كنتَ أرواحَ ٱلجِنَانِ مُنَشَّقاً   لأَلْفَيْتَ عَرْفَ الريحِ فَائِحَ جيفَةِ

(وأستغرقُ ٱلآفاقَ نحوي بِخَطْرَةٍ   وأخترقُ ٱلسَّبْعَ ٱلطِّبَاقَ بِخُطْوَةِ)

كذلكُمُ ٱلسكرانُ يرفَعُ كَفَّهُ   لِيَقْطِفَ بٱلأوهامِ زَهْرَ ٱلمجرَّةِ

(وأشباحُ مَنْ لَمْ تَبْقَ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ   لِجَمْعِي كٱلأرواحِ خَفَّتْ فَخَفَّتِ)

كذلكَ جَمْعُ ٱلمشركين بوهمهمْ   تَخُفُّ بهم أرواحُ موتى ٱلقبيلةِ

(فَمَنْ قَالَ أَوْ مَنْ طَالَ أَوْ صَالَ إنما   يَمُتُّ بامدادي لَهُ بِرَقيقَةِ)

ولو كنتَ رَبَّ ٱلخلقِ فٱلخلقُ كُلُّهُ   إليكَ بِكُلٍّ لا فَقَطْ بِرَقيقةِ

فَمَا لَكَ عَنْ حَقِّ الربوبة غافلٌ   ودعواكَ إنّا واحدٌ في ٱلحقيقةِ

(وما سارَ فوقَ ٱلماءِ أوطارَ في ٱلهوا   أو ٱقْتَحَمَ ٱلنيرانَ إلا بِهِمَّتي)

وَهَلْ سار فوقَ ٱلماءِ أوطار في ٱلهوا   أو ٱقْتَحَمَ ٱلنيرانَ إلاّ ٱبنُ جِنَّةِ

فأملاكُ ربي لا تطيرُ مَعَ ٱلهوا   وما للهوا ٱلتأثيرُ فيها بِنَزْلَةِ

وَلَمْ يُلْقِ إبراهيمُ في ٱلنارِ نَفْسَهُ   ونوحٌ علا في ٱلماءِ مَتْنَ ٱلسفينَةِ

(وَعَنِّي مَنْ أَمْدَدْتُهُ برقيقةٍ   تَصَرَّفَ عَنْ مجموعهِ في دقيقةِ)

وَمَا لَكَ لم تَمْدُدْ قصيدَكَ بٱلذي   زَعَمْتَ فتجلو منكَ بَيِّنَ حُجَّةِ

(وفي ساعَةٍ أوْ دونَ ذلكَ مَنْ تَلاَ   بِمَجْمُوعِهِ جمعي تلاَ أَلْفَ خَتْمَةِ)

كذاكَ بِلَمْحٍ لو تَلاَ ٱلذكرَ جَمْعُنا   سَنَخْتِمُ بٱلمجموعِ مليونَ خَتْمَةِ

(وَمِنِّيَ لو قامَتْ بِمَيْتٍ لطيفَةٌ   لَرُدَّتْ إليهِ روحُهُ وأُعيدَتِ)

فَهَلاَّ إذاً يا فُرْضُ قُمْتَ منَ ٱلثرى   وإنّا لَنَرْضَى منكَ نِصْفَ دقيقةِ

(هيَ ٱلنَّفْسُ إنْ أَلْقَتْ هَوَاها تضاعفَتْ   قُوَاها وَأَعْطَتْ فِعْلَها كُلُّ ذَرَّةِ)

«معجزات الأنبياء»

أَمَا أَلْقَتِ ٱلأهواءَ نَفْسُ محمدٍ ... وأنفسُ رُسْلِ ٱللَّهِ مِنْ كُلِّ أمةِ

فَمَا لَهُمُ لم يفعلوا ما ٱدَّعَيْتَهُ ... وَظَلُّوا جميعاً في ٱفتقارِ ٱلعبودةِ

فَمِنْ نفسهِ لم يوحِ شيئاً نَبِيُّنا ... وكانَ منَ ٱلرحمٰنِ وحيُ ٱلنبوةِ

ومنْ نفسهِ ما صار موسى مُكَلَّماً ... وَمِنْ رَبِّهِ ٱلتكليمَ نالَ بنعمةِ

وكانَ بإِذنِ ٱللَّهِ يُحْيي ٱبنُ مريم ... وَيَضْرَعُ للمولى بإحياءِ مَيِّتِ

فَمِنْ نفسهِ لا يستطيعُ ٱبنُ مريم ... ولا ٱلملأُ ٱلأَعْلَوْنَ إحياءَ نَمْلَةِ

ومنْ نفسهِ ما تَابَ آدمُ إذْ عَصَا ... إلى أَنْ عليهِ ٱللَّهُ مَنَّ توبةِ

وَلَمْ تُنجِ إبراهيمَ في ٱلنارِ نَفْسُهُ ... ولا نَفْسُ نوحٍ للسفينةِ نَجَّتِ

فَكَانَ بأمرِ ٱللَّهِ للنَّارِ مُنطَفَا ... وكانَ بِبِسْمِ ٱللَّهِ جَرْيُ ٱلسفينةِ

فَمَا معجزاتُ ٱلأنبيا منْ نفوسهم ... ولكنها مِنْ فَضْلِ رَبِّ ٱلنبوةِ

(وناهيكَ جمعاً لا بفرق مَسَاحَتَيْ ... مكانٍ مَقيسٍ أو زمانٍ مُوَقَّتِ)

(بذاكَ علا ٱلطوفانَ نوحٌ وقد نجا ... بهِ مَنْ نجا من قومه في ٱلسفينةِ)

(وغاضَ لهُ ما فاضَ عنهُ ٱستِجَادَةً ... وَجَدَّ إلى ٱلجودي بها وٱستَقَرَّتِ)

(وسار وَمَتْنُ ٱلريحِ تَحْتَ بساطهِ ... سليمانُ بٱلجيشينِ فوق ٱلبسيطة)

(وقبلَ ٱرتدادِ ٱلطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَا ... لَهُ عرشُ بلقيس بغيرِ مَشَقَّةِ)

(وأَخْمَدَ إبراهيمُ نار عَدُوِّهِ ... وعن نوره عادَتْ لَهُ روضَ جنةِ)

(ولما دَعَا ٱلأطيار منْ كُلِّ شاهِقٍ ... وَقَدْ ذُبِحَتْ جاءَتْهُ غيرَ عَصِيَّةِ)

(وَمِنْ يده موسى عصاهُ تَلَقَّفَتْ ... مِنَ ٱلسحرِ أهوالاً على ٱلنفسِ شَقَّتِ)

(وَمِنْ حَجَرٍ أجرى عيوناً بضربةٍ　　بها دِيَماً أَسْقَتْ وللبحرِ شَقَّتِ)

(ويوسُفُ إذْ ألقى البشيرُ قميصَهُ　　على وَجْهِ يعقوبَ إليه بأوبةِ)

(رآهُ بعينٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بكى　　عليهِ بها شوقاً إليهِ فَكُفَّتِ)

(وفي آلِ إسرائيلَ مائدةٌ مِنَ السَّما　　ءِ لعيسى أُنزِلتْ ثُمَّ مُدَّتِ)

(وَمِنْ أَكْمَهٍ أبرا وَمِنْ وَضَحٍ عدا　　شفى وأعادَ الطينَ طيراً بِنَفْخةِ)

(وسِرُّ انفعالاتِ الظواهرِ باطناً　　عَنِ الأذْنِ ما ألْقَتْ بإذْنِكَ صيغتي)

وهذا كلامٌ قد نَقَضْناهُ آنفاً　　ومعناهُ بادٍ للقلوبِ التَّقِيَّةِ

(وجاء بأسرار الجميعِ مُفيضُها　　علينا لَهُمْ خَتْماً على حينِ فَتْرَةِ)

ألا لَمْ يَقُلْ في الذكرِ رَبُّ محمدٍ　　بعثناكَ بالأسرارِ بَلْ بالمبينَةِ

فَدَعْ زُخْرُفَ الأقوالِ فَهْيَ وساوسٌ　　تَواحَتْ بها كُفّارُ إنسٍ وَجِنَّةِ

وليسَ رسولُ اللَّهِ كانَ مُفيضَها　　وليستْ بِفَيْضٍ محكماتُ الشريعةِ

وما الفيضُ إلاّ ما تقولُ فلاسِفٌ　　وَقَدْ كذبوا فالربُّ لَيْسَ بِبِرْكَةِ

ولكنها بالحقِّ قَدْ أُنزِلَتْ مِنَ　　الحكيم الحميدِ اللَّهِ رَبِّ البريةِ

تَذَكَّرْ مِنَ القرآنِ رَدّاً عليهِمُ　　لَدُنْ طَلَبُوا التَّبْديلَ منهُ بِطِلْبَةِ

أَلاَ ليسَ مِنْ تِلْقَاءِ نفسي لأُبدِلَنْ　　وإنْ أنا إلاّ تُتْبَعُ الوَحْيَ مُهْجتي

(وما منهُمُ إلاّ وَقَدْ كانَ داعياً　　بهِ قومَهُ للحقِّ عَنْ تَبَعِيَّةِ)

فلولا إذاً كنتَ اتَّبَعْتَ سبيلَهُ　　وسرتَ على آثارِهِ كُلَّ خُطْوَةِ

(فَعالِمُنا منهُمْ نَبِيٌّ وَمَنْ دَعا　　إلى الحقِّ منّا قامَ بالرُّسُلِيَّةِ)

تَعَمَّلَ هذا مِنْ حديثٍ مَفادُهُ　　كَرُسْلِ بني إسرائيلَ أحبارُ أمتي

وليسَ لِذا أَصْلٌ فراجِعْ مقاصِداً　　تَجِدْهُ بِرَقْمِ اثنينِ مَعْ سَبْعِ مِئَةِ

(وَعارِفُنا في وَقْتِنا الأحمديّ مِنْ　　أولي العزم منهُمْ آخِذٌ بالعزيمةِ)

ألاَ أَيُّهذا المدَّعي ذلكَ ائتِنا　　بآيٍ على دعواكَ تبدو أَوِ اسْكُتِ

فهذا ادِّعاءٌ كُلُّنا نستطيعُهُ　　وَمَنْ لَمْ يَخَفْ مولاهُ يَكْذِبْ وَيَبْهَتِ

(وما كانَ منهُمْ مُعْجِزاً صار بعدَهُ　　كَرامَةَ صِدِّيقٍ لَهُ أَو خليفَةِ)

إشارة إلى قوله تعالى: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم سورة يونس الآية (١٥)

إشارة إلى حديث علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل قال في المقاصد (٧٠٢) قال شيخنا ومن قبله الدميري والزركشي إنه لا أصل له زاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر.

إِنِ ٱلأنبياءُ ٱلعلمَ للناسِ وَرَّثوا ... فما وَرَّثُوهُمْ مُعْجِزاتِ ٱلنبوةِ
أَلَمْ تَرَ خيرَ ٱلناسِ بعد نَبِيِّنا ... أبا بَكْرٍ ٱلصدِّيقَ خَيْرَ خَليفَةِ
لَدُنْ كَفَرَ ٱلأعرابُ بعد نَبِيِّنا ... فقال لَهُ ٱلفاروقُ خُذْهُمْ بِأُلْفَةِ
فقالَ لَهُ أنّى لَهُمْ أتألَّفَنْ ... ولستُ بذي وَحْيٍ ولا ذي شريعةِ
لَقَدْ أكملَ ٱللهُ ٱلهُدى بِمُحَمَّدٍ ... فَمَنْ يَرْتَدِدْ فٱلسيفُ قاضي ٱلقَضِيَّةِ
(بِعِتْرَتِهِ ٱسْتَغْنَتْ عنِ ٱلرُّسُلِ ٱلورى ... وأصحابِهِ وٱلتابعينَ ٱلأئمةِ)
(كراماتُهُمْ مِنْ بَعْضِ ما خَصَّهُمْ بِهِ ... بما خَصَّهُمْ مِنْ إرْثِ كُلِّ فضيلة)
(فَمِنْ نُصْرَةِ ٱلدينِ ٱلحَنيفيِّ بعدَهُ ... قتالُ أبي بكرٍ لآلِ حَنيفَةِ)
(وساريةُ ٱلجاهُ للجبلِ ٱلنِّدا ... ءُ منْ عُمَرٍ وٱلدارُ غيرُ قريبةِ)
(وَلَمْ يَشْتَغِلْ عثمانُ عَنْ وِرْدِهِ وَقَدْ ... أدارَ عليهِ ٱلقومُ كأسَ ٱلمنيةِ)
(وَأَوْضَحَ بٱلتأويلِ ما كانَ مُشْكِلاً ... عليٌّ بعلمٍ نالَهُ بٱلوَصِيَّةِ)
(وسائِرُهُمْ مثلُ ٱلنجوم مَنِ ٱقتدى ... بِأَيِّهِمُ منهُ ٱهتدى بٱلنصيحةِ)
كَذَبْتَ أبا ٱلأوهامِ فيما ٱدَّعيتَهُ ... كَدَأْبِكَ فيما تَدَّعي كُلَّ كِذْبَةِ
فبٱلمصطفى ٱستغنى ٱلورى لا بِعِتْرَةٍ ... ولا بِصِحابٍ لا ولا بٱلأئمةِ
لقد أكملَ ٱللَّهُ ٱلهدى برسولِهِ ... وَكُلُّ ٱلهدى ما بينَ ذكرٍ وَسُنَّةِ
فَمَا ثَمَّ نَقْصٌ بعدَ «أكملتُ دينكُمْ» ... وَمَا ثَمَّ نَقْصٌ بعد «أَتْمَمْتُ نعمتي»
فَأُقْسِمُ بٱللَّهِ ٱلذي ٱلعِزُّ عِزُّهُ ... لَهُ ٱلحُكْمُ وٱلرُّجعى إليهِ بِأُخْرَةِ
لَحَقٌّ على أبناءِ آدمَ لازمٌ ... مُتَابَعَةُ ٱلمبعوثِ مِنهُمْ بِمَكَّةِ
فما نَزَلَتْ ٱليومَ أَكْمَلْتُ دينكُمْ ... على غيره من بين جَمْعِ ٱلبريةِ
وما نَزَلَتْ ٱليومَ أكملتُ دينكُمْ ... على عترةٍ أو صاحِبٍ أو أئمةِ
فلا وَحْيَ للإنسانِ بعدَ محمدٍ ... ولا بَعْدَهُ في ٱلناسِ صاحِبُ عصمةِ
وَكَيْلا يَضِلَّ ٱلناسُ قالَ نَبِيُّنا ... تَرَكْتُ لكم ذكرَ ٱلإلهِ وسنتي
فَإِنْ يَرْوِ راوٍ عنهُ قال وعترتي ... فَشُكٌّ بها وٱلزَمْ سبيلَ ٱلمحجَّةِ
وحينئذٍ فٱلحكمُ للذِّكرِ بيننا ... وَمَنْ يَحْتَكِمْ للذكرِ يَرجعْ بِذُكْرَةِ

فقد أخبرَ ٱلرحمٰنُ بٱلحقِّ أنَّهُ   إلى ٱلمصطفى أوحى بذكرٍ وحكمةِ

فَمَنْ يأبَ قَوْلَ ٱللَّهِ فٱلنَّارُ أوْيُهُ   وَمَنْ يَرْضَ قَوْلَ ٱللَّهِ يَنْعَمْ بِجَنَّةِ

وأينَ يُرى ٱلإشكالُ في دينِ رَبِّنا   لِيُوضِحَهُ زعماً عليٌّ بِوُضْحَةِ

وقالَ لنا ٱلرحمٰنُ أنزلتُ بَيِّناً   وهذا صراطٌ مستقيمُ ٱلطريقةِ

وقالَ عليٌّ عندما ٱلناسُ أَلْحَفُوا   أأَوْصى لكَ ٱلمختارُ أيَّ وَصِيَّةِ

فقال لَهُمْ لا وٱلذي بَرَأَ ٱلورى   فَمَا خَصَّني ٱلمختارُ دُونَ ٱلبريةِ

(وللأولياءِ ٱلمؤمنينَ بهِ وَلَمْ   يَرَوْهُ ٱجْتِنا قُربٍ لِقُرْبِ ٱلأخوةِ)

(وَقُرْبُهُمُ معنى لَهُ كٱشتياقِهِ   لَهُمْ صورةٌ فٱعجبْ لِحَضْرَةِ غَيْبَةِ)

ولو كُنْتَ منهُمْ لاتبَّعْتَ سبيلَهُ   فآيةُ مَنْ تعني ٱتّباعُ لِسُنَّةِ

(وأهْلُ تَلَقِّيْ ٱلروحِ باسمي دَعَوْ إلى   سبيلي وَحَجُّوا ٱلملحدينَ بِحُجَّتي)

(وكُلُّهُمُ عَنْ سَبْقِ معنايَ دائِرٌ   بدائرتي أوْ واردٌ من شريعتي)

(وإني وإنْ كنتُ ٱبنَ آدمَ صورةً   فلي فيه معنًى شاهِدٌ بأُبُوَّتي)

(ونفسي على حَجْرِ ٱلتَّجلي بِرُشْدِها   تَجَلَّتْ وفي حِجْرِ ٱلتَّجلي تَرَبَّتِ)

(وفي ٱلمهدِ حزبي ٱلأنبياءُ وفي عنا   صِري لوحيَ ٱلمحفوظُ وٱلفتحُ سورتي)

(وقبلَ فِصَالي دونَ تكليفِ ظاهري   خَتَمْتُ بِشَرْعي ٱلموضحي كُلَّ شِرْعةِ)

(فَهُمْ وٱلأُلى قالوا بقولِهِمُ على   صِرَاطِيَ لم يعدوا مَوَاطِيءَ مِشْيَتي)

(فَيُمْنُ ٱلدُّعاةِ ٱلسابقينَ إليَّ في   يميني ويُسْرُ اللاَّحقينَ بِيَسْرَتي)

(ولا تَحْسَبَنَّ ٱلأمرَ عَنِّي خارجاً   فما سادَ إلاّ داخِلٌ في عُبُودتي)

(ولولايَ لَمْ يُوجَدْ وجودٌ ولم يَكُنْ   شهودٌ وَلَمْ تُعْهَدْ عُهودٌ بِذِمَّتي)

(فلا حَيٌّ إلاّ عَنْ حياتي حياتُهُ   وطوعُ مرادي كُلُّ نَفْسٍ مريدةِ)

(ولا قائِلٌ إلاّ بِلَفْظي مُحَدِّثٌ   ولا ناظِرٌ إلاّ بناظِرِ مُقْلَتي)

(ولا مُنْصِتٌ إلاّ بِسَمْعِيَ سامِعٌ   ولا باطِشٌ إلاّ بِأَزْلي وَشِدَّتي)

(ولا ناطِقٌ غيري ولا ناظِرٌ ولا   سميعٌ سوائي منْ جميع ٱلخليقةِ)

خَلَطْتَ صفاتٍ في صفاتٍ فَمَرَّةً   تَراءَيْتَ رَبّاً ثُمَّ عبداً بِمَرَّةِ

وَيَسَّرْتَ أَمْرَ ٱلإنْقِضَاضِ عليكَ إذْ   رجعتَ إلى إثباتِ وَصْفِ ٱلعبودةِ

فَأَثْبَتَّ عيشاً منكَ في ٱلمهدِ قد مضى   وأثبَتَّ نفساً في ٱلتجلّي تَرَبَّتِ

وأحسنُ من هذا ومن ذاكَ كُلِّهِ   رجوعُكَ عَنْ طَوْعٍ لِطَبْعِ ٱلخليقَةِ

فأنت إذاً فيما ٱفتخرتَ بهِ هنا   على غيرِ ما معنى ٱتحادٍ وَوَحْدَةِ

فأضحى مفادُ القولِ إنك ها هنا   تسودُ بذاتٍ منك كُلَّ ٱلبريةِ

وإنْ هُوَ إلا ما تقولُ وَتَنْتَشي   وتأتي بأوصافِ الدَّعاوىٰ ٱلعظيمةِ

تعالَ إذاً حتى نناقِشَ ما ترى   أقولُ بِوَغْيٍ أَمْ غِلابٌ بِعَيَّةِ

وعنكَ هنا مني جَعَلْتُ مُدَافِعاً   لِيُنْظَرَ في دعواكَ مِنْ كُلِّ كِلَّةِ

فدعواك «أهلُ ٱلروحِ بٱسمكَ قد دَعَوْا»   وتعني بهم لا رَيْبَ أَهْلَ النبوةِ

فإنْ قيلَ لِمْ لَمْ يذكروا ٱسمَكَ للورى   فحينئذٍ يأتي بَيَانُ ٱلقَضِيَّةِ

فإمَّا هُمُ نَادَوْا بذكركَ ظاهراً   وإمَّا هُمُ أَخْفَوْهُ باطِنَ خُفْيَةِ

ففي ظاهِرٍ لَمْ يذكُرِ ٱسمك ذاكرٌ   وهذا جَلِيٌّ للعيونِ ٱلعَمِيَّةِ

وفي باطنٍ إنْ كانَ حقاً فلازمٌ   عليك لنا إظهارُ باطنِ دَعْوَةِ

وإنَّا لَنَرْضَى منكَ أن تَتَأَوَّلَنْ   على أنْ ترينا عنكَ لَمْحَ أَدِلَّةِ

فَلَسْتَ منَ ٱلقرآنِ في أيِّ لَفْظَةِ   ولستَ من التوراةِ في أيِّ لفظةِ

ولستَ من ٱلإنجيلِ في أيِّ صفحةِ   ولا مِنْ زبورٍ أنت في أيِّ صفحةِ

وإنَّكَ مِنْ أبناءِ آدَمَ صورةً   ويعلمُ رَبُّ ٱلعرشِ ما خَلْفَ صورةِ

ودعواك معنًى شاهدٌ بأبوتي   سَتُسْئَلُ عنها يوم حَشْرٍ وَبِعْثَةِ

ونفسُكَ في كُتَّابِ طفلٍ تَعَلَّمَتْ   نصيباً وفي أعضاءِ جِسْمٍ تَرَبَّتِ

وحزبُكَ في مهدِ ٱلطفولةِ دُمْيَةٌ   وَثَدْيُ رِضَاعٍ وٱلتِفَافٌ بِخِرْقَةِ

وَقَبْلَ فِصَالٍ كنتَ أُمَّكَ حارماً   لذيذَ منامٍ في ليالٍ طويلةِ

وإنَّ ٱلذي أَدَّتْ عَنِ ٱللَّهِ رُسْلُهُ   يراكَ على مَمْشَى ضلالٍ وَفِتْنَةِ

وفي يَدَيِ ٱلرحمٰنِ أسماءُ خَلْقِهِ   وأيدي الورى تفنى بِبَاطِنِ تُرْبَةِ

وما سادَ إلاَّ عَابِدُ ٱللَّهِ وَحْدَهُ   وَمَنْ يَعْبُدِ ٱلطاغوتَ يُقْمَعْ وَيُكْبَتِ

وقبلكَ كانَ ٱللَّهُ للخلقِ مُوجِداً — وبعدَكَ مِمَّا ٱللَّهُ أدرى بِعِدَّةِ

هُوَ ٱللَّهُ يُحيي ٱلخلقَ لا أَنْتَ وٱلمرا — دُ للَّهِ في ٱلتدبيرِ لا للخليقةِ

وَمَا بِكَ نُطْقُ ٱلقائلينَ وَسَمْعُهُمْ — وما بِكَ ما منهُمْ بأَزْلِ وَشِدَّةِ

ولكنْ بِحَوْلِ ٱللَّهِ ذا ٱلخَلْقُ كُلُّهُ — وبٱللَّهِ ما في ٱلخلقِ منْ كُلِّ قُوَّةِ

وها أنتَ ذا ٱلدنيا تَرَكْتَ ٱبنَ فارضٍ — وما زالتِ ٱلدنيا بخيرٍ ونعمةِ

«نَفْيُ دعوى الفيض بإثبات وجود القبح في بعض الخلق»

(وفي عالم ٱلتركيب في كل صورة ... ظهرتُ بمعنىً عنه في الحسن زينتي)

فَأَنْتَ على دعواكَ هذي ظَهَرْتَ في ... حـمـارٍ وخـنـزيـرٍ وَقِـرْدٍ وفـأرةِ

فإنْ قلتَ ما في ٱلخَلقِ ذاتٌ قبيحَةٌ ... حَجَجناكَ مِمّا تَدَّعيهِ بِحُجَّةِ

فأنتَ ترى في كُلِّ لفظٍ حقيقةً ... فأينَ إذاً تحقيقُ لَفظِ ٱلقبيحةِ

وأدنى ٱلذي يُخزيكَ منكَ بِحُجَّةٍ ... عليكَ مَقالٌ من بيوتٍ قريبةِ

«ولا قائِلٌ إلاّ بِلَفظي مُحَدِّثٌ» ... وقد قيلَ قُبْحٌ فَهْوَ منكَ بِلَفْظَةِ

بلى فُرْفُضٌ في ٱلخَلْقِ قُبْحٌ حقيقةً ... وَكَمْ في وُجودِ ٱلقُبْحِ مِنْ عَيْنِ حِكْمَةِ

فمنها ٱنْتِفَا دَعْوى ٱلفُيُوضِ فَرَبُّنا ... جميلٌ لهُ عزُّ ٱلصفاتِ ٱلجميلةِ

فحاشا علاهُ أَنْ يَفيضَ قبائحاً ... وحاشاهُ عَنْ أوصافِ طَفٍّ وَفَيْضَةِ

ولولا أرسطو كانَ حقاً مُفَكِّراً ... لأَبْصَرَ هذا قَبْلَ إلقاءِ فكرةِ

ولكنْ أرسطو كانَ أعمَى فؤادُهُ ... لِمَا فاتَهُ مِنْ نَيِّراتِ ٱلنبوةِ

فَقُلْ للذي ينفي وجودَ قباحَةٍ ... لعمري لقد أَثْبَتَّها في ٱلمحبةِ

فكائِنْ تَرَى في ٱلأرضِ مِنْ كُلِّ مَرْأَةٍ ... فما لَكَ لَمْ تَخْتَرْ سوى عينِ مرأةِ

فَإِنْ قيل إنَّ ٱلفأرَ يعشقُ فأرةً ... يراها كما لُبْنَى تراءَتْ لِعُرْوَةِ

فهذا صحيحٌ بين فأرٍ وفأرةٍ ... وليسَ صحيحاً بينَ مرءٍ وفأرةِ

وحيثُ يُرى ٱلإنسانُ سيِّدَ ذا ٱلورى ... بما جعل ٱلمولى لَهُ كخليفةِ

وحيثُ نَرى في كلِّ نفسٍ من الورى ... ميولاً وإعراضاً بِقَدْرٍ وَنِسْبَةِ

فَذَا يَقْتَني خَيْلاً وذا ٱلكلبَ يَقْتَني وذا عِلْقُ نَسْنَاسٍ وذا عِلْقُ هِرَّةِ
فحينئذٍ ما أجمعَ ٱلناسُ أنَّهُ قبيحٌ فَلَنْ يعدو ٱتّصافاً بِقُبْحَةِ
وحيثُ ترىٰ كُلُّ ٱلورى ٱلوَرْدَ حَسَّنُوا وَقَدْ قَبَّحُوا ٱلأشواكَ فٱقْنَعْ بِحُجَّةِ
(وفي كُلِّ مَعْنًى لم تُبِنْهُ مظاهري تَصَوَّرْتُ لا في صورةٍ هَيْكَلِيَّةِ)

«حدودية المخلوق»

إذا كنت مخلوقاً فأنتَ مُهَيْكَلٌ ... ولو كنتَ لفظاً في فَضاءٍ مُشَتَّتِ
فَكَمْ حولنا مِنْ هَيْكلٍ لا نُحِسُّهُ ... لَهُ عالَمٌ ثانٍ لَدُنْ ذاتِ غُرْفَةِ
وقد أَقْسَمَ ٱلمولى بما يُبْصِر ٱلورى ... وبٱللَّذْ هُمُ لا يُبْصرونَ بِمُقْلَةِ
فإنَّكَ موجودٌ بِحَدٍّ وصورةٍ ... وربُّكَ يعلو عَنْ حدودٍ وصورةِ
(وفيما تراهُ الروحُ كَشْفَ فراسَةٍ ... خفيتُ عنِ ٱلمعنى ٱلمعَنَّى بِدِقَةِ)
فإنْ تَخْفَ عَنْ معنًى وما هُوَ ما تَرَى ... فليس على الرحمنِ شيءٌ بِخُفْيَةِ
وإذْ أنتَ محدودٌ فَأَنَّى تَجَوَّلَتْ ... بك ٱلروحُ وٱلأفكارُ فَهْيَ بِبُقْعَةِ
فلا شيءَ فوقَ ٱلروح وٱلفِكْرِ وٱلرؤى ... وفوقَ ٱلمعاني غيرُ كُنْهِ ٱلألوهة
(وفي رَحَمُوتِ ٱلبَسْطِ كُلِّيَ رَغْبَةٌ ... بها ٱنْبَسَطَتْ آمالُ أهلِ بَسِيطتي)
(وفي رَهَبُوتِ ٱلقَبْضِ كُلِّيَ هَيْبَةٌ ... ففيما أَجَلْتُ ٱلعينَ مِنِّيَ أَجْلَتِ)
(وفي ٱلجَمْعِ بٱلوصفينِ كُلِّيَ قُرْبَةٌ ... فَحَيَّ على قُرْبى جَلالي ٱلجميلةِ)
وَإنّكَ مفعولٌ لِقَبْضٍ وَبَسْطَةٍ ... ولستَ بِفَعّالٍ لِقَبْضٍ وَبَسْطَةِ
ولو كان منكَ ٱلبَسْطُ وٱلقَبْضُ لَمْ تَقُلْ ... فَحَيَّ على قُربى جَلالي ٱلجميلةِ
فإنْ كانَ منك البسط وٱلقبضُ للورى ... فكيفَ ٱلورى تدعو لبسطٍ وقبضةِ
(وفي مُنْتَهى في لَمْ أَزَلْ بِيَ واجداً ... جَلالَ شهودي عَنْ كَمالِ سَجِّيتي)

«دلالة الحروف
على حدودية المخلوق»

وفي مُنْتَهى في حرفُ ياءٍ لهمزة … تَناهَتْ إلى تاءٍ تناهَتْ بِرَبْطَةِ

وفي مُنْتَهى ٱلتَّاءِ ٱرتجاعٌ لهمزةٍ … فها أنتَ في «في» ظَلْتَ في فُلْكِ دَوْرَةِ

(وفي حيثُ لا في لَمْ أزَلْ فِيَّ شاهداً … جَمَالَ وجودي لا بناظر مُقْلتي)

وفي حيثُ لا في حُقَّ في قَبْلَ نَفْيِهِ … وما حُقَّ قبل ٱلنَّفْي يَحْقُقْ وَيَثْبُتِ

(فَإِنْ كُنْتَ مني فَٱنْحُ جَمْعِي وَٱمْحُ فَرْ … قَ صَدْعي ولا تَجْنَحْ لِجَنْحِ ٱلطبيعةِ)

وكيف يُرى مِنْ غيرِ منكَ وَلَمْ تَزَلْ … تقولُ وَلَمَّا بَعْدُ يَنْشَفْ بصفحةِ

«ولا حَيَّ إلاّ عَنْ حياتي حياتُهُ … وطوعُ مرادي كُلُّ نفسٍ مريدةِ»

وكيف يقومُ ٱلصَّدْعُ فيمَنْ مَقولُهُ … ولا باطِشٌ إلاّ بأزلي. وَشِدَّتي

وكيفَ إلى مَحْوِ لِصَدْعِ دَعوَتُهُ … فَهَلاّ رَأَيْتَ ٱلصَّدْعَ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةِ

وَأَنّى لهُ سَمْعٌ وَقَدْ قُلْتَ قَبْلُ لا … سميعَ سوائي مِنْ جميعِ ٱلخليقةِ

وكيفَ إلى فِعْلٍ دَعَوْتَ مُفَعَّلاً … وليسَ لَهُ مِنْ نَفسِهِ أيُّ قُدْرَةِ

(فَدُونَكَها آياتِ إلهامِ حكمةٍ … لِأَوْهَامِ حَدْسِ ٱلحِسِّ عنكَ مُزِيلَةِ)

لَئِنْ كانَتِ ٱلآياتُ ما قُلْتَ آنفاً … فَيَا حَبَّذا ٱلجهلاءُ أُمُّ ٱلجهولةِ

(وَمِنْ قائِلٍ بِٱلنَّسْخِ وٱلمسخُ واقعٌ بِهِ … أبرأ وكُنْ عَمّا يَراهُ بِعُزْلَةِ)

(وَدَعْهُ وَدَعْوى ٱلفَسْخِ وٱلرَّسْخُ لائِقٌ … بِهِ أبداً لَوْ صَحَّ في كُلِّ دَوْرَةِ)

«دعوى الاتحاد ودعوى التناسخ أصلهما واحد»

وَمَالَك مِمَّنْ قالَ بِٱلنَّسْخِ غاضِبٌ ... وَعَمَّنْ يرى فَسْخاً نَهَيْتَ بِعُزْلَةِ

كَأَنَّكَ يا وهمانُ ما قُلْتَ قَبْلَهَا ... ولا قائِلٌ إلا بِلفظي وقولتي

فَهَلْ ينبغي يا فُرْضُ أنْ تَتَغَضَّبَنْ ... لقولٍ وَكُلٌّ منك في كُلِّ لَفْظَةِ

وَمَنْ ذا ٱلذي لِلنَّسْخِ وٱلفَسْخِ يَدَّعي ... سوى مُلْحِدٍ وَغْدٍ عَمِّي ٱلبصيرةِ

فَمَا زَالَ مَنْ يمشي وراءَ محمدٍ ... يُكَفِّرُ مَنْ قالَ ٱلتَّقَمُّصُ دعوتي

وها أنتَ ذا أَدْنى لدينِ تَنَاسُخٍ ... بِدِينِكَ ذا ٱلدَّاعي لِجَمْعٍ وَوَحْدَةِ

فَإلاّ تَكُنْ دعوى ٱلتَّنَاسُخِ زاعماً ... فَمَعْناكَ معناها على فَرْقِ شَعْرَةِ

فَإِنَّكَ وٱلنَّسْخِيُّ تَلْتَقِيَانِ في ... دعاوى ظُهُورٍ وَٱتِّحادٍ وَمَحْوَةِ

مَعاً أنتُما دَعْواكُما عَنْهُ فِضْتُما ... وَدَعْواكُما في ذاتِهِ كُلُّ فِعْلَةِ

فأنت تَرَى إِيَّاهُ أَنَّكَ جَلْوَةٌ ... وذاكَ يرى إِيّاهُ صارَ بِدَوْرَةِ

وَسِيَّانِ فيهِ صِرْتُما أَوْ وَجَدْتُما ... بِذَاتيكُما إِيّاهُ عَنْ حالِ جَلْوَةِ

فلا فَرْقَ فيما بَيْنَ دَعْوَيْكُما إذاً ... سوى في طريقٍ لا بِبَدْءٍ وَخَتْمَةِ

ويأبى على دَعْوَيْكُما أَنَّ رَبَّنا ... تَعَالى وُجُوداً عَنْ وجودِ ٱلخليقةِ

وتأبى على دَعْوَيْكُما صَمَدِيَّةُ ... ٱلإلهِ وما لِلْخَلْقِ مِنْ صَمَدِيَّةِ

وما آدَمُ إلاّ جِبِلَّةُ تُرْبَةٍ ... وقد كانَ وقتٌ لا وجودَ لِتُرْبَةِ

وما ٱلناسُ إلاّ نُطْفَةٌ مِنْ أَبِيهِمُ ... إلى رَحِمٍ في بَطْنِ أُمٍّ أُقِرَّتِ

فَلَمْ يَسْتَطِعْ إحْيَاءَ هُمْ بَطْنُ أُمِّهِمْ ... إلى أن أَتَى إِذْنُ ٱلإلهِ بِنَفْخَةِ

فَلَمّا ٱسْتَتَمُّوا أُخْرِجُوا فَغَذتْهُمْ　　يَدُ ٱللهِ بِٱلنُّعْمى عليهِمْ وَرَبَّتِ

فَلَمّا ٱسْتَوَتْ مِنهُمْ رؤوسٌ وَأَرْجُلٌ　　وطالَتْ ضُلُوعٌ في جسومٍ تَمَطَّتِ

تَنَاسَى بنو ٱلأَنْتَانِ مِنْ أَيْنَ أُخْرِجُوا　　وقالوا أتينا من صفاتِ ٱلأُلُوهَةِ

(وضربي لكَ ٱلأمثالَ مِنِّيَ مِنَّةٌ　　عليكَ بشأني مَرَّةً بعد مَرَّةِ)

وما مَثَلٌ فَهْ تَمُنُّ بِضَرْبِهِ　　كَمِثْلِ عجوزٍ في طريقٍ تَعَرَّتِ

(تَأَمَّلْ مقاماتِ ٱلسّروجيِّ وٱعْتَبِرْ　　بتلوينهِ تَحْمَدْ قَبُولَ مشورتي)

(وتَذرِ ٱلْتِبَاسَ ٱلنَّفسِ بِٱلحِسِّ باطناً　　بِمَظْهرِها في كل شكل وصورةِ)

(وفي قولهِ إنْ مانَ فٱلحقُّ ضارِبٌ　　بِهِ مَثَلاً وٱلنفسُ غيرُ مُجِدَّةِ)

جَعَلْتَ هدى ٱلمولى وَنَهْجَ نَبيِّهِ　　وَرَاءَكَ ظِهْرِيّاً وَغُضْتَ بِبُؤْرَةِ

وأعرضتَ عَنْ أمثالِ حَقٍّ تَنَزَّلَتْ　　وجئتَ إلى أمثالِ كِذْبٍ وَكُذْيَةِ

أَتَزْعُمُ أَنَّ ٱلحقَّ بِٱلمَيْنِ ضارِبٌ　　مِثَالاً أَلاَ كَلاَّ عَدُوُّ ٱلحقيقةِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ حديثَ نَبِيِّنا　　عليهِ مِنَ ٱلرحمنِ سَلْمُ ٱلتحيةِ

لَدُنْ قالَ إنَّ ٱلكِذْب يهدي لِفَجْرَةٍ　　ويهدي إلى ٱلنار ٱلفُجُورُ بِأَخْرَةِ

ودعوى ٱلتباسِ ٱلنَّفْسِ بِٱلحسِّ باطناً　　بِمَظْهَرِها في كل شكلٍ وصورةِ

خَطَاءٌ فَكَمْ نَفْسٍ تَلَبَّسُ باطناً　　خلافَ ٱلذي يبدو عليها بِهَيئَةِ

وشاهِدُهُ في ٱلكَهْفِ إذْ قالَ رَبُّنا　　«وَتَحْسَبُهُمْ» وٱتْبَعْ قراءَةَ سورةِ

فهذا رسولُ ٱللهِ أعْظَمُ مُبْصِرٍ　　وَيَحْسَبُ مَنْ في ٱلنوم في حالِ يَقْظَةِ

وإنْ تَقْتَرِىءْ في ٱلحَشْرِ تَحْسَبُهُمْ» على　　سياقٍ إلى «شَتّى» تُعِذْكَ بِحُجَّةِ

(فَكُنْ فَطِناً وٱنْظُرْ بِحِسِّكَ مُنْصِفاً　　لِنَفْسِكَ في أفعالِكَ ٱلأثريَّةِ)

(وشاهِدْ إذا ٱسْتَجْلَيْتَ نَفْسَكَ ما ترى　　بغيرِ مِراءٍ في ٱلمرائي ٱلصَّقِيلَةِ)

(أَغَيْرُكَ فيها لاحَ أَمْ أَنْتَ ناظِرٌ　　إليكَ بها عند ٱنعكاسِ ٱلأَشِعَّةِ)

«تنزيه الرب عَنْ أفعالِ الخلق»

وهذا مِثَالٌ خَاطِيءٌ يا ٱبنَ فارضٍ ... يُغَرُّ بِهِ ٱلأطفالُ مِنْ قَبْلِ فَطْمَةِ

فإنْ تعكسِ ٱلمرآةُ مِنّيَ صورةً ... فَمَا صَارَتِ ٱلمرآةُ عيناً لصورتي

فإنْ تُكْسَرِ ٱلمرآةُ أبقى كما أنا ... فما كانَ في ٱلمرآةِ أيُّ حقيقةِ

وأنتَ ٱمرؤٌ دعواكَ جَمْعٌ وَوَحْدَةٌ ... وَلَيْسَتْ فقط دعوى مظاهِرِ جَلْوَةِ

وَقَدْ جَلَّ عَنْ دعوى ٱلمظاهِرِ رَبُّنا ... كما جَلَّ عَنْ دعوى ٱتّحادٍ وَوَحْدَةِ

وكيفَ يُرَى ٱلمخلوقُ مرآةَ رَبِّهِ ... وقد قامَ في ٱلمخلوقِ وصفُ ٱلنقيصةِ

وما ٱلخلقُ إلاّ آكلٌ ثُمَّ شارِبٌ ... فَمُسْتَخْرِجٌ رِجساً فَمُفْضٍ لِمَوْتَةِ

فَمَنْ قالَ إنَّ ٱلخَلْقَ مِرآةُ رَبِّهِمْ ... فَقَدْ ألزمَ ٱلمولى بِفِعْلِ ٱلدَّنِيَّةِ

وَقَدْ بَيَّنَ ٱلرحمنُ في ٱلذكِر للورى ... تَنَزُّهَهُ عَنْ مثلِ فِعْلِ ٱلخليقةِ

فما وُلِدَ ٱلمولى وَقَدْ وُلِدَ ٱلورى ... فكيفَ إذاً يبدو بِشَكْلِ بُنُوَّةِ

وليسَ أباً وٱلخلقُ فيهمْ أُبُوَّةٌ ... فكيف إذاً يبدو بِشَكْلِ أُبُوَّةِ

وَجَلَّ جَلالاً عن شَريكٍ وزوجةٍ ... فكيفَ إذاً يبدو بِشِرْكٍ وزوجةِ

ولا يأكُلُ المولى وذا ٱلخلقُ آكِلَ ... فكيف إذا يبدو بنفسٍ أَكُولَةِ

ولا يُؤْخَذُ ٱلمولى بنومٍ وَغَفْوَةٍ ... فكيفَ إذاً يبدو بنومٍ وَغَفْوةِ

وَرَبُّ ٱلوَرَى حَيٌّ وليس بِمَيِّتٍ ... فكيفَ إذاً يبدو بصورةِ مَيِّتِ

وَرَبُّ ٱلورى ٱلرحمنُ ليسَ كَمِثْلِهِ ... فكيفَ إذاً يبدو بِمِثْلٍ وصورة

وَمَنْ يَتَدَبَّرْ ما أَتى ٱلمصطفى بِهِ ... مِنَ ٱلوَحْي يَعْرِفْ رَبَّهُ عَنْ بصيرةِ

(وأَصْغِ لِرَجْعِ ٱلصوت عندَ ٱنقطاعهِ ... إليكَ بأكنافِ ٱلقصورِ ٱلمَشِيدَةِ)

(أَهَلْ كانَ مَنْ ناجاكَ ثَمَّ سواكَ أَمْ سَمِعْتَ خِطَاباً عَنْ صَدَاكَ ٱلْمُصَوِّتِ)
أَتَحْسَبُ يا وَهْمانُ أقوالَ ذا ٱلورى صَدَى قولِ ذاتِ ٱلربِّ عَزَّتْ وَجَلَّتِ
فَقَدْ وَصَفَ ٱلرحمنُ بِٱلحقِّ قولَهُ إذا قال كُنْ للشيء كانَ بقولةِ
فَمَا بالُ قولِ ٱلخَلْقِ ليسَ مُكَوِّناً ولو قال كُنْ مِلْيَارَ مِلْيَارِ مَرَّةِ
وأنتَ تَرَى تَعْمِيمَ جَمْعٍ وَوَحْدَةٍ وأنْ لا سوى في كُلِّ مظهر جلوةِ
فَمَا لِلصَّدى لَمْ يَرْتَجِعْ في مُجَمَّعٍ وأينَ ٱلصَّدَى في أَبْكَم أو بَهيمةِ
أَتَحْسَبُهُ في كَثْرَةِ ٱلجَمْعِ يَخْتَفي وَيَعْجَزُ عَنْ نُطْقٍ لِثِقْلٍ وَعِيَّةِ
فَقَدْ أَنْطَقَ ٱللهُ ٱلجَمَادَ بإذنِهِ وَيُنْطِقُ يومَ الحَشْرِ قِشْرَةَ جِلْدَةِ
بَلى أَنْطَقَ ٱلأشياءَ رَبُّكَ كُلَّها وَسُبْحَانَهُ عَنْ مِثْلِ نُطْقِ ٱلخليقةِ
(وَقُلْ لِيَ مَنْ ألقى إليكَ عُلُومَهُ وَقَدْ رَكَدَتْ منكَ ٱلحواسُّ بِغَفْلَةِ)
(فأصبحتَ ذا علمٍ بأخبار مَنْ مضى وأسرارِ مَنْ يأتي مُدِلاً بِخِبْرَةِ)

«إثبات عبودية النفس بافتقارها إلى خالقها»

أَتَجْهَلُ أَنَّ ٱللهَ عَلَّمَ آدماً ... وقد قالها بٱلحقِّ رَبُّ ٱلحقيقةِ

وتزعُمُ أَنَّ النفسَ تُلْقي لِذَاتِها ... إذا ركدَتْ منها ٱلحواسُّ بِغَفْلَةِ

وماذا عَسَى تُلقي ٱلنفوسُ بِغَفْوَةٍ ... سوى ما تَعَالَتْ عنهُ في غَيْرِ غَفْوَةِ

أَلاَ إِنَّهُ ٱلرَّحمنُ عَلَّمَ ذا ٱلورى ... بإرسالِ رُسْلٍ أَوْ بِتَبْصير فطرةِ

وَقَدْ خَسَفَ ٱلمولى بقارونَ عندما ... تَراءَى بِعِلْمٍ منهُ إيتاءَ ثَرْوَةِ

وَلَيْسَ لِيُدْرَى علمُ آتٍ وسابقٍ ... عَنِ ٱلخَلْقِ إلاَّ منْ طريقِ ٱلشريعةِ

وإِذْ أَنْتَ عَنْ دعواكَ أصبحتَ عارفاً ... بأسرار مَنْ يأتي مُدِلاً بِخِبْرَةِ

فَأَيْنَ هي ٱلأسرارُ يا سُرَّ مَنْ رأى ... فها نَحْنُ نحيا في عُهُودٍ حديثَةِ

فلو كُنْتَ قد أَخْبَرْتَ غَيْباً بِكِلْمَةٍ ... لَقُلْنا إذاً عبدٌ أصابَ بِكِلْمَةِ

فَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَكْتَنا ... إلى حيثُ أَلْقَتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَةِ

ألا أَيُّها ٱلمرءُ ٱلمُؤَلِّهُ نَفْسَهُ ... أَمَا كَانَ أولى أَنْ تَخِرَّ بِخَشْعَةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ تَجْهَلُ غائباً ... وماذا غداً تلقى وَوَقْتَ ٱلمنيةِ

أَلَمْ تَجْهَلِ ٱلأملاكُ حكمةَ خَلْقِنا ... وَلَمْ يَهْدِها إلاّ ٱلإلهُ لِحِكْمَةِ

أَمَا كَانَ قَبْلَ ٱلعلم آدمُ جاهلاً ... أَمَا ظَلَّ لولا ٱللهُ مَنَّ بِجَهْلَةِ

وَلَمّا عَصَى لَمْ يَدْرِ كِلْماً لِتَوْبَةٍ ... فَأَلْقى إليه ٱلربُّ كِلْماً لِتَوْبَةِ

أَمَا كانَ لا يدري ٱلكِتَابَ مُحَمَّدٌ ... ولا ٱلدِّينَ وٱلإيمانَ قَبْلَ ٱلنبوةِ

أما قال نوحُ رَبِّيَ ٱبْني فقالَ لا ... فَلِمْ نَفْسُ نوحٍ لَمْ تُفِدْهُ بِعِرْفَةِ

أَلَمْ يَبْغِ إبراهيمُ لِلْبَعْثِ رُؤْيَةً ... فَلِمْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ كَشْفَ رُؤْيَةِ

أَلَمْ يَعْتَرِضْ موسى على خَضِرٍ فَلِمْ ... إذاً نَفْسُ موسى لَمْ تُغِثْهُ بِحِكْمَة

أَمَا قالَ عيس لَمْ أَكُنْ بَعْدُ حاضِراً ... فَلِمْ نَفْسُ عيسى لَمْ تَصِلْهُ بِحَضْرَةِ

وَمَائِدَةً راموا لِيَسْتَيْقِنُوا بها ... فَلِمْ نَفْسُ عيسى لَمْ تَجِئْهُمْ بِلُقْمَةِ

فَكَيْفَ ترى للنفس وَصْفَ أُلُوهةٍ ... وما ٱلنَّفس إلاّ ما عَلِمْتَ بِحُجَّةِ

(أَتَحْسَبُ ما جاراكَ في سِنَةِ ٱلكرى ... سواكَ بأنواعِ ٱلعلوم ٱلجليلةِ)

أَلَمْ يَرَ إبراهيمَ ذَبْحَ وحيدِهِ ... فَقَالَ لَهُ ٱفْعَلْ ما أُمِرْتَ أُبَيَّتي

أَكَانَ هُنَاكَ ٱلشَّيْخُ يأمُرُ نَفْسَهُ ... بِذَبْحِ ٱلفتى أَمْ كانَ طَوْعَ ٱلمشيئةِ

وكيفَ جليلُ ٱلعلم يأتيكَ في ٱلكرى ... وليس ٱلكَرَى إلا دليلَ ٱلنَّقيصَةِ

فَإنْ قيلَ بعضُ ٱلوَحْيِ جَاءَ نَبِيَّنَا ... بنومٍ فما نومُ ٱلنبيِّ بِغَفْلَةِ

وفي قَوْلِهِ عيني تنامُ ولا ينا ... مُ قلبي لِمَا قُلْنَاهُ أعظمُ حُجَّةِ

وإنْ يكُ بَعْضُ ٱلوحي في ٱلنوم جَاءَهُ ... فَقَدْ كانَ جُلُّ ٱلوَحْيِ يأتي بِيَقْظَةِ

وَقَدْ خَتَمَ ٱلمولى لَهُ ٱلوَحْيَ كُلَّهُ ... عَلَى مَلأِ ٱلأقوامِ في يَوْمِ عَرْفَةِ

فَفي عَرَفَاتِ ٱللهُ أَنْزَلَ رَبُّنَا ... على عَبْدِهِ ٱلأَهْدَى «وَأَتْمَمْتُ نعمتي»

فكيفَ إذاً توحي بِأَنَّهُ في ٱلكرى ... يكونُ ٱخْتِصَاصٌ بٱلعلوم ٱلجَلِيلَةِ

(وما هيَ إلاّ ٱلنفسُ عندَ ٱشتغالِها ... بِعَالَمِها عَنْ مَظْهَرِ ٱلبَشَرِيَّةِ)

إلامَ تَرى للنفسِ وصفَ إلَهِهَا ... وإنْ هيَ إلاّ بعضُ هذي ٱلخليقةِ

ويعلمُ مولانا ٱلنفوسَ وسِرَّها ... وَلَيْسَتْ بما في نفسهِ بِعَلِيمَةِ

كما قالَ عبدُ ٱللهِ عِيسى ٱبنُ مريمٍ ... عليهِ سلامُ ٱللهِ خامِسَ سورةِ

وحيثُ نفوسُ ٱلخَلْق ذائِقَةُ ٱلرَّدَى ... فَذَوْقُ ٱلرَّدى ينفي ٱدِّعاءَ ٱلأُلوهَةِ

فَرَبُّ ٱلورى ٱلحَيُّ الذي لايموتُ وَحْدَهُ ... ٱلحَيُّ فٱفْهَمْ أَيُّهَا ٱلعبدُ وَٱسْكُتِ

(تَجَلَّتْ لها بٱلغَيْبِ في شَكْلِ عَالِمٍ ... هداها إلى فَهْمِ ٱلمعاني ٱلغريبَةِ)

وحيثُ تَجَلَّتْ تِلْكَ في شَكْلِ عَالِمٍ ... ففيها إذاً وَصْفُ ٱفتقارٍ لِهَيْئَةِ

فما تَتَجَلَّى في ملابِسِ غَيْرِهَا ... لِتُجْلَى بها غيرُ ٱلذَّواتِ ٱلفقيرةِ

فإنْ قيلَ قَدْ صَحَّ ٱلحديثُ بِأَنَّنا   نَرَى ٱلربَّ رؤيا ٱلبدرِ في دار جَنَّةِ

فما بَيْنَ مَرْئِيَّيْنِ قامَ تَمَاثُلٌ   هُنَاكَ ولكنْ رُؤْيَةٌ مثلُ رُؤْيَةِ

فَقالَ تَرَوْنَ ٱلربَّ مِنْ غَيْرِ ضِيمَةٍ   كَرُؤْيتِكُمْ للبدرِ مِنْ غَيْرِ ضِيمَةِ

فَدَعْ عَنْكَ تَأْلِيهَ ٱلنفوسِ فإنَّها   مُخَلَّقَةٌ مَقْهُورَةٌ بِٱلمنيةِ

وإنْ رُمْتَ أَنْ تَحْيَا وَتَحْيا بِلا ٱنْتِها   فَكُنْ عَبْدَ ذَاتِ ٱلحيِّ يا عبدُ أَوْ مُتِ

ألا أيُّها الطفلُ ٱلملازمُ مَهْدَهُ   لِيَحْيَا بأوهامِ ٱلخيالِ ٱلمُشَتَّتِ

أَلَمْ يَأْنِ يا مسكينُ أَنْ تَحْطِمَ ٱلدُّمى   وَتَخْرُجَ مِنْ سِرْدَابِ ٱلْفٍ وَلَيْلَةِ

وماذا علينا أنْ نموتَ إذا بَقي   جَلالُ جَمَالِ ٱلعِزَّةِ ٱلأَحَدِيَّةِ

أكادُ أرى روحي وَلَوْ هيَ أُعْدِمَتْ   تَظَلُّ على ذكراهُ في ٱلعَدَمِيَّةِ

تَلَذَّذْ بِحُبِّ ٱللهِ إنْ كُنْتَ عَبْدَهُ   فَلَيْسَ وراءَ ٱلحُبِّ مَعْنًى لِلَذَّةِ

وأُقْسِمُ ما ذاقَتْ نُفوسُ عِبَادِهِ   أَلَذَّ شَراباً مِنْ شَرابِ ٱلعُبُودَةِ

وَأَطْيَبُ أحوالِ ٱلعبادَةِ سَجْدَةٌ   وَأَطْيَبُ سَجْدٍ سَجْدُ ذُلٍّ بِدَمْعَةِ

وَأَهْنَأُ دَمْعِ ٱلعينِ ما يُنْبِتُ ٱلتُّقى   هنالِكَ يَغْشَى ٱلرُوحَ ظِلُّ ٱلسكينةِ

(وَقَدْ طُبِعَتْ فيها ٱلعلومُ وَأُعْلِنَتْ   بأسمائِها قِدْماً بِوَحْيِ ٱلأُبُوَّةِ)

ولو طُبِعَتْ فيها ٱلعلومُ لَمَا أَتَتْ   مِنَ ٱللهِ أَمْلاكٌ بوحيِ ٱلشريعةِ

ولو طُبِعَتْ فيها ٱلعلومُ لَمَا أَتَى   بِألواحِهِ موسى مِنَ ٱللهِ خُطَّتِ

ولو طُبِعَتْ فيها العلومُ لَمَا غَفَتْ   عَنِ ٱلعلمِ بعد ٱلذكر نَفْسٌ وَضَلَّتِ

ولو طُبِعَتْ فيها العلومُ لأُبْطِلَتْ   مِنَ ٱللهِ تنزيلاتُ فَتْحٍ وَنَفْحَةِ

ولو كانَ ما تَفْريهِ لَمْ يَتَّخِذْ لَهُ   نَبِيُّ ٱلهُدى كُتَّابَ آيٍ وسورةِ

وما أُعْلِنَتْ قِدْماً بأسمائها ٱلورى   ولا كانَ ما تدعوهُ وَحْيَ ٱلأُبُوَّةِ

فآدَمُ لَمْ يَدْرِ ٱسمَ داوودَ عندما   أراهُ بنيهِ ٱللهُ كُلاًّ بِعَرْضَةِ

وما لا سمِ يحيى قَبْلَ إظهارِ خلقهِ   وجودٌ بذهنِ ٱلأُمَّةِ ٱلبَشَرِيَّةِ

فَدَعْ عنكَ دعوى ٱلفَيْضِ وٱلطَّبْعِ وٱنْطَبِعْ   بِفَقْرٍ وَذُلٍّ في ثيابِ ٱلعُبُودَةِ

فَبِٱلقَلَمِ ٱلرحمنُ عَلَّمَ خَلْقَهُ   وبِٱلوَحْيِ لا بِٱلفَيْضِ لا بِٱلطبيعة

(وبٱلعلم مِنْ فَوْقِ ٱلسِّوَى ما تَنَعَّمَتْ ... ولكنْ بما أَمْلَتْ عليها تَمَلَّتِ)

فَمَا بَالُ مَنْ لَمْ مِنْ سِوَاهُ يُعَلَّمَنْ ... يَظَلُّ مِنَ ٱلجَهْلاءِ في قَفْرِ حَيْرَةِ

وفي أَظْلَمِ ٱبْنَيْ آدمٍ خيرُ عِبْرَةٍ ... لَدُنْ مِنْ غُرَابَيْنِ ٱسْتَدَلَّ لِدَفْنَةِ

(ولو أَنَّها قَبْلَ ٱلمنام تَجَرَّدَتْ ... لَشَاهَدْتَها مثلي بعينٍ صحيحةِ)

(وتجريدُها ٱلعادِيُّ أَثْبَتَ أَوّلاً ... تَجَرُّدَهَا ٱلثاني ٱلمَعَادِي فَأَثْبِتِ)

فَأَمّا نفوسُ ٱلمؤمنينَ فإنَّها ... تُرَدِّدُ قَبْلَ ٱلنومِ وِرْدَ ٱلنُّبُوَّةِ

تقولُ لَكَ ٱللهُمَّ أسلمتُ مُهْجَتي ... وَفوَّضْتُ في أمري وَوَجَّهْتُ وِجْهَتي

وَتَعْلَمُ أَنَّ ٱلنومَ مَوْتٌ فَتَلْتَجي ... إلى ٱللهِ في حَالَيْ مَنَامٍ وَمَوْتَهِ

وَأَما نفوسُ ٱلفاسقينَ فَلَمْ تَزَلْ ... تَجَرَّدُ جَهْلاً مِنْ لباسِ ٱلعُبُودَةِ

فيأتي إليها وَهْمُها فَيَقُودُها ... فَتَحْسَبُها في ٱلجَوِّ وَهْيَ بِلُجَّةِ

ودعواكَ أنَّ ٱلنفسَ تدري مَعَادَها ... بِتَجْريدِها ٱلعادِيِّ معكوسُ حُجَّةِ

فَمَا بَالُهَا لَمْ تَدْرِ سِرَّ مَعَادِها ... وَلَمْ تَنْتَبِهْ إلاّ بِوَحْيِ ٱلنُّبُوَّةِ

(ولاتَكُ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ دروسُهُ ... بِحَيْثُ ٱسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ وٱسْتَقَرَّتِ)

أذو ٱلدَّرْسِ أَمْ ذو ٱللَّبْسِ طاش بِلَبْسِهِ ... أم ٱلآن تُجلى في «رَمَتْني وَوَلَّتِ»

(فَثَمَّ وراءَ ٱلنَّقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ ... مَدَارِكِ غاياتِ ٱلعقولِ ٱلسليمةِ)

وماذا وَرَاءَ النَّقْلِ وٱلنَّقْلُ قَدْ أَتَى ... عَنِ ٱلماجدِ ٱلعالي وَرَاءَ ٱلخليقةِ

كما لَيْسَ بعد ٱللهِ أيُّ حقيقةٍ ... كذا لَيْسَ بعدَ ٱلوحي أيُّ حقيقةِ

(تَلَقَّيْتُهُ مني وعني أَخَذْتُهُ ... وَنَفْسِيَ كانَتْ مِنْ عطائي مُمِدَّتي)

فَهَلاّ إذاً مَدَّتْكَ نَفْسُكَ مَرَّةً ... بحرفٍ جديدٍ أو بِآيٍ جديدةِ

(ولا تَكُ بِٱللاهي عَنِ ٱللَّهْوِ جُمْلَةً ... فَهَزْلُ ٱلملاهي جِدُّ نَفْسٍ مُجِدَّةِ)

أَهَزْلَ ٱلملاهي بعد صَوْلٍ وَجَوْلَةٍ ... أهذا العَطَا ٱللَّذْ منكَ نَفْسُكَ مُدَّتِ

(وإياكَ وٱلإعراضَ عنْ كُلِّ صورةٍ ... مُمَوَّهةٍ أو حالةٍ مُسْتَحِيلَةِ)

(فَطَيْفُ خَيَالِ ٱلظِّل يُهدي إليكَ في ... كَرَى ٱللَّهْوِ ما عنهُ ٱلسَّتائرُ شُقَّتِ)

«خداعُ الصور
وملابسة الشيطان إياها»

وَأَنّى لَهُ ٱلمعنى ليُهْدَى لِمَا تَرَى ... متى صورةً يَقْلى ويدنو لصورةِ

وطيفُ خيالِ ٱلظلِّ هل هُوَ غَيْرُهُ ... فكيفَ تَرَى للظلِّ طيفَ مَخِيلَةِ

وكيفَ تَخَالُ ٱلظلَّ يجلو ستائراً ... وَيَخفى وجودُ ٱلظلِّ دونَ ٱلأَشِعةِ

وَدَلَّتْ على ٱلظلِّ ٱلغَزَالَةُ إِذْ بَدَتْ ... كَمَا فَصَّلَ ٱلمولى بِمُحْكَمِ سورةِ

فما كانَ لا يبدو بغيرِ أَدِلَّةٍ ... فكيفَ إذاً يغدو دليلَ الأَدِلَّةِ

فَدَعْ عنكَ ظِلَّ ٱلوَهْمِ فَهْوَ مُمَوَّهٌ ... وأقبل على أضواء شمس الشريعة

فأذكرتُ من نفسي وكنتُ بروضة ... على حالِ جَذْبٍ مِنْ عهودٍ بعيدةِ

فبينا أنا فيها أَجُوسُ وَأَنْتَشي ... وَأَحْسَبُ رَبْوَ ٱلزَّهْرِ مَجْلى ٱلرُّبُوبةِ

فَلَمّا أَجَزْتُ ٱلروضَ أَلْفَيْتُ قَفْرةً ... تَفانى حمارُ فَوْقَها مُنْذُ مُدَّةِ

تَفانَى وَظَلَّتْ منهُ صُورَةُ وَجْهِهِ ... فَأَلْفَيْتُني إذْ ذاكَ أُغْشَى بِرَهْبَةِ

وَأَحْسَسْتُ بي صوتاً يُدَوِّي بداخلي ... وَيَعْزِلُني عَنْ كُلِّ كَوْنٍ وفكرةِ

ألا أيُّها ٱلعبدُ ٱلحمارُ ألا ٱنْتَبِهْ ... أَتَيْناكَ مِمّا أَنْتَ فيهِ بِنِسْبَةِ

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ غَيْرُ وَجْهِهِ ... فَأَعْرِضْ عَنِ ٱلأزهارِ واسْعَ لِحَضْرَتي

لقد كانَ هذا يومَ ذلكَ فِتْنَةً ... فَكُنْتُ أراني فيهِ صاحبَ نِعْمَةِ

فذلكَ أَدْهى ما يُخَيَّلُ للورى ... إذا سلكوا في غير نهج ٱلشريعةِ

فبينا هنا ٱلإنسان يَحْسَبُ نَفْسَهُ ... تَرَقَّتْ فَيَغْشاها ٱدّعاءُ ٱلربوبةِ

فَمِنْ ها هُنا ضَلَّ ٱبْنُ فارضَ وٱلفتى ٱبْنُ ... سبعينَ وٱلحلاّجُ وٱبنُ عُرَيْبَةِ

تَـرَاءَى لَـهُ فـي كُـلِّ شـيءٍ ظِـلالَـةٌ ... كَمِثْلِ إطارٍ حَفَّ مِنْ حَوْلِ صورةِ
فَيَغْشاهُ منها طيفها بهواتفٍ ... فَيَحْسَبُها تُجلى عليه بِحَضْرَةِ
فَيَفنى بِمَرْئِيَّاتِهِ عَنْ ذَوَاتِها ... فَلَيْسَ يَرَى فيها معاني ٱلخليقةِ
فَيَسْتَغْفِلُ ٱلشيطانُ إذْ ذاكَ جَذْبَهُ ... وَيُوهِمُهُ فيها صفاتِ ٱلألوهةِ
وليسَ ٱلذي منها بدا طَيْفَ ظِلِّها ... بِطَيْفٍ لِظِلٍّ بَلْ طَوَافٌ لِجِنَّةِ
فَمَا مِثْلُ هذا حالُ مُتَّبِعِ ٱلهُدى ... وليسَ على هذا صراطُ ٱلطريقة
وَعَنْ مِثْلِ هذا ٱللَّبْسِ مِنْ قَبْلِ بَعْثِهِ ... إلينا رسولُ ٱللهِ كانَ بِعِصْمَةِ
وكانَ رَسولُ ٱللهِ يُخْبِرُ صَحْبَهُ ... بما كانَ منهُ قَبْلَ عَهْدِ ٱلنبوةِ
فَأَخْبَرَ عَنْ عِرْفَانِهِ حَجَراً لَدَى ٱلصِّبا ... كانَ يُهديه ٱلسلامَ بِمَكَّةِ
فأخبرَ عَمَّا كانَ منهُ حقيقةً ... وَلَمْ يَتَرَاءَى فيه غَيْرَ ٱلحقيقَةِ
فَلَمْ يَسْطِعِ ٱلشيطانُ خَدْعَ محمدٍ ... بِوَهْمٍ وَلَبْسٍ قَبْلَ أَوْ بَعْدَ بِعْثَةِ
وَلَمَّا هَدَى ٱللهُ ٱلنبيَّ إلى ٱلهُدى ... وَأَرْسَلَهُ بِٱلمحكماتِ ٱلمبينَةِ
فَبَيَّنَ أَنَّ ٱلكونَ خَلْقٌ مُعَبَّدٌ ... وَأَنْ لَيْسَ للأكوانِ غيرُ ٱلعبودة
وكانَ لأهلِ ٱلأرضِ أعظمَ مُنْقِذٍ ... فَخَلَّصَهُمْ مِنْ مُلْبَسَاتِ ٱلطبيعةِ
فلا تعبدوا شمساً ولا قمراً ولا ... تَخِرُّوا لِغَيْرِ ٱللهِ في كُلِّ سَجْدَةِ
وكانَ بما يدعو إليهِ مُحَقِّقاً ... فَحَرَّرَهُمْ مِنْ كلِّ شِرْكٍ وَضَلَّةِ
فَأَقْبَرَ جِذْعاً حَنَّ مِنْ بَعْدِ ضَمِّهِ ... وما قالَ إنَّ ٱلجِذْعَ مجلى ٱلألوهةِ
وفي أُحُدٍ لَمَّا ٱسْتَمَالَ بِهِ وَطَا ... عليهِ بِرِجْلٍ قائِلاً أُحُدُ ٱثْبُتِ
وَنَادَى لِخَلْوٍ شَجْرَةً فَتَسارَعَتْ ... فَصَيَّرَها مِرْحَاضَ سَتْرٍ لِخَلْوَةِ
وَمَزَّقَ سِتْراً فيهِ تمثالُ صورةٍ ... وَأَصْدَرَ أمراً طامِساً كُلَّ صُورَةِ
فَلَمْ يَتَراءَى في ٱلخليقَةِ سيِّدُ ٱلخليقَةِ ... يوماً غَيْرَ وَصْفِ ٱلخليقَةِ
فقد أخرجَ ٱللهُ ٱلورى بِمُحَمَّدٍ ... كما جاءَ في ٱلتوراةِ مِنْ سِجْنِ ظُلْمَةِ
فإنْ قيلَ إنَّ ٱلفَتْحَ في ٱلشرعِ ثابتٌ ... فَقُلْ حَدِّدُوا ٱلمقصودَ بِٱلشَّرْعِ يَثْبُتِ
فإنْ قصدوا ما يَدَّعي مُتَوَهِّمٌ ... بِمَحْوٍ وَجَلْوٍ كُذِّبوا بِٱلشريعةِ

وإنْ قَصَدوا نَوْعَ ٱلكرامَةِ صُدِّقوا — على أنْ تُرى مِنْ غيرِ صاحبِ بِدْعَةِ
وإنْ قصدوا ٱلإلهامَ يُحْكَمُ فيهِمُ — وَفيما ٱدَّعَوْا مِنْ بابِ ذكرٍ وَسُنَّةِ
فأذكُرُ مِنْ نفسي وكنتُ مُقارِباً — سلامَ خروجٍ مِنْ صلاةٍ بِبُكْرَةِ
فَأُلْقِيَ في رُوعي وَفاةُ مُعَيَّنٍ — وما كانَ ذاكَ ٱلمرءُ مِنّي بِفِكْرَةِ
فَلَمّا ٱسْتَبَنْتُ ٱلأمْرَ أنْ جِئْتُ دارَهُ — وَجَدْتُ ٱلذي أُلْهِمْتُ عينَ حقيقةِ
فهذي أُمورٌ قَدْ تكونُ بِنَفْحَةٍ — وَرُبَّتَما كانَتْ بِوَسْوَسْ جِنَّةِ
وَقَدْ صَدَّني عَنْ أراها وَساوساً — لَدُنْ أنْ أَتَتْ حالَ ٱلصَّلاةِ وَحَقَّتِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هذا وَأَقْرَبُ لِلْهُدى — وَأَدْنى لِأَنْ يُعْزَى لِفَتْحٍ وَنَفْحَةِ
فَأَذْكَرَتْني ذا سَبْعَ عَشْرَةَ أقتري — حكايات قوم صالحين بِغُرْفتي
فَأَعْجَبَني منها حكايةُ أَسْوَدٍ — تُوُفِّيَ حَوْلَ ٱلبَيْتِ ساعَةَ طَوْفَةِ
فَقُلْتُ إلهي مِثْلَ ذاكَ تَوَفَّني — على أيِّ ما حالٍ هناكَ وَهَيْئَةِ
كَذاكَ دُعائي كانَ ثُمَّ نَسيتُهُ — فوٱللهِ ما أَذْكَرْتُهُ أيَّ لَحْظَةِ
فَإنّي لَفي حَجّي فَأَبْصَرْتُ أُمَّةً — مِنَ ٱلتُّرْكِ حَوْلَ ٱلبيتِ في شَكْلِ حَلْقَةِ
يُصَلّونَ للرحمنِ كُلٌّ بِدَوْرِهِ — وكانوا يُحيطونَ ٱلمصلي بِحَيْطَةِ
وما كانَ منهُمْ ذاكَ إلاّ تَخَوُّفاً — على مَنْ يُصَلّي أنْ يُداسَ بِزَحْمَةِ
فَأَلْفَيْتُني كَبَّرْتُ لِلّهِ داخِلاً — صلاةً لَدُنْ تِلْكَ ٱلجُمُوعِ ٱلغفيرةِ
فَأُقْسِمُ ما ٱسْتَفْتَحْتُ حتّى رَأَيْتُني — أطيرُ مَعَ ٱلطُّوّافِ في غَمْرِ طَوْفَةِ
فَلَمّا بَلَغْتُ ٱلأرضَ مِنْ بعدُ ساجداً — فَداسَتْ على رأسي جموعُ ٱلخليقةِ
فَإنْ لَمْ أَمُتْ حَقّاً هناكَ فإنني — رأيتُ مَرائي ٱلموتِ في ألفِ صورةِ
وما عُدْتُ أستطيعُ ٱلقيامَ لِرَفْعَةِ — وَلَمْ أسْتَطِعْ تحريكَ جسمي لِقَوْمَةِ
هُنالِكَ في ذاكَ ٱلمكانِ ٱلمباركِ — ٱلمُطَهَّرِ مِنْ بيت ٱلإلهِ بِسَجْدَتي
فَأَذْكَرني ٱلرحمنُ ما كُنْتُ داعياً — بِهِ مِنْ لَدُنْ خَمْسٍ تَقَضَّتْ وَمَرَّتِ
أَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ ٱلمجيىءِ لِدارتي — تَمَنَّيْتَ يوماً أنْ تَموتَ بِكَعْبتي
وَقَدْ أُحْضِرَتْ لي حالتي تِلْكَ صورةً — كَمَا تُحْضِرُ ٱلأفلامُ غابِرَ صُورَةِ

فَنَادَيْتُ لا . . لا . . في ضَرَاعَةِ مُشْرِفٍ — بِحَقِّكَ رَبِّي أَجِّلِ ٱلآنَ مَوْتَتِي
فَأُقْسِمُ بِٱلحَيِّ ٱلذي هو سَيِّدي — لَفَرَّجَ عَنِّي قَبْلَ إتْمَامِ دَعْوَتِي
(تَرَى صُورَةَ ٱلأشياءِ تُجْلَى عليكَ مِنْ — وَرَاءِ حجابِ ٱللَّبْسِ في كُلِّ خِلْعَةِ)
(تَجَمَّعَتِ ٱلأضدادُ فيها لِحِكْمَةٍ — فَأَشْكالُها تبدو على كل هيئةِ)
وماذا وَرَاءَ ٱللَّبْسِ يا مَنْ تَلَبَّسَتْ — شياطينُ وَهْمٍ قَلْبَهُ وَتَغَشَّتِ
فَلاَ صُوَرُ ٱلأشياءِ أشياءُ غيرِها — ولا غَيْرُها منها لِشَيْءٍ بصورةِ
وما ٱلكونُ إلاّ ٱلكونُ خَلْقٌ مُكَوَّنٌ — وَرَبُّكَ فَوْقَ ٱلكونِ فَوْقَ ٱلخليقةِ

التنوع

وَمَا خِلْتَها أَضْدَادَ خَلْقٍ تَجَمَّعَتْ تَنَوُّعُ أَنواعِ لإِظْهَارِ قُدْرَةِ
وفي ٱلنَّوْعِ أنواعٌ وفي كُلِّ واحدٍ مِنَ ٱلنَّوْعِ للأنواعِ نَوْعٌ لأمةِ
وفي كُلِّ ما نَوْعٍ تَرَى فَرْدَ نوعهِ تَنَوَّعَ عَنْ أفْرَادِهِ بِفَرِيدَةِ
وفي ذاتِ فَرْدِ ٱلنوعِ أجزاءُ ذَاتِهِ وفي كُلِّ جُزْءٍ منهُ أجزاءُ كَثْرَةِ
وفي جُزْءِ جُزْءِ ٱلجُزْءِ أجزاءُ جُزْئِهِ إلى حيثُ أحْصَى ٱللهُ كُلاًّ بِعَدَّةِ
وفي كُلِّ ذَرَّاتِ ٱلوجودِ تَغَايُرٌ فَمَا ذَرَّةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَذَرَّةِ
وفي كُلِّ ذَرٍّ مِنْ ذُرَيْرَةِ ذَرَّةٍ مَحَلٌّ وجِسْمٌ ذو حُدُودٍ وَصُورَةِ
وَمَهْمَا ٱسْتَحَالَتْ أو تَفَانَتْ فإنها تحولُ وَتفْنَى في حدودِ ٱلخليقةِ
وَمَهْمَا تَحَلَّتْ أوْ تَجَلَّتْ فإنها تَفَاعَلُ فيما بَيْنَها بٱلمشيئةِ
فلا هيَ في ذاتِ ٱلإلهِ ٱنْفِعَالُهَا ولا هيَ ذاتُ ٱللهِ فيها تَجَلَّتِ
فَإنْ شَاءَ أفناها جميعاً بِلَمْحَةٍ وَيُرْجِعُها إنْ شَاءَ في نَفْسِ لَمْحَةِ
وفي بَعْضِها معنى ٱنفرادٍ لِقُدْرَةٍ وفي كُلِّها معنى ٱجتماعٍ لحكمةِ
فَإنْ أُفْرِدَتْ أَبْدَتْ عَجَائِبَ قُدْرَةٍ لِمَنْ لَمْ يَزَلْ يُحْيي لكلِّ جديدة
وإنْ جُمِّعَتْ أَبْدَتْ عَجَائِبَ حكمةٍ لِمَنْ وَسِعَ ٱلأشْيَا بعلمٍ ورحمةِ
وَإفْرادُها أَوْ جَمْعُها أَوْ هُما معاً شُهُودُ ٱنفرادِ ٱلربِّ بٱلأَحَدِيَّةِ
فَفَرْدِيَّةُ ٱلمخلوقِ ذاتَ تَمَاثُلٍ وَجَمْعِيَّةُ ٱلمخلوق عَنْ عَدَدِيَّةِ
(صَوَامِتُ تُبدي ٱلنُّطقَ وَهْيَ سواكنٌ تُحَرِّكُ تُهدي ٱلنور غيرَ ضَوِيَّةِ)

أحوال الخلق

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَنْطَقَ خَلْقَهُ ... فَكُلٌّ لِسَانٌ شَاهِدٌ لِلأُلُوهَةِ

يُسَبِّحُ للهِ ٱلسمواتُ وٱلثرى ... وَمَا فيهما مِنْ كُلِّ ذَرٍّ وَذَرَّةِ

وفي كُلِّ نَوْعٍ عَالَمٌ مِثْلُ عَالَمِ ... ٱلأَنَامِ وفي كُلٍّ خُشُوعُ عُبُودَةِ

فَإمَّا تَجِدْ في صامِتِ ٱلخلقِ مَيّتاً ... فَمَا مَيِّتٌ إلاّ فُؤادُ ٱلمُغَطْرِتِ

فَمِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ ٱلحجارةُ أَهْبِطَتْ ... ويخرجُ منها ٱلماءُ مِنْ فَرْطِ خَشْيَةِ

فَمَا لَكَ لَمْ تَقْرَأْ «وإنَّ مِنَ ٱلحِجَا ... رَةِ» ٱقْرَأْ تَجِدْ سِرَّ ٱلجَمَادِ ٱلمُفَتَّتِ

ولا تَسْهُ عَنْ حالِ ٱلجدارِ الذي ير ... يدُ ثُمَّ ٱدَّكِرْ هَلْ مِنْ مُرَادٍ لِمَيِّتِ

وَلَمّا ٱئْتِيَا للأرضِ قالَ وَلِلسَّمَا ... تَدَبَّرْ «أَتَيْنَا طائعينَ» تَثَبَّتِ

هُوَ ٱللهُ رَبُّ ٱلعالمينَ وَغَيْرُهُ ... عَوَالِمُ أَنَّى رَبُّها ٱللهُ رُبَّتِ

فَإنْ شَاءَ أَحْيَاها وَأَخفَى حَيَاتَهَا ... كَمِثْلِ حَيَاةٍ في ٱلخَلايَا تَخَفَّتِ

وإنْ شَاءَ أَفْنَاها وَأَخْفَى فَنَاءَها ... كَمَا لَمْ يَكُنْ شيئاً سَرَابٌ بِقِيعَةِ

وإنْ شَاءَ أَحْيَاها معاً وَأَمَاتَها ... كما حَيَّ جُزْءٌ دونَ جُزْءٍ بِنُطْفَةِ

وَإِنْ شَاءَ كانَتْ دونَ مَوْتٍ وَلاَ حَيَا ... كذي ٱلنَّارِ لا يَحْيَا وليس بِمَيِّتِ

فَمَا ٱلخَلْقُ إلاّ ٱلخَلْقُ في أَيِّ مَظْهَرٍ ... تَرَاءَيتَهُ لَمْ يَعْدُ صِبْغَةَ خِلْقَةِ

(وَتَضْحَكُ إعجاباً كَأَجْذَلِ فَارِحٍ ... وتبكي ٱنتحاباً مِثْلَ ثَكْلى حزينةِ)

(وَتَنْدُبُ إنْ أَنَّتْ على سَلْبِ نعمةٍ ... وَتَطْرَبُ إنْ غَنَّتْ على طِيبِ نَغْمَةِ)

وَهَلْ أَبْصَرَتْ عيناكَ في ٱلخَلْقِ ضاحِكاً ... سوى ٱلقردِ وٱلإنسانِ واسِعَ ضِحْكَةِ

فَإنْ تَبْدُ أنيابُ الوحوشِ فإنها ... كما قال قَبْلي شاعِرٌ ذو ضغينةِ

وليسَ ٱلربيعُ ٱلطَّلْقُ يختالُ ضاحكاً … كما ظَنَّ يوماً بَبَّغَاءُ ٱلقصيدةِ
ولكن «جَعَلْنا ما على ٱلأرضِ زينةً … لِنبلُوَكُمْ» واَقرأْ قِراءَةَ سورةِ
فإنْ تَضْحَكِ ٱلدُّنيا فَمَا ضَحكتْ لنا … ولكنْ علينا ضِحْكُ هذي ٱلدَّنِيَّةِ
وما ضَحِكَتْ إلا على ٱثْنَيْنِ ذي ٱلدُّنا … على غارقٍ فيها وناءٍ بِخَلْوَةِ
فإنَّ ٱلدُّنا كٱلنهر مَنْ جَازَهُ نَجا … وَمَنْ يَلْهُ يَسْتَغْرِقْ وَمَنْ يَأْبَ يُسْحَتِ
وإنَّ ٱلدُّنا تحلو لنفسٍ عَفِيفَةٍ … بما ليس تحلو للنفوسِ ٱلدَّنيئةِ
فإنْ تَعْتَبِرْ بٱلصومِ تُبْصِرْ مقالتي … ففي ٱلصومِ يَزْدَانُ ٱلطَّعَامُ لمُقْلَةِ
فَمَنْ ذاقَ منها لُقْمَةً زالَ سِحْرُها … وَمَنْ كَفَّ عنها كُلَّ كَفٍّ أَضَرَّتِ
فحينئذٍ تبدو كَلَيْلَى لِقَيْسِها … ويغدو يرى فيها صفاتِ ٱلألوهةِ
ولو قَيْسَها ليلى أَنالَتْ وِصالَها … لَمَا نَفْسُ قَيْسٍ في ٱلضَّلالَةِ ظَلَّتِ
فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ ٱلنساءَ لِمَنْكَحٍ … وَلَمْ يَجْعَلِ ٱللهُ ٱلنساءَ لِأَلْهَةِ
فَمَنْ وَطِيءَ ٱلأُنْثى ٱستفاقَ فؤادُهُ … وَمَنْ يَمْتَنِعْ عَنْ وَطْئها يَتَفَلَّتِ
فَطَأْها وَإِلاَّ ٱسْتَعْبَدَتْكَ بِسِحْرِها … فَلَيْسَ يُفَكُّ ٱلسِّحْرُ إلاّ بِوَطْأَةِ
فإنْ تَنْكَسِرْ لِلْكَسْرِ في قَافِ قِبْلَةٍ … فَقَدْ حُقَّ رَفْعُ ٱلضَّمِّ في قَافِ قُبْلَةِ
وإنْ تُبْصِرِ ٱلأَشْيَاءَ تَضْحَكُ فُرَيْفِضٌ … فَمَا ضَحِكَتْ إلاّ عليكَ لِغَفْلَةِ
لَدُنْ ما حَرَمْتَ ٱلنفسَ نِعْمَةَ رَبِّها … فأوحى بها ٱلحرمانُ وصفَ رُبُوبَةِ
كَمَنْ قَعَدُوا زَعْماً مَخَافَةَ فِتْنَةٍ … فقيلَ لَهُمْ ها قَدْ سَقَطْتُمْ بِفِتْنَةِ
أَأَنْتَ أَمِ ٱلرحمنُ أَسْبَغَ نِعْمَةً … وقال لنا ذوقوا عبادِيَ نِعْمَتي
وقالَ كلوا منها وقالَ لنا ٱشربوا … وقالَ ٱنكحوا ما طابَ حِلاًّ بِشِرْعتي
وقالَ لنا لا تُسْرِفوا في مَتَاعِها … فَلَيسَ مَعَ ٱلإسرافِ نَيْلُ مَحَبَّتي
أَيَمْتَحِنُ ٱلرحمنُ فيها عبادَهُ … وتأبى دخولَ ٱلامتحانِ ٱبنَ عَبْدَةِ
فَإِنَّ ٱلدُّنا مثلُ ٱمتحانِ مَدَارِسٍ … سَتَرْسُبُ فيها كُلُّ بَيْضاءَ صَفْحَةِ
وما ضَلَّ ذو ٱلدنيا بِسَدِّ حَوائجٍ … ولكنْ بِحرمانٍ يَضِلُّ وَتُخْمَةِ
ومالَكَ عنها قد بَعُدْتَ بِلُقْمَةٍ … وَلَمْ تَبْتَعِدْ عنها بِمَدٍّ بِمُقْلَةِ

وَلَلنَّهْيُ أولى لِلْعُيونِ وفي «ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ» ٱستبانَةُ حُجَّةِ
وإنْ خِلْتَها تبكي فَلَيْسَ بكاؤها عليكَ وما فيها ٱنفِعَالٌ بِنَدْبَةِ
(تَرى ٱلطَّيْرَ في ٱلأغصانِ يُطْرِبُ سَجْعُها بتغريدِ ٱلحانٍ لديكَ شَجِيَّةِ)
(وَتَعْجَبُ من أصواتها بُلُغَاتِها وَقَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ أَلْسُنٍ أَعْجَمِيَّةِ)
(وفي ٱلبَرِّ تسري ٱلعيسُ تَخْتَرِقُ ٱلفَلا وفي ٱلبحر تجري ٱلفُلْكُ في وَسْطِ لُجَّةِ)
(وَتَنْظُرُ لِلْجَيْشَيْنِ في ٱلبَرِّ مَرَّةً وفي ٱلبحر أخرى في جموعٍ كثيرةِ)
(لِبَاسُهُم نَسْجُ ٱلحديدِ لِبَأْسِهِمْ وَهُمْ في حِمَى حَدَّيْ ظُبَى وأسِنَّةِ)
(وأجنادُ جيشِ ٱلبَرِّ ما بينَ فارسٍ على فَرَسٍ أو راجِلٍ رَبِّ رِجْلَةِ)
(وَأَكْنَادُ جيشِ ٱلبحر ما بينَ راكبٍ مَطَا مَرْكَبٍ أو صاعِدٍ مثلِ صَعْدَةِ)
(فَمِنْ ضاربٍ بِٱلبِيضِ فَتْكاً وطاعنٍ بِسُمْرِ ٱلقَنَا ٱلعَسَّالَةِ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ)
(وَمِنْ مُغْرِقٍ في ٱلنارِ رشقاً بِأَسْهُمٍ وَمِنْ مُحرق بِٱلماءِ زَرْقاً بِشُعْلَةِ)
(ترى ذا مُغيراً باذلاً نَفْسَهُ وذا يُوَلِّي كسيراً تحت ذُلِّ ٱلهزيمةِ)
(وتَشْهَدُ رَمْيَ ٱلمنجنيقِ وَنَصْبَهُ لِهَدْمِ ٱلصَّيَاصي وٱلحصونِ ٱلمَنيعةِ)
(وَتَلْحَظُ أشباحاً تَرَاءَى بِأَنْفُسٍ مُجَرَّدَةٍ في أَرْضِها مُسْتَجِنَّةِ)
(تُبَايِنُ أُنْس ٱلإنس صورةُ لَبْسِها لِوَحْشَتِها وٱلجِنُّ غَيْرُ أنيسةِ)
(وَتَطْرَحُ في ٱلنَّهْرِ ٱلشِّباكَ فَتُخْرِجُ ٱلسِّمَاكَ يدُ ٱلصَّيَّادِ منها بِسُرْعَةِ)
(وَيَخْتالُ بِٱلأَشْرَاكِ نَاصِبُها على وُقُوعِ خِمَاصِ ٱلطَّيْرِ فيها بِحَبَّةِ)
(وَيَكْسِرُ سُفْنَ ٱليَمِّ ضاري دَوَابِّهِ وَتَظْفَرُ آسادُ ٱلشَّرى بِٱلفريسةِ)
(وَيَصْطَادُ بَعْضُ ٱلطَّيْرِ بَعْضاً مِنَ ٱلفَضَا وَيَقْنِصُ بعضُ ٱلوحش بعضاً بِقَفْزَةِ)
(وَتَلْمَحُ منها ما تَخَطَّيْتُ ذِكْرَهُ وَلَمْ أَعْتَمِدْ إلاّ على خَيْرِ مُلْحَةِ)
(وفي ٱلزَّمَنِ ٱلفَرْدِ ٱعْتَبِرْ تَلْقَ كُلَّ ما بدا لَكَ لا في مُدَّةٍ مُسْتَطِيلَةِ)
(وَكُلُّ ٱلذي شَاهَدْتَهُ فِعْلُ واحِدٍ بِمُفْرَدِهِ لكنْ بِحَجْبِ ٱلأَكِنَّةِ)

«شواهدُ التنزيه»

أَرَيْتَكَ لو كانَ ٱلإلهُ كما ترى ... فَفِيمَ إذاً تَسْبِيحُهُ عَنْ نَقِيصَةِ

فَسُبْحَانَهُ يعني تَنَزُّهَ عَنْ صفا ... تِ سوءٍ تعالى ٱللهُ عنها وَقِيلَتِ

فَأَنْتَ إذاً تسبيحَ رَبِّكَ مُبْطِلٌ ... لَدُنْ خِلْتَ ذاتَ ٱللهِ كوناً تَجَلَّتِ

وَمِنْ عَجَبٍ أَثْبَتَّ كُلَّ مقولَةٍ ... عَنِ ٱللهِ إلا محكماتِ ٱلشريعةِ

فأنتَ ترى رُسْلَ ٱلمهيمنِ سُذَّجاً ... وأنَّ دروسَ ٱلوَحْيِ طَيْشٌ بِطَيْشَةِ

وحيثُ أَتَى رُسْلُ ٱلإلهِ بغير ما ... تقولُ أَهُمْ أَمْ أنتَ أهلُ ٱلحقيقةِ

تَعَالَ نُقِمْ ميزانَ عَدْلٍ وإنَّهُمْ ... كِرامٌ وَقَدْ أَصْغَوْا قديماً لِنَمْلَةِ

فَهُمْ وَصَفُوا ٱلرحمن «ليس كَمِثْلِهِ» ... وأنت ترى ٱلرحمنَ في كُلِّ صورةِ

فسائِلْ هُنا يا فُرْضُ نفسكَ صادقاً ... أترضى لها أوصافَ دود وفأرةِ

فإنْ كنتَ لا ترضى وذلكَ بَيِّنٌ ... بِجَعْلِكَهَا فوق ٱلعبير ٱلمُفَتَّتِ

فَمَنْ كانَ يأبى منهُ ريحاً كريهَةً ... فَلَيْسَ لِيَرْضَى منهُ أَقْبَحَ هَيْئَةِ

فكيفَ إذاً أَثْبَتَّ للهِ صورةً ... تَنَزَّهْتَ عنها في إباءٍ وَشِدَّةِ

وسائِلْ هُنا يا فُرْضُ نفسكَ مُنْصِفاً ... أترضى لها أفعالَ أدنى ٱلخليقةِ

أترضى لها تبدو بصورةِ فاعِلٍ ... بما قومُ لوطٍ فيهِ كانوا بِسكْرَةِ

أَمَا طَهَّرَ ٱلرحمنُ لُوطاً وَأَهْلَهُ ... وأحبابَه عن فِعْلِ هذي ٱلرذيلةِ

وسائِلْ هنا يا فُرْضُ نفسكَ عادلاً ... أَتَصْحَبُ إنساناً بهذي ٱلسَّجِيَّةِ

فكيفَ إذاً تَرْضَى لِرَبِّكَ فِعْلَها ... لَدُنْ تجعلُ ٱلقُدُّوسَ في كُلِّ صورةِ

وحيثُ ترى في ٱلوَحْشِ صورةَ آكلٍ ... وصورةَ مأكولٍ يُنَالُ بِقَفْزَةِ

وحيثُ ترى في ٱلصُّورَتَيْنِ إلَهَنَا … فَفَكِّرْ هنا يا فُرْضُ صادقَ فكرة

أرَيْتَكَ لو أبصرتَ آكِلَ كَفِّهِ … أتَرضى بِهِ خِلاًّ سُوَيْعَةَ خُلَّةِ

فكيفَ إذاً ترضى لِرَبِّكَ أنْ يُرَى … أكولاً ومأكولاً بِفِعْلٍ وَهَيْئَةِ

وحيثُ ترى ٱلجَيْشَيْنِ وَسْطَ معاركٍ … وأنَّ كِلا ٱلجيشينِ عينُ ٱلُوهةِ

أرَيْتَكَ لو أبْصَرْت ضاربَ نَفْسِهِ … أتُوليهِ تَوْقيرَ ٱحترام بِنَظْرَةِ

فكيفَ إذاً ترضى لربكَ أنْ يُرى … بصورة مجنونٍ عَمِيِّ ٱلبصيرةِ

وحيثُ ترى ٱلصَّيادَ يُخرجُ سَمْكَةً … وَأنَّهُما عينُ ٱلإلهِ بِفِعْلَةِ

أرَيْتَكَ لو أبصرتَ آكِلَ قَيْئِهِ … ألَسْتَ تُحسُّ ٱلنفسَ منهُ ٱشْمَأزَّتِ

فكيفَ إذاً ترضى لربكَ أنْ يُرى … بصورةِ مَقْبُوحٍ فَعُولٍ لِقُبْحَةِ

وَقَدْ جَاءَ رُسْلُ ٱللهِ أنْ كانَ وَحْدَهُ … وَأنْ خَلَقَ ٱلأشياءَ عَنْ عَدَمِيَّةِ

وأنتَ ترى في خَلْقِ رَبِّكَ ذاتَهُ … وَأنَّ جميعَ ٱلخَلْقِ عَنْ مَظْهَرِيَّةِ

فَأثْبَتَّ للرحمنِ أوصافَ خَلْقِهِ … وَعَجَّزْتَهُ عَنْ فِعْلِ خَلْقٍ بِقُدْرَةِ

فَحَاسِبْ هنا يا فُرْضُ نَفْسَكَ صادقاً … وَقَدْ كَتَبَتْ يُمْنَاكَ شعراً وَخَطَّتِ

وَفَكِّرْ بِبَنَّاءٍ بَنَى وَمُهَنْدِسٍ … وَكُلِّ أخي فِعْلٍ وَصَاحِبِ حِرْفَةِ

فَهَلْ فَعَلُوا أفْعَالَهُمْ في ذَوَاتِهِمْ … أمِ ٱلفِعْلُ منهُمْ كان خَارِجَ مُهْجَةِ

فإنْ قَدِرُوا أنْ يَفْعَلوا في سِوَاهُمُ … بِمَا نُوِّلُوا مِنْ طاقَةٍ بَشَرِيَّةِ

فكيفَ ترى رَبَّ ٱلورى ليسَ قادراً … على ٱلخَلْقِ والإيجادِ عَنْ عَدَمِيَّةِ

وَقَدْ قال رُسْلُ ٱللهِ إنَّ إلَهَنَا … حَفِيظٌ فَلاَ يَنْسَى أُموراً تَقَضَّتِ

وأنتَ على دعواكَ إيّاهُ لَمْ تَزَلْ … ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي أحَبَّتِ

فحاسِبْ هنا يا فُرْضُ نَفْسَكَ صادقاً … وَقَدْ عِشْتَ عُمْراً ذا سنينَ طويلةِ

فَهَلْ كُلُّ شيءٍ في ٱلدُّنا قَدْ فَعَلْتَهُ … بقيتَ على ذِكْراهُ في كُلِّ لَحْظَةِ

فإنْ كنتَ إياهُ وإيَّاكَ لم يَزَلْ … إذاً فاذَّكِرْ أحوالَ حَوْلٍ تَوَلَّتِ

بَلِ ٱذَّكِرَنْ إنْ كُنت إياهُ لَمْ تَزَلْ … خَوَاطِرَ مَرَّتْ فيكَ قَبْلَ دقيقةِ

ففي كُلِّ لَمْحٍ فيكَ تَعْبُرُ فِكْرَةٌ … فَتَنْسى بها ما كانَ سابقَ فكرةِ

فَقَدْ جَاءَ رُسُلُ ٱللهِ منهُ بِحُجَّةٍ … ومالكَ فيما تَدَّعي أَيُّ حُجَّةِ
فلولا على دعواكَ جِئتَ بِمُعْجِزٍ … وإذْ لَمْ تجيءْ فَٱخْسَأْ إذاً وَتَفتَّتِ
(إذا ما أزالَ ٱلسِّتْرَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ … وَلَمْ يَبْقَ بِٱلأشكَالِ إشكالُ رِيبَةِ)
(وَحقَّقْتَ عندَ ٱلكَشفِ أنَّ بنورِهِ … ٱهتَدَيْتَ إلى أفعالِهِ بِٱلدُّجُنَّةِ)
وحيثُ أنا ٱلرَّائي فإنِّي غَيْرُهُ … وَإنِّيَ أيضاً غَيْرُهُ عِنْدَ هِدْيَتِي
فها أنتَ هذا في ٱلنهاية عاجِزٌ … عَنِ ٱثْبَاتِ ما أوهمت حتَّىْ بِلَفظَةِ
(كَذَا كنتُ ما بيني وبينيَ مُسْبِلاً … حِجَابَ ٱلتباسِ ٱلنفسِ في نور ظُلْمَةِ)
(لِأَظْهَرَ بِٱلتَّدْرِيجِ لِلحِسِّ مُؤْنِساً … لها بِٱبتداعي دُفْعَةً بعدَ دُفْعَةِ)
(قَرَنْتُ بِجِدِّي لَهْوَ ذاكَ مُقرباً … لِفَهْمِكَ غاياتِ ٱلمرامي ٱلبعيدَةِ)
ولو كانَ ذا بَيْنَيْنِ ما كانَ واحداً … ولا صَمَداً مَنْ يَنْقَسِمْ يَتَفَتَّتِ
وما بانَ بِٱلتَّدريجِ إلاَّ مُحَدَّدٌ … كَقُرْصِ ذُكَاءٍ طَالِعاً كُلَّ بُكْرَةِ
وَلَمْ يَخْلُقِ ٱلرحمنُ بِٱللَّهْوِ ذَرَّةً … فَبِٱلحَقِّ لا بِٱللَّهْوِ خَلْقُ ٱلخليقةِ
ولا يَضرِبُ ٱلأمثالَ بِٱللهو رَبُّنا … «وبِٱلحقِّ أنزلناهُ» فَٱذكُرْ بسورةِ
(وَيَجْمَعُنا في ٱلمظهرينِ تَشَابُهٌ … وَلَيْسَتْ لحالي حاله بشبيهَةِ)
(فَأَشْكالُهُ كانَتْ مظاهِرَ فِعْلِهِ … بِسِتْرٍ تلاشَتْ إذْ تَجَلَّى وَوَلَّتِ)
(وكانتَ لَهُ بِٱلفعلِ نفسي شبيهَةً … وَحِسِّيَ كَٱلإشكالِ وٱللَّبْسُ سُتْرَتي)
ألاَ ليسَ في ٱلقرآنِ أنَّ لِرَبِّنا … مَظَاهِرَ أشكالٍ وليسَ بِسُنَّةِ
هُوَ ٱلظاهِرُ ٱلعالي بغيرِ مَظَاهِرٍ … وَجَلَّ عَنِ ٱلأشكالِ وٱلمَظْهَرِيَّةِ
وَسَوْفَ يَرَاهُ ٱلمؤمنونَ بِجَنَّةٍ … كما جاءَ حقاً في بَيانِ ٱلحقيقةِ
فَيَنْظُرُ وَجْهَ ٱللهِ سُكَّانُ خُلْدِهِ … على غَيْرِ ما شَكْلٍ وكيفٍ وَهَيئَةِ
ولو كانَ للرحمنِ شَكْلٌ وصورةٌ … فليس لنا تحديدُ شَكْلٍ وصورةِ
فإنَّ عُقُولَ ٱلخَلْقِ تَعْجَزُ أنْ تَرَى … بِكُلِّ خيالٍ ما أُعِدَّ بِجَنَّةِ
فَكَيْفَ إذاً يا صاحِبَ ٱلكَيْفِ تَدَّعي … مِثَالَ ظُهُورٍ في تَشَابُهِ جَمْعَةِ
وناقَضْتَ «إنَّا في الحقيقة واحدٌ» … بِـ «لَيْسَتْ لحالي حالُهُ بِشَبيهَةِ»

وَنَاقَضْتَ إِذْ أَثْبَتَّ ذاتاً شبيهَةً ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبَّتِ

وأنتَ هنا صَيَّرْتَ نَفْسَكَ نِدَّهُ ... وما كانَ هذا منكَ قَبْلُ بِهِمَّةِ

فَمَا لَكَ مِنْ رَبْطِ دَعاوِيكَ أَفْلَتَتْ ... كذي رَسَنٍ مِنْ رَبْطِهِ مُتَفَلِّتِ

(فَلَمّا رَفَعْتُ ٱلسِّتْرَ عني كَرفْعِهِ ... بِحَيْثُ بَدَتْ لي ٱلنفسُ مِنْ غيرِ حُجَّةِ)

(وَقَدْ طَلَعَتْ شمسُ ٱلشهودِ فأشرق ... ٱلوجودُ وَحَلَّتْ بي عُقُودُ أَخِيَّةِ)

(قَتَلْتُ غُلامَ ٱلنفسِ بَيْنَ إقامتي ... ٱلجِدارَ لأحكامي وَخَرْقِ سفينتي)

كَأَنَّكَ يا وَهْمَانُ أَفْلَسْتَ ها هنا ... فَعُدْتَ على رَغْمٍ لحالِ ٱلخليقةِ

فليسَ لمخلوقٍ مَعَ ٱللهِ هِمَّةٌ ... ومهما ٱدَّعى ٱلمخلوقُ يُغْلَبْ بِفِطْرَةِ

فبينا ٱدَّعَيْتَ ٱلرَّفْعَ للسِّترِ مِثْلَهُ ... إذا بكَ تجلو عن صفاتٍ فقيرةِ

ولولا هنا أَلْفَيْتَ ما كنتَ زاعماً ... «ولا فَرْقَ» لَمْ تَذْكُرْ عُهُودَ أَخِيَّةِ

فَأَبْصِرْ بِوَعْيٍ منكَ ما كنتَ زاعماً ... تَجِذْكَ إلى سَفْلٍ زَلَلْتَ بِزَلَّةِ

فَمِنْ قَبْلُ إيَّاها وَمِنْ بَعْدُ نِدَّها ... وها أنتَ هذا ٱلآنَ مِنْ أَهْلِ ذِمَّةِ

ولو كنتَ مَنْ أوهمتَ أَنَّكَ كُنْتَهُ ... لَزَلْزَلْتَ عندَ ٱلرَّفْعِ كَوْنَ ٱلقصيدةِ

فما هُوَ إلاَّ أنْ رَفَعْتَ كَرَفْعِهِ ... بِدَعْوَاكَ حتى صِرْتَ في حالِ خِزْيَةِ

وَإِذْ رُمْتَ رَفْعاً مِنْ رُؤَيْسِكَ لَمْ تَجِدْ ... سوى حالِ عَبْدٍ فَاعِلٍ بِٱلمشيئةِ

فَكُنْ خَضِراً بِٱلوَهْمِ أَوْ أَيَّ خِلْقَةٍ ... ولا تَدَّعي يا عبدُ وصفَ ٱلألوهةِ

وليسَ غلامَ ٱلنفسِ مَنْ خَضِرٌ طَوَى ... ودعوى غلامِ ٱلنفسِ وسواسُ بِدْعَةِ

وكنا رضينا منكَ يا ٱبنَ نُوَيْرِضٍ ... بدعواك هذي لو أتيتَ بِحُجَّةِ

فَقَدْ وَدَّ خيرُ ٱلرُّسْلِ لو ظَلَّ صابراً ... على خَضِرٍ موسى ٱسْتِزاداً لِقِصَّةِ

فَإِنْ خَضِراً أَصْبَحْتَ قُصَّ إذاً سوى ... ثَلاثٍ علينا سورةُ ٱلكهفِ قَصَّتِ

فَمَا لَكَ قَدْ أَذْكَرْتَ ما ٱلوَحْيُ قَصَّةُ ... وما زِدْتَ عمَّا جاءَ وحياً بِنُقْطَةِ

وإذْ أنتَ لَمْ تَفْعَلْ وما كنتَ فاعلاً ... فَلَيْتَكَ للمولى ٱرْتَجَعْتَ بتوبةِ

فَرَبُّكَ جَبَّارُ ٱلقُلوبِ وساتِرُ ٱلـ ... عُيوبِ وَغَفَّارُ ٱلذنوبِ ٱلكبيرةِ

(وَعُدْتُ بِإِمدادي على كُلِّ عالمٍ ... على حَسَبِ ٱلأوقاتِ في كُلِّ مُدَّةِ)

«الغيب في القرآنِ والسنة»

وَمَا لَكَ لَمْ تَمْدُدْ عَوَالِمَ عَصْرِنا ... بِسِرِّ ٱكْتِشَافاتِ ٱلعلومِ ٱلجَديدَةِ

فإنَّ رَسُولَ ٱللهِ قَبْلَكَ قد أتَى ... فَحَدَّث عَنْ كُلِّ ٱلأُمور ٱلحديثةِ

وَحَدَّثَنَا عَنْ أوَّلِ ٱلخلقِ عابراً ... إلَيْهِ إلى ٱلأخرى لنارٍ وَجَنَّةِ

فلا شيءَ مِمّا كانَ أوْ هُوَ كائِنٌ ... مِنَ ٱلخلقِ إلاّ في كتابٍ وَسُنَّةِ

فَمِنْ بَعْضِ ما قَدْ قَصَّ عَنْ قَبْلُ قِصَّةُ ... ٱلملائكِ وٱلشيطانِ وٱلبشريةِ

فجاءَ بما لم يأتِ موسى بِمِثْلِهِ ... وَلَمْ يأتِ عيسى مِنْ أمورٍ كثيرةِ

فليسَ لَدَى أهلِ ٱلكِتَابَيْنِ قَبْلَنا ... مِنَ ٱللهِ إعلامٌ بِجَعْلِ خليفةِ

وَلَمْ يعلموا مجرى حوارِ إلهِنا ... مَعَ ٱلملأِ ٱلأملاكِ بَدْءَ ٱلقَضِيَّةِ

وليسوا على عِلْم بتعليم رَبِّنا ... لوالدنا أسماءَ كُلِّ ٱلخليقةِ

فَهُمْ جعلوا مِنْ نَفْسِ آدَمَ عِلْمَهُ ... وَهُمْ حصروا معلومَهُ بٱلبهيمةِ

وَلَمْ يَعلموا بٱلإمتحانِ ٱلذي جَرَى ... لَدُنْ عَرَضَ ٱلأسماءَ رَبُّ ٱلبريةِ

وَلَمْ يعلموا أَمْرَ ٱلسجودِ لآدَمٍ ... إلى ٱلملأ ٱلأمْلاكِ من بعد حُجَّةِ

وَلَمْ يعلموا مِنْ أصْلِ إبليسَ أنَّهُ ... كما جَاءَ في ٱلقرآنِ مِنْ جِنْسِ جِنَّةِ

وَلَمْ يعلموا ٱستكبارَ إبليسَ بَلْ هُمُ ... فَقَطْ أبصروا إبليسَ في شكل حَيَّةِ

وَلَمْ يعلموا مجرى حوارِ إلَهِنَا ... لإبليسَ مَعْ حُكْمِ بِطَرْدٍ وَلَعْنَةِ

وَلَمْ يعلموا ٱسْتِنظارَ إبليسَ رَبَّهُ ... فَأنْظَرهُ ٱلمولى إلى يومِ بَعْثَةِ

وَلَمْ يعلموا إقْسامَهُ أنْ لَيُغْوِيـ ... ـنَّ إلاّ قليلاً أُمَّةَ ٱلبشريةِ

وَلَمْ يعلموا قولَ ٱلإلهِ لَهُ لَمَنْ ... تَوَلاَّكَ منهُمْ سوفَ أصليهِ نِقْمَتِي

وإذْ حَـذَّرَ ٱلـمـولـى أَبَـانَـا وَأُمَّـنَـا عَـدُوكُـمـا هـذا فـكـونـا بِـحَـيْـطَـةِ
فما علموا هذا ولا علموا ٱلذي بـهِ قـاسَـمَ ٱلـشـيـطـانُ آدَمَ وٱلـتـي
وَهُـمْ حَـمَّـلـوا حَـوَّاءَ آثـام زَلَّـةِ وفـي ٱلـذكـر للزوجيـنِ إثبـاتُ زَلَّـةِ
وَمَـنْ يَـقْـرأ ٱلـقـرآن حَـقَّ قـراءَةٍ يَجِدْ آدماً أولى بوصفِ ٱلـخطيئةِ
فـفـي سُـوَرٍ بـٱلـذنـبِ أُفْـرِدَ آدَمٌ وما أُفْرِدَتْ بـٱلذَّنْبِ حَوَّا بسورة
ففي آدمٍ جاءَتْ «غوى» وعصى» «وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عزماً» فٱقْتَرِىءْ ثُمَّ أَثْبِتِ
وَيُـشْـعِـرُنـا إفـرادُ آدم بـٱلـغِـوَى بِتَحْميلِ راعٍ ثِقْلَ إثْمِ ٱلرعيةِ
فَقَدْ كَانَ مسؤولاً أبونا عن آمنا لِمَا خَصَّهُ ٱلـمولى بِعلمٍ وقوةٍ
وَهُمْ جعلوا تخليقَ حواءَ بعدما أَقَامَ أبـونـا ٱلـبَـرُّ فـي دارِ جَـنَّـةِ
وفي ٱلذِّكْرِ وَهْوَ ٱلحقُّ أَنَّهُما معاً بها أُسْكِنا وٱلذكرُ أعظمُ حُجَّةِ
وَهُمْ جعلوا ما حَرَّمَ ٱللهُ شَجْرَةً عـلـى أَبَـوَيْـنـا رَمْـزَ عِـلْـمٍ وَعِـرْفَـةِ
وإذْ أكَـلاَ فـٱللهُ قـالَ بِـزَعْـمِـهِـمْ لَدُنْ أخرجَ الإنسانَ مِنْ دارِ نعمةِ
لَقَدْ أَصْبَحَ ٱلإنسانُ منا كواحِدٍ بِـعِـلْـمٍ وعـرفـانٍ وَسِـرٍّ وَخِـبْـرَةِ
فَقَدْ جَعلوا ٱلإنسانَ مِثْلَ إلـهِهِ وَقَـدْ أثْـبَـتـوا لله شـركـاً بِـكَـثْـرَةِ
وقد كذبوا فيما ٱفْتَرَوْهُ وَحَرَّفُوا فـلـيـسَ كَـمِـثْـلِ ٱلـعِـزَّةِ ٱلأَحَـدِيَّـةِ
ولو تِلْكَ كانَتْ شَجْرَةَ ٱلعلمِ لَمْ نَكُنْ لنحتاجَ للتشريعِ مِنْ بعد شَجْرَةِ
ولـو كـانَ مـثـلَ ٱللهِ أَصْـبَـحَ آدَمٌ لـمـا ٱحتاجَ تَوْباً أوْ كلاماً لتوبةِ
وما عـنـدهُـمْ مِنْ عِلْـمِ ذلكَ ذَرَّةٌ وَأَنْـزَلَـهـا ٱلـمـولـى عـلـيـنـا بـسـورةِ
فذا جَهْلُهُمْ في قِصَّةِ ٱلخَلْقِ وَحْدَها فـكـيـفَ إذا مـا بُـيِّـنَـتْ كُـلُّ قِـصَّـةِ
وَهُمْ حَدَّدُوا خَلْقَ ٱلسماواتِ وٱلثرى بـأيـام سـاعـاتٍ لـيـومٍ ولـيـلـةِ
وَمِنْ عـنـدِ مولانا أتانا نَـبِـيُّـنـا بـمـا جَـهِـلـوا مِـنْ قَـدْرِ يـومٍ وَمُـدَّةِ
فَـيَـوْمٌ كـألـفٍ مِـنْ سـنـيـنَ وَآخَـرٌ كَـخَـمْـسِـيـنَ ألـفـاً جـاءَ كُـلٌّ بـسـورةِ
وَهُمْ أَثْبَتُوا خَلْقَ ٱلسماواتِ وٱلثرى مِنَ ٱلماءِ فَصْلاً بَيْنَ أرضٍ وَسَمْوَةِ
وَمَنْ يَقْتَرِىءْ في فُصِّلَتْ مِنْ «إلى ٱلسماءِ وَهْيَ دُخَانٌ» يَكْتَشِفْ أَصْلَ خِلْقَةِ

فقد خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمَاءَ مِنَ ٱلدُّخا ... نِ وَهُوَ ٱلمُسَمَّى ٱليومَ غَازِيَّ كُتْلَةِ
وَأَخْبَرَ عَنْ فَتْقِ ٱلسماواتِ وٱلثرى ... لَدُنْ كانتا مِنْ قَبْلُ في حالِ رَتْقَةِ
وأخبر عَنْ سَبْعٍ من ٱلأرضينَ فَهْـ ... يَ مثلُ ٱلسماواتِ ٱحتساباً بِعِدَّةِ
وَأَخْبرَ عَنْ شمسٍ براها مُضِيئةً ... وَعَنْ قَمَرٍ منها بنورٍ أَمَدَّتِ
وعند ذوي ٱلتوارةِ وَصْفُهُما سُوَى ... وبِٱلحَقِّ كُلٌّ منهما ذو طبيعةِ
وَأَثْبَتَ مولانا لِكُلٍّ مَدَارَهُ ... ففي فَلَكٍ كُلٌّ يدورُ بِسُبْحَةِ
وأخبرنا قَبْلَ ٱكتشافِ مَرَاصِدٍ ... بِأَنَّ نجومَ ٱلكونِ جِدٌّ بعيدةِ
وَأَخْبَرَ عَنْ عَشْرٍ وَوَاحِدَ كوكباً ... وعلمُ ٱلورى مِنْ قَبْلُ منها بِسِتَّةِ
وأخبر عَنْ سِرِّ ٱلنَّيازِكِ إذْ رَمَتْ ... جُسُومَ شياطينٍ لِسَمْعٍ تَرَقَّتِ
وأخبرنا عَنْ مَشْرِقٍ وَمَشارِقٍ ... وَعَنْ مشرقينِ ٱثنين كُلٌّ بِنُقْطَةِ
وأخبرنا عن مثلها بمغاربِ ... على حَسْب دورات الفصولِ بدورةِ
وأخبر أن الشمس تجري لمستقر ... ها ذاك تقدير ٱلعزيز بقدرة
وأخبرنا أنَّ ٱلسماءَ تَظَلُّ في ... ٱتّسَاع كمعلوماتِ كَشْفٍ حديثةِ
وأخبر عن غَزْوِ ٱلفَضاءِ مُبَيِّناً ... بِأَنَّا لدى ٱلعُقْبَى نَبُوءُ بِخَيْبَةِ
وأخبر أنَّ ٱلأرضَ دارةُ نِعْمَةٍ ... لِمَاءٍ بهِ دونَ ٱلكواكبِ خُصَّتِ
فأخرجَ منها مَاءَها بَعْدَ دَحْوِها ... وَأَخْرَجَ مَرْعاها بِقَدْرٍ وَنِسْبَةِ
وأخبرنا أنَّ ٱلأَجَابِلَ أُغْرِزَتْ ... بِجَوْفِ ٱلثرى أمثالَ أَوْتَادِ خَيْمَةِ
وأخبرنا أنَّ ٱلرياحَ لَوَاقِحٌ ... وأَنَّ نباتَ ٱلأرضِ أزواجُ كَثْرَةِ
وأخبرنا عَنْ كَفِّ حاجزِ بَرْزَخٍ ... تَدَاخُلَ ماءٍ في بحارِ خَلِيطَةِ
وأخبرنا قَبْلَ ٱكتشافِ مَرَاصِدٍ ... مُفَصَّلَ أنواعِ ٱلرياحِ ٱلعديدةِ
وأخبرنا مِنْ قَبْلِ صُنْعِ مَنَاطِدٍ ... بضيق صدورِ ٱلصَّاعدينَ بِسَمْوَةِ
وأخبرنا عَنْ عَالَمِ ٱلحيوانِ ما ... عرفنا حديثاً أنَّ كُلاًّ كَأُمَّةِ
وأخبر بِٱلتَّفْصِيلِ عَمَّا بَعَصْرِنا ... رأيناهُ مِنْ أطوارِ خَلْقِ ٱلأَجِنَّةِ
وأخبرنا في لَفْظَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ... دواءَ وَسِرَّ ٱلدَّوْرَةِ ٱلدَّمَوِيَّةِ

وَعَيَّنَ أَدْنَى ٱلأَرضِ حيثُ ٱختَفَى ٱلوَغَى ... بـرومٍ وفُرْسٍ في ضَرُوسٍ شـديـدةِ
وأخبر أنَّ ٱلرومَ مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ ... بِبَضع سِنيـنٍ يَغْلِبُونَ بِنُصْرَةِ
وأخبـر أنَّ ٱلـمؤمـنيـنَ سيـفرحـو ... نَ يـومـئـذٍ بـٱلـنَّصْـر ظَاهِـرَ فَرْحَةِ
وَقَدْ نَزَلَتْ هذي لَدُنْ لم يَكُنْ يُظَنُّ ... للمؤمنينَ ٱلمكْثُ فوقَ ٱلبسيطةِ
فَـقَـدْ مَكَـثُـوا وٱللهِ وٱنْـتَـصَـرَ ٱلـورى ... وَقَـدْ فَـرِحُـوا إذْ كِـلْـمَـةُ ٱللهِ حَـقَّـتِ
وَقَـدْ وَعَـدَ ٱللهُ ٱلـنـبـيَّ وَصَـحْـبَـهُ ... فـكـانَ عـلـى مـا قـالَ كـامِـلَ قَـوْلَـةِ
فمنها ٱنْتصارُ ٱلمؤمنينَ بِبَدْرِهِمْ ... وَقَـدْ وُعِـدُوهـا فـٱقْـتَـرِنُـهـا بِـسـورةِ
ومـنـهـا دخـولُ ٱلـمـسـلـمـيـن لـمِـكَّـةٍ ... وَقَـدْ وُعِـدُوهـا فـي زمـانِ ٱلـحُـدَيْـبَـةِ
وقـد دخـلـوهـا آمـنـيـنَ عـلـى ٱلـتـي ... بها وُعِدُوا مِنْ حَالِ نَفْسٍ وَهَيْئَةِ
وَقَـالَ لـقـومٍ عَـنْ تَـبُـوكَ تَـخَـلَّـفُـوا ... أَلاَ لَنْ تَنَالُوا ٱلغَزْوَ بَعْدُ بِصُحْبَتي
فكانوا على ما ٱللهُ أوحى بِقَلْ لَهُمْ ... فَلَمْ يَصْحَبُوهُ بعدُ في أيِّ غَزْوَةِ
وَقَـدْ وُعِـدوا بـٱلـغَـزْوِ بَـعْـدَ نَـبـيِّـهِـمْ ... بِـدَاعٍ سيـدعـوهُـمْ لـحـربٍ شـديـدةِ
فَـلَـمَّـا تَـوَفَّـى ٱللهُ خَـيْـرَ عِـبَـادِهِ ... وَخَـارَ لَـهُ فـردوسَ خُـلْـدٍ وَجَـنَّـةِ
دَعاهُمْ أبو بكرٍ فَسَارَعَ جَمْعُهُمْ ... إلى ٱلقومِ أهلِ ٱلشَّرِّ آلِ حنيفةِ
وَقَدْ مَكَّنَ ٱلمولى لِصَحْبِ محمدٍ ... وَبَدَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ بِأَمْنَةِ
وفازوا بٱلاسْتِخْلافِ في ٱلارضِ مثلما ... مِنَ ٱللهِ حَقَّ ٱلـوعـدُ حقـاً بـسـورةِ
وفي مثلِ هذا للورى خيرُ شاهِدٍ ... على فَضلِ مَدْفُونَيْنِ في خَيْرِ حُجْرَةِ
فـإنَّ أبـا بـكـرٍ وَمَـنْ جـاءَ بَـعْـدَهُ ... خِيَارُ ٱلورى مِنْ بَعْدِ أهلِ ٱلنُّبُوَّةِ
وَرَدَّ على أهلِ ٱلكتابينِ كُفْرَهُمْ ... وَأَخْـبَـرَهُـمْ عَـمّـا يـكـونُ بِـأَخْـرَةِ
سَتَبْقَى عداوات ٱلطَّوائِفِ بَيْنَهُمْ ... بِتَضْرِيفِ إِغْرَاءِ إلى يَوْمِ بِعْثَةِ
وتبقى يهودٌ في عذابٍ مُسَلَّطٍ ... عـلـيـهـا بِـبَـعْـثٍ فَـتْـرَةً بَـعْـدَ فَـتْـرَةِ
وَآخِرُ ما ذاقَ ٱلـيـهـودُ مـنَ ٱلـرَّدَى ... يُـضَـارِعُ مـا ذاقـوهُ فـي ٱلْـفِ مَـرَّةِ
فَقَدْ هَتَكَتْ أفرانُ هِتْلِرَ جَمْعَهُمْ ... وَمِنْ جُرْمِهِمْ نيرانُ جِرْمَانَ شَبَّتِ
ويأتونَ في ٱلعُقْبَى لفيفاً وَهَا هُمُ ... كما قَالَ يَلْتَفُّونَ جَمْعاً بِبُقْعَةِ

وأخبر أنَّ ٱلملكَ فينا تَداوُلٌ ... وأنَّ لِكُلِّ ٱلناسِ أيامَ فُرصَةِ
فَلَنْ يَسْتَمِرَّ ٱلملكُ فينا لِدَوْلَةٍ ... ولكنْ ستأتي دولةٌ بعد دولةِ
وأخبرنا في آيةٍ عَنْ حُروبِنَا ... ٱلعِظَامِ وَعَنْ آلاتِ حَرْبٍ جديدةِ
فَيَلْبِسُنَا فيها وَيَأْتِيَنا ٱلعَذَا ... بُ مِنْ فوقُ أَوْ مِنْ تَحْتُ بَغْتاً بِقُدْرَةِ
فَأَلْبَسَنا في حَرْبِنَا شِيعاً كما ... رأينا جميعاً في عُصُورٍ حديثةِ
وَقَدْ حَلَّقَتْ مِنْ فَوْقِنا طَائِرَاتُنَا ... يُصَبُّ بِها مِنّا علينا بِقَسْوَةِ
وَقَدْ جاءَنَا مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِنَا مُفَخَّخا ... تٌ بِٱلغامِ ٱلمَنَايا ٱلمبيدةِ
فهذا يسيرٌ مِنْ كتابِ إلهنا ... إذا قيسَ للباقي يكونُ كَصَفْحَةِ
وفي سُنَّةِ ٱلمختارِ ضَلَّ عَدُوُّها ... دَلائِلُ إعْجَازٍ وعِلْمُ أَدِلَّةِ
فأخبر عن عُمْرِ ٱلخِلافَةِ بَعْدَهُ ... ثلاثينَ عاماً مثلما قال تَمَّتِ
وأخبرَ عَنْ مُلْكٍ عَضُودٍ يليه مُلْ ... كُ جَبْرِيَّةٍ ثُمَّ ٱرتجاعُ لِشِرْعَةِ
وقالَ لِمَنْ قالَتْ أَرَيْتَكَ إنْ أَعُدْ ... وَقَدِمتُّ مَنْ آتي هُنَاكَ بِعَوْدَتي
فقالَ إذاً فَأْتي أبا بكرَ فٱحْتَوَى ... ٱلحديثُ على غَيْبَيْنِ حُقًّا بِحِقَّةِ
فَغَيْبٌ بِمَحْيا صاحِبِ ٱلغارِ بَعْدَهُ ... وغيبٌ هُوَ ٱلمُعْطَى مَقَامَ ٱلخليفةِ
وأخبر عَنْ جَيْءِ ٱبنِ خَطَّابَ بَعْدَهُ ... بما لَمْ يَجِيءْ في ٱلناسِ ذو عبقريةِ
وأخبرَ عثماناً ببلوى تُصِيبُهُ ... يصيرُ بها مِنْ بعدُ في دارِ جَنَّةِ
وأخبر عَنْ حربِ الخوارجِ حَيْثُما ... يكونُ ٱختلافٌ بينَ قوم أَئِمَّةِ
فَيَقْتُلُهُمْ أدنى ٱلفريقينِ للهُدى ... فَكَانَ عَلِيٌّ سيفَ تِلْكَ ٱلقَضِيَّةِ
وأخبرَ عَنْ خيرِ ٱلحفيدينِ أَنَّهُ ... يَتِمُّ بهِ إصْلاحُ صَدْعٍ وَفُرْقَةِ
وأخبرَ عَنْ قُسْطِينَةٍ أنْ سَتُفْتَحَنْ ... وروميةَ مَعْ تأخيرِ فَتْحٍ لرومةِ
وأخبر عَنْ عَوْدِ ٱلمروجِ إلى جَزِيرَةِ ... ٱلعُرْبِ وَهْوَ ٱلآنَ حالُ ٱلجزيرةِ
وفي ٱلعَوْدِ معنى كانَ مِنْ قَبْلُ هكذا ... وفي مِثْلِ ذا غَيْبَانِ لِلْمُتَثَبِّتِ
إلى غَيْرِ هذا مِنْ أُمورٍ كثيرةٍ ... سَتَعْجَزُ عَنْ إِحْصَاءِ بَعْضٍ قصيدتي
وَمَنْ يَتَدَبَّرْ سُنَّةَ ٱلمصطفى يَجِدْ ... لها مِنْ كتابِ ٱللهِ بُرْهَانَ حُجَّةِ

وَمَنْ يَتَدَبَّرْ غَيْرَها مِنْ مَنَاهِجِ ... يَجِدْ غَيْرَها أَقْوَالَ كِذْبٍ وَضَلَّةِ

فهذا يَسِيرٌ مِنْ كثيرٍ محمدٌ ... أَتَانا بهِ مِنْ عندِ رَبِّ ٱلبَرِيَّةِ

فَهَلاَّ بِشَيْءٍ جِئْتَنَا يا ٱبن فارضٍ ... لِنَشْهَدَ شيئاً ما ولو قَدْرَ ذَرَّةِ

(ولولا ٱحتجابي بٱلصفاتِ لأُحْرِقَتْ ... مَظَاهِرُ ذاتي مِنْ ثَنَاءِ سَجِيَّتي)

تَعَلَّمْ صفاتُ ٱللهِ لَيْسَتْ حِجَابَهُ ... وَلَكِنْ لَهُ كانتْ مِنَ ٱلأَزَلِيَّةِ

فَلَمْ يَزَلِ ٱلمولى حكيماً بِحِكْمَةٍ ... وَلَمْ يَزَلِ ٱلمولى قديراً بِقُدْرَةِ

وَأَكْوَانُهُ لَيْسَتْ مَظَاهِرَ ذَاتِهِ ... وَجَلَّ جَلاَلُ ٱللهِ عَنْ مَظْهَرِيَّةِ

هُوَ ٱلظَّاهِرُ ٱلأعلى ٱلمحيطُ بِخَلْقِهِ ... وَلَيْسَ على معنى بَدَا بَعْدَ خُفْيَةِ

أَيَبْدُو سِوَى مَنْ كانَ قَبْلُ بِخُفْيَةٍ ... فكيفَ تَرَى لله ذاكَ ٱبنَ ضَلَّةِ

وَمَنْ ذا ٱلذي يُخْفِيهِ فيهِ لِيَخْتَفي ... هُوَ ٱللهُ فَٱفْهَمْ يا مريضَ ٱلعقيدَةِ

أَرَيْتَكَ لَوْ طَارَتْ بِذَا ٱلكونِ نَمْلَةٌ ... أَتَحْجُبُهُ عَنْ كُلِّ عَيْنٍ بصيرةِ

فَلَلَّهُ أَعْلَى أَنْ يُرَى مِثْلَ كَوْنِهِ ... وَلَلْكَوْنُ منهُ دونَ مِقْدَارِ نَمْلَةِ

(وألسنةُ ٱلأكوانِ إنْ كنتَ داعياً ... شهودٌ بتوحيدي بحالٍ فَصِيحَةِ)

وألسنةُ ٱلأكوانِ منها مُوَحِّدٌ ... ومنها كفورٌ مثلُ أهلِ ٱلكنيسةِ

(وجاءَ حديثٌ في ٱتِّحَادِيَ ثَابِتٌ ... رِوَايَتُهُ في ٱلنَّقْلِ غيرُ ضَعيفَةِ)

(يُشيرُ بِحُبِّ ٱلحقِّ بعد تَقَرُّبٍ ... إليهِ بِنَفْلٍ أَوْ أداءِ فريضةِ)

(وَمَوْضِعُ تنبيهِ ٱلإشارَةِ ظاهِرٌ ... بِكُنْتُ لَهُ سمعاً كنورِ ٱلظَّهِيرَةِ)

«تفسير الحديث القدسي
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره»

بِجَهْلِكَ بِٱلتفسيرِ أَخْطَأْتَ هَا هُنَا ... وَخَمَّنْتَ ذاتَ ٱلربِّ في ٱلعَبْدِ حَلَّتِ
فَكُنْتُ لَهُ سَمْعاً أُعَلِّمُهُ ٱلهُدَى ... فَيَسْمعُهُ مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ وَضَلَّةِ
وكنتُ لَهُ رِجْلاً وكنتُ لَهُ يداً ... أُقَوِّمُهُ سَيْراً أُمِدُّ بِنُصْرَتي
وفي قَوْلِهِ «نورُ ٱلسماواتِ» وَٱقْتَرِيءْ ... تَجِدْ للذي فَسَّرْتُ أَعْظَمَ حُجَّةِ
فَمَا هُوَ نورُ ٱلشمسِ وٱلبدرِ وٱلنجو ... م لكنَّها منهُ ٱسْتَنَارَتْ بِقُدْرَةِ
فَإنَّكَ إنْ تَقْرَأْ «إذا ٱلشمسُ كُوِّرَتْ» ... وَمَا بَعْدَها تُدْرِكْ زَوَالَ ٱلخليقةِ
ولو كانَ عَيْنَ ٱلشمسِ أَوْ عَيْنَ ضَوْئِها ... لَمَا كُوِّرَتْ مِنْ بَعْدُ حيثُ ٱسْتَقَرَّتِ
ولو كانَ نوراً للنجومِ بذاتِهِ ... لَمَا ٱنْكَدَرَتْ بَعْدُ ٱلنجومُ وَوَلَّتِ
كَذَلِكَ لو في ٱلعبدِ كانَ بِذَاتِهِ ... لَمَا فيهِ أوصافُ ٱلعُبُودَةِ ظَلَّتِ
وفي لَئِنِ ٱلعبدُ ٱسْتَعَاذَ أَعَذْتُهُ ... بِآخِرِ ما تَرْوِيهِ أَعْظَمُ حُجَّةِ
فَلَمْ يَسْتَعِذْ لو كان مُتَّحِداً بِهِ ... فَمَنْ يَسْتَعِذْ يُعْلِنْ بِفَقْرٍ لِعُوذَةِ
(تَسَبَّبْتُ بِٱلتوحيدِ حتى وَجَدْتُهُ ... وواسطةُ ٱلأسبابِ إحدى أَدِلَّتي)
وكيفَ بتوحيدٍ تَسَبَّبْتَ عَيْنَهُ ... فَهَلاَّ هنا بِٱللامِ كانَتْ تَعَدَّتِ
فَأَنْتَ كما دعواكَ غيرُ صَحِيحةٍ ... صِيَاغَتُكَ ٱلأقوالَ غيرُ صحيحةِ
فَإنْ قُلْتَ بَلْ أعني تَسَبُّبَ وَحْدَةٍ ... فإثباتُ أسبابٍ نَقِيضٌ لِوَحْدَةِ
وكيف ترى ٱلتوحيدَ شيئاً وَجَدْتَهُ ... ولستَ مِنَ ٱلتوحيدِ مثقالَ ذَرَّةِ
فَمَا كُنْتَ فيما تَدَّعيهِ مُوَحِّداً ... سوى نَفْسِ سُوءٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ أَزَّتِ

وَمَا ثَمَّ توحيدٌ يَرَى ٱللهَ كالورى وما سَبَبُ ٱلتوحيدِ غيرُ ٱلشريعةِ
فلولا أَدِلاَّءٌ مِنَ ٱللهِ أُرْسِلُوا لَمَا نَفْسَها نفسٌ على ٱلخيرِ دلَّتِ
وَلَوْ لَمْ يُزَكِّ ٱللهُ أَنْفُسَ مَنْ هَدَى لَمَا عَرَفَتْ نَفْسٌ هُدًى أَوْ تَزَكَّتِ
وحيثُ ترى ٱلتوحيدَ شيئاً وَجَدْتَهُ وَقَدْ جاءَ بِٱلتوحيدِ أَهْلُ ٱلنُّبُوَّةِ
فَأَنْتَ كَمَرْءٍ تَارِكٍ نَهْرَ دِجْلَةٍ لِيَبْحَثَ في ٱلصحراءِ عَنْ نَهْرِ دِجْلَةِ
(وَوَحَّدْتُ في ٱلأسبابِ حتى فَقَدْتُها وَرَابِطَةُ ٱلتوحيدِ أجدى وسيلةِ)

«لزوم الأسباب»

ولو كانَتِ ٱلأسبابُ تُفقَدُ لم.يَجِيء مِنَ ٱللهِ أَمْرٌ بٱبْتغاءِ ٱلوسيلةِ

فَمَرْيَمُ لَمّا أنْ خَلَتْ دونَ قَوْمِها بغير حسابٍ جَاءَ رِزْقٌ بِخَلْوَةِ

كَذَاكَ يُوَفّى ٱلصابرونَ أُجورَهُمْ بغيرِ حسابٍ بَعْدَ صَبْرٍ بِفِتْنَةِ

وَخَيْرُ ٱلورى أوحى ٱلإلهُ إليهِ أنْ تَهَجَّدْ بِلَيْلٍ كَيْ تَنَالَ فَضِيلتي

(وَحَرَّرْتُ نفسي منهما فتَحَرَّرَتْ وَلَمْ تَكُ يوماً قَطُّ غَيْرَ وحيدَةِ)

وَمَنْ يَتَحَرَّرْ مِنْ ثيابِ عُبُودَةٍ تُفَصَّلْ لَهُ ٱلأوهامُ ثَوْبَ رُبُوبَةِ

(وَغُصْتُ بِحَارَ ٱلجَمْعِ بل خُضْتُها على ٱنفراديَ فٱسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يتيمَةِ)

فَمَا لِبِحَارِ ٱلجَمْعِ ظَلَّتْ جَمَاعَةً فَهَلاّ بِخَوْضٍ منكَ ذابَتْ بِجَمْعَةِ

وَبَيِّنْ لنا هَلْ خُضْتَها كُلَّها معاً نَعَمْ.. كَيْفَ؟لا.. هذاإذاًنَقْضُ وَحْدَةِ

«أسلوب الرد»

وَلاَ تَحْسَبَنِّي هَا هُنا لَكَ ظالِماً ... بما قَدْ يُرَى من بَعْضِ هُزْءٍ بِجُمْلَتي

فإني ٱمرؤٌ في ٱلرَّدِّ أَقْسِمُ ما أَرَى ... على حَسَبِ ٱلأقوالِ مِنْ غَيْرِ عِدَّةِ

فإنْ أَرَ حَقّاً كنتُ للحقِّ تابعاً ... وإنْ أَرَ غَيْرَ ٱلحقِّ أُطْلِقْ قذيفتي

وَإنْ أَرَ قولاً فيهِ للحقِّ شُبْهَةٌ ... نَصَبْتُ لَهُ ميزانَ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ

وَإنْ أَرَ جَهْلاً دونَ كِبْرٍ بِمُخْطِىءٍ ... صَبَرْتُ لَهُ نفسي بِحِلْمٍ وَرَحْمَةِ

وَإنْ أَرَ كِبْراً فَوْقَ جَهْلٍ بِمُخْطِىءٍ ... تَلَطَّفْتُ حتى تَسْتَبِينَ أَدِلَّتي

وإنْ أَرَ دعوَى من دليلٍ تَجَرَّدَتْ ... أَرُدُّ بِهُزْءٍ أَوْ أَرُدُّ بِنُكْتَةِ

وإني على هذا يَرَاعي وَمِقْوَلي ... وذلكَ أسلوبي وتلكَ طريقتي

(لأَسْمَعَ أفعالي بِسَمْعِ بصيرةٍ ... وأشهدَ أقوالي بعينِ سَمِيعةِ)

(فإنْ ناحَ في ٱلأَيْكِ ٱلهَزَارُ وَغَرَّدَتْ ... جواباً لَهُ ٱلأطيارُ في كُلِّ دَوْحَةِ)

(وَأَطْرَبَ بِٱلمِزْمَارِ مُصْلِحُهُ على ... مُنَاسَبَةِ ٱلأوتارِ مِنْ يَدِ قَيْنَةِ)

(وَغَنَّتْ مِنَ ٱلأشعارِ ما رَقَّ فٱرْتَقَتْ ... لِسِدْرَتِها ٱلأسرارُ في كُلِّ شَدْوَةِ)

(تَنَزَّهْتُ في آثارِ صُنْعي مُنَزَّهاً ... عَنِ ٱلشِّرْكِ وٱلأَغْيارِ جَمْعي وَأُلْفَتي)

(فَبي مَجْلِسُ ٱلأَذْكارِ سَمْعُ مُطالِعٍ ... ولي حانَةُ ٱلخَمّارِ عَيْنُ طَلِيعةِ)

سبب عدمِ ذكر الشيطان
في تائية ابنِ الفارض»

أَمَا سَدَّ دونَ ٱلنَّاي سَمْعاً نَبِيُّنا ... وقال هو ٱلشيطانُ جَاءَ بِنَفْخَةِ

وَأَخْبَرَ عَنْ جَيْشٍ يُحِلُّ مَعَازِفاً ... فَيَرْدى بِخَسْفٍ دونَ بَطْحَاءِ مَكَّةِ

وفي ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلصُّنْعَ فانٍ وَهَالِكٌ ... فَكَيْفَ يُرَى ٱلتَّنْزِيهُ في عَيْنِ صَنْعَةِ

وَإِنَّ ٱلتي في ٱلحانِ رِجْسٌ وإِنَّها ... لَمِنْ عَمَلِ ٱلشيطانِ فٱجْتَنِبُوا ٱلتي

ومالَكَ للشيطانِ لَمْ تَكُ ذاكراً ... كَأَنَّكُمَا دَبَّرْتُما أَمْرَ خُطَّةِ

أَقَالَ لَكَ ٱلشيطانُ ذِكْرِيَ فَٱجْتَنِبْ ... لِئَلاَّ يعي لِلْشرِّ غافٍ بِذُكْرَةِ

أَأَقْنَعَكَ ٱلشيطانُ يا فُرْضُ أَنَّهُ ... لَدُنْ خَالَفَ ٱلرحمنَ كانَ بِجَلْوَةِ

وَأَنْ لاسوى مِن حيثُ لاحيثُ لاسِوى ... وَأَنَّ ٱلسّوَى حَيْثُ ٱلسّوَى سِيٌّ وَحْدَةِ

(وَمَا عَقَدَ ٱلزُّنَّارَ حُكْماً سوى يدي ... وَإِنْ حُلَّ بِٱلإِقْرارِ بي فَهْيَ حَلَّتِ)

(وَإِنْ نَارَ بِٱلتَّنْزِيلِ مِحْرَابُ مَسْجِدٍ ... فما بَارَ بِٱلإنجيلِ هَيْكَلُ بَيْعَةِ)

(وَأَسْفَارُ تَوراةِ ٱلكليمِ لِقَوْمِهِ ... يُنَاجي بها ٱلأَحْبَارُ في كُلِّ ليلةِ)

«بقاء بعض الحق في الإنجيل الموجود ظاهراً»

كَذَاكَ «بما أَغْوَيْتَني» شَيْخُكَ ٱنْتَفَى ... مِنَ ٱلكفرِ فٱسْتَعْمَى وَبَاءَ بِلَعْنَةِ

تَذَكَّرْ مِنَ ٱلقُدْسِيِّ فَلْيَحْمَدِ ٱلتَّقِيُّ ... وَلْيَلُمِ ٱلنفسَ ٱلشَّقِيُّ لِشِقْوَةِ

لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱللهَ لا يَظْلِمُ ٱلورى ... وَأَنَّ ذوي ٱلزُّنَّارِ فُعَّالُ كَفْرَةِ

أَلَمْ يَهْدِ قوماً فٱسْتَحَبُّوا ٱلعَمَى على ... ٱلهُدَى أَوَ لَمْ يَبْعَثْ بِرُسْلٍ وَشِرْعَةِ

ولو كنتَ في ٱلدنيا ٱلغَدَاةَ ٱبنَ فَارِضٍ ... لأَلْفَيْتَ ما لَمْ يَأْتِ مِنكَ بِفِكْرَةِ

فَقَدْ حُلَّ زِنَّارُ ٱلنَّصَارى بِعَصْرِنا ... على غيرِ إقْرارٍ وغيرِ تَقِيَّةِ

وَقَدْ نِلْتَ ما تبغي فَضَاعَ جِهَادُنا ... وها نَحْنُ بعد ٱلعِزِّ فَوْقَ ٱلحصيرَةِ

فَإِنَّ شُيُوخَ ٱلمسلمينَ بِعَصْرِنا ... تَنَادَوْا بما يُدْعى طريقَ ٱلمحبَّةِ

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ ٱلذينَ عَذَرْتَهُمْ ... ذَوِي ٱلعِجْلِ وٱلصُّلْبَانِ في حالِ قُوَّةِ

فَأَيْنَ دَعَاوِيكَ ٱلتي ظَلْتَ ناعقاً ... بِهَا وَبِهَا ضَلَّلْتَ أَهْلَ ٱلعَقِيدَةِ

فلا نَحْنُ في جَمْعٍ ولا وَحْدَةٍ ولا ... ٱتِّحَادٍ ولكنْ نَحْنُ في حَالِ مَحْوَةِ

وإِذْ أَنْتَ قُطْبُ ٱلكونِ يا ٱبنَ فُوَيْرِضٍ ... فَمَا لَكَ لم تَمْدُدْ بِجَمْعٍ وَوَحْدَةِ

أَتَتْرُ كُنا لِلْكافرينَ غَنِيمَةً ... أَلَمْ تَكُ مِنّا ظاهِراً قَبْلَ جَلْوَةِ

أَمْ أَنَّكَ لَمّا كنتَ في عالَمِ ٱلدُّنا ... جَلَوْتَ فَقَطْ إسلامَ شَكْلٍ وَهَيْئَةِ

وَلَمْ تَكُ إلاّ كافِراً مُتَخَفِّياً ... بدينِ يهودٍ أو بدينِ صَلِيبَةِ

فَمَا لَكَ عنهُمْ تَدْفَعُ ٱلكُفْرَ فرفضٌ ... إذا لَمْ تَكُنْ تُعْزَى إليهِمْ بِنِسْبَةِ

بَلَى بَارَ بٱلإنجيلِ إنجيل مُرْقِصٍ ... وَلُوقا وَيُوحنا وَمتى ٱبنُ بَيْعَةِ

أنا جيلُ فيها بَعْضُ حَقٍّ وَجُلُّهَا ... أكاذيبُ تحكي للورى ألْفَ ليلةِ
فَجِئْنَا بإنجيلِ ٱلمسيحِ ٱبنِ مريمِ ... لِنَجْعَلَهُ مِنّا ومِنْهُمْ بِمُقْلَةِ
وَجِئْنا بتوراةِ ٱلكليمِ لِقَوْمِهِ ... لِنَجْعَلَهَا مِنّا وَمِنْهُمْ بِمُهْجَةِ
فَنَرْضَى شهيداً بٱلكتابينِ قَبْلَنا ... فَإنْ يَفْعَلوا نَفْعَلْ وإلا فَلِلَّتي
فَإنّا وَمَنْ سَوّى ٱلسماواتِ وٱلثّرى ... وَقَالَ تَسَوَّيْ هكذا فَتَسَوَّتِ
لو ٱلله لَمْ يَبْعَثْ إلينا محمداً ... لَكُنّا كَفَرْنا كُلَّ أَهْلِ ٱلنبوةِ
فليس لدى أهلِ ٱلكتابينِ مُقْنِعٌ ... بما حَرَّفُوا ما عندهُمْ من شريعةِ
وما إنْ لَدَيْهِمْ غيرُ بعض شَوَاهِدٍ ... سَتَحْتَاجُ كَيْ تبدو لنور أَشِعَّةِ
فَلَيْسَتْ ترى في ظلمة ٱلليلِ مُقْلَةٌ ... بغير سراجٍ عاكسٍ نور مُقْلَةِ
فجاءَ سراجُ ٱلأنبياء مُحَمَّدٌ ... فَبَانَتْ خَفِيَّاتُ ٱلهدى وَتَجَلَّتِ
فآمَنَ خَلْقٌ لم يكونوا ليؤمنوا ... بِرُسْلِ ٱلهدى لولا سِراجُ ٱلنبوةِ
وَقَدْ جاء في إصحاح عَشْرٍ وَسِتَّةٍ ... بإنجيل يوحنا بَيَانُ مقولتي
لَدُنْ قال عيسى للتلاميذ إنَّهُ ... مِنَ ٱلخيرِ أنْ أَمْضِي لِرَبِّ ٱلبَرِيَّةِ
فحينئذٍ يأتي ٱلمُعزِّي إليكُمُ ... وذلكُمُ بٱلحقِّ روحُ ٱلحقيقةِ
متى جَاءَ ذَاكَ ٱلحقُّ فَهْوَ مُبَيِّنٌ ... جميعَ أمورِ ٱلحقِّ مِنْ غَيْرِ خُفْيَةِ
فذاكَ على بِرٍّ يُبَكِّتُ ذا ٱلورى ... وأيضاً على دينونَةٍ وخطيئةِ
فَأَمّا على خِطْءٍ يقولُ مُفَسِّراً ... لِأَنَّهُمُ لا يؤمنون بِبِعْثَتِي
وَأَمّا على بِرٍّ لِأَنِّيَ ذَاهِبٌ ... وَلَسْتُمْ تَرَوْني بعدها يا أحبتي
وأما على دينونةٍ فلأنه ... سيقضي على طاغوتِ حُكْمٍ ودولةِ
فَأَمّا على خِطْءٍ فإنَّ بَيَانَها ... وَأَنْصِتْ بِسَمْعٍ خَالِصٍ وسريرةِ
فكانَ ٱلورى في أمرِ عيسى ثلاثةً ... لَدُنْ بَعَثَ ٱلرحمنُ خَتْمَ ٱلنبوةِ
نصارى رأَوْا عيسى إلهاً فأُخرجوا ... بِهذا عن ٱلإيمانِ وٱلتَّبَعِيَّةِ
وأقوامُ شِرْكٍ لِلنُّبُوَّاتِ أَبْطَلوا ... وَهُودٌ رَأَوْا عيسى ٱبنَ عِهْرٍ وَزِنْيَةِ
فَقَدْ كانَ كُلُّ ٱلناسِ قَبْلَ محمدٍ ... كَفُوراً بعيسى مِنْ طريقٍ وَوِجْهَةِ

كما قال «بي لا يؤمنون» مُعمِّماً   بها «ٱلعَالَمَ» ٱقرأها بِحَرْفٍ وَلَفْظَةِ

وكانَ مجيءُ ٱلمصطفى وزمانُهُ   كما قال عيسى حَذْوَ حَرْفٍ وَنُقْطَةِ

فجاءَ وما في ٱلأرضِ بِٱلحَقِّ مؤمنٌ   وكانَ جميعُ ٱلناسِ في بَحْرِ كُفْرَةِ

فكانَ كما قالَ ٱلمسيحُ مُبَكِّتاً   صنوفَ ٱلورى بِٱلمحكماتِ ٱلمبنيةِ

فَبَكَّتَ أصنافَ ٱليهودِ لِقَوْلِهِمْ   على مريمَ ٱلبُهْتَانَ وٱرجعْ لسورةِ

فَتَمَّ بِهِ تَبْرِيءُ عيسى وأُمِّهِ   وإِبْطَالُ ما جاء ٱليهودُ بِفِرْيَةِ

وَبَرَّأَهُ مِمَّا ٱلنصارى تَقُولُهُ   وَبَكَّتَهُمْ تبكيتَ حَقٍّ وَحُجَّةِ

وَبَرَّاهُ وٱلرُّسْلَ كُلاًّ مِنَ ٱلذي   يَظُنُّ بهم ذو ٱلشِّرْكِ وٱلوَثَنِيَّةِ

فَلَمَّا ٱهتدى لِلْحَقِّ خَلْفَ محمدٍ   صُنُوفُ ٱلورى مِنْ كُلِّ قومٍ وَأُمَّةِ

فَحِينَئِذٍ في كُلِّ قَوْمٍ وَأُمَّةٍ   غَدَا ذِكْرُ عيسى فوق ظَنٍّ وَتُهْمَةِ

فذلكَ تَبْكِيتٌ على ٱلخِطْءِ بَيِّنٌ   تَحَقَّقَ بِٱلمختارِ خيرِ ٱلبَرِيَّةِ

فَقَدْ أَخْطَأُوا في حَقِّ عيسى وَأُمِّهِ   وَقَدْ بُكِّتُوا مِنْ أَجْلِ تِلْكَ ٱلخطيئَةِ

وَأَمَّا على بِرٍّ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ   يُبَكِّتُهُمْ بِٱلحقِّ خَيْرُ مُبَكِّتِ

وَلَمْ يَعْرِفِ ٱلتاريخُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ   بِعَدْلٍ وإنصافٍ وَبِرٍّ وَرَحْمَةِ

وَيَعْني على دَيْنُونَةٍ قَهْرَ قُوَّةٍ   لِأَتْبَاعِ شَيْطَانٍ وَمُلْكٍ وَسَطْوَةِ

وذلكَ لَمْ يَظْهَرْ بغيرِ محمدٍ   فأخزى بهِ ٱلرحمنُ أَهْلَ ٱلتَّغَطْرُتِ

(وَإِنْ خَرَّ للأحجارِ في ٱلبُدِّ عَاكِفٌ   فلا وَجْهَ للإنكارِ بِٱلعَصَبِيَّةِ)

فَخُرَّ إذاً تَحْتَ ٱلحجارة في لَظًى   وَكُلُّ ما على ٱلأحجارِ مِنْ كُلِّ رِجْسَةِ

فلا وَجْهَ للإنكارِ منكَ ٱبنَ فارضٍ   «فأشكالُها تبدو على كُلِّ هيئَةِ»

(فَقَدْ عَبَدَ ٱلدينارَ معنًى مُنَزَّهٌ   عَنِ ٱلعارِ بِٱلإشراكِ بِٱلوثنيةِ)

أَلَمْ تَقْتَرِيءْ تعساً لِعَبْدِ دراهمٍ   ولا زالَ في نُكْسٍ وَظَلَّ بِشَوْكَةِ

(وَقَدْ بَلَغَ ٱلإنذارُ عَنِّيَ مَنْ بغى   وقامَتْ به ٱلأعذارُ في كُلِّ فِرْقَةِ)

(وما زاغَتِ ٱلأبصارُ مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ   وما زَاغَتِ ٱلأفكارُ في كُلِّ نِحْلَةِ)

إذاً فَمَنِ ٱلباغي ولا زيغَ في ٱلورى   وَمِنْ أَجْلِ مَنْ نارُ ٱلسَّعيرِ أُعِدَّتِ

ومالَكَ مِنْ إحدى ٱثْنَتَيْنِ تَخَلُّصٌ ... أَرُسْلُ ٱلْهُدى أَمْ أَنْتَ أهلُ ٱلحقيقةِ
(وما ٱخْتَارَ مَنْ للشمسِ عَنْ غِرَّةٍ صَبَا ... وَإشْرَاقُها مِنْ نورِ إسْفَارِ غُرَّتي)
أَمِنْ أَجْلِ تَجْنِيسٍ بِلَفْظَةِ غِرَّةٍ ... جَعَلْتَ لِذَاتِ ٱللهِ وصفاً بِغُرَّةِ
فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَعْلَمُ ٱلخَلْقُ كُنْهَهُ ... عَزِيزٌ جليلٌ وَاحِدٌ دونَ شِرْكَةِ
وما ٱلشمسُ إلاّ كوكبٌ سوف ينطفي ... وسوفَ يُرى في ٱلنارِ ثَوراً بِأَخْرَةِ
(وَإنْ عَبَدَ ٱلنَّارَ ٱلمجوس وما ٱنْطَفَتْ ... كما جاءَ في ٱلأَخْبَارِ في ألْفِ حِجَّةِ)
(فَمَا عبدوا غيري وإنْ كانَ قَصْدُهُمْ ... سِوَايَ وإنْ لَمْ يُظْهِروا عَقْدَ نِيَّةِ)
(رَأَوْا ضَوْءَ نوري مَرَّةً فَتَوَهَّمُو ... هُ ناراً فَضَلُّوا في ٱلهُدى بٱلأشِعَّةِ)
جَعَلْتَ لَهُ ضَوءاً ونور أَشِعَّةٍ ... وَقَدْ جَلَّ عَنْ ضَوْءٍ ونورِ أَشِعَّةِ
وَقَدْ عَبَدَ ٱلنَّارَ ٱلمجوسُ حقيقةً ... وَقَدْ أَلَّهُوهَا دونَ رَبِّ ٱلبريةِ
وَهُمْ جعلوا لله شِرْكاً مُمَاثِلاً ... وَهُمْ وَصَفُوا ٱلخَلاّقَ بٱلثَّنَوِيَّةِ
ولا يُقْصَدُ ٱلمولى وَيُعْبَدُ بٱلهوى ... وَقَدْ بَيَّنَ ٱلمولى طريقَ ٱلعُبُودَةِ
وَقَدْ أرسَلَ ٱلمولى ٱلنَّبِيِّينَ بٱلهُدى ... لِئَلاّ على ٱلمولى يُجَاءَ بِحُجَّةِ
وَإذْ أَكْذَبَ ٱلمولى مَقَالَةَ مُشْرِكٍ ... تَعَبَّدَ للأملاكِ مِنْ بابِ زُلْفَةِ
فَكَيْفَ إذاً يَرضى عِبَادَةَ مُشْرِكٍ ... يَرَى رَبَّهُ ناراً تَزُولُ بِسَبُوْلَةِ
(ولولا حِجَابُ ٱلكَوْنِ قُلْتُ وَإنَّما ... قِيَامي بأحكامِ ٱلمظاهرِ مُسْكَتي)

«القول»

وهـا أنـتَ ذا تـزدادُ إِثـمـاً وَفِـرْيَـةً ... وَتَنْفي عَنِ ٱلرحمنِ قولاً بِفِرْيَةِ

بَلَى إِنَّهُ بِٱلحقِّ للحقِّ قَائِلٌ ... وبِٱلحقِّ آتى ٱلرُّسْلَ وَحيَ ٱلشريعةِ

وَنَاقَضْتَ في هذا مَقَالَكَ سابقاً ... «ولا قائِلٌ إلاّ بِلَفْظي وقولتي»

وَمِنْ قَبْلُ قَدْ بَيَّنْتُ ما كنتَ زاعماً ... بدعوى حِجَابِ ٱلكونِ وٱلمَظْهَرِيَّةِ

(فلا عَجَبٌ وٱلخَلْقُ لَمْ يُخْلَقُوا سُدًى ... وإنْ لَمْ تَكُنْ أفعالُهُمْ بِٱلسَّدِيدَةِ)

بَلَى إنَّ للمولى خَلائِقَ سَدَّدُوا ... وعاشوا وما توافي ٱلفِعَالِ ٱلسديدةِ

ولو شاءَ كانَ ٱلخَلْقُ كُلُّهُمْ سُوًى ... على حَالِ أملاكٍ وَحالِ نبوةِ

ولكنَّهُ ٱلرحمنُ يَفْعَلُ ما يَشا ... وَإِنَّ لَهُ ما شَاءَ كُلَّ ٱلمشيئةِ

(على سِمَةِ ٱلأسماءِ تجري أُمُورهُمْ ... وحكمةُ وَصْفِ ٱلذاتِ للذاتِ أَجْرَتِ)

«أسماء الخلق»

ولو كانَ ذا حقاً كما قُلْتَ لَمْ يَنَلْ ... أبو حَكَمٍ بِٱلجَهْلِ أَشْهَرَ كُنْيَةِ

وها أنتَ ذا تُدْعى سَمِيَّ إِمَامِنَا ... وتجري خلافَ ٱلسيرةِ ٱلعُمَرِيَّةِ

ولو كنتَ في عَصْرِ ٱبنِ خَطَّابَ لَم تَجِدْ ... لَدى عُمَرَ ٱلخيراتِ غَيْرَ ٱلمَنِيَّةِ

وَكَمْ مِنْ سَمِيٍّ لِلنَّبِيِّيْنَ لَمْ يَزَلْ ... عدواً لَهُمْ يسعى لِكَيْدِ ٱلنبوَّةِ

وَكَمْ مِنْ رَشيدٍ ضَلُّهُ ٱلأرضَ قَدْ مَلاَ ... وَكَمْ مِنْ سعيدٍ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ شِقْوَةِ

فَدَعْ عنكَ أَوْهَامَ ٱلضلالَةِ وٱلهوى ... وَرَابِطْ على منهاجِ ذكرٍ وَسُنَّةِ

فَإِنْ يَكُ في ٱلأسماءِ فَأْلٌ لِقَاصِدٍ ... فلا فَأْلَ إلاّ مِنْ خلالِ ٱلشريعةِ

(يُصَرِّفُهُمْ في ٱلقَبْضَتَيْنِ ولا ولا ... فَقَبْضَةُ تنعيمٍ وقبضةُ شِقْوَةِ)

فأَكْمِلْ وَقُلْ أيضاً يُصَرِّفُهُمْ على ... قَضَاءٍ بِعَدْلٍ منهُ فيهِمْ وحكمةِ

فَإِنْ نَحْنُ قُلْنا لا نبالي لِجَهْلِنا ... فَقَدْ قَالَها ٱلمولى بِعِلْمٍ وَعِزَّةِ

(ألاَ هكذا فَلْتَعْرِفِ ٱلنفسُ أَوْ فَلاَ ... وَيُتْلَ بها ٱلفُرْقانُ كُلَّ صَبِيحَةِ)

(وَعِرْفَانُهَا مِنْ نَفْسِها وَهِيَ ٱلَّتي ... على ٱلحِسِّ ما أَمْلَتْ مِنِّيَ أَمْلَتِ)

(ولو أَنَّني وَحَّدْتُ ٱلحَدْثَ وٱنْسَلَخْتُ ... مِنْ آيِ جمعي مُشْرِكاً بِيَ صَنْعَتي)

كذبتَ فإنَّ ٱللهَ كانَ ولا سوى ... وأوجدَ هذا ٱلصُّنْعَ منهُ بِقُدْرَةِ

وَإِنَّكَ فيما تَدَّعيهِ لَمُشْرِكٌ ... وليسَ أخو ٱلتوحيدِ في حَالِ شِرْكَةِ

وأنتَ ٱلذي فيما تقولُهُ مُلْحِدٌ ... عَنِ ٱللهِ تَنْفي فِعْلَ أمرِ ٱلمشيئةِ

فلا بُدَّ مِنْ نَفْيٍ على رَغْمِ أَنْفِكَ ... ٱلخبيثِ وإثباتٍ على خَيْرِ مِلَّةِ

فيا أُمَّةَ ٱلإسلامِ نُصْحِيَ فَٱسْمَعي ... فَإِنَّ حقيقَ ٱلدينِ بَذْلُ ٱلنَّصيحةِ

فَمَنْ قالَ لا مَوجُودَ إلاّ ٱلإلهُ مَنْ — يَقُلْها يَكُنْ وغداً كفورَ ٱلعقيدةِ

فَذَاكُمْ يرى في كُلِّ شَيْءٍ إلهَهُ — وذاكُمْ يَرَى ٱلأشياءَ عَيْنَ ٱلألوهةِ

يَرَى رَبَّهُ في ٱلكَلْبِ وٱلقردِ وٱلحمارِ — وٱلناسِ وٱلأشيَا وفي كُلِّ صورةِ

وليسَ بهذا ٱلقَوْلِ جاءَ مُحَمَّدٌ — وَإخوانُهُ ٱلأخيارُ أهلُ ٱلنبوةِ

وَلكِنَّهُمْ جاؤوا بِأَعْظَمِ كِلْمَةٍ — بِلا وَبِإلاّ بَيْنَ مُنفًى وَمُثْبَتِ

فَفِي لا إلهَ ٱلنَّفْيُ أَنْ يُؤَلَّهَ ٱلورى — وَيُثْبِتُ إلاّ ٱللهُ حَقَّ ٱلألُوهَةِ

وفي ٱلنَّفْيِ طَيُّ ٱلخَلْقِ لا عَنْ وُجُودِهِ — ولكنْ عَنِ ٱلتَّأليهِ فٱنفِي وَأَثْبِتي

(وَلَسْتُ مَلوماً أَنْ أَبُثَّ مَوَاهِبي — وَأَمْنَحَ أتباعي جزيلَ عَطِيَّتي)

وَلَسْنا مَلُومينَ ٱبنَ فارِضَ بَعْدَما — عَرَفْنا ٱلذي تُعْطي بِرَدِّ ٱلعَطِيَّةِ

فَكَمْ مِنْ عطايا تَحْمِلُ ٱلموتَ للورى — وَكَمْ مِنْ قتيلٍ في ٱنْفِجَارِ هَدِيَّةِ

(ولي مِنْ مُفيضِ ٱلجَمْعِ عِندَ سلامِهِ — عَلَيَّ بِأَوْ أَدْنى إشارةُ نِسْبَةِ)

(وَمِنْ نورهِ مِشْكاةُ ذاتيَ أشرقَتْ — عَلَيَّ فَنَارَتْ بي عِشَائي كَضَحْوَتي)

(فَأَشْهَدْتُهُ كوني هناكَ فَكُنْتُهُ — وَشَاهَدْتُهُ إيَّايَ وٱلنورُ بَهْجَتي)

«الاختلاف والتناقض في كلام ابن الفارض»

لقد أنزل ٱلله ٱلكتابَ مُهَيْمِناً ... وَأَيَّدَهُ بِٱلمحكماتِ ٱلمبينَةِ

وَأَعْلَمَ أَنْ لو كانَ مِنْ عِنْدِ غيرِهِ ... لَكَانَ يُرى فيهِ ٱختلافٌ بِكَثْرَة

فَمِنْ ها هنا أَضْحَتْ لدينا علامَةٌ ... نَقيسُ بها ما بَيْنَ حَقٍّ وَفِرْيَةِ

فَكُلُّ ٱدِّعاءٍ فيه نَقْضٌ لنفسهِ ... يكونُ إذاً مِنْ غيرِ رَبِّ ٱلبريةِ

وَنَحْنُ لَدُنْ قِسْنا ٱدِّعاءَ ٱبنِ فارضٍ ... على بَعْضِهِ بَعْضاً قياساً بِنِسْبَةِ

وَجَدْنا مَقالاتٍ تَقَاتَلُ بَيْنَها ... تَقَاتُلَ أَمْعاءِ ٱلشيوخِ بِدَعْوَةِ

وَهَا هُوَ هذا ٱلآنَ يَزْعُمُ أَنَّهُ ... تَلَقَّى سلاماً بَعْدَ قُرْبٍ بِحَضْرة

أَلَمْ تَكُ إيّاها وإنّا لَواحِدٌ ... ولا بَاطِشٌ إلاَّ بِأَزْلي وَشِدَّتي

فكيفَ إذاً مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَمِثْلِهِ ... رَجَعْتَ إلى معنى ٱقْتباسٍ وَنَظْرَةِ

وكيفَ ترى مشكاةَ ذاتِكَ أَشْرَقَتْ ... عليكَ بهِ مِنْ بعدِ سابقِ قَوْلَةِ

ولولايَ لم يُوجَدْ وجودٌ وَلَمْ يَكُنْ ... شهودٌ وَلَمْ تُعْهَدْ عُهُودٌ بِذِمَّتي

وكيفَ هُنَا أُشْهِدْتَ كوناً فَكُنْتَهُ ... وَشَاهَدْتَهُ إيّاكَ في نور بَهْجَةِ

وَمِنْ قَبْلِ ذا أَثْبَتَّ فُرْقَانَ حالَةٍ ... «بِلَيْسَتْ لِحالي حَالُهُ بشبيهةٍ»

وَمِنْ قَبْلِهِ أَثْبَتَّ نَفْيَ فوارقٍ ... «ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبَّتِ»

فها أنتَ هذا فيكَ منكَ عليكَ مِنْ ... شَواهِدِ نَقْضِ ٱلقولِ أَنْقَاضُ خِرْبَةِ

وَكُنَّا بَسَطْنَا ٱلقولَ مِنْ قَبْلِ هذه ... بِنَفْيِ ٱلذي تَفْرِيهِ وَاسِعَ بَسْطَةِ

(فَبِي قُدِّسَ ٱلوادي وفيهِ خَلَعْتُ ... خَلْعَ نعلي على ٱلنادي وَجُدْتُ بِخلعتي)

(وآنَسْتُ أنواري فكنتُ لها هُدًى وناهيكَ مِنْ نَفْسٍ عليها مُضِيئَةِ)

(وَأَسَّسْتُ أطواري فَنَاجَيْتُني بها وَقَضَّيْتُ أَوْ طاري وذاتي كَلِيَمتي)

«كلامُ الله
على الحقيقةِ لا على المجاز»

وها أَنْتَ ذا أظهرتَ أَمْرَكَ كُلَّهُ ... بِنَجْوايَ أوطاري وذاتي كلِيمتي

فَنَجْوَاكَ بالأطوارِ نَفْسٌ تَحَدَّثَتْ ... إلى ذاتِها إيحاءَ وَهْمٍ مُشَتَّتِ

وأطوارُ نفسِ المرء فِيهِ عَنَاصِرٌ ... وَجَلَّتْ عَنِ الأطوارِ ذاتُ الألوهةِ

وَلَمْ يَسْتَمِعْ موسى لِأَطْوارِ نَفْسه ... وحاشاهُ مِنْ هذا وتفديهِ مُهْجتي

لقد كَلَّمَ الرحمنُ موسى حقيقةً ... وما قَوْلَ موسى نَفْسُ موسى تَلَقَّتِ

ولكنَّهُ الرحمنُ كَلَّمَ عَبْدَهُ ... كلاماً حقيقياً بِصَوْتٍ وَكِلْمَةِ

وليس مجازاً كَلَّمَ اللهُ عَبْدَهُ ... وَمَنْ قال ذا فاجْزُزْ لَهُ رأسَ رَقَبَةِ

وإنَّ مَجازَ القولِ ضِدُّ حقيقةٍ ... وليسَ يقولُ اللهُ غير الحقيقةِ

فَقَدْ وَكَّدَ الرحمنُ تكليمَ عَبْدِهِ ... بِمَصْدَرِ تَوْكِيدٍ حوَى كُلَّ وُكْدَةِ

كما أَنْزَلَ الرحمنُ بالحقِّ قَوْلَهُ ... «وَكَلَّم» «تكليماً» بِمُحْكَمِ سُورَةِ

وليسَ كلامُ اللهِ مِثْلَ كَلامِنا ... ولا صَوْتُهُ مِنْ مِثْلِ صَوْتِ البريةِ

ولكنَّهُ بالحقِّ أَسْمَعَ عَبْدَهُ ... كَمَا شَاءَ حَقّاً دونَ مِثْلٍ وَشِبْهَةِ

وَإثباتُ وَصفِ الصَّوْتِ لله لازمٌ ... أَتَى في صحيحٍ مِنْ مُتُونٍ صحيحةِ

فَمَنْ كانَ في شَكٍّ بذلكَ فَلْيَعُدْ ... لآخِرِ أجزاءِ البخاري الشريفةِ

فيا أيُّها العبدُ المحدِّثُ نَفْسَهُ ... ألاَ هَلْ على دعواكَ جِئْتَ بِحُجَّةِ

فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْدُو الإلهَ وَعَبْدَهُ ... فَكُنْ كَعَصا موسى انْقَلِبْ عَيْنَ حَيَّةِ

وَإِذْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ كاذِبٌ ... وذو الصِّدْقِ يبدو صِدْقُهُ بالأَدِلَّةِ

فلا أنتَ مولانا ولا عَبْدُهُ وَلا ... ٱلعَصَا بَلْ ولا ٱلنَّعْلُ ٱلتي ٱلرِّجْلُ أَلْقَتِ

(وَبَدْرِيَ لَمْ يأفُلْ وَشَمْسي لَمْ تَغِبْ ... وبي تهتدي كُلُّ ٱلدراري ٱلمنيرةِ)

(وَأَنْجُمُ أفلاكي جَرَتْ عَنْ تَصَرُّفي ... بِمِلْكي وأملاكي لِمِلْكِي خَرَّتِ)

بَلَى أَفَلا وٱلأَفْلُ لِلْخَلْقِ كُلِّهِ ... ويبقى هُوَ ٱلباقي إلهُ ٱلخليقَةِ

(وفي عَالَمِ ٱلتِّذْكارِ للنفسِ عِلْمُها ... ٱلمقدَّمُ تَستهديهِ مِنِّيَ فِتْنَتي)

(فَحَيٌّ عَلَى جَمْعي ٱلقديمِ ٱلذي بِهِ ... وَجَدْتُ كُهُولَ ٱلحَيِّ أطفالَ صِبْيَةِ)

(وَمِنْ فَضْلِ ما أَسْأَرْتُ شُرْبَ معاصري ... وَمَنْ كانَ قبلي فٱلفَضَائِلُ فَضْلَتي)

٦٠

«الذكرى»

ألا لَيْسَتِ ٱلذِّكرى تَخَيُّلَ واهِمٍ ... ولكنَّها أحوالُ نَفْسٍ تَخَشَّتِ
فَمَنْ يَخْشَ يَسْتَذْكِرْ فَتِلْكَ بِخَشْيَةٍ ... وَلَيْسَتْ خَيَالاً في خَلاءٍ عَرِيضَةِ
وَمِنْ نَفْسِها لَنْ تَذْكُرَ ٱلنفسُ عَهْدَها ... فإشهادُهَا في ٱلذَّرِّ حالُ تَخَفُّتِ
فَقَدْ أَخْرَجَ ٱللهُ ٱلوَرَى من بُطُونِ أُ ... مَّهاتِهِمُ لا يعلمونَ بِذَرَّةِ
فَإِنْ يَفْتَحِ ٱلرحمنُ ذكرى بِمُهْجَةٍ ... فَمِنْ فَضْلِهِ لا مِنْ تَفَاعُلِ مُهْجَةِ
فهذا نَبِيُّ ٱللهِ سَيِّدُ ذا ٱلورى ... وَلَمْ يَدْرِ قَبْلَ ٱلوحي معنى ٱلنبوةِ
ولَكِنَّمَا يأتي ٱلتَّذَكُّرُ إنْ أَتى ... إلى سالِكٍ بِٱلحقِّ نَهْجَ ٱلشَّريعَةِ
ولا جَمْعَ ذاتٍ بينَ رَبِّكَ وٱلورى ... ذَوَاتُ ٱلورى خَلْقٌ وذاتُهُ جَلَّتِ
ويا فُرَضُ ما أَسْأَرَتْ إلاّ ضلالَةً ... صَبَبْنَا عليها سَيْلَ شَرْعٍ فَوَلَّتِ
وما ذاكَ مني بَلْ مِنَ ٱللهِ وَحْدَهُ ... بِفَتْحٍ وَإِمْدادٍ وَفَضْلٍ وَنِعْمَةِ
فَلِلَّهِ مِنِّي ٱلحمدُ وٱلشُّكْرُ وَهْوَ عَنْ ... شُكُوري وحمدي في غَنَاءٍ وَعِزَّةِ
وإنْ أَكُ فيها مُخْطِئاً أَوْ مُغَالِطاً ... فَمِنْ ذاتِ نفسي كُلُّ خِطْئي وَغَلْطَتي
أتوبُ إلى ٱلرحمنِ مِنْ كُلِّ خِطْئَةٍ ... وَأَسْتَغْفِرُ ٱلرحمنَ لي وَلإِخْوَتي
وَأَسْأَلُهُ جَلَّ ٱسْمُهُ بِصِفَاتِهِ ... وَأَسْمائِهِ ٱلحُسْنَى قَبُولَ قصيدتي

«السلوك الحق»

نَصَحْتُ لِقَوْمي والنَّصِيحَةُ وَاجِبٌ ... ألاَ أعرضوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرٍ وَسُنَّةِ

وَلَنْ تَبْلُغُوا إِحْيَاءَ دينِ محمدٍ ... بغيرِ جِهَادٍ وانْتِصَابِ خَليفَةِ

فهذا السلوكُ الحقُّ يا أُمَّةَ الهُدَى ... على نَهْجِ صَحْبِ المصطفى خَيْرِ أُمَّةِ

فلا رَحِمَ الرحمنُ مَنْ لا يُحِبّهُمْ ... وَأَخْزَى مُعادِيهِمْ بِدُنْيا وَأَخْرَةِ

أَرَاني ولو عُمِّرْتُ تسعينَ حِقْبَةً ... تُرى ألفَ قَرْنٍ بَيْنَها كُلُّ حِقْبَةِ

تَعَبَّدْتُ فيها الله رَبِّيَ خالصاً ... ولم أكْتَسِبْ فيها أَثَامَ خطيئةِ

فَلَنْ أَبْلُغَنْ أدنى مراتِبِ صاحِبٍ ... مَشَى مع رسول الله عُشْرَ دقيقةِ

فَصَلَّى على خيرِ الورى وَصِحَابِهِ ... إلهُ الورى والحمدُ لله ختمتي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
«النفس المطمئنة»	٥٤
«كمال العبودية الجهاد»	٥٥
«رؤية الرب في الجنة»	٥٧
«ملة إبراهيم»	٥٨
«الحق والخلق»	٥٩
«صرع الجن للإنس»	٦٢
«الحب في الله»	٦٣
«جملة أوهام»	٦٤
«الجهاد الشرعي»	٦٦
«الفرق بين الرب والخلق»	٦٨
«مَوَادُّ الخلق»	٧٠
«الأسماء الحسنى» «الفرق بين الحق والخلق»	٧٥
الفرقة الناجية	٩١
«إنتفاءُ العادة في العبادة عند أهل السعادة»	٩٦
«مجاهدة النفس»	١١٢
«جريمة تغيير معنى الألفاظ»	١١٩
«الأسماء والصفاتِ والأفعال»	١٢٣
«معنى الصحو والجمع»	١٢٧
«هل رأى النبي ربه في الإسراء»	١٢٩
الروح	١٣٠
«التجليات»	١٤٦
«النقل والعقل ودعوى الفيض»	١٥٦
«الاستواء»	١٥٨
«اليقين»	١٦١
«دعوى الفناء والحلول»	١٦٥
فَصل «دعوى تحضير الأرواح»	١٧٢
«فصل «الإشارات»	١٧٧
«سرُّ الشعور بقوة التصريف»	١٨١
«معجزات الأنبياء»	١٨٤

الموضوع	الصفحة